

حراس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن

2

الاغتيالات



فريد الفالوجي

حراس الهيكل

عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن

الخطف - الاغتيالات - الفضائح

الجزء الثانى : الاغتيالات



رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
٢٠٠٤/٣٣٩٠

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ٦٠٨١ - ٧١ - ١

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع ابن سينا

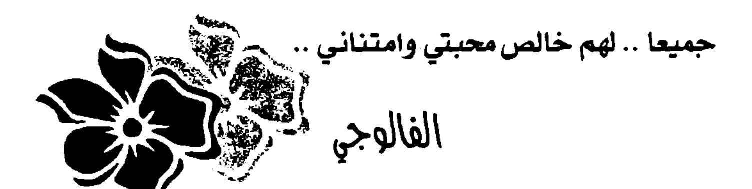
الكتاب : حراس الهيكل جـ ٢
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش. م. م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٠٤٣٤٦٩
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

شكر وتقدير

اعترافا بمجهودهم الرائع حتى صدور هذا الكتاب إلى النور ، أتقدم بوافر الحب شاكرا إليهم نبالة الخلق، وسماحة النفس، حيث شكلوا لدى أسمى آيات الصدق والإخلاص والوفاء :

- الأستاذ / وليد ناصيف. صاحب دار الكتاب العربي ، دمشق / القاهرة.
- صديقي في لندن الأستاذ / حازم خليل وزوجته الفاضلة Goska.
- الأستاذ الفاضل / مصطفى محمد أحمد ،وكيل الوزارة بالتأمينات .
- سمو الشيخ / تميم بن جاسم ثان جاسم آل ثان في قطر .
- الصحفى القدير الأستاذ / هانى صلاح ، سكرتير تحرير جريدة نهضة مصر .
- الصديق الصدوق في سوريا المستشار / أحمد خلوق أبو شكيب .
- الأديب والكاتب المبدع الأستاذ / بركات علي إبراهيم .
- الأديب المرهف الأستاذ / حاتم عبد الرحيم ندا .
- الصديق الفاضل الأستاذ / ناجى أبو السعود أبو العطا .

جميعا .. لهم خالص محبتي وامتناني ..



الفالوجي



إهداء

إلى دوحتي العمر وبسمة الحياة ..

وشذى البراءة الناغية ..

طفلي الحبيبين

فارس .. و .. فروزنده .. !!

التصفية الجسدية

في شريعة الموساد ..!!



التصفية الجسدية.. تعني القتل لأشخاص بعينهم وإسكاتهم إلى الأبد وهو ما يعرف بالاغتيال .

فإذا كانت المذابح عند زعماء إسرائيل أهم وسائل تفريغ فلسطين من سكانها قبل ١٩٤٨ ، فإن الاغتيال يعد أيضًا أهم وسائل الموساد للقضاء على الزعامات الفلسطينية، لاقتلاع صوت الثورة، والجهاد، والشرعية.!!

مقدمة

باغتصاب أرض فلسطين وقيام الدولة الصهيونية، لاحقت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية حركة الكفاح الثوري المسلح داخليًا وخارجيًا. إذ انتهجت أساليب القمع الوحشي في الداخل للسيطرة على العرب مع التلويح بنظرية الجزرة والعصا. أما في الخارج فكانت التصفية الجسدية للزعامات الفلسطينية والقيادات الناشطة، أقرب الطرق لمحاولة اجتثاث المقاومة في مهدها.. وشهدت فترة السبعينيات من القرن الماضي، أعنف الحروب السرية بين المنظمات الفلسطينية المختلفة وإسرائيل. حيث جرت عدة عمليات اغتيال في عواصم أوربية وعربية، أججت مسيرة الكفاح المتواصل من أجل استرداد الأرض.. والمقدسات.

لقد استخدمت المخابرات الإسرائيلية كل أساليب الاغتيال[1] للتخلص من الرموز والثوار العرب، وخلصت إلى أن كل (هدف) مطلوب تصفيته، يحتاج إلى أسلوب معين لاغتياله. لذلك فقد استخدمت المسدس، والقنابل التي تنفجر آليًا عند تشغيل السيارة، والقنابل الموقوتة، والتفجير عن بعد بالريموت كونترول، والطائرات بدون طيار (كما حدث في عملية اغتيال عباس الموسوي)، وقنابل الطرود والرسائل البريدية، والخطف ثم القتل (كما في حالة داني سعيل)، والرشاشات، والقتل في ظروف غامضة (كما حدث لعالم الذرة يحيى المشد وللطيار العراقي محمد رغلوب).

ومن أبرز ضحايا القتل بالمسدس البرتا ٥,٢٢ مم المواطن المغربي أحمد بوشيقي فى جزيرة ليليهامر فى النرويج فى ٢١ يوليو ١٩٧٣ ، حيث اغتيل

---

(١) عام ٣٧٨ هـ قضى على الطائفة الإسماعيلية بواسطة (الأحيفر)، بعدما انتشرت عمليات اغتيال زعماء المسلمين على يد إحدى فرقها، وهي فرقة (الحشاشين) التي أسسها الحسن بن صباح. ومن اسم (الحشاشين) اشتقت اللغات الأوربية الحديثة معنى كلمة (اغتيال): أسُاسينيشن Assassination ، والقاتل: أسُاسين Assassian. وظاهرة الاغتيالات ليست حديثة العهد، بل تعود جذورها إلى بداية نشأة الحضارات في العصور القديمة. فقبل أكثر من ألفين وخمسمائة سنة مضت اغتيل الطاغية اليوناني هيبارخوس عام ٥١٤ق.م. ولعل أشهر حادث اغتيال وقع قبل الميلاد، هو اغتيال القائد الروماني يوليوس قيصر، الذي اغتيل عام ٤٤ ق.م على يد ابنه بالتبنى ماركوس بروتوس.

بطريق الخطأ ظنًا بأنه المناضل الفلسطيني علي حسن سلامة، أطلق عليه الرصاص عميل إسرائيلي وعميلة داعرة وتمت الجريمة في الشارع أمام زوجته النرويجية الحامل وبعض المارة .

أغتيل بالبرتا أيضًا حراس القيادات الفلسطينية الثلاثة في بيروت، حيث تم تعديل الطلقات بعد أبحاث طويلة وتوصلوا إلى طريقة غريبة للقتل بالبرتا دون إحداث صوت قد يكشف القتلة، وذلك بحشو الطلقات بأنواع أخرى من المتفجرات والمواد الناسفة أقل صوتًا للدرجة التي لا يكاد يسمع بها شخص يمر بجوار القتيل. أما لماذا (برتا) فهذا لأن حجمه الصغير يتناسب مع حوادث الاغتيال السريعة التي تتم في الأماكن العامة، إلى جانب وزنه الخفيف وخزينته الصغيرة التي تحوي ٦ طلقات. إنه على كل حال لا يلفت النظر وهذا أمر مهم يغني أحيانا عن خطط التغطية والانسحاب من موقع الجريمة.

هذا وقد استخدمت الموساد البرتا في بعض حوادث الاغتيال التي تمت لأفراد في بيوتهم، خاصة إذا كان هناك جيران قد يستشعرون ما يحدث.. حدث ذلك للدكتور إسماعيل راجي الفاروقي[١] الفلسطيني بأمريكا في في ٢٧ مايو ١٩٨٦، عندما طرق بابه بعض الأشخاص وقتلوه وزوجته الدكتورة لمياء الفاروقي المتخصصة في الموسيقى والفنون الإسلامية.

بذات الأسلوب اغتيل أيضًا المناضل الفلسطيني وائل زعيتر في ١٧ فبراير ١٩٧٢ في روما. لقد استطاع زعيتر أن يمد جسورًا مع المنظمات اليسارية في إيطاليا لشرح حقائق قضية الشعب الفلسطيني. ونظرًا لنشاطه الدبلوماسي البارز قررت الموساد اغتياله، حيث أطلق عليه النار شخصان مجهولان وهربا. وبالوسيلة نفسها اغتيل

---

(١) الدكتور الفاروقي تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت ورحل إلى أمريكا ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة إنديانا وعمل بالتدريس فيها، وكان له نشاط ملحوظ في مجال العلوم والدراسات الإسلامية، وهو مؤلف لخمسة وعشرين كتابًا أكثرها عن الديانات الثلاثة، واغتالته الموساد لأنه كان مرشحًا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ليكون أحد أعضاء وفد المفاوضات الفلسطيني لمؤتمر جنيف للسلام .

سعيد الحمامي ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن في ٤ فبراير ١٩٧٨. وكان شخصية عربية لامعة. وفي روما أيضا اغتيل عبد الواحد زعيتر مساعد علي حسن سلامة في أوروبا في ١٩٧٢/١٠/١٦. لقد تتبعه شخصان ولكنه راوغهما وفي تلك الليلة لم يكن يدري أنهما سبقاه فدلف إلى العمارة الكبيرة التي يسكن بأحد أدوارها، وفي ممر مظلم يؤدي إلى شقته كانا هناك.

أما عز الدين القلق، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، فقد اغتيل بمكتبه في باريس في أغسطس ١٩٧٨. لكن.. المخرج الجزائري محمد بوضياء كانت وسيلة اغتياله غريبة بعض الشيء. انضم بوضياء إلى منظمة أيلول الأسود وكان من أبرز رجالها في أوروبا. فهو منسق العلاقات الخارجية بالمنظمة مع جماعات بادر ماينهوف والجيش الأحمر الياباني والجيش الجمهوري الإيرلندي، خاصة فيما يتعلق بمهام تبادل المعلومات والأسلحة. لقد كان في لبنان حينما ألقى القبض على عميل إسرائيلي اسمه ريف رينيه دي توريس، ولأن بوضياء يجيد الفرنسية كأهلها، ساعد في استجواب العميل الذي حدثت بشأنه ضغوط شديدة طرد على إثرها من لبنان إلى فرنسا. وبعد شهر من هذا الحادث كتب بوضياء: (ليس من قبيل الصدفة أن ألتقي بالفرنسي دي توريس في كل مكان في باريس).

ففي صباح ٨ يونيو ١٩٧٣ ذهب بوضياء إلى مسرح كويست الطليعي حيث يعمل.ونظرًا للحس الأمني عند بوضياء وتعوده قبل الانطلاق بسيارته فتح الغطاء الأمامي للاطمئنان والنظر تحت السيارة وفحص ماسورة العادم، فقد وضعوا له قنبلة تحت مقعد القيادة، آلية تشغيلها واشتعالها مرتبطان بمفتاح التيار، وثبتوا ضاغطاً في كرسيه ووضعوا قطعة من الحديد تحت القنبلة وذلك لكي تنفجر إلى أعلى لا إلى أسفل. واعتقد البوليس الفرنسي أن العبوة الناسفة التي اخترقت جسده كان هو شخصيًا يقوم بنقلها. وفقدت أيلول الأسود رجلها الثاني في باريس .

في بيروت بذات الطريقة أيضًا قتل الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني[1] الذي قيل عنه أنه : (كان فدائيًا لم يطلق رصاصة في حياته. إذ كان القلم هو سلاحه الأمضى.. لكنه برغم ذلك كان يزعج العدو أكثر من كتيبة فدائيين.)! ! !

أما بالقنبلة الموقوتة عن طريق التليفون، فقد نسفت الموساد شقة محمود الهمشري ممثل منظمة التحرير في باريس وهو بها، وكان الرجل ذا علاقات دبلوماسية وطيدة في الوسط السياسي الدولي مما أزعج الموساد ، ورفضت السلطات الصهيونية دفنه في قريته أم خالد الفلسطينية فدفن في باريس في ديسمبر ١٩٧٢.

وبأسلوب القنابل التي تنفجر في الشقق وتحت الأسرة بالفنادق وفي السيارات، هناك قائمة طويلة من الضحايا ، نذكر منهم بلا حصر ماجد أبو شرار الكاتب والأديب والمناضل الفلسطيني المشهور، الذي جاءته دعوة لإلقاء كلمة في المؤتمر العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في روما، أكتوبر ١٩٨١، وعند عودته إلى الفندق كان رجال الموساد قد انتهوا من زرع القنبلة أسفل سريره ، بمجرد أن ألقى جسده المرهق حدث وميض سريع أعقبه انفجار هائل.

لقى المصير نفسه حسين عياد بفندق أوليمبيك بنيقوسيا في مارس ١٩٧٣، وبعده بأسبوعين زميله زياد موقاصي.

أما الاغتيال بواسطة الرسائل البريدية الملغومة والطرود الناسفة، فهو أسلوب مخابراتي أتقنه رجال الموساد منذ حقبة طويلة ، تزامنت مع قيام الثورة في مصر

---

(١) غسان كنفاني : اغتيل في بيروت في ٨ يوليو ١٩٧٢ هو وابنة أخته لميس ذات السبعة عشر ربيعًا، عندما انفجرت سيارته وقد همَّ بتشغيلها. تقول زوجته عن الحادث :

(جلسنا لوقت طويل صباح ذلك اليوم نحتسي القهوة بالشرفة، وقبل أن يذهب إلى مكتبه قام بتصليح لعبة القطار التي تخص ابننا فائز وابنتي عمته. كان يلعب ثلاثتهم ذلك اليوم بالمنزل. لميس أرادت مرافقة خالها إلى المدينة. وبعد دقائق من وداعهما لنا دوى صوت الانفجار العنيف، الذي اهتزت بفعله كل نوافذ المنزل. نزلنا جريًا إلى الجراج حيث وجدت بقايا حطام لعربتنا تلتهمها النيران، وعلى بعد أمتار منها كانت ترقد لميس.. ولم أر أي أثر لغسان.. صرخت أنادي عليه وإذا بي أكتشف رجله اليسرى. وقفت كالمشلولة.. بينما كان فائز يضرب برأسه الجدار منهارًا.. وتصرخ أيضًا ابنتي ليلى.).

أوردت وكالات الأنباء أن ثمة (مجهولين) قاموا بتدبير عملية اغتيال الكاتب الفلسطيني. وفي ٢٢ يناير ١٩٧٣ نشرت صحيفة (جيروساليم بوست) الإسرائيلية، أن الموساد مسئولة عن اغتيال كنفاني.

والرعب الإسرائيلي من أول رئيس مصري وطني، اللواء محمد نجيب الذي التف حوله شباب الثورة، وما تلى ذلك من حوادث اغتيال بالطرود البريدية، بدأت باغتيال العقيد مصطفى حافظ رئيس مكتب المخابرات العسكرية المصرية في غزة، الذي قتل بواسطة طرد ملغوم في يوليو ١٩٥٦، وفي اليوم التالي مباشرة، اغتيل الملحق العسكري المصري في عمان، المقدم صلاح مصطفى، بواسطة كتاب ملغوم أيضا، أرسله بريديًا رئيس جهاز المخابرات العسكرية (أمان) يهوشافات هاركابي، وما جرى بعد ذلك ضد خبراء الصواريخ الألمان بالقاهرة، الذين غادروا ألمانيا بعد تقسيمها، وكان على رأسهم العالم الكبير وولفجانج ميلز، حيث استطاعت الموساد زرع أحد عملائها بينهم وتوالى وصول الرسائل الملغومة التي قتلت العديد، بغرض تخويفهم وإبعادهم عن القاهرة كي لا يساعدوا على تطور صناعات الصواريخ والمواد الكيماوية في القاهرة . وألقت المخابرات المصرية القبض على العميل الإسرائيلي يوهان وولفجانج سيجموند لوتز وزوجته وحكم عليه بالمؤبد.

وبواسطة الرشاشات (عوزي) Uzi الإسرائيلية قامت فرق القتل في الموساد بعدة عمليات اغتيال، أشهرها حادث اغتيال ثلاثة من قادة منظمة التحرير الفلسطينية[١] في بيروت في ١٩٧٣/٤/٩، حيث قتلوا الحراس أولاً بمسدسات برتا ٥,٢٢ مم، ثم سحبوهم بعيدًا دون أدنى حركة غير طبيعية قد يشعر بها أحد القادة الثلاثة، الذين يقيمون في عمارة واحدة وفي طوابق مختلفة،ويمتلكون مدافع الكلاشينكوف التي كثيرًا ما اخترقت رصاصاتها أجساد الإسرائيليين. ولشعور القادة الثلاثة بالجو الآمن من حولهم لم يتوقعوا هذا الهجوم المباغت ردًا على عملية ميونيخ[٢] بألمانيا (الغربية)،التي راح ضحيتها ١١ صهيونيًا من البعثة الإسرائيلية في دورة الألعاب الأوليمبية هناك.

---

(١) أطلقت على هذه العملية عدة أسماء منها : عملية فردان، وعملية ربيع الشباب التي يقابلها بالعبرية: أفيف نعوريم.

(٢) تفاصيل مذبحة ميونيخ جاءت بالجزء الثالث من (حراس الهيكل).

هذا وقد استخدمت المخابرات الإسرائيلية أسلوب التفجير عن بعد باستخدام الريموت كونترول لقتل المناضلين الفلسطينيين. وأشهر من استخدمت ضده هذه الوسيلة علي حسن سلامة، العدو اللدود للموساد على مدى سنوات طويلة، زرعوا خلالها دول العالم بالعيون تتبعه وتترصده وتطارده فرق القتل، إلى أن استقر به المقام في بيروت مع جميلة الجميلات ملكة جمال الكون جورجينا رزق وتم العثور على مسكنه..

لقد ماتت جولدا مائير في ٨ ديسمبر ١٩٧٨ وهي التي أصدرت حكم الإعدام على هذا الوحش ، إلا أن بيتر سكريفر ورونالد كولبرج بمعاونة خبراء المفرقعات في الموساد ، أعدا شحنة تزن ١٥ كيلوجراما من مادة T.N.T كومت أسفل مقعدي السيارة الفولكس واجن التي استأجراها. أوقفت السيارة أمام منزل أنيس عساف حيث تسكن عميلة للموساد مهمتها أن تضغط على زر صغير وهي بنافذة شقتها عند مرور سيارة علي حسن سلامة.. وقد كان، وتحول شارع البقاع في لحظة إلى جهنم. ونُقل سلامة إلى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت وأعلن نبأ وفاته هناك في ٢١ يناير ١٩٧٩، لتجئ بعد ذلك عمليات الاغتيال من الجو ، بواسطة طائرات تطلق صواريخها كما حدث مع عباس الموسوى فى لبنان ، ومع الشيخ أحمد ياسين والدكتور الرنتيسى من بعده ، وقبلهما وبعدهما عشرات العمليات من هذا النوع .

كانت هذه أبرز وسائل الاغتيال التي استخدمتها المخابرات الإسرائيلية ضد المناضلين العرب.وما يزيدنا احتقارًا لبربرية العدو، تلك الوسيلة الوحشية التي ابتدعها خبراء المفرقعات في الموساد. أسلوب جديد لم تعرفه الدنيا إلا في إسرائيل، يقوم على وضع عبوة ناسفة في محرك السيارة تنفجر بمجرد تشغيلها ولكن الضحية لا تموت.. هم لا يريدون موتها بالقطع.. حيث الانفجار يسفر عن تقطيع الأرجل. فمفعول العبوة جرى تعديله وتخفيفه بحيث يكفي الانفجار الذي يحدث لإصابة الأرجل فقط ، مما يستدعي بترها في المستشفى لاستحالة إصلاحها.

إن هذا الأسلوب الوحشي، يستحق أن يطلق عليه الاغتيال المعنوي مدى الحياة، ولجأت إليه المخابرات الإسرائيلية مع رؤساء البلديات العربيــة في الأرض المحتلـة، الذين لم يتآلفوا مع سياسة اليهود أو يباركوا توسـعاتهم. وكـانت البدايـة مـع بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس، ثم كريم خلف رئيس بلدية رام الله، بينما نجا إبراهيـم الطويل رئيس بلدية البيرة.

لقد شاع خبر تقطيـع أرجـل رؤسـاء البلديـات، وقـرر الرئيـس الفرنسـي فالـيري جيسكار ديستان علاج الشكعة وخلف في فرنسا، فخرجت الصحف الأوروبية تحمل التعاطف والمؤازرة، وحفلت بصورهما وقد بترت أرجلـهما، بينمـا خسـرت إسـرائيل كثيرًا من العطف والتأييد. وهوجم مناحيم بيجن بشراسة.

كان أبراهام أشيتوف[1] رئيس جهاز الأمن الداخلي (الشين بيت)[2] هو المسئول الأول. ذكرت ذلك مجلة نيو أورليانز الأمريكية المعروفة بقـوة مصادرهـا الإسـرائيلية. ووصف أشيتوف بالوحشية واضطر إلى الاستقالة أو هو طرد من منصبـه بعـد فضيحـة لاكتها الصحف لفترة طويلة. وانفجر سؤال مهم في إسرائيل: من وراء تقطيـع أرجـل رؤساء بلديات الضفة الغربية المحتلة؟ إن الأمر برمتـه بعيـد عـن الصبغـة الإنسـانية ولكنه يتصل بمراكز القوة والهيمنة في إسرائيل.

فالمخابرات الإسرائيلية ، بما لديها من ملفات عـن تـاريخ بيجـن الإرهـابي منـذ القـدم، حـاولت أن تؤكـد للـرأي العـام أن رئيـس الـوزراء شـخصيًا كـان وراء تلـك الحـوادث، وأنـه أشـعل القضيـة بـإطلاق يـد أجـهزة أمنـه لتقطيـع أرجـل رؤسـاء البلديات، وأن كل ما تم كان بموافقته ومباركته. وبات لزامًا على واحد مـن الاثنـين أن ينسحب أمام الآخر. ولأن رئيس الوزراء مركز الثقل في الدولة فكان على أشيتوف أن يلام ويطرد ليظل بيجين هكذا، الزعيم الأول للإرهـاب في إسـرائيل ، ولكـن مـن خلف الستار.

---

(١) أبراهام أشيتوف (أهاتيف) تولى رئاسة شين بيت من ١٩٧٤ حتى ١٩٨١.

(٢) الاسم الجديد لجهاز الأمن الداخلي المعروف بـ (شين بيت)، هو : شاباك.

وعندما تقدم عضو الكنيست المعارض شمويل توليدانو باستجواب لرئيس الوزراء شخصيًا ، يتهمه بأنه وراء أوامر إرهاب رؤساء البلديات ويتحداه أن يثبت عكس ذلك، تذهب القضية إلى حيث ذهبت المئات من قضايا الإرهاب التي سبقتها.

هذه هي إسرائيل التي اتخذت من الإرهاب والمجازر والاغتيالات أسلوبًا قميئًا قامت عليه الدولة، فهي لم تصفي المعارضين لها من العرب فحسب بل امتد إرهابها إلى الأجانب أيضًا. إذ اغتالت الكونت فولكه برنادوت مبعوث الأمم المتحدة إلى فلسطين عام ١٩٤٨ لإجراء مباحثات وقف إطلاق النار بين العرب وعصابات اليهود. تعاطف الرجل السويدي مع الفلسطينيين وأعد مشروعًا للتقسيم رفضته إسرائيل، واغتيل ومعه العقيد الفرنسي أندريه سبو علانية في أحد شوارع القدس.

بل إن تاريخ الصهيونية أيضًا يزخر بالعديد من حوادث الاغتيال لليهود، أثارت الكثير من اللغط حولها، مثل عملية اغتيال يعقوب دي هان عام ١٩٢٤، وحاييم أرلوسولوف الرجل الثاني في الوكالة اليهودية ١٩٢٢، وإميل جرونز عام ١٩٨٢، وهو مناضل يدعو للسلام، وبسببه استقالت شخصيات أمنية عديدة تورطت في عملية اغتياله. ترى.. هل اغتالوا رابين أيضًا بعملية مدبرة؟!

إن البحث في جذور الإرهاب الإسرائيلي يقودنا إلى تكشف وإدراك كنه الدولة الصهيونية، وسياستها القمعية لابتلاع فلسطين. وكان أن استخدمت أسلوب الاغتيال كأحد أبرز أساليب القمع، لإسكات الصوت الفلسطيني الثائر،وملاحقة هؤلاء الذين حملوا أرواحهم فداء للأرض المقدسة.

هناك سجل متخم بعمليات الاغتيال هذه، لسنا بصدد التعرض لها إجمالاً في كتابنا، فهي أكثر من أن تتسع لها عشرات الكتب، لكننا اخترنا أشهرها تدليلاً لا حصرًا، لما لها من آثار ومنعطفات في تاريخ الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وما سببته من أزمات حادة في بعض حالاتها للكيان الصهيوني، خارجيًا وداخليًا. لكن

الحقيقة التي لا يمكن إغفالها، أنه بالرغم من لجوء إسرائيل إلى التصفيات الجسدية للقيادات الفلسطينية بشكل مفرط، ولرموز الكفاح خاصة، فقد فشلت سياسة إسرائيل في الوصول إلى أهدافها المرجوة في الأمن. فالأمن الإسرائيلي حلم لن يتحقق. بل هو بعيد المنال حتى ولو طوقت كل قرية فلسطينية ومدينة بالأسوار المنيعة.

وفي هذا الجزء من الكتاب، نتعرض لأشهر عمليات الاغتيال التي نفذتها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية ، ووقعت أغلبها في حقبة السبعينيات من القرن الماضي، تلك الفترة التي شهدت أعلى مراحل الكفاح الثوري الفلسطيني المسلح، ضد مصالح العدو وأهدافه في الخارج..!!

فريد الفالوجي

القاهرة - مدينة نصر

٠١٢ - ٧١١ - ٢٦٦٢



عملية فردان فى بيروت
واغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة..!!

سنة ١٩٧٠ - في ظروف بالغة القسوة داخل مخيمات حقيرة، ووسط جو ساده اليأس.. والضعف.. والانكسار الخانق.. تأسست (أيلول الأسود).. منظمة فدائية بالغة السرية، زلزلت إسرائيل بعملياتها الفدائية الخارقة في الداخل وفي الخارج. فكان القرار الأعلى في إسرائيل: (لا أحد من المسئولين عن مذبحة ميونيخ مسموح له بالبقاء على وجه الحياة) . هكذا بدأت أعنف وأشرس مطاردة لاقتفاء أثر أفراد (قائمة الموت) في كل مكان!!

تاريخ أيلول الأسود

في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ قام الملك حسين بتصفية المقاومة الفلسطينية في الأردن بعد مذابح دموية انتهت بانتقال المقاومة إلى لبنان، وتمركزها بمنطقة العرقوبية على الحدود اللبنانية – السورية – الإسرائيلية.

وفي حي الفكهاني ببيروت، حيث تتمركز القيادة الفلسطينية، تأسست جبهة أيلول الأسود عام ١٩٧١ ، المنبثقة عن منظمة (فتح) ووكالة الأنباء الخاصة بها، وأعلن صلاح خلف، أبو إياد، عن تأسيس الجبهة بالتليفزيون الألماني كرد فعل على وحشية القوات الأردنية. ضمت هيئة أركان أيلول الأسود ، الفدائي الأسطورة علي حسن سلامة ، رئيس عمليات أيلول الأسود و(قائد القوة ١٧ المكلفة بحراسة ياسر عرفات)، ومحمد داوود عودة، وفخري العمري، ويوسف النجار (أبو يوسف) وفؤاد شمالي، وغازي الحسيني قريب المفتي الأسطورة أمين الحسيني، وكمال عدوان.

وبقيام أيلول الأسود ، كان من البديهي أن تكون أولى عملياتها ضد الأردن، حيث جرى اغتيال وصفي التل رئيس الوزراء الأردني في ٢٨ نوفمبر ١٩٧١ بفندق شيراتون القاهرة . وجثا القاتل على ركبتيه أمام السواح يلعق دم القتيل في تشف واضح. هذا يكفي جدًا، هكذا قال علي حسن سلامة مضيفاً بأن عمليات الجبهة لن توجه ضد عربي بعد ذلك مهما كانت الأسباب. فإسرائيل هي الهدف الأول والأخير، إسرائيل في الداخل، والخارج .

أما كمال ناصر ، المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، فقد استنكر الحادث لكي يبعد التهمة عن فتح. ذلك أن المنظمات الفلسطينية أسست قيادة موحدة لها في فبراير ١٩٧٠ برئاسة عرفات، وبالتالي فإن جميع (العمليات) كانت تطبخ بعلم القيادة، وإن لم يعلن عن ذلك صراحة. نفذ علي حسن سلامة ما جاء على لسانه بالفعل .

اجتمعت هيئة الأركان العامة لأيلول الأسود بقيادة صلاح خلف[1] (أبو إياد) لاستعراض الموقف وكان هناك إصرار على القيام بعملية فدائية خارقة في ميونيخ Munich حيث تقام دورة الألعاب الأوليمبية وانحصرت أهداف العملية في نقطتين أساسيتين : تحرير ٢٣٦ أسيرًا في المعتقلات الإسرائيلية، ولفت أنظار العالم إلى قضية فلسطين، باحتجاز البعثة الأوليمبية الإسرائيلية كرهينة.

لقد أكد يوسف النجار أحد القادة البارزين في أيلول الأسود على أهمية العملية، لإجبار العدو على الرضوخ لمطالبهم. أما رئيس العمليات ، حسن سلامة ، فقد انتقى من مجموعة من الفدائيين على درجة عالية من التدريب والمهارة. وبمعاونة كمال عدوان- المنسق العام ، تمكن الفدائيون الثمانية من اقتحام القرية الأوليمبية في الخامس من سبتمبر ١٩٧٢، وأسر تسعة رياضيين إسرائيليين وقتل اثنين آخرين. إلا أن المذبحة غير المتوقعة حدثت بعد ١٩ ساعة حبس العالم أثناءها أنفاسه، إذ أطلق الأمن الألماني الرصاص على المختطفين في القاعدة الجوية فى Tursten feledbruck، وسقط الجميع صرعى ما عدا ثلاثة فدائيين. أطلق الألمان سراحهم بعد ٥٥ يوما، في عملية خطف لطائرة ألمانية قامت بها أيلول الأسود أيضاً.

---

(١) ولد صلاح خلف في يافا عام ١٩٣٣، وانتقل مع أسرته إلى غزة بعد إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨. تعلم بالقاهرة حيث التحق بكلية التربية جامعة القاهرة والتقى بعرفات وصارا من يومها حليفين لا ينفصلان. كان حاد الذكاء لديه القدرة على القيام بعمليات فكرية معقدة، واتخاذ القرارات الحاسمة. يقولون عنه أنه كان يجلس صامتًا لساعات طويلة كأبي الهول، لكن عقله دائم اليقظة والتحليل والخروج في النهاية بقرارات لا تقبل الخطأ أو الشك. كان يعشق البيت وحياته الأسرية.. أنجب ثلاثة من الأولاد ومثلهم من البنات، أقربهم إلى قلبه ابنته جيهان المصابة بشلل الأطفال. وكانت حياته تتشكل طبقًا لاعتبارات أمنية. فهو دائم التنقل من بيت إلى بيت، ولا يقضي ليلتين في المكان نفسه. يقول الكاتب إيريك رولو Eric Rouleau في مقدمة كتابه: (أبو إياد): إنه يحيا كالمطاريد، ونادرًا ما يرتاد الأماكن العامة أو المطاعم. ويحيط نفسه بمجموعة من أشرس حراس القوة ١٧. كان أبو إياد قائدًا لتنظيم (أيلول الأسود) الجناح السري لجهاز الرصد، المكلف بأعمال المخابرات في حركة فتح. وهو الشخصية الثانية بعد ياسر عرفات في منظمة التحرير، حيث يشرف على جهاز المخابرات (الرصد)، ويخطط لسياسة المنظمة داخليًا وخارجيًا. وبعد غزو صدام حسين للكويت، عارض أبو إياد صدام صراحة وأعلن رأيه مرارًا على الملأ. وفي ١٤ يناير ١٩٩١ قبل انتهاء مهلة الأمم المتحدة للعراق بيوم واحد، قام حمزة أبو زيد، الحارس الشخصي لأبي الهول (رئيس مخابرات فتح)، باغتيال أبي إياد في تونس، وتردد أن صدام حسين هو الذي أمر بقتله لانتقاده سياسة بغداد داخل المنظمة. وكان وسيلته في ذلك صبري البنا (أبو نضال)، قائد تنظيم فتح الثوري المنشق، ذلك الإرهابي الدولي الذي احتضنه صدام، وقتله بعد ذلك في بغداد في أغسطس ٢٠٠٢ لتموت معه أسرار موغلة في الوحشية والعنف.

الحـرب الـخـفـيـة

هـزت عمليـة ميونيـخ[1] إسـرائيل، وبينمـا أقسـمت جولـدا مائـير علـى الانتقـام لقتلاهم- ومطاردة زعماء أيلول الأسود أينما كانوا على الأرض.. هذا في الوقت الـذي كان رجال أيلول الأسود يخططـون لعمليـات أخـرى تـهدم الأمـن الإسـرائيلي وتثـير الرعب في كل مكان. لقد فقد الرجال ثقتـهم في القوميـة العربيـة، وقوتـها العسـكرية التي بدت هشة هزيلة أمام العدو الإسرائيلي فى ١٩٦٧. إذ خسر العرب سيناء وغزة والضفة الغربية والقـدس والجـولان في غمضـة عـين، فانـهارت تمامـا وحـدة الصـف العربي ولم تعد الجامعة العربية سوى منبر للخطب الرنانة.

كان الفلسطينيون في ذلك الوقت يعيشـون أسـوأ أيـام حياتـهم، في ظـروف بالغـة القسوة داخل معسكرات حقيرة تفتقد لأبســط مظـاهر الحيـاة الآدميـة. ولم يكـن مـن السـهل أبــدا أن يحـس الآخريـن بمعاناتـهم، وظروفـهم. فإسـرائيل بآلتـها الدعائيـة الجبارة صورت للعالم أنها تعيش علــى أرض بـلا شـعب. وأن الفلسـطينيين مجـرد حفنة من الإرهـابيين القتلـة، آمنـوا بـأن الإرهـاب هـو وسـيلتهم للابـتزاز ليـس إلا. صورت للعالم أيضا أنها دولة مسالمة تدافع عـن أمنـها ضـد الجيـوش العربيـة الـتي تحاصرها، وتتوعد اليهود بالبحر مـأوى لهـم، في حـين كـانت الجيـوش العربيـة في أسوأ حالاتها انهيارًا وضعفًا.. ونقصًا في السلاح والتدريب، ويخيم اليأس على كافـة الأصعدة العسكرية والدبلوماسية.

في جو كهذا ساده اليأس والضعـف والهزيمـة ، التفـت فيـه العـالم إلى إسـرائيل المدافعة عن حقها التاريخي في فلسطين، ووسط انكسار عربــي خـانق، لم يكـن أمـام الفلسطينيون إلا (العمل) قدر استطاعتهم بإمكاناتهم الهزيلـة ، ليقولـوا للعـالم: لا ، نحن هنا، شعب لاجئ، منتهك، محاصر، مغتصب، لم يمت ولـن يمـوت، شـعب يدافع عن أرضه المحتلة، ويحارب في سبيل فلسطين سواء كانت الحرب على أرضه السليبة أو في أي بقعة من العالم.

---

(١) نفذت عملية ميونيخ بالاشتراك مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جورج حبش) .

وفي بيان لوكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) ألقاه كمال ناصر المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير، يحدد أهداف المنظمة جاء فيه: (نحن لا نقصد قتل الأبرياء، نحن نقاتل ضد الظلم، والمجازر ، لكي نضع أمام الرأي العام العالمي الدور القذر للاحتلال الصهيوني، والمأساة العميقة لشعبنا. فنحن جزء لا يتجزأ من الثورة الفلسطينية، والأرض ستتحرر بالدم، والعالم لا يحترم إلا الأقوياء).

كان القرار الفلسطيني (بالعمل).. يقابله قرار آخر في إسرائيل وهو: (لا أحد من المسئولين عن مذبحة ميونيخ مسموح له بالبقاء على قيد الحياة) . المهمة إذن عدم الإيقاع بأي أحد في الأسر، بل الانتقام بكل مدلولات الكلمة. هذا القرار أصدره أعضاء لجنة الأمن والشئون الخارجية البالغة السرية، والمشكَّلة من رئيسة الوزراء جولدا مائير[1] وموشي ديان ورؤساء أجهزة الاستخبارات.. ولم تكد تمر ساعات على اجتماع اللجنة السرية بعد خمس أيام فقط من عملية ميونيخ ، حتى تلقت إسرائيل نبأ كارثة أخرى في بروكسل. إذ تمكن فلسطيني من تنظيم أيلول الأسود ، من قتل (زادوك أوفير) ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي يعمل بصورة سرية كسكرتير أول في السفارة ، بعد استدراجه لمقهى (برنيس) . فقد كان الفلسطيني عميلا مزدوجا و(أوفير) هو ضابط الحالة الخاص به[2] .

إنها المرة الأولى التي يتم فيها إطلاق الرصاص على ضابط مخابرات إسرائيلي من مسافة قريبة في كمين مدبر، بعدها اشتدت عمليات أيلول الأسود وازدادت ضراوة، ففي ٢٨ ديسمبر ١٩٧٢ ، وبينما كان يتم إعداد ولي العهد لتولي منصبه الجديد كحاكم لتايلاند ، أقام السفير الإسرائيلي في بانكوك حفلاً بسفارته حضره زميله سفير إسرائيل في كمبوديا ، سيمون أفيمور ، عندما اقتحم المبنى مسلحان من أيلول

---

(١) جولدا مائير: تولت منصب رئيس الوزراء عام ١٩٦٨، خلفًا لليفي أشكول، واستقالت من منصبها في أبريل ١٩٧٤، في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣.

(٢) من صميم عمل أجهزة الاستخبارات توفير هامش الأمان لضباطها عند خروجهم لمقابلة العملاء، بحيث ترسل خلفهم حماية سرية تخوفًا من تعرضهم للقتل كما في حالة ضابط الموساد أوفير. وهذا النظام المعمول به حتى داخل الموساد، يتجاهله بعض ضباطها الذين وصلت بهم الثقة إلى حدود بعيدة، أوقعتهم فريسة سهلة على يد عملائهم في عواصم أوربا.

الأسود أخذا السفيرين وأربعة إسرائيليين أسرى، وطالبا بإطلاق سراح ٣٦ من رفاقهم، مهددين بنسف السفارة بمن فيها ما لم يستجب لطلبهم. وبعد تسعة عشر ساعة استسلما في ظروف غامضة وغادرا تايلاند إلى القاهرة.. ثم جرى قتل رجل أعمال إسرائيلي يدعى (حنان ييشع) بمدخل شارع Gran via الرئيسي في مدريد. وبعد مقتله اتضح أنه عميل إسرائيلي اسمه (باروش كوهين) يعمل في جهاز الشاباك، وكان حاكما عسكريا سابقا في نابلس اشتهر بأنه طارد ياسر عرفات وكاد يمسك به لو لم يرتدي عرفات الخمار الأسود ويهرب في زي امرأة بدوية. وأشعل موت كوهين صدامًا عنيفاً بين رؤساؤه فقد علموا بأنه لم يجنح للحس الأمني في تحركاته.

ومن أعنف العمليات، ما جرى بعد ذلك في الخرطوم أول مارس ١٩٧٣ عندما اقتحمت ناقلة عملاقة مبنى السفارة السعودية وقفز منها تسعة رجال مسلحون من أيلول الأسود[١] ، قاموا بعد ٢٦ ساعة من المفاوضات[٢] بإعدام السفير الأمريكي كليو نويل بأربعين طلقة بداية من ساقيه حتى رأسه إمعاناً في تعذيبه، كذلك إعدام جورج كيرتس القائم بالأعمال الأمريكي ، وجاى إيد سفير بلجيكا لدى السودان. وأصدرت المنظمة بيانا قالت فيه: (قمنا بإعدام الرهائن بسبب التكبر والتعالي الأمريكي، والتآمر الذي أدى إلى مذابح لشعبنا، والتآمر ضد قضيتنا الوطنية . فأمريكا سبب

(١) أطلق الفلسطينيون اسم (عملية نهر البارد) على هذه العملية. والاسم لنهر يقع في أقصى الشمال من طرابلس في لبنان، اشتق منه اسم معسكر للاجئين الفلسطينيين يتم فيه التدريب المسلح، أغارت عليه قوات الكوماندوز البحرية الإسرائيلية ليلة ٢٠/٢١ فبراير ١٩٧٣ ، قبل القيام بعملية الخرطوم بعشرة أيام فقط، وأوقعت بعدد كبير من الفلسطينيين قتلى بالإضافة لعشرات الجرحى. كانت عبارة (تذكر النهر البارد) أيضًا هي الأوامر الشفرية التي تقضي بقتل الدبلوماسيين الغربيين في حالة عدم الاستجابة للمطالب التي سيعلنونها من داخل السفارة السعودية بالخرطوم.

(٢) كانت المطالب التي أعلن عنها تتلخص في الإفراج عن أبو داود (محمد داود عودة)، أحد قيادات أيلول الأسود والمعتقل في الأردن، وسرحان بشارة سرحان المسجون بأمريكا بتهمة اغتيال السناتور روبرت كنيدي، وأعضاء عديدين من منظمة بادر ماينهوف الألمانية الذين يقضون أحكامًا بالسجن في ألمانيا (الغربية). رفضت الأردن وأمريكا وألمانيا الاستجابة لطلبات المسلحين. وأعلن الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أن واشنطن لن تسمح بابتزازها، فأعطى أبو إياد أوامره لقائد العملية بقتل الرهائن الثلاثة.. ولأن الرسالة الشفرية كانت بطريقة الراديو، ولإزالة أي شكوك محتملة كالتشويش مثلاً اتصل علي حسن سلامة بسفارة الخرطوم في بيروت، وطلب منهم نقل الرسالة ذاتها (تذكر النهر البارد) إلى المسلحين في السفارة السعودية بالخرطوم. مؤكدًا أن الرسالة ستؤدي إلى نهاية (سعيدة) للأزمة هناك .

مذابح أيلول الأسود في الأردن)، وسبب نكبة الشعب الفلسطيني والعربي). عشرات العمليات الفدائية لأيلول الأسود في عواصم العالم ضد إسرائيل ألقت الرعب في قلوب اليهود، خلافاً لخطف العديد من الطائرات لشركة العال الإسرائيلية ولشركات جوية عالمية أخرى، للإفراج عن زملائهم الأسرى، إضافة للرسائل والطرود الناسفة التي وصل عددها (٢٤) رسالة، قتلت إحداها الملحق الزراعي بسفارة العدو في لندن (د. آمي شيشوري) ووصلت واحدة منها إلى إسرائيل معنونة باسم شيمون بيريز[١] .

عمليات أيلول الأسود هذه حققت شهرة واسعة، وبدأت تجني ثمار أهدافها بانتباه العالم للقضية الفلسطينية، وكسب تعاطف العديد من المنظمات اليسارية العالمية فاندفع شباب من كل الجنسيات للعمل ضد إسرائيل منبهرين بعمليات أيلول الأسود، مؤمنين بحق الفلسطينيين في أرضهم.

قائمة الموت

أما في إسرائيل، فقد كان الوضع في غاية السوء. فالضربات الفدائية الفلسطينية كانت شديدة الأثر على الاقتصاد الإسرائيلي والسياحة بشكل عام. وساءت سمعة أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية التي روج لها بشكل أسطوري لا مثيل له. لذلك تم التنسيق بين الأجهزة الأمنية المختلفة للرد على العمليات الفلسطينية، بصورة تكاد تكون انتقامية، للحد من هذه العمليات وتحجيمها، لتهدئة الشارع الإسرائيلي من ناحية، ومن ناحية أخرى إبراز قوة ذراع إسرائيل الطويلة في الرد والانتقام والتحرك. وفي المبنى الرئيسي للموساد في شارع (شاؤول) ، أصدر زيفي زامير[٢]

---

(١) شيمون بيريز : إرهابي صهيوني له تاريخ حافل بالإجرام وسفك الدماء بحق الفلسطينيين والعرب . وهو بولندى الأصل لم يولد على أرض فلسطين . شغل منصب وزير المواصلات في الحكومة الإسرائيلية ثم وزارة الدفاع. وخلف إسحق شامير في رئاسة الوزراء في الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٧.

(٢) زيفي زامير Zivi Zamir رئيس الموساد (١٩٦٨ - ١٩٧٤) الذي وقعت في عهده أشرس العمليات الفدائية الفلسطينية، واختتم تاريخه الوظيفي بانتكاسة إسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

رئيس الجهاز قرارًا بتعيين مايك هاراري[1] مسئولا عن فرق القتل. فشرع من فوره في جمع قائمة تضم زعماء أيلول الأسود الذيـن كـانوا وراء عمليـة ميونيـخ. حيـث كـان بعضهم لا يزال في أوروبا في وظـائف ظاهريـة، وبقيتـهم في بـيروت. وشملـت قائمـة الموت كل من:

■ صلاح خلف (أبو إياد)، مساعد عرفـات، وقـائد عـام أيلـول الأسـود والمؤسـس الأول، والمشرف على جهاز المخابرات الفلسطينية (رصد).

■ كمال عدوان، عضو هيئة الأركان. ومسئول العمليات داخل الأرض المحتلة.

■ محمد يوسف النجار(أبو يوسف)، رئيس منظمة أيلول الأســود وأبـرز قياداتـها، ورئيس جهاز المخابرات الفلسطينية (رصـد)، والمسـئول العسـكري عـن الأنشـطة السرية، ورئيس اللجنة العليا لشئون الفلسطينيين في لبنان.

■ علي حسن سلامة (أبو حسن)، رئيس العمليات في أيلول الأسود، والعقل المنفذ، وقائد القوة ١٧ وجناح (الرصد) في منظمة التحرير (المخابرات)

■ كمال ناصر، المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية، ورئيـس تحريـر مجلتها المركزية (فلسطين الثورة)، ومسئول الإعلام الفلسطيني الموحد.

■ فخري العمري، أحد أبرز ضباط العمليات وعضو هيئة الأركان.

■ محمد داود عودة (أبو داود) [2]، ضابط بالعمليات، تدرب بالقاهرة مـع سـلامة والعمري، وتولى المركز القيادي لتنسيق العمليات الدولية.

---

(١) مايك هاراري: بطل أشهر فضيحة دولية للموساد عام ١٩٧٣، في ليليـهامر بـالنرويج، عندمـا قتـل بطريـق الخطأ الجرسون المغربي أحمد بوشيقي أمام زوجته الحامل. وألقى القبض على خمسة من رجاله، اعترفوا بأنـهم يطاردون الفدائي الفلسطيني علي حسن سلامة الذي يشبهه بوشيقي إلى حد كبـير. ولـد مـايك، واسمـه الأصلـي ميشيل، عام ١٩٢٧، لأسـرة يهودية أوربية أقامت لفترة طويلة في حلب بسـوريا قبل الهجرة لإسرائيل.. وانخـرط في منظمة الهاجانا الإرهابية، ويعد من أوائل ضباط المخـابرات فيـها، حيـث عنـى بالتجسـس المضـاد وتـهريب اليهود ومن هم بلا جنسية إلى إسرائيل، وعلى يديه اغتيلت أبرز الزعامات الفلسطينية في أوربا وبيروت. واعتزل العمل بعد الغزو الأمريكي لبنما عام ١٩٨٩ والإطاحة بصديقه مانويل نوريجا.

(٢) أبو داود: كان القائد العام للعمليات في عملية ميونيخ. اعتقل في الأردن ورفضت عمـان الإفـراج عنـه تلبيـة لمطالب رجال أيلول الأسود، عند اقتحامهم للسفارة السـعودية في الخرطوم. وفي أواخر السبعينيات أطلق الرصـاص عليه في وارسـو وأصيب إصابة خطرة أبعدته عن الساحة منذ ذلك الوقت.

- وائل عادل زعيتر ، منسق الاتصالات الخارجية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
- عبد الواحد زعيتر ، المساعد الأول لعلي حسن سلامة. والذي كان يقيم بإيطاليا منذ ١٩٥٦.
- محمد بو ضياء[1] ، مخرج مسرحي جزائري بمسرح الطليعة بباريس، ومنسق العلاقات الخارجية بمنظمة التحرير مع المنظمات اليسارية الدولية .
- غازي الحسيني ، عضو هيئة الأركان ، وأحد الرموز العسكرية الهامة بمنظمة التحرير .
- الدكتور باسل رؤوف القبيصي[2] ، المسئول عن تهريب الأسلحة وتخزينها في أوروبا .
- هايل عبد الحميد[3] (أبو الهول) ، رئيس شعبة المخابرات في منظمة (فتح) .
- أبطال ميونيخ الثلاثة الناجين والمختبئين في بيروت.

بدأت المطاردة الشرسة من فرق الموت برئاسة مايك هاراري الثعلب الإسرائيلى العجوز. وتناوبت الاغتيالات هنا وهناك بين رجال أيلول الأسود والموساد .

شكل هاراري فريق عمل كاملا ضم نخبة النخبة من رجال ونساء الموساد لاقتفاء أثر أفراد القائمة، حيث جمع أكبر قدر من المعلومات عنهم، وأمكن له اغتيال بعضهم في بيروت وقبرص وعواصم أوربا ، مستخدما شتى أساليب الاغتيال من

---

(١) محمد بو ضياء : كان يعمل مديرًا لمسرح (كويست) الطليعي بباريس. وبعد عملية فردان ١٩٧٣ ألقى القبض على الفرنسي (إيف رينيه دي توريس) بتهمة التجسس لصالح إسرائيل. ولأن بوضياء الذي كان يجيد الفرنسية موجودًا ببيروت وقتها، قام بعملية الترجمة أثناء التحقيق. وكاد الفرنسي العميل أن يعترف. لكن الضغوط الشديدة حالت دون استمرار اعتقاله. فأفرج عنه وتم ترحيله. بعدها بأسابيع كتب بوضياء رسالة إلى المنظمة قال فيها (ليس من قبيل الصدفة أن أصطدم بالفرنسي دي توريس في كل مكان أذهب إليه في باريس). واغتيل بوضياء في ٢٨ يونيو ١٩٧٣.

(٢) الدكتور باسل القبيصي : عراقي الأصل . اغتيل بباريس في أبريل ١٩٧٣ بالقرب من قصر الكونكورد بواسطة مسلحين لاحقاه في الشارع .

(٣) أبو الهول : اغتيل مع أبو إياد في تونس بواسطة رجل فلسطيني في ١٤ يناير ١٩٩١ .

مسدسات برتا عيار ٢٢,٥مم، ورشاشات UZI، وتفجير في السيارات، وقنابل مزروعة بغرف النوم، والقتل بواسطة التليفون اللاسلكي، وبواسطة الريموت كونترول أحدث ما ابتكرته الوحشية الإسرائيلية من طرق الاغتيال عن بعد.

هؤلاء الشهداء جند لهم هاراري أشرس فرق الاغتيال التي تتبع قسم الاستطلاع (سايريت ماتاكال)[١] Sayeret Matkal ، وتعرف أيضا باسم (وحدة الكوماندوز العليا) التي تأسست سنة ١٩٦٠ لتمكين الاستخبارات من وضع خططها في حيز التنفيذ.

وما يهمنا الآن هو تسليط الضوء على عملية (فردان) في بيروت ، التي راح ضحيتها كمال ناصر، وكمال عدوان، ويوسف النجار والتي حملت اسم أفيف نعوريم (ربيع الشباب) في الموساد. خطط للعملية مايك هاراري وقادها إيهود باراك[٢] رئيس الوزراء الصهيوني السابق .

وكيف توصل رجال الموساد للزعماء الثلاثة ؟

وكيف بدأ التخطيط للعملية ؟

وما هي إجراءات الأمن والوقاية التي تضمنتها خطة الهجوم العسكري والانسحاب من بيروت ؟

وماذا كانت مهمة الجواسيس الستة في بيروت ؟

وما دور إيهود باراك في تنفيذ العملية

(١) سايريت ماتكال : وحدة عمليات خاصة تعرف في الجيش باسم الوحدة (٢٦٩). وقد تأسست عام ١٩٦٠ على يد الجنرال أفرايم أرنان، وتتألف من أفراد ينتمون إلى وحدات الجيش المختلفة، تم تدريبهم تدريبات خاصة للقيام بمهام خطرة خارج حدود إسرائيل .

(٢) أيهود باراك : ولد عام ١٩٤٢ في مستوطنة مشمار هشارون بالقرب من طولكرم. تدرج في خدمته بالجيش حتى وصل إلى منصب رئيس الأركان عام ١٩٩٥. انضم إلى وحدة العمليات الخاصة وعمل رئيسا للمخابرات العسكرية (أمان) (١٩٨٣ - ١٩٨٥) واشترك فى حربى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ . شغل منصب وزير الداخلية عام ١٩٩٥ ثم منصب وزير الخارجية. وفي مايو ١٩٩٩ أصبح رئيسًا للوزراء خلفًا لبنيامين نتانياهو حتى عام ٢٠٠١ ليخلفه شارون. قام بعدة مهام سرية بينها عملية فردان ببيروت، واغتيال أبو جهاد في تونس، وكان صديقًا شخصيًا لرئيس الجمهورية اللبنانية لبشير الجميل ولزعماء الكتائب في لبنان .

وماذا عن الفخ الفلسطيني لأسر رجال الموساد وحصارهم ؟

وفي النهاية كيف اغتالوا الثلاثة في وقت واحد ؟

وماذا قال أبو إياد عن العملية بعد مشاهدته لتفاصيلها..؟

لحظة الصفر

كان الثلث الأول من أبريل عام ١٩٧٣ عصيباً.. تسارعت فيه حدة الصراع الخفي بين أيلول الأسود والموساد. ووقعت فيه أحداث لن يغفلها التاريخ أبداً، فبينما تناقش الموساد فكرة ضرب مصنع أسلحة فلسطيني مقام حديثا بالقرب من مخيم صبرا ببيروت، حدثت واقعة خطيرة غيرت مجرى الأحداث كلها. إذ ألقى الأمن الإيطالي القبض على خمسة فلسطينيين كانوا يعدون لمذبحة بفرع شركة العال الإسرائيلية في روما

أصيبت الموساد بما يشبه الجنون. وفي اليوم نفسه، الأول من أبريل، عثرت فرق القتل في باريس على باسل رؤوف القبيصي ، رقم ١٢ بقائمة الموت، اقتفى أثره رجلان حتى الفندق على مقربة من قصر الكونكورد، وأطلقا عليه عشر طلقات. وبموته، تخلصت الموساد من أحد زعماء أيلول الأسود، والمسئول الأول عن تهريب السلاح إلى أوروبا وتخزينه.

بعدها مباشرة أصدر موشى ديان أوامره فجأة بإلغاء عملية مصنع الأسلحة فى بيروت ، فقد كان يريد عملية أكبر تظل ذكراها باقية أبد الدهر، وتكون حديث العالم أجمع، ومحورا للدراسة بأجهزة المخابرات العالمية وأكاديمياتها. هذا وبينما العد التنازلي لعملية فردان في هبوط ، كانت أيلول الأسود ترتب لعملية جريئة، تطيح بعقل الإسرائيليين وتفقدهم صوابهم. وكانت لحظة الصفر لكلا الطرفين، وياللعجب، في تاريخ واحد، وبمكانين مختلفين.

ففي صباح الثلاثاء ١٠ أبريل ١٩٧٣، تحركت قوتان متباينتا العدد والعتاد، والهدف . الأولى في حيفا وسنفصلها بعد قليل. والثانية- في قبرص. حيث تسلل أربعة فدائيين من أيلول الأسود لمسكن السفير الإسرائيلي في نيقوسيا وزرعوا عبوة ناسفة من مادة T.N.T شديدة الإنجار، نجا منها السفير بأعجوبة ، برغم تفسخ جدران المبنى وحدوث فتحات واسعة .

وبعد نصف الساعة فقط، اقتحمت ناقلتين عملاقتين بهما تسعة فدائيين مطار نيقوسيا، لاختطاف طائرة العال الإسرائيلية الرابضة على المر. وجرى تبادل إطلاق النار مع الأمن القبرصي، سقط فيه اثنان من أيلول الأسود قتلى، وفشلت عملية الاختطاف في الوقت الذي غادرت حيفا بالفعل حملة بحرية ضخمة في طريقها إلى لبنان للقيام بعملية فردان (ربيع الشباب) ، لإعدام رءوس أيلول الأسود الأربعة: علي حسن سلامة (الأمير الأحمر)، وكمال عدوان، ويوسف النجار، وكمال ناصر.

بلا ترتيب في التوقيت، التقت الرغبتان في الانتقام. رغبة منظمة فدائية ثورية لا تملك إلا الكلاشينكوف والإرادة وسيلة للكفاح ، ورغبة دولة إرهابية بكامل أجهزة مخابراتها، وخبراؤها العسكريون، وقطع بحريتها المتنوعة، وطائراتها، وقتلة سفاحون ، يمثلون إرهاب الدولة بكل ما يحمله المعنى من دلالات .

كيف جهزت إسرائيل حملتها بالتنسيق بين الموساد والمخابرات العسكرية معًا ؟

إنه سؤال مهم إجابته تدعونا للعودة إلى الوراء قليلا .

باريس الشرق

كان مايك هاراري المخطط والمشرف على عملية فردان قد وضع الخطوط الرئيسية للعملية، وتتلخص في الاستعانة بالعملاء المحليين ببيروت للتأكد من عناوين قادة أيلول الأسود الأربعة، ولما كان من المستحيل التوصل لعنوان ثابت للأمير الأحمر علي حسن سلامة ، لأنه لم يكن ليبيت ليلتين متتاليتين بمكان واحد، فقد استبعد مؤقتًا حتى الانتهاء من إعدام رفاقه الثلاثة، الذين أكدت

التحريات أنهم يقيمون بعمارة واحدة بشارع الفردان مؤلفة من سبعة طوابق. كمال عدوان[1] بالطابق الثاني، وكمال ناصر بالثالث، ويوسف النجار بالسادس.

وبعدما تأكد هاراري من إقامتهم بمنزل واحد، أرسل بستة جواسيس من الموساد للتعرف على شوارع بيروت ، خاصة ، منطقة برج الحمام التي يقع بها شارع الفردان، كذلك دراسة أفضل الطرق للانسحاب، واستئجار ستة سيارات قوية، جديدة .

هؤلاء الستة كانوا يحملون جوازات سفر مزورة بجنسيات مختلفة، بلجيكيان، وألماني، وثلاثة إنجليز أسماؤهم على التوالي: شارل بوساد ، وجلبرت ريمباود، وبيتر أتاندر، وأندرو تيشيللو[2]، وأندرو تيسلاو ماكي، وجورج إدلر. تتراوح أعمارهم ما بين الثلاثين والسبعة والثلاثين. وفدوا إلى بيروت بداية من ٣ أبريل ١٩٧٣، فنزل بعضهم بفندق (ساندس) والبعض الآخر بفندق (أطلانتيك) الواقع على شاطئ البياضة. وتصرفوا كأن أحدهم لا يعرف الآخر .

لقد جابوا منطقة (العملية) سيرا على الأقدام عدة مرات في جولات استطلاعية، ومروا بشارع الخرطوم، أمام مكاتب الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين[3] ، ولاحظ عملاء الموساد المحترفين أن ملعبا رياضيا يقع بالشارع . هذا الملعب استثمر بعد ذلك استثمارا جيدا لإنجاح مهمتهم الإجرامية، فمن خلال ترددهم على الملعب وجلوسهم

---

(١) كمال عدوان : ولد في قرية بربرة بفلسطين ونزح إلى قطاع غزة عام ١٩٤٨. التحق بكلية الهندسة جامعة القاهرة وتخصص في هندسة البترول وتخرج في أواخر الخمسينيات. ساهم في تأسيس النواة الأولى لحركة (فتح) وعمل في شركة مصر للبترول خلال النصف الأول من الستينيات، ثم سافر للعمل بشركة أرامكو في المملكة السعودية. بقي موقعه القيادي في الحركة سريًا إلى ما بعد عدوان ١٩٦٧، ثم تفرغ للعمل في الحركة وعضوية اللجنة المركزية. تسلم مسئولية الإعلام في فتح ثم مسئولية التعبئة. وبعد خروج المقاومة من الأردن تسلم قيادة (الأرض المحتلة) واستمر في موقعه حتى استشهاده.

(٢) أندرو تيشيللو : اختلفت المصادر بشأن هذا الاسم القريب إلى الإيطالية، وذكر في بعضها بدلاً منه اسم ألمانية تدعى مونيكا براون، في حين اتفقت المصادر على بقية الأسماء الأخرى.

(٣) الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين : يقودها نايف حواتمة ، الذي انشق بجبهته عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الدكتور جورج حبش. متخذا من دمشق مقرًا رئيسيًا له، بينما تقع القواعد العملياتية في بيروت ووادي البقاع اللبناني. وكانت هناك خلافات وصدامات مسلحة أحيانًا بين الجبهتين في بيروت .

على مدرجاته ، استطاعوا أن يعرفوا كل شيء عن الحراسات الأمنية، ومواعيد تغييرها، وعدد أفرادها . إضافة إلى تسليحهم ونوبات المرور عليهم.

كل تلك المعلومات نقلت إلى الموساد بواسطة جهازي لاسلكي لإتمام وضع الخطة المحكمة وتخير ساعة الصفر. أما عن السيارات، فقد انتقوا أربعة سيارات أمريكية جديدة ماركات (بويك) سكايلارك ، وواحدة (بلايموث) ، وأخرى (رينو ١٦) فرنسية استأجروها من وكالتي أفيس Avis، ولينا كار ، بعد دفع ثلاثمائة دولار كتأمين لكل سيارة. قادوا السيارات بشوارع بيروت ليلاً ونهارًا يرصدون ويراقبون ويحللون، فعلى عاتق هؤلاء الستة تقع مسئولية نجاح العملية أو فشلها.

في تلك الفترة من السبعينيات، كانت بيروت تعيش أزهى عصورها كمدينة مفتوحة ، متحررة، أطلق عليها لقب (باريس الشرق) . فهي تضم السواح من كل أنحاء العالم. وتفيض بالبهجة والتحرر والليالي الحمراء الصاخبة. حتى أن مجلاتها حوت إعلانات صريحة بتوافر (أماكن) صاخبة للانسجام، وكبائن ملحقة ببيوت الليل (تؤجر) للزبائن بالساعة. واشتهر في ذلك الوقت شارع (الحمراء) الذي يقع في حي يحمل اسمه شمالي شرق المدينة . فهو شارع تجاري مزدحم بالنهار، أما في الليل فلا تسمع به إلا موسيقى صاخبة، وضحكات عالية تختلط بصياح السكارى المخمورين وبآهات المجون.

في وسط خضم مجنون كهذا مفعم بالحرية اللانهائية بشتى صورها، لم يكن للأمن في بيروت وجود يذكر، فالأمن مجند لراحة السواح الضيوف، حيث اقتصاد البلد متوقف على ما ينفقه هؤلاء الزوار في البارات والأسواق والفنادق. وكان للغياب الأمني دور مهم وحيوي لكي يرتع عملاء الموساد بحرية مطلقة في باريس الشرق، وتنفيذ عملية (فردان) بنجاح.

كانت الترتيبات في إسرائيل تسير بأسرع ما يمكن، إذ حدث تعاون وثيق بين الموساد والمخابرات العسكرية (أمان) ، تحدده اجتماعات لجنة الأمن والشئون الخارجية البالغة السرية برئاسة جولدا مائير. فالموساد تجمع المعلومات و(أمان) تخطط لتقوم وحدة (السايريت) Sayeret المؤلفة من كل قطاعات الجيش بالتنفيذ. إن (سايريت) بالعبرية تعني (استطلاع) ، وتخضع رسميا تحت القيادة المباشرة لرئيس الأركان . وتعرف أيضا باسم (وحدة الكوماندوز العليا) التي تأسست لتمكين الاستخبارات العسكرية من وضع خططها في حيز التنفيذ .

كانت سايريت ماتكال هى أول قوة كوماندوز في العالم استخدمت طائرات الهليوكبتر في مهمات على درجة عالية من الخطورة خلف خطوط العدو. هناك عدة (عمليات) مشهورة في ذلك أهمها عملية الاستيلاء على محطة رادار سوفييتية على خليج السويس في ٢٦ ديسمبر ١٩٦٩، تزيد عن سبعة أطنان مع هوائياتها وأجهزة التحكم، ونقلها إلى إسرائيل. كانت هناك أيضًا عملية الهجوم على مطار بيروت الدولي بالهليوكبتر مساء ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨، وتفجير ثلاث عشرة طائرة مدنية خالية، تابعة للخطوط اللبنانية وشركات عربية أخرى، وذلك عقب الهجوم على مطار أثينا في ٢٦ ديسمبر.

إن وحدات (سايريت) ، حسبما تقول المصادر الإسرائيلية، تشكل عامل جذب قوي للجنود الإسرائيليين، الذين تجري عليهم القرعة كلهم تقريبا بعد عدة تصفيات معقدة. فلا يوجد في إسرائيل تقليد عسكري كما هو الحال في الغرب، حيث تخدم أجيال من الأسرة نفسها في وحدات معينة، أو تدرس في أكاديميات عسكرية مثل ويست بوينت في أمريكا، وساند هيرست في بريطانيا. غير أنه في إسرائيل يوجد ما يسمى (البروتكتزيا)، وهو مصطلح في الروسية والعبرية يعني (الجذب) لكل الفئات للانضمام لوحدات السايريت. أحد الأمثلة على ذلك العقيد عوزي ديان الذي اشترك

في الغارة على مطار بيروت، فهو ابن أخ موشى ديان، وتمكن من الالتحاق بوحدة سايريت مختارة جدًا.

هكذا تشكلت من وحدات جيش الدفاع المختلفة وحدة الكوماندوز العليا، المتأهبة لتنفيذ عملية (فردان). ولأنها تضم خيرة شباب إسرائيل، أطلق على العملية اسم (أفيف نعوريم) أو (ربيع الشباب).

أوامر بالقتل..!!

في السادسة من صباح الثلاثاء ١٠ أبريل ١٩٧٣ غادرت ميناء حيفا قافلة بحرية في طريقها إلى بيروت، مكونة من سفينتى استطلاع وسفينة اعتراض، وتسعة زوارق صواريخ فرنسية الصنع طراز (سعر) نقلا عن تصميم الزوارق جاجوار الألمانية . كان بجوف الزورق (جاعاس)[1] جنود مظليين بقيادة إيهود باراك مهمتهم اغتيال قادة أيلول الأسود الثلاثة في بيروت .

كانت هناك أيضًا سفينة الصواريخ (مبطاح) التي يقبع بجوفها المظليين المكلفين بنسف مبنى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. وهي بمواصفات (جاعاس) تقريبا وإن كانت قد أدخلت عليها بعض التعديلات الطفيفة. هكذا تحرك الإرهاب الدموي الإسرائيلي في أسطول بحري مسلح بأحدث ما لديه من وسائل دمار في محاولة لنسف وحش الهلع المتربص بإسرائيل ، والذي يطلقه رجال أيلول الأسود بين آونة وأخرى.

---

(١) (جاعاس) زورق سريع حمولته ٢٥٠ طنًا، وأبعاده ٤٥ × ٧ متر، ذو أربعة محركات ديزل قدرة ١٤,٠٠٠ حصان سرعته ٤٠ عقدة، وطاقمه ٤٠ فردا بينهم ٦ ضباط، ومسلح بـ٢ صاروخ (جابرابيل) في المقدمة على قاذف فردي، وطابية الوسط دوارة ذات ثلاثة صواريخ وكذا طابية المؤخرة بمدفع ٤٠ مم مركب عليه باعث إضاءة أبيض، ويستخدم كمدفع مضاد للطائرات علاوة على ضرب الأهداف السطحية . أما الصاروخ جابرابيل بحر/بحر ، موجه، فهو إسرائيلي الصنع طوله ٣,٥٥ مترا وقطره ٣٢,٩٥سم، وزنه الكلي ٤٠٠ كيلوجرام ١٥٠ منها وزن الرأس المدمرة. عن طريق التتبع الراداري يتم توجيهه إلى الهدف على مسافة ٥ إلى ٤١ كيلومترا حيث زود بجهاز قياس يتحكم في الارتفاع.

العملية تحددت لها ساعة الصفر عند منتصف الليل تماما، ونتيجة لمدى تخوفهم وتخبطهم ألغى الهدف الخامس في اللحظات الأخيرة جدا، وهو نسف مخزن للذخيرة شمالي صيدا، إذ تخوف العدو من عواقب توزع قواته ما بين بيروت وصيدا، مما يضعف مقاومتها ويعرضها لمأساة محتملة.

لكن، بالإضافة إلى الأهداف الأربعة السابقة، تم التركيز على هدف آخر مطلوب تصفيته وبأي ثمن، مهما كانت التضحيات. إنه الوحش العربي والفدائي الأسطورة علي حسن سلامة، رئيس العمليات بأيلول الأسود. فبالرغم من ورود أخبار تؤكد عدم تواجده ببيروت في تلك الليلة، إلا أن صورا تقريبية له، وكذا صور زملائه الثلاثة، أبو يوسف وناصر وعدوان، وزعت على جميع أفراد فريقي القتل والنسف، على أمل أن يصادفه أحدهم فيقتله، وتكون مكافأته نصف مليون دولار.

ولم لا؟؟، فهو (الأمير الأحمر) الذي زلزل إسرائيل في الداخل وفي الخارج، وتسبب في كشف وإعدام أكثر من عشرين جاسوسا للموساد بين صفوف المقاومة، وأربك كل النظم الأمنية الإسرائيلية ضاربا في كل موقع، مما شجع المنظمات اليسارية في اليابان وألمانيا وإنجلترا على التعاطف معه، والقيام بعمليات فدائية ضد إسرائيل هزت العقول، وأذهلت العالم . لذلك أطلقوا عليه في الموساد لقب (الأمير) ، لصلته الوثيقة بعرفات ، و(الأحمر) ، لكثرة دماء اليهود القتلى على يديه

لقد كانت هناك أوامر صارمة ومشددة للغاية أصدرتها القيادة الإسرائيلية العليا وهي :

- (قتل) الزعماء الثلاثة أبو يوسف وناصر وعدوان، قتلاً أكيدًا .
- إخلاء جثث القتلى أو الجرحى من أفراد الفرق في ساحة العمليات تحت أقسى الظروف .
- جمع كل ما يوجد من أوراق وملفات لدى الزعماء الثلاثة وملء حقائب الأسلحة بها .

وهنا يثور السؤال :

لماذا الإصرار على قتل الثلاثة بدلا من خطفهم إلى إسرائيل للاستفادة مما لديهم من أسرار ؟

وللإجابة نقول ، إن كل التقارير والملابسات أشارت إلى أن عملية الخطف لو تمت ، حسبما خطط لها ، لنجحت نجاحا أكيدا لعامل المفاجأة المذهلة الذي واكب ظروف العملية وتوقيتها. لكن جولدا مائير ، وجميع أعضاء لجنة الأمن والشئون الخارجية البالغة السرية ، كانت لديهم رغبة مجنونة لقتلهم ثأرًا لمذبحة ميونيخ، لما في ذلك من إظهارا للقوة الإسرائيلية، لإرهاب المنظمات الفلسطينية الأخرى ، التي ستدرك أن عملية (فردان) رسالة موجهة بأن الانتقام سيطول الجميع في أي مكان من العالم.

الأهم من ذلك كله ، أن يرى علي حسن سلامة بنفسه صورة واقعية لنهايته المؤكدة، فيشغله الخوف على حياته عن استغراقه في العمل والتخطيط ضد إسرائيل، فيتخبط، ويتوتر، ويفقد تركيزه. حينئذ يخونه حسه الأمني المشهور به، ويخرج من مخبأه فيتصيدوه منهارًا، خائرًا. وتلك قصة أخرى مثيرة، صاخبة..!!

في التاسعة مساء ١٠ أبريل ، رست القوة البحرية الإسرائيلية في عرض البحر مقابل مدينة بيروت، بانتظار لحظة الصفر وإشارة الأمان من العملاء الستة الذين كانوا على علم بتفاصيل التحرك البحري، وينتظرون بسياراتهم على الشاطئ، بيد أحدهم كشاف قوي، بالضغط أربعة مرات على زر الإضاءة به، تبدأ على الفور عملية فردان. حيث يقود (باراك) فريق القتل، بينما يقود زميله (أمنون ليبكين)[1] فريق النسف، ينسق معهما (مايك هاراري) ويتابع أولاً بأول داخل غرفة العمليات بعرض البحر . كيف اغتالوا الزعماء الثلاثة في توقيت واحد؟

---

(١) أمنون ليبكين شاحاك : كان وقتها برتبة رائد في جيش الدفاع الإسرائيلي. انضم إلى قوات العمليات الخاصة، وترقى في مناصبه حتى ترأس الاستخبارات العسكرية (أمان) عام ١٩٨٦، وخطط وشارك في عملية اغتيال أبو جهاد (خليل الوزير) في تونس .

ولماذا تنكر (باراك) في زي امرأة داعرة ؟

وكيف وصف أبو إياد الحادث لحظة وقوعه ؟

صدى الأنفاس

رست الحملة البحرية الإسرائيلية في عرض البحر أمام بيروت الساحرة المتلألئة الأضواء. أوقفت المحركات وأجهزة الرادار وأجهزة الاتصال العادية ، وانكب هاراري مع ضباطه على ملاحظة الخرائط التي تبين أماكن الأهداف المقصودة في المدينة ، ومراجعة أخيرة لخطط التحرك والتنفيذ والانسحاب.

كانت السفينة (مبطاح) ترسو بالقرب من شاطئ البياضة بجوفها فريق النسف بقيادة (أمنون ليبكين شاحاك). أما (جاعاس) ، فقد رست بالقرب من شاطئ حمام المغارة بجوفها فريق القتل المؤلف من عشرين رجلا ، بخلاف قائده (أيهود باراك).

كان باراك برتبة رائد ، اشتهر عنه كراهيته الشديدة للعرب ، ورغبته في سحق الفلسطينيين. إنه صهيوني وديع كالحمامة ، ماكر كالثعلب ، لايعترف بالأخلاق أو المبادئ ، جهوم ، خبيث ، صارم. كان رجاله يرتدون الملابس المدنية والملابس الرياضية الفضفاضة ، أما هو ، فكان يرتدي ملابس نسائية خليعة وباروكة صفراء . وجهه النسائي الناعم لطخ بالمساحيق الصارخة ، ونفر صدره بثديين صناعيين ، فبدا بالفعل كأنه امرأة داعرة مثيرة تتسكع لاصطياد زبائنها. شهود عيان من زملائه قالوا فيما بعد إنه كان ليلتها ذو جمال يخطف العقول والأبصار ويأسر القلوب ، ويفتح شهية الرجال (للغزل).

في العاشرة إلا ربعا تناول ورجاله وجبة عشاء سريعة. وفي العاشرة ونصف بدأ إيهود باراك في توزيع الأدوار. ثلاث مجموعات تضم كل منها أربعة رجال مهمة كل مجموعة اقتحام إحدى الشقق الثلاث. ورجلان مهمتهما تسلق مواسير الصرف في المنور ، للمساعدة في قتل كمال عدوان من الخلف بالطابق الثاني ، والسبعة الباقين لحماية ظهورهم وقت التنفيذ والانسحاب.

أما لماذا ارتدى (باراك) ملابس نسائية ، فذلك ما سنعرفه بعد قليل.

كانت أسلحة فريق القتل رشاشات آلية طراز UZI، ومسدسات MAC-10 (الرهيب) الأمريكية وعجائن متفجرات لنسف الأبواب المحصنة، إلى جانب أعداد كبيرة من الخزن المحشوة . أما عدا باراك وجندي آخر فكان سلاحهما مسدس برتا ٥,٢٢ مم صغير الحجم جدا، تم تعديل طلقاته الست في إسرائيل بعد أبحاث طويلة، انتهت بحشو الطلقات بأنواع من المتفجرات والمواد الناسفة لا تصدر صوتا، للدرجة التي لا تكاد يسمع بها شخص يمر بجوار القاتل .

كانت شواطئ بيروت، رغم برودة الطقس نوعا ما في المساء، تعج بالعشاق ، وقد التحموا معا في ثنائيات، تحطم حدة البرودة بالأحضان والقبلات الطويلة النارية. فيمتزج هدير البحر بطرقعات القبل والآهات والضحك الشقي. لكن .. كان هناك ثمة رجال أجانب غادروا سياراتهم إلى شاطئ البحر ، يحملون حقائب صغيرة بها أدوات صيد، سرعان ما انهمكوا في صمت كل يقذف بسنارته ويرقب البحر .

وبينما ينصرف العشاق في كسل، تغمر وجوههم سعادة الارتواء وقد ارتخت الأهداب شوقًا إلى مزيد ، كان هواة الصيد الستة قد أنهوا مهامهم باتقان دون إثارة أية شبهة، وظهروا على شواطئ بيروت بسناراتهم كأن لا أحد منهم يعرف الآخر، جمعتهم فقط هواية واحدة، صيد السمك .

على مقربة من (بيتر آتاندر) الذي يحمل الجنسية الألمانية، اندمج عاشق مع محبوبته في عناق طويل وقبلات حارة ملتهبة . تضايق بيتر المنفعل وقد لمح أصابع الشاب تداعب الجسد المتقد ، بما يؤكد أن الأمور تتطور، وسيطول بهما الوقت حتى يشبعا ويهدءا. كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة وثلث، الدقائق تمر طويلة كالدهر، والخوف يخيم على الوجوه الستة المتوترة. ببرود وجرأة اقترب بيتر منهما متنحنحًا لكنهما تجاهلاه. ففتح أزرار بنطلونه (ليتبول). هكذا اضطر ليصرفهما، فانصرفا بالفعل وهما يسبانه باشمئزاز . حينئذ انفجر الرفقاء المتوترون بالضحك. وبخلو الشاطئ من آخر العشاق، استعد الجميع للحظة الصفر عند

تماما. وبرغم اصطخاب الموج العنيف المتلاطم، كان الستة يعتقدون بأن أنفاسهم المضطربة تتردد عبر جنبات بيروت، بينما كانت أمور أخرى غير طبيعية تدور أحداثها في عرض البحر .

فما أن أعلنت الساعة الحادية عشرة ونصف، حتى صعد أفراد فريقي القتل والنسف إلى السطح، يحملون أسلحتهم وحقائب المتفجرات التي ستملأ بالمستندات، ويحملون أيضا أربعة صور لأربعة رجال حكم عليهم بالإعدام رميا بالرصاص. ووقف أفراد الطاقم استعدادا لإنزال اللنشات السريعة فور صدور الأمر بذلك.

لقد وضعت الخطة بإحكام وتحددت الأدوار لتشمل أدق التفاصيل منذ لحظة الإنزال على الشاطئ[1] : ثلاث سيارات لكل فريق. بكل سيارة سبعة أفراد بينهم من يجيد العربية بطلاقة، وبجيبه آلاف الليرات اللبنانية تحسبا لأي طارئ. هكذا تسمرت عشرات الأعين باتجاه بيروت، تنتظر إشارات الجواسيس بخلو المكان من العشاق، لتبدأ عملية (فردان) .

سيمفونية ميونيخ

كانت مصادفة عجيبة بحق، تلك التي أسفرت عن الموافقة على اجتماع اللجنة المركزية لمنظمة التحرير في بيروت يومي ٩، ١٠ أبريل بدلا من دمشق. كان أعضاء اللجنة: كمال عدوان، ويوسف النجار، وكمال ناصر، قد أنهوا محادثات اليوم الثانى ، وعادوا في التاسعة مساء إلى مسكنهم الذي يقع في بناية واحدة بشارع الفردان.

كان كمال عدوان يقيم بالطابق الثاني مع زوجته وأولاده الأربعة الصغار، وبالشقة المقابلة له تسكن عجوز إيطالية عمرها فوق السبعين، تمتلك محلاً للعطور ببيروت . تناول عدوان عشاءه وأغلق عليه بابه ليكتب تقريرا هاما ينوي عرضه على عرفات في اليوم التالي.

---

(١) تم الترتيب على أن تنزل قوات الكوماندوز على الشواطئ اللبنانية في الأوزاعي وبيروت .

أما كمال ناصر، فيقيم بالطابق الثالث بمفرده. مهموم بقضايا وطنه السليب، وبالخلافات الحادة بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يرأسها الدكتور جورج حبش ، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين التي يرأسها نايف حواتمة، كان كمال ناصر حزينا أيضا لوفاة رفيقه وصديقه الشاعر (عيسى نخلة)، لذلك، فضل أن يجلس إلى مكتبه ليكتب قصيدة رثاء سوف يلقيها في حفل تأبينه. لقد علق صورته في برواز ذى شريط أسود بجوار برواز آخر يصور السيدة مريم تحمل وليدها عيسى عليه السلام. ومن خلفه خريطة لفلسطين تشغل مساحة الجدار.

لكن محمد يوسف النجار (أبو يوسف) فقد كانت شقته بالطابق السادس، حيث تقيم معه زوجته وأولاده الخمسة . عاد من اجتماعات اللجنة المركزية منهكا، فدلف إلى سريره ينشد بعض الراحة، بينما انكب على دروسه ابنه يوسف البالغ من العمر ستة عشر عاما، ومن حوله اثنان من إخوته، وأمه

كان الزعماء الثلاثة مسلحين ، ويحتفظون إلى جانب مدافع الكلاشينكوف بمسدسات أتوماتيكية محشوة، ويؤمنون أيضا أبواب شققهم بأجهزة إنذار تعمل فوريا إذا ما عبث عابث بـ (الكالون) من الخارج. وعلى مدخل البناية كان يقف حارسان مسلحان بالكلاشينكوف سريع الطلقات. فيم يقيم على مقربة من البناية ياسر عرفات، ومساعده الأول صلاح خلف (أبو إياد) الأب الروحي لأيلول الأسود. لكن المدهش أنه على بعد خطوات معدودة، في منزل مقابل لمبنى الجبهة الشعبية، نزل الفدائيون الثلاثة الذين نجوا من مذبحة ميونيخ، هؤلاء المطلوب إعدامهم أيضًا ضمن أفراد قائمة الموت الإسرائيلية. وبالصدفة البحتة، مساء ذلك اليوم، كان صلاح خلف لعشرات المرات، يجلس بينهم ليستمع إلى ملحمة ميونيخ الرائعة

لم تكن معلومات الموساد على صواب أبدًا بخصوص هؤلاء الثلاثة[1]، فمقار

---

(١) في ٢٩ أكتوبر ١٩٧٢ ، بعد ٥٥ يومًا فقط من مذبحة ميونيخ ، اختطف رجال أيلول الأسود طائرة ألمانية وطالبوا بالافراج عن زملائهم الثلاثة الناجين من المذبحة. وبالفعل أمكن الإفراج عنهم بالقوة وتم التسليم في يوجوسلافيا. بعدها طارت بهم الطائرة إلى ليبيا حيث استقبلوا استقبال الأبطال. وفي سرية رحلوا بعد ذلك إلى بيروت. وهؤلاء الثلاثة هم : إبراهيم مسعود ، وسمير عبد الله، وعبد القادر الديناري.

إقامتهم بالعاصمة اللبنانية كان سريًا للغاية ، ولا يعلم به إلا القادة الكبار فقط تحسبا (للعيون) التي تبحث عنهم، وتتلقط أخبارهم. وفي منتصف الليل تماما كان كمال عدوان ما يزال يكتب بغرفة مكتبه، ويستحث كمال ناصر ملكة الوحي لينظم أبيات الرثاء، أما يوسف النجار فقد استغرق في نوم عميق. لكن الهدوء الشديد في منازل الزعماء الثلاثة، كان يقابله ضجيج وعمل في عرض البحر، وخوف وترقب في تل أبيب..!!

سوري سولدرز

على شاطئ البياضة ومغارة الحمام[1] أرسل عملاء الموساد إشارات الأمان الأربعة المتتالية، فأنزلت في الحال عشرة لنشات مطاطية قفز إليها أفراد الفريقين في سرعة، انطلقت بعدها كالسهم فوق سطح الماء إلى بيروت. وبعد سبع دقائق حدث تبادل أخير بالإشارات الضوئية، غادر على إثره العملاء الستة مواقعهم إلى السيارات، وجلس كل منهم إلى مقود سيارته بعدما فتح أبوابها وشغل الموتور وأطفأ الأنوار.

دقائق ، ووصلت اللنشات الزودياك المطاطية السريعة إلى الشاطئ، حيث قفز منها رجال (السايريت ماتكال) ، راكضين في حذر إلى السيارات يحملون حقائب المتفجرات، ويخفون مدافعهم تحت ملابسهم الرياضية الفضفاضة. فجأة، تنامت إليهم صرخة ذعر مكتومة صدرت عن فتاة داخل كشك متهدم. اتجه إليها في الحال ثلاثة رجال شاهرين رشاشاتهم، وقبل أن تصرخ مرة ثانية كانوا فوق رأسها، ووجدوها ترتعش رعبا بعدما شاهدت كل شيء هي وصديقها، فاقتيدا عرايا يحملان ملابسهما إلى عمق الشاطئ، حيث ترابض اللنشات الزودياك المطاطية ومعها قوة تأمين مسلحة. ثم عاد رجال الفريق إلى سياراتهم التي انطلقت ، تشق الشوارع والميادين إلى ساحة الدماء في قلب بيروت.

---

(١) جاء في مصادر أخرى أنها شواطئ الأوزاعي والدورة وبيروت، حيث استشهد الأخوين إبراهيم وموسى ناصر في الأوزاعي !!

انفصل الفريقان في نهاية شارع غانا، فاتجه فريق القتل بقيادة باراك إلى شارع فردان، بينما اتجه فريق النسف إلى شارع الخرطوم المجاور بقيادة شاحاك، حيث مبنى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، متسللين وسط الظلام الخفيف إلى الملعب الرياضي لترقب اللحظة الملائمة للهجوم.

قبل المبنى (الهدف) بنحو ست عمارات في شارع فردان توقفت سيارات فريق القتل. كانت الموسيقى الصاخبة تنبعث من صالة (جولدن روم) في فندق بريستول المقابل. ترجل (باراك) وهو بكامل أناقته كامرأة فاتنة، وتأبط ذراع رفيقه (هوكي بوتزن) الذي يجيد العربية. ومشيا باتجاه البيت يخفيان (البرتا) تحت ثيابهما. أمام الباب كان هناك اثنان من الحرس يحملان الكلاشينكوف، تقدم باراك من أحدهما في بشاشة وسأله بالإنجليزية:

- هل معك ثقاب من فضلك ؟

مبتسمًا للمومس الجميلة المثيرة التي تلوك اللبان في ميوعة :

- نعم..

أخرج الجندي ولاعته وبينما يشعل لها السيجارة أخرجا مسدسيهما في سرعة، وأطلقا رصاصتين بلا صوت فقتل الحارسان في الحال . (سوري سولدرز) ، قالها باراك لحظة سقوطهما إلى الأرض.

كان بقية أفراد الفريق[1] يراقبون الأمر في قلق وتوتر شديدين. وفي الحال غادر الرجال سياراتهم في هدوء بينما جذب باراك وزميله الجثتان إلى بئر السلم حيث اجتمعوا جميعًا، وبدأ باراك في توزيع الأدوار.

أربعة لكل شقة، واثنان إلى المنور لتسلق المواسير، وستة بخلافه للحماية وتأمين الانسحاب. ثلاث دقائق بالتمام ويحدث الاقتحام للشقق الثلاث في وقت واحد.

---

(١) جاء ببعض المراجع الإسرائيلية أنه كان من بين أفراد الفريق ، جوناثان نتانياهو، شقيق رئيس الوزراء الإسرائيلي بعد ذلك بنيامين نتانياهو. وقد اشترك جوناثان في قتل أبو يوسف وزوجته، وبعد انقضاء المهمة والانسحاب كادوا ينسونه في موقع العملية. وإذا كان جوناثان قد أفلت هذه المرة في بيروت، فقد سقط قتيلاً على أسفلت مطار عنتيبي بأوغندا عام ١٩٧٦ (انظر التفاصيل في فصل كامل بالجزء الثالث من الكتاب) .

أسرع الرجال الذين ينتعلون أحذية الكاوتشوك الرياضية بـالصعود ، وقـد ارتـدوا على رءوسهم جوارب نسائية كرجال العصابـات حينمـا يقتحمـون البنـوك، فزرعـوا المتفجـرات أمـام الأبـواب المحكمـة ، وانـزووا بعيـدًا، وبعدهـا بثـوان دوت ثلاثـة انفجارات ارتجت لها جدران البيت، وبدأت عملية الإعدام.

شهيدة الفـداء

في الطابق الثاني كان كمال عـدوان منـهمكا في الكتابـة ، عندمـا سمـع مـا يشـبه (الخربشة) بباب شقته الخارجي. التفت بسرعة ناحية مفتاح الإنذار فوجـده جـاهزا للعمل عند أي خطر. اقترب من الباب ووضع أذنه يسترق السمع، فلم يسـمع سـوى صوت بندول ساعة منتظم. رجع إلى الوراء ووقف بالقرب من ساعة الحـائط، حينئـذ شك في الأمر، فأسرع إلى غرفة نومه ليجيء بالكلاشينكوف . سألته زوجته في خوف عما يجري، فأجابها: (لا تقلقي)، وما إن خطا إلى الممـر المـؤدي إلى الصالـة حتـى دوى الانفجار، واقتحم الكوماندوز الأربعة الباب ليجدوه قد سقط أرضا بعدما ضربـه من الخلف رجلا الكوماندوز اللذان تسلقا مواسير الصرف الصحي.

بالرغم من ذلك ، أطلقوا عليه بفعل الخوف وتأكيدًا لموته أكـثر مـن سـتين طلقـة مدفع، هشمت رأسه تماما وفصلتها عن جسده على مرأة من زوجته وأطفاله الصغار. ارتمت الزوجة الثكلى تحتضن أشلاء زوجها وهـي تئـن، حـاول القتلـة أن يبعدوهـا فتشبثت بذراع القتيل، لكن صراخ أطفالها الذين صرعهم الرعب جعلها تسرع إليـهم وتضمهم إلى صدرها، تشاركهم الفاجعة القاسية، بينما كان ثلاثة مـن القتلـة في تلـك اللحظات يملأون الحقائب بالملفات والأوراق التي بالمكتب، وبعدما انتهوا فتشوا بقية غرف الشقة بحثا عن أوراق أخرى، ثم حملوا المدفع الكلاشينكوف الخاص بزوجـها وخرجوا.

كانـت العجـوز الإيطاليـة الـتي تقيـم بالشـقة المقابلـة نائمـة لخطـة الانفجـار، فاستيقظت مذعورة وفتحت باب شقتها تستطلع الأمر لكن الدخان الشديد واجهها،

فانزعجت وأغلقت الباب على الفـور وهـي تصيـح بالإيطاليـة ، فوجـه أحـد القتلـة مدفعه ناحية الصوت وخرجت زخة رصـاص صرعـت المـرأة خلـف البـاب. وحينمـا غادر الإرهابيون الأربعة الشقة، كان إيـهود بـاراك[1] يقـف بـالقرب مـن بـئر السـلم يحمل مسدسه الصغير، تنتفض عضلات وجهه اضطرابًـا وتوتـرًا (بينمـا ثلاثـة مـن رفاقه في فريق الحماية يطلقون الرصاص على رجال المقاومـة الذيـن حـاصروا المكـان) صرخ باراك في فريق القتل:

اهجموا، اضربوا هؤلاء الصراصير بلا رحمة، لقد أصابوا ثلاثة من زملائكم.

قذفوا إليه بالكلاشـينكوف، وعلـى مـرأى منـهم كـان الثلاثـة يفترشـون أسـفلت الشارع. حاول أحدهم، وهو الملازم أول (أبيادوع شور) الزحف باتجاه زملائـه، لكـن رصاصات المقاومة غربلته فانتفض جسده بقوة ثم همد بلا حراك. أمـا رفيقـه ويدعـى (جاجاي)، فكان يصرخ في هلع ممسكًا ركبتـه وفخـذه، ولمـا حـاول أن يحـذو حـذو (أبيادوع)، رقد مكانه إلى الأبد. بينما تمكن الجندي المصاب (يفئال لابين) من تمثيل دور الميت. فأنقذ بذلك عمره من الهلاك. وعندما انتشل بعد ذلك كان قد تـبرز علـى نفسه هلعًا[2]

والآن، لنرجع إلى الوراء عدة دقائق فقط لنرى ماذا فعل القتلة في الطابقين الثالث والسادس. كان كمال ناصر ما يزال غارقا في بحور الشعر، يستنطق الوحـــي هائمـا في عالم بعيد من الذكريات، فصديقه الشاعر الراحل عيسـى نخلـة ربطتـهما معـا قصـة كفاح طويلة، كانا لا يفترقان إلا فيما ندر، سأله ذات يوم كيـف يسـتطيع أن يوائـم بين الكفاح المستمر وكتابة الشعر. أجابه نـاصر بأنـه يعـاني في كتابـة قصيـدة مثلمـا يعاني انتظار لحظة الصفر لعملية فدائية

(١) متباهيًا بتاريخه الدموي اعترف باراك في مناسبات مختلفة، وبشكل رسمي، بأنه نفذ عملية فردان، وشارك في اغتيال أبو جهاد في تونس، وكان من المسئولين الذين خططوا لاغتيال علي حسن سلامة.

(٢) هذا ما حدث أيضا مع ضابط الموساد ألكسندر باراك الذى سجن فى لندن تسع سنوات فى جريمة محاولة اختطاف الوزير النيجيرى عمر ديكو ، وفى أبريل ٢٠٠٤ تعرض لمحاولة اغتيال بالرصاص فـى إسـرائيل . كما تبرزت على نفسها انشراح موسى لحظة القبض عليها عام ١٩٧٤ بالقاهرة .

لقد وهب كمال ناصر حياته للكفاح، وتزوج القضية الفلسطينية قانعا ، سعيدا. كانت ذكرياته وصديقه الراحل تدور بخاطره، عندما انفجر باب شقته فجأة. جرى مسرعا لمدفعه الكلاشينكوف لكنهم كانوا أسرع منه، وأفشلوا خطته الفجائية بالالتفاف من خلفهم بأن أعدموه بثلاثين طلقة، ولأنه كان يمثل لديهم الوحش المخيف ، أعادوا إطلاق الرصاص على جثته حتى انشق صدره. ثم رسموه على الأرض بشكل صليب. فقد كانوا يعلمون أنه مسيحي متدين. وجمعوا كل أوراقه قبلما يطلقون الرصاص على كل أركان الشقة. وانسحبوا للحاق بزملائهم حيث تسمع طلقات الرصاص بين الجانبين.

أما في الطابق السادس ، فقد كان يوسف النجار يغط في نوم عميق عندما استخدم الإرهابيون الأسانسير ونزلوا بالطابق الخامس. ثم صعدوا الدرج في هدوء وزرعوا المتفجرات بباب الشقة. كان يوسف الصغير لا يزال يذاكر دروسه المدرسية، تجلس أمه (مها) قبالته وحولها اثنان من الصغار، عندما دوى الانفجار واقتحم الإرهابيون الأربعة الشقة يصوبون مدافعهم للجميع، بعربية ركيكة سأل أحدهم الصبي: (أين أبوك؟) ركض يوسف مذعورا باتجاه غرفة النوم، لكنه وقع على الأرض ففهم القتلة أن أباه بالغرفة فأمطروا بابها بوابل من النيران، واقتحموا الغرفة فلم يجدوه بها. ففي لحظة الانفجار قفز يوسف النجار وجرى إلى غرفة الصالون، وصاح بزوجته أن تحضر مدفعه من (الدولاب) . ركضت (أم يوسف) في هستيرية لغرفة النوم لكنها تراجعت فجأة وأسرعت صارخة إلى الصالون حيث لحق بها القتلة، فألقت بنفسها أمام زوجها لتحميه إلا أن طلقات الغدر[1] اخترقت الجسدين ، وسقطا معا إلى الأرض في عناق أبدي يجسم معاني الحب والإخلاص والفداء، بل هو الوفاء بعينه.. حتى الموت.

---

(١) ديفيد تينين مراسل مجلة تايم ذكر في مقال له ، أن عملاء الموساد الذين قاموا بعمليات قتل بأيديهم، قلما يكونون مؤهلين صحيًا أو عصبيًا لتولي مناصب عالية في الموساد. ويشعر الكثيرين من أعضاء فرق القتل بالاكتئاب، والتوتر وأمراض القلب والفزع السريع، والنوم المضطرب والاختناق. ويظهر على أبناء الثلاثين أنهم أكبر من عمرهم بعشر سنوات. ويذكر أحد هؤلاء القتلة أنه مع موت كل فرد من ضحاياه أمام عينيه يشعر بالذنب تجاهه، ويرتجف ألمًا كلما تذكر وجه ضحيته قبل وبعد القضاء عليها .!!

سرق القتلة أوراق مكتبه في عدة حقائب جلدية وغـادروا الشـقة إلى أسـفل هبوطًـا على السلم، وهم يطلقون رصاصاتهم إرهابًا لسكان البيت الذين كانت صراخاتهم تملأ الجنبات، مختلطة بأصوات الرصاص داخل البيت وخارجه.

هكذا تمت عملية تصفية زعماء أيلول الأسود الثلاثة في منازلهم، وتحقـق لجولـدا مائير بذلك حلما طالما راودها، لكن هل توقفت بقتلهم عمليـات أيلـول الأسـود؟ لا.. فالأمير الأحمر، علي حسن سـلامة، كـان لا زال حيـا، يرسـم العمليـات، ويخطـط أشرس عملياته في عواصم العالم.

شـهـادة أبـو إيـاد

بعدما نجحت الحملة الإسرائيلية في قتل الزعماء الثلاثة، وتفجير مبنـى الجبهـة الديمقراطيـة لتحريـر فلسـطين، حـدث حصـار واسـع النطـاق لقـوات الكومـاندوز الإسرائيلية، وسقط من بينهم عدة قتلى وجرحى. لكن لو لم تتدخل قوات المظـلات، مع الدعم الجوي والبحري المكثف، لتم أسر أفراد الفريقين في بيروت.

يقول أبو إياد :

قبل الهجوم الإسرائيلي بعشرة أيام، ذلك الهجوم الذي كلـف نـاصر والنجـار وعدوان حياتهم، تواعدنا نحن وعدة رجال، كان من بينهم هؤلاء الثلاثـة إضافـة إلى ياسر عرفات، للقاء في منزل كمال عدوان. وعند وصولي إلى البيت دهشت لعـدم وجود حراسات قوية أو احتياطات أمنية. ولذا قلت لهم مداعبـا وجـادًا في الوقـت نفسه: (أنتم فعلاً غير حريصين..! وعما قريـب تـهبط مروحيـة إسـرائيلية أمـام بيتكم وتخطفكم.). وصادفت كلماتي ضحكات عالية. وأذكر أن ياسر عرفـات قـال لهم مرة أخرى بجدية: (افعلوا شيئًا لضمان أمنكم)، وقد أجـابوا بأنـهم يراعـون مشاعر جيرانهم في البيت، ولا يريدون إحراج ضيوفهم.

وقد أسفرت الصدفة عن أن اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، والتي ننتمي إليها نحن الخمسة، قررت بصفـة استثنائية الاجتمـاع في ٩ ، ١٠ أبريـل ١٩٧٣ في بيروت، وليس في دمشق.

بحكم العادة، انتهت الجلسة في اليوم الأول في وقت متأخر جدًا، وقد قضيت ليلتي كما اعتدت عند كمال ناصر. وبعد جلسة قبل الظهيرة في اليوم التالي، اقترح علي الثلاثة، ناصر وعدوان والنجار، أن أتناول معهم الغداء في مطعم على الشاطئ. وفي العادة كنت أمتنع لدواعي أمنية عن ارتياد مطاعم عامة. ولست أدري ما الذي دفعني في هذا اليوم إلى قبول الدعوة. ربما شعرت على الأقل أن الضرورة تحتم علي ألا أفارق رفاقي لمجرد ساعتين فقط. وبعد جو من المرح عدنا معًا إلى الاجتماع مرة أخرى.. وبعد التاسعة مساء انتهى الاجتماع.

كنت أنوي المبيت مع كمال ناصر في بيته كالليلة السابقة. وكان من هول مفاجأتي أنه أجابني في نبرة مليئة بالمزاح (أفضل أن أموت، على أن أدعك تبيت عندي، فأنا الليلة مشغول بكتابة قصيدة رثاء في صديقي عيسى نخلة) [1] .

لذلك.. ودعته آسفًا. وخطر ببالي أن أقوم بزيارة الثلاثة الناجين من عملية ميونيخ، لكي يسمعونني ملحمة (الأوديسة) [2] التي قاموا بها. وفي الطريق إليهم لاحظت حول مبنى الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين حركة نشيطة. وهو يبعد حوالي عشرة أمتار فقط عن البيت الذي يسكن فيه الفدائيون الثلاثة. وتردد إلى مسامعي، بأن رجال الجبهة يخشون هجومًا مسلحًا من رجال جورج حبش. فقلت لهم في غضب : من الأفضل ادخار هذه القوة للمعركة ضد العدو المشترك.

---

(١) هناك رواية أخرى أدلى بها المسئول الفلسطيني محمد داود عودة (أبو داود) ، لمجلة الوسط عدد ٢١ يونيو ١٩٩٩ قال فيها : أثناء عملية فردان كنت مسجونًا بالأردن، وحكم علي بالإعدام بتهمة تدبير خطة انقلاب. لكن أبو إياد أخبرني بعد ذلك مسألة طريفة.. قال أنه كان في اجتماع للقيادة الفلسطينية وكتب على ورقة صغيرة سؤالاً لكمال ناصر جاء فيه : هل يمكن أن نذهب معًا بعد الاجتماع..؟ فرد عليه كمال ناصر بورقة أخرى جاء فيها : لا.. أريد أن أبقى اليوم مع أبو يوسف النجار وكمال عدوان. بعد الاجتماع أصر كمال ناصر على أبو إياد أن يأتي للمبيت عنده في فردان. وكان من عادة أبو إياد أن يذهب إلى ذلك المكان، لكنه رفض في تلك الليلة .!!

(٢) الأوديسة : إحدى ملحمتي الشاعر الإغريقي هوميروس، الذي فقد بصره واختلف المؤرخون في تحديد وقائع حياته، كما أن التاريخ الذي عاش فيه قد قدر تقديرات مختلفة ما بين القرن الثاني عشر والتاسع قبل الميلاد.

كانت الساعة في ذلك الوقت التاسعة ونصف مساء، ولم يتوقع أحد، أنه بعد ذلك بثلاث ساعات ستقوم قوات إسرائيلية، وليست قوات حبش، باقتحام المكان. وقد ألهاني الحديث مع الناجين الثلاثة عن مخاوفي للحظات. إذ استهواني حديثهم المفصل عن مجرى العملية، وكذلك وصف التعذيب البشع الذي لاقوه في السجون الألمانية وهزني جدًا، حيث أدى بأحدهم إلى إصابته بعاهة مستديمة له في العضو التناسلي. وفجأة سمعنا طلقات الرصاص، نظرت في الساعة التي كانت ٠٠,٣٠ وبدأت أغضب من جديد. وأوضحت لرفاقي أنه ربما يكون هناك قتال بين أتباع حبش وحواتمة. لكن التبادل النيراني ازداد أكثر فأكثر. ومع دوي انفجارات القنابل اليدوية، قلت ثائرًا ما الذي يجرى؟ وعندها اقتحم المسكن حارس البيت وهو يصيح: (اليهود.. اليهود هنا).

ها قد تحققت نبوءتي التي نطقت بها قبل عشرة أيام. الإسرائيليون موجودون حقًا أمام بيتنا..؟ وهل نجحوا في العثور على مقر الجبهة الديمقراطية ذي الطوابق التسع.؟ لن يعرفوا بعد ذلك. إن الأعضاء الثلاثة من فريق عملية ميونيخ يعيشون في الجوار، وياسر عرفات أيضًا يسكن بالقرب جدًا. ولأننا مسلحون بالمسدسات الخفيفة فقط، قد لا نستطيع أنا ورفاقي الثلاثة أن نفعل الكثير. لذلك وقفنا على السلم بالطابق الرابع، وأحضر أحدهم المصعد إلى الطابق الخامس حيث قام بتعطيله بأن فتح الباب.

وفجأة سمعنا انفجارًا مدويًا تلاه ضوضاء وضجيج. اعتقدنا أن مبنى الجبهة الديمقراطية قد انفجر بفعل الديناميت، وجرى أصدقائي إلى الشارع ليراقبوا الكوماندوز الإسرائيليين الذين كانوا ينسحبون. جريت أنا أيضًا إلى الشارع. كان أعداؤنا يرتدون زي الفدائيين، ولكنهم يتحدثون بالعبرية. عبرت الشارع وذهبت لسكن عرفات، الذي أخبرني بأن الإسرائيليين أطلقوا النيران على مسكنه بشكل عشوائي، بما يدل على أنهم كانوا لا يعرفون مسكنه. علاوة على ذلك فقد قام حراسه الخصوصيين بمقاومة عنيفة. وشارك بعض الفدائيين المحبوسين في بدروم

البيت بسبب مخالفات في ردع الإسرائيليين. (لقد تابع عرفات المعركة من فوق سطح المنزل وقاد رجاله من موقعه بالإشارات) [١].

لقد كان عرفات يعلم بأنني مقيم بأحد البيوت المجاورة أثناء المعركة. وكان مقتنعًا بأنني مُت. وعندما رآني أمامه، اهتز من أعماقه واحتضنني طويلاً بين ذراعيه، وأخبرني وهو ثائر بطريقة ملحوظة، عما سمع به، من أن قوات الكوماندوز الإسرائيلية تسللت من الجنوب بالقرب من صيدا وبيروت. وهاجمت في الوقت نفسه مساكن الرفاق الثلاثة، وإلى هذه اللحظة لم يكن عرفات يعلم بعد هل تم خطفهم أم ماتوا؟ بعد ذلك بدقائق وقع النبأ كالصاعقة: رفاقنا الثلاثة مقتولون.

عزمت على الفور على الذهاب إلى حيث مساكن الضحايا. ونظرًا للمخاطرة الكبيرة في ذلك، حاول عرفات أن يصرفني عن الذهاب، ولكن بدون جدوى. تملكني الأسى عندما دخلت شقة كمال ناصر، فقد كان صديقي راقدًا على الأرض على هيئة صليب، وقد اخترقت جسده أكثر من خمس عشرة رصاصة. فالقتلة لم ينسوا أنه مسيحي، كما أنه في الوقت نفسه المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير. كان سريره والسرير الآخر، الذي غالبًا ما كنت أنام عليه، قد تهلهلا من الثقوب، تحسبًا لوجود أي واحد قد يكون مختبئًا تحتهما.

كان كمال يرتدي بيجاما، مما يدل على أنه ربما فوجئ بالهجوم أثناء نومه، أو أثناء كتابة قصيدته. وكان شباك غرفته مفتوحًا والشيش ساقطًا، كما لو كان قد حاول الهرب في بادئ الأمر. وبعد ذلك ربما حاول الدفاع عن نفسه بمسدسه، لأننا وجدناه بجواره.لكن مقاومته استغرقت وقتًا قصيرًا، لأن المسدس كان ينقصه رصاصتين فقط. وتذكرت كيف كنت أقول له دائمًا على سبل الدعابة: (أنت شاعر فقط ولم يكن لك أبدًا أن تستعمل سلاحًا في حياتك.). فأنا لم أكن مخطئًا أبدًا في ذلك. ألم يلق حتفه في اللحظة التي كان يكتب فيها قصيدة..؟

---

(١) جاءت العبارة بنصها في مصدر إسرائيلي ، بقصد السخرية من عرفات.

أما الظروف التي أدت إلى موت الرفيقين الآخرين، فتقول عائلتيهما أن قوات الكوماندوز الإسرائيلية صرعت أولاً الفدائي الذي كان يقف للحراسة أمام مدخل البيت(!!). ثم صعدوا بعد ذلك بواسطة المصعد إلى الطابق السادس. وباستخدام عبوة ناسفة فتحوا عنوة باب شقة النجار الذي كان نائمًا بالفعل، لأنه عادة ينام مبكرًا. لكن أطفاله، يوسف البالغ من العمر ستة عشر عامًا وإخوته الأربعة، كانوا لا يزالون مستيقظين يكتبون واجباتهم المدرسية في حجراتهم.

كان يوسف الصغير أول من جرى نحو الباب ووقف فجأة أمام رجال الكوماندوز الذين سألوه بالعربية : (أين أبوك)؟. فجرى الطفل من الفزع الذي تملكه إلى حجرته وقفز من النافذة لكي (يتزحلق على إحدى ماسورات المجاري حتى المسكن الموجود تحت، حيث بحث عن ملجأ هناك).

ركض النجار الذي أيقظته الضوضاء إلى حجرة المعيشة التي تقع بين غرفة النوم والممر. وأثناء المحاولة طلب من زوجته أن تحضر له المسدس. لكن المفاجأة كانت مذهلة. فالزوجة المذهولة وقفت أمام زوجها تحميه بجسدها وهو يصرخ في وجههم: (جبناء.. جبناء.. خونة!!) ومع ذلك أطلقوا الرصاص عليهما بقسوة .

أما كمال عدوان، فقد كان لديه إنذار مسبق حيث كان لا يزال يعمل. وعندما انتبه إلى الضوضاء أمام باب شقته أسرع إلى مدفعه الرشاش، وكان يمسك به بالفعل عندما اقتحم المهاجمون البيت. وقبل أن يستطيع مطلقًا تحريك إصبعه على الزناد، أطلقت مجموعة ثانية من الإسرائيليين الرصاص على ظهره. وكانت هذه المجموعة قد تسلقت المواسير ودخلت الشقة من خلال شباك المطبخ. وقد كانت خطة التسلق هذه قد نشأت من خلال تأكيدات مسبقة أن كمال عدوان ماكر مراوغ شرس، يجيد استخدام السلاح بسرعة خارقة مصيبًا هدفه بدقة متناهية. لهذا السبب اختص وحده باختلاف في تنفيذ عملية قتله، التي تمت على مرأى من زوجته وابنه، حيث وقفا يراقبان هذه الجريمة وقد ألجمهما الفزع وأخرس لسانيهما.

وفي اليوم التالي قالت رئيسة الوزراء جولدا مائير أمام الكنيست: (إنه لشيء رائع أن نقتل القتلة قبل أن يستطيعوا القتل من جديد)!!

استنكرت عواصم العالم الغارة الإسرائيلية، وفشلت لبنان في استصدار قرار يدين إسرائيل، إذ استخدمت واشنطن حق الفيتو، وتباينت تصريحات وبيانات أيلول الأسود، وسائر المنظمات الفلسطينية الثورية، التي انصبت جميعها في بيانات التهديد بالثأر والانتقام من الإسرائيليين. وتواصلت مسيرة الكفاح المسلح، لكنها بدت أكثر شراسة وتنوعًا.!!



اغتيال الجرسون المغربي في النرويج .. !!



صرخت جولدا مائير في وجه رئيس الموساد زيفي زامير قائلة: هل عجز جهازك بأكمله عن ملاحقته واصطياده؟ اقتلوا هذا الوحش.. أسكتوه إلى الأبد. لقد طال عمره أكثر من اللازم.

إن جسدي ليرتعد كل لحظة عند سماع اسم (سلامة) هذا الفدائي الشرس الذي حرمني النوم وهدأة البال.

أين شجاعة (حراس الهيكل) ؟ أين فرق الموت والرعب؟.. لقد أعلنت قراري بتصفيته.. فانسفوه..!!

هذا الشبل :

وكانت أشرس معركة بين جهاز الموساد الإسرائيلي وعلى حسن سلامة. استطاع فيها سلامة إرهاق الموساد وتشتيت فرق القتل، بل وإرباك إسرائيل كلها قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ بفترة وجيزة.

ليس هذا فحسب. بل أنه جرجر رئيس الموساد شخصيا إلى أوروبا.. وأعد له كمينا فى النرويج وأوقعه كالفأر فى مصيدة الشرطة هناك هو ورجاله ، لتكون أقوى فضيحة للموساد ترتج لها إسرائيل ولا زالت تعانى من ذكراها حتى اليوم .

فمن يصدق أن شابًا فلسطينيًا فى الثلاثين من عمره تقف له مخابرات إسرائيل كلها بالمرصاد.. تجوب خلفه كل العواصم، وتتصيد أخباره دون أن تعرف له شكلاً.. أو ملامح مؤكدة. لذلك رصدت ملايين الدولارات بغية تصفيته إلى الأبد. لكنه كان كالثعلب يراوغ.. وكالأسد يبطش ويخطط ويقتل من انتهكوا أرضه ووطنه بلا هوادة.

فمن هو علي حسن سلامة..؟

وكيف حدثت وقائع فضيحة ليليهامر في النرويج ..؟

إنه علي حسن سلامة.. عضو المجلس الثوري لمنظمة فتح[١]، ورئيس العمليات بتنظيم (أيلول الأسود)، وقائد القوة (١٧)[٢] التي تمثل الحرس الشخصي لعرفات، وتجمع الاستخبارات ومهام الأمن الداخلي.

---

(١) فتح : اختصار (حركة التحرير الفلسطينية) مرتبة أول حروفها ترتيبًا عكسيا. تأسست الحركة عام ١٩٥٩ في الكويت على يد عرفات وأبو إياد وخليل الوزير ويوسف النجار وكمال عدوان وفاروق قدومي ومحمود عباس أبو مازن (قتل أربعة منهم حتى صدور الكتاب). تولى ياسر عرفات قيادة فتح عام ١٩٦٤، وكانت أولى عملياتها في ٣ يناير ١٩٦٥، ثم انضمت فتح لمنظمة التحرير في يونيو ١٩٦٤ ،وهي المنظمة الأم التي تضم شتى التنظيمات الفلسطينية. وسرعان ما استولى هؤلاء السبعة على السلطة في المنظمة وتولوا العمل الثوري، في حين بقيت (فتح) التي تعد أكبر المنظمات، تحت قيادة عرفات أيضًا .

(٢) القوة (١٧) عنصر شبه مستقل من عناصر حركة فتح داخل منظمة التحرير الفلسطينية. وهي التي تمثل الحرس الشخصي للرئيس عرفات، وتضطلع بالعديد من المهام السرية. كما تختص بأعمال الاستخبارات والأمن الداخلي، واشتق اسمها من رقم الهاتف الداخلي في مبنى المنظمة ببيروت، والذي كان يحمل الرقم (١٧).

لم يتعلم علي حسن سلامة الثورية، إنما ولـد بـها مزروعـة بالوراثـة في خلايـاه، وتسري مسرى الدم بعروقه. فقـد كـان أبـوه أسـطورة في الفدائيـة والبطولـة، وصـورة متكاملة لكل معاني الرعب عند اليهود.

ولد حسن سلامة الأب عام ١٩١٢ في الرملة بالقرب من تـل أبيـب، وفي السـابعة عشرة من عمره تيقظت ثوريته مع الانتفاضة الثانية ضـد اليـهود عـام ١٩٢٩ بقيـادة مفتي القدس (أمين الحسـيني). ومـع الانتفاضـة الثالثـة عـام ١٩٣٦ ومنـاداة الشـيخ الحسيني بالحرب المقدسة، نظم حسن سلامة فريقًا من الشباب المسلح، تولى قيادتـه في عمليات هجومية شرسة ضد المستوطنات اليهودية، وضد الإنجليز في الوقت نفسه أيضًا. إذ قاد فريقه لنسف خطوط السكك الحديدية، وعمـل كمـائن سـريعة التحـرك والالتفاف أوقعت خسائر فادحة بالبريطانيين واليهود.

ولأنه أصبح مطلوبًا حيًا أو ميتًا، غادر حســن ســلامة فلسـطين إلى سـوريا، ومـن هناك استجمع خططه وقواته، وعاد ثانية إلى فلسـطين بشـكل سـري، فأظـهر قـدرة مذهلة على الكفاح المسلح، وبات اسمـه (الشـيخ سـلامة) مشـهورًا علـى كـل لسـان. ووصل ذروة نشاطه بقتل الحاكم البريطـاني (لويـس أنـدرو) أثنـاء حضـوره قداسـا في الناصرة ، مما دفع البريطانيين إلى رصد مكافأة مالية (قيـل إنـها بلغـت مائـة ألـف جنيه إسترليني من الذهب)، لمن يدلي بمعلومات تقود إلى اعتقال الرجل أو قتله. لكن ذلك لم يتحقق أبدًا لهم. فقد كان أتباع الشيخ المجاهد أكثر ولاء وحرصًا على حيـاة قائدهم، فضلاً عن تعاون سكان القرى معه برغم العقوبات التي تلحـق بـهم بسـببه، مما أعجز الإنجليز عن اصطياد سلامة في طول البلاد وعرضها.

أما اليهود ، فقد كانت أبدانهم ترتجف هلعًا عند سماع اسم سلامة، وتـردد أنـه كان يترك أثرًا يدل عليه عند هجومه المسلح على المستوطنات اليهوديـة، ممـا جعـل يهود المستوطنات الأخرى في حالة ترقب وذعر. فالرجل كان كالشبح، يضرب بعنف ويستولى على سلاح قتلاه ويختفي. لا أحد يعرف له مخبئًا، ولا يجـرؤ إنسـان علـى

تعقبه أو مطاردته. إذ حدث ذات مرة أن طارده بعضهم، فقادهم إلى كمين لقواته حصدهم جميعًا . ومنذ تلك الواقعة استحالت مطاردته.

سلامة.. الأسطورة

هكذا تحول الشيخ حسن سلامة إلى بطل قومي في فلسطين.. وأسطورة حية تتحرك بين المدن والقرى. يضرب هنا وهناك بلا هوادة، فينسف ويحرق ويدمر، ويقتل المئات من اليهود المهاجرين، الذين فر بعضهم بعيدًا عن سلامة، بل وعن فلسطين، حيث غادروا إلى قبرص عائدين من حيث أتوا وهم يرددون في ذعر: (سالاما.. سالاما) ، تمامًا كما كان السكان العرب يرددون بعد مذبحة دير ياسين[1]: (دير ياسين.. دير ياسين).

غادر المفتي فلسطين إلى دمشق وتبعه سلامة، رفيق الكفاح والجهاد. وفي عام ١٩٤٣ رزق الشيخ حسن سلامة بابنه (علي). وبعد رحلة طويلة إلى بغداد وطهران، ثم برلين، حاول الشيخ أمين الحسيني التقرب من الألمان لطرد اليهود والإنجليز من فلسطين، والتقى بهتلر وموسوليني ووعداه بتقديم العون لتحرير بلاده. وسافر سلامة إلى ألمانيا للقاء المفتي الذي كان يقيم بقصر Bellevue ، حيث تدرب على الهبوط بالمظلات وعمل العبوات الناسفة، واقترح القيام بعملية جريئة جدًا، لقتل المئات من اليهود في تل أبيب، وذلك بتسميم مياه الشرب.

نظم سلامة في برلين فريقًا ضم فلسطينيا وثلاثة ألمان، وبواسطة الإيطاليين طار بفريقه من إيطاليا إلى فلسطين، حيث قفزوا بالقرب من أريحا بحوزتهم صفائح السم. لكن الإنجليز قبضوا على الألمان الثلاثة والفدائي الفلسطيني، بينما اختفى

---

(١) في ٩ أبريل ١٩٤٨ قامت العصابات الصهيونية ، بموافقة قائد عصابة الهاجانا، بمذبحة بشعة في قرية دير ياسين، الواقعة على مشارف القدس، حيث قتل ٣٥٤ عربيًا، معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، بهدف إلقاء الرعب في قلوب العرب، وإرهابهم لحملهم على ترك قراهم وأراضيهم. يقول مناحم بيجن جزار دير ياسين في كتابه (الثورة): إن أسطورة دير ياسين قد ساعدتنا بشكل خاص في الحفاظ على طبريا والاستيلاء على حيفا. لقد أصاب العرب هلع لمسناه من الروايات الوحشية حول مذبحة دير ياسين، جعلهم يهربون من وجهنا بشكل جماعي .

حسن سلامة. وعرف الإنجليز أن عدوهم اللدود لن يهدأ، وسيعاود الظهور من جديد بفكرة بعيدة عن خيالهم. فأعلنوا مضاعفة قيمة المكافأة المالية لاعتقال سلامة، الذي كان قدر غادر البلاد متسللاً إلى بيروت.

وعندما انقلبت موازين الحرب العالمية الثانية ضد هتلر وموسوليني، سافر مفتي القدس[1] إلى القاهرة ضيفًا على الملك فاروق. ثم اتجه إلى بيروت ليلتقي بسلامة من جديد. وهناك أسس جيش تحرير فلسطين وعيَّن ابن أخيه، عبد القادر الحسيني قائدًا، وسلامة نائبًا له

وبإعلان بن جوريون قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨، هبت الدول العربية لمحاربة اليهود، واختطف الشيخ حسن في ذات اليوم أتوبيسًا يهوديًا قادمًا من ناتانيا، مطلقا النار من مدفعه الرشاش على ٢٢ راكبًا، واشتدت ضرباته المتتالية القوية، لتصل إلى سفن الإمدادات وشاحنات المؤمن، ونظم رجاله لضرب المستعمرات ومخازن الذخيرة. وفي حين كانت الجيوش العربية تحارب من الجنوب والشرق، كان الشيخ حسن سلامة يغير برجاله على اليهود من شتى الجهات. مما اضطر اليهود إلى مطاردة أفراد عائلته، وضرب بيوتهم بالأسلحة الثقيلة، وكان يقودهم في تلك الغارات الانتقامية إسحق رابين[2]، الذي كاد أن يوقع بالرجل في الأسر في إحدى غاراته الوحشية.

تولى الشيخ حسن سلامة قيادة جيش تحرير فلسطين بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، وواصل الهجمات المنظمة على الناقلات اليهودية ومعاقل الهاجانا (جيش الدفاع الإسرائيلي) وثكناتها ومخازن مؤنها وذخائرها، مما أوقع بمئات القتلى في صفوف اليهود، حتى استشهد سلامة وبيده سلاحه بعد إصابته بشظية قاتلة، وكان

---

(١) توفى مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني عام ١٩٧٤ عن عمر يناهز الثمانين عاما .

(٢) إسحق رابين : رئيس وزراء إسرائيل في الفترة من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧، ومن ١٩٩٢ حتى مقتله بيد يهودي في عام ١٩٩٥ .

ذلك خلال معركة دامية مع عصابة (أرجون)، التي كان يتزعمها مناحم بيجن[1].

سلامة .. وعرفات

دفن جثمان سلامة في الرملة، مسقط رأسه ، وغادرت الزوجة الثكلى بيتها مع الصغير (علي)، حيث استقرت في نابلس لبعض الوقت، ثم اتجهت إلى بيروت، تروي لابنها ليل نهار قصة والده الأسطورة، فينام ويصحو على سيرته وبطولاته، ويحفظها عن ظهر قلب. وطوال سني دراسته الثانوية، تحركت بداخله خلايا الثورية، مدعمة بذكاء فطري خارق، وتفوق دراسي، فحصل على منحة للدراسة بالجامعة الأمريكية في بيروت. وفي الجامعة، طفحت ثوريته مشتعلة بأوردته وكيانه، فجمع حوله زملائه وتناقشوا في الجهاد المسلح لإعلان دولة فلسطين، وظهرت منذ ذلك الحين شخصيته القيادية التي لفتت الانتباه

(لماذا نحن خانعون لا نطالب بحقوقنا، بأرضنا، ووطننا المغتصب.؟ هناك في فلسطين السليبة ذكريات طفولتنا.. رفاة أجدادنا.. أشجار البرتقال والليمون والزيتون.. عناقيد العنب لا زلت أذكرها حول داري.. طعمها في لساني.. هواء القدس يملأ رئتي.. أحن إلى رائحة الطين في أرضي.. وتمايل أزهار الياسمين لمداعبات الفراشات.)!!

وبرغم زواج علي سلامة من إحدى قريبات المفتي[2]، لم يكن ينسى حياة أبيه البطولية، ولم يكن يتصور أنه يستطيع يومًا إكمال مسيرته.

عشرون عامًا منذ استشهاد والده ودفنت من بعده المقاومة. ابتلع اليهود فلسطين وشتتوا الكثيرين من سكانها الذين يعيشون في مخيمات قذرة، يعانون الفقر والمشاكل

---

(١) مناحم بيجن : دموي سفاح له تاريخ طويل مليء بأسماء ضحاياه الأبرياء من الفلسطينيين، تولى منصب رئاسة الوزراء في ١٩٧٧ حتى ١٩٨٣ ، وفي عهده تم غزو لبنان ووقوع مذبحة صبرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢. نال جائزة نوبل للسلام مناصفة مع السادات، وبعد كامب ديفيد وانسحاب إسرائيل من سيناء، قيل أنه ندم ندمًا شديدًا بسبب توقيعه لاتفاقية السلام مع مصر، وآلمه هذا الشعور مما عجل بوفاته كمدًا.

(٢) قيل إنها ابنة شقيقة المفتي .

والأمراض تحت أبصار العالم ولا فائدة: **(لقد نسونا.. وإذا لم نفعل شيئًا لتذكير العالم بنا.. سنبقى إلى الأبد في الطين والوحل.. أذلاء بلا وطن..).**

وبهزيمة العرب فى حرب ١٩٦٧ ، ضاع الأمل الأخير عند الفلسطينيين فبدلاً من أن تهزم الجيوش العربية إسرائيل، احتلت إسرائيل القدس والضفة وغزة وسيناء والجولان. وكأنما أذكت الهزيمة نيران ثورة الفلسطينيين، عندما قرروا إعلان الحرب ضد إسرائيل في الداخل والخارج .

هكذا ، فى عام ١٩٦٧ ، حدث التحول الخطير في حياة علي حسن سلامة الذي كان قد تخرج مهندسًا، إذ التقى بياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية. كان ياسر عرفات يراقب بإعجاب بالغ عمليات جورج حبش المذهلة ضد إسرائيل. كذلك عمليات المنظمات الفلسطينية الأخرى، وكانت كلها تحظى بالإعجاب والتأييد: **(نريد عمليات فدائية جبارة تؤرق إسرائيل، وتحرك العالم نحونا، فالعالم لا يحترم إلا الأقوياء..)** . قال سلامة لرفاقه

أعجب عرفات بالشاب الذكي ، وأرسله مع مجموعة من رفاقه إلى القاهرة، للتدريب على الأعمال الاستخباراتية والتجسس. ومن خلال هؤلاء الشبان كون عرفات خلية سرية خاصة داخل المنظمة، وعهد إلى سلامة بقيادة العمليات السرية ضد إسرائيل ومصالحها في الخارج، على ألا يعرف أحد بالعلاقة بين هذه العمليات ومنظمة التحرير المعترف بها دوليًا، كما عهد إليه فى ذات الوقت برئاسة قوات حرسه الخاصة، المعروفة باسم (القوة ١٧).

يقول فاروق قدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية[1] :

(تطورت الأحداث في الأردن بعد هزيمة ١٩٦٧، وكذلك في العالم العربي بأسره خصوصًا في الدول المجاورة لفلسطين المحتلة. أصيبت الجماهير بنوع من الإحباط. خلال الحرب دخل الجيش العراقي المنطقة الشمالية من الأردن. قبل

---

(١) مجلة الوسط . العدد (٣٢٤) الصادر في ١٣ أبريل ١٩٩٨ .

ذلك كنا ننطلق من الجولان لكـن عملنـا امتـد لاحقًا إلى الأغـوار في الأردن بعدمـا دخلنا من خلال شاحنات الجيش العراقي.

بدأنا ننشئ نقـاط ارتكـاز مسلحة في محـاذاة نـهر الأردن. وجدنـا في البدايـة مقاومة بسيطة من الجيش الأردني، لكن التعاطف معنا كان كبيرًا على رغم وقـوع صدامات محدودة. ثم وقعت معركة (الكرامة) في ٢١ مارس ١٩٦٨، وكنـا هنـاك، عرفات وأبو إياد وصبري البنا وأنا.

كانت (الكرامة) مقـر القيـادة الفلسـطينية، وكنـا قـد أنشـأنا قواعـد ثوريـة في الضفة الغربية المحتلة، وكان عرفات أول من دخل الضفة المحتلة ثم خـرج بعـد إنشـاء هـذه القواعـد، حيـث رحنـا نمدهـا بالسـلاح والذخـائر لتقـوم بعمليـات عسكرية. كانت العمليات تشبه جولات الذئاب، أي عمليـات عـدة خـلال يـوم أو يومين ضد الجيش الإسرائيلي، ثم يعود أفـراد المجموعـات إلى قواعدهـم. في تلـك المرحلة كان موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلي، يقول ، إن المقاومة تشبه بيضـة أستطيع أن أكسرها بيدي.

وفي ٢١ مارس ١٩٦٨ جهز ديان جيشه لمهاجمة الأغوار، وقررنا نحـن خـوض المواجهـة. تكبد الجيش الإسرائيلي خسائر فادحة علـى رغـم تفوقـه عـددًا وعـدة. واشتبكنا مع الإسرائيليين بالسلاح الأبيض في الكرامة، التي كنا قد حفرنـا فيـها أنفاقًا استعدادًا للمعركة. وتطـورت الأحـداث والمصادمـات مـع الأردنيـين، حتـى وصلت ذروتها في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠. اعتقلت أنا وأبو إياد، وأرسـل الرئيـس جمال عبد الناصر جعفر نميري إلى عمان فأفرج عنا وذهبنا معـه إلى القـاهرة. ثـم عاد نميري ثانية لإحضار ياسر عرفات الذي وصل إلى القاهرة وبرفقته علي حسـن سلامة.

هكذا ولدت فكرة (أيلول الأسود) مـن أحـداث أيلـول نفسـها، وكـانت مفـرزة سرية من حركة فتح يقودها أبو إياد، وكان علي حسن سلامة مساعده.

نفذت أيلول الأسود عملية اغتيال رئيس وزراء الأردن (وصفي التل) في القاهرة، وعملية ميونيخ، وعملية اقتحام السفارة السعودية في الخرطوم وإعدام السفير الأمريكي ببدرومها، وغيرها من العمليات الجريئة.).!

أما محمد داود عودة، أبو داود، المشرف الميداني علي تنفيذ عملية ميونيخ فيقول[1] :

(عندما أخرجنا من الأردن حدث ما يشبه الانهيار في المعنويات. وكان لا بد من خلق جو يساعد الشباب على استعادة ثقتهم بأنفسهم. كنا قد خسرنا الأردن وكان الجولان مغلقا في وجهنا، ولم يكن هناك متسع كبير في جنوب لبنان. لذلك فكرنا في طريقة لاستعادة الثقة، وظهرت فكرة العمليات الخارجية، وكان وراء الفكرة أبو إياد وأنا وعدد من الشبان..

لقد كنت المخطط والمشرف على تنفيذ عملية ميونيخ، وكنت في الميدان بنفسي. ونجحت (أيلول الأسود) في تصفية العديد من عملاء الموساد، ونفذ علي حسن سلامة عملية تريستا Trieste ، وهي منشآت نفطية في أقصى شمال شرق إيطاليا.)!!!

الأمير الأحمر

وبالرغم من إخفاق عملية ميونيخ في الإفراج عن العديد من السجناء العرب في المعتقلات الإسرائيلية، إلا أن علي حسن سلامة كان راضيًا عن العملية، وما حققته من شهرة كاسحة أوصلت باسم فلسطين وثوارها إلى أقاصي الأرض ومغاربها، وانتباه جيل جديد من الشباب في كل دول العالم لمحنة الشعب الفلسطيني، وكفاحه المسلح من أجل استرداد أرضه المغتصبة، مما دفع بالعشرات منهم إلى التوافد على بيروت للانضمام إلى المنظمات الفلسطينية، والانخراط في صفوف المقاومة المسلحة ضد إسرائيل.

---

(١) مجلة الوسط . العدد (٣٨٦) الصادر في ٢١ يونيو ١٩٩٩ .

وفي إسرائيل كان هناك تساؤل محير..؟ من هو (علي حسن سلامة)؟. لقد كانوا يعرفون جيدًا (حسن سلامة) القائد والفدائي الجريء الذي استشهد في الأيام الأولى من عام ١٩٤٩. أما (علي)، فهو اسم جديد عليهم، لكنه أثار الفزع في قلوبهم. إذ أدركوا أخيرًا أنه ابن الشيخ حسن الذي قتل مئات اليهود برشاشه. لقد كبر الصغير إذن وبدأ في الثأر لوالده. لكن الابن لم يكن يفكر بالثأر، بقدر ما كان يفكر في اقتلاع جذور اليهود من فلسطين.

لذلك.. صدمت جولدا مائير.. وانتابها الهلع عندما سمعت باسم سلامة. فقد ذكرها الاسم بسجل سلامة (الكبير) وعملياته المروعة ، لذلك شددت فى أوامرها لـ (زيفي زامير) رئيس الموساد باغتياله.

كان ملف سلامة في الموساد لا يحتوي على صورة فوتوغرافية حديثة له، إذ كانت توجد صورة واحدة قديمة التقطت له بين الزملاء في الجامعة. لكن كان هناك ملف ضخم يضم العديد من العمليات الجريئة هنا وهناك، في أغلب عواصم القارة الأوربية، هزت إسرائيل بعمق وزلزلت أمنها على يديه.

استدعى زامير أهم رجاله ، مايك هارارى (٥٦ عاما) ، ودفع إليه بالملف الذى حمل اسم (الأمير الأحمر) . وكان المقصود بـ (الأمير) صلة سلامة بعرفات ، إضافة إلى جذور ثوريته الممتدة والمتوارثة عن والده الذى شهد هارارى مقتله ، عندما كان رفيقا لبيجن فى عصابة الأرجون الإرهابية . أما (الأحمر) فلتعدد عملياته وكثرة دماء ضحاياه من اليهود على يديه

كان المطلوب من هاراري رئيس شعبة العمليات بالموساد، والذي خطط لعملية فردان وأشرف عليها، تعقب سلامة واغتياله مهما تكلف ذلك من أموال. فتلك رغبة إسرائيلية عليا، وقعت على الموساد مسئولية تنفيذها.

كان هاراري يدرك صعوبة المهمة المكلف بها. فالتفاصيل المعطاة ضئيلة جدًا ولا تتناسب وحجم سلامة وخطورته:

- سلامة كالشبح.. مجهول المكان والملامح. صورته الوحيدة القديمة المكبرة بدت مشوشة المعالم باهتة تخفي أية علامات مميزة في وجهه.
- دائم التنقل بعدة جوازات سفر، بعضها دبلوماسي، وبأسماء مختلفة غير معلومة.
- حاد الذكاء.. ماكر.. يتمتع بحس أمني ممتاز وفوق العادة.. ويحيط تحركاته بسرية مطلقة مع إجادة فنون المراوغة والتخفي.
- مسلح دائمًا.. جيد التدريب بدنيًا وميدانيا على استعمال السلاح.
- قتل أكثر من ٢٤ عميلاً للموساد خلال أشهر معدودة، اكتشف تسللهم لصفوف المقاومة الفلسطينية.
- دائم التردد على باريس وعواصم الدول الاسكندنافية.
- يجيد عدة لغات أوربية بطلاقة تساعده على التحرك والتخفى .

الشبح المرعب

كان مايك هاراري يترأس وحدة العمليات السرية في الموساد (السايريت ماتكال)، وهي الوحدة المختصة بتنفيذ مهام الاغتيالات خارج حدود الدولة. هذه الوحدة تتألف من عدة فرق يضم كل فريق منها ما بين اثني عشر وستة عشر فردًا، جرى تدريبهم بشكل جيد يتفق وخطورة المهام التي تتطلب الذكاء وسرعة التصرف واللياقة البدنية، إلى جانب إجادة اللغات وشتى أساليب القتل بالأسلحة المختلفة، سواء أكانت مسدسات كاتمة للصوت أو إعداد عبوات ناسفة.

برع هاراري في تعقب العديد من القيادات الفلسطينية، وقام بعمليات اغتيالات طالت أسماء مشهورة، منها عملية اغتيال وائل زعيتر في روما ١٩٧٢، واغتيال الدكتور الهمشري ممثل منظمة التحرير بفرنسا في ديسمبر ١٩٧٢، ورجل الاستخبارات الفلسطيني الشهير حسين عياد ، الذي اغتاله هاراري بعبوة ناسفة بحجرته في فندق أوليمبيك بنيقوسيا، تلك المدينة التي اغتيل بها أيضًا زياد موقاصي، الذي تولى مهام المنظمة في قبرص خلفًا لحسين عياد. كانت هناك قائمة طويلة بالعمليات التي قام بها هاراري ضد الفلسطينيين، وكان سلامة يرد أيضًا

وبنفس القوة، بل تعدت عملياته ضد إسرائيل حدود التصور. إذ أجاد انتقاء عملياته وتنفيذها فأطاح بعقل الإسرائيليين وصبرهم.. لكنه أبدا لم يترك لهم المجال لاصطياده أو تعقب خطواته لتصفيته.. إذ ظل دائمًا الشبح المرعب الذي ينشر الموت والفزع ويحصد الأمان الذي ينشدونه.

لذلك انشغل مايك هاراري بدراسة شخصية الفدائي الذي بدا أسطورة كوالده. ولجأ إلى التحليل النفسي لدراسته سيكولوجيا، فربما يعثر على ثغرة تقوده إلى عرينه. وأخذ في تجميع كل معلومة عنه لتكشف سلوكه، وتحركاته المحتملة خارج بيروت، بعد اليأس الشديد من تعقبه بها لبراعة تخفيه المدهشة.

في تلك الأثناء اخترقت عميلة للموساد حجب الأسرار داخل قلب منظمة التحرير ببيروت، ووطدت علاقتها بكل من ياسر عرفات، وعلي حسن سلامة.

إنها الطبيبة الأردنية (أمينة داود المفتي)[1]، التي هاجرت مع زوجها الطيار النمساوي إلى إسرائيل، وهناك بدلت اسمها إلى (آني داود)، أو (آني موشيه) بعدما اعتنقت اليهودية في النمسا. وعندما أسقط السوريون طائرته الحربية، انتقمت أمينة له بالتجسس على الفلسطينيين في بيروت، وانخرطت في عملها التجسسي متسترة وراء عملها كطبيبة متطوعة في مخيمات اللاجئين.

تعرفت جاسوسة الموساد بفتى المنظمة المطلوب اغتياله، وما جرؤت للحظة على التفكير بالتقاط صورة فوتوغرافية مقربة له. فقد كان علي حسن سلامة حريصًا أشد الحرص على أمنه الشخصي، يرافقه في (الكورال بيتش) مسلحون لا يفترقون عنه. لكنها في إسرائيل أخضعت للجلوس ساعات وساعات أمام أمهر الرسامين، لرسم صورة تقريبية لملامحه وسمات وجهه المميزة .

لم يكن بين الصورة المكبرة القديمة ، وتلك الحديثة المرسومة ثمة تشابه يذكر. فالشاب الذي كان في ريعان شبابه وفتوته يتميز بوسامة مدهشة ورجولة جادة رصينة، مما أعجز عميلة الموساد عن وصف ملاحته، لكنها ربطت بين خطوط

---

(١) قصة حياة أمينة المفتي جاءت كاملة بكتابنا : (أمينة المفتي.. أشهر جاسوسة عربية للموساد) عن مكتبة مدبولي بالقاهرة، إصدار ٢٠٠٢ .

وجهه بوجه المغني الأمريكي (ألفيس بريسلي)، مطرب الجاز الشهير المنتحر، وعندما ركزت نظرها مليًا على عدة صور لبريسلي، عادت ونفت التشابه بينهما، قائلة إن سلامة أكثر وسامة ورجولة وإثارة. مؤكدة بأنها عجزت عن التوصل إلى تليفونه الخاص، برغم اختراقها لشبكة تليفون بيروت من خلال عضوي شبكتها اللبنانيين هناك.

هكذا وجد مايك هاراري نفسه أمام معضلة شائكة ، إلا أنه لم يستسلم يائسًا على كل حال. وخلال رحلة تحليله الأمني لشخصية الفدائي الجسور وتوقعات تحركاته المستقبلية، أفادت معلومات من فرانكفورت بأن (الوحش)، كما يسميه أصدقاؤه، وصل إلى باريس بعد جولة سرية في أولم وشتوتجارت، حيث يخطط لعملية انتقامية جديدة ضد إسرائيل.

أشل الرعب مفاصل هاراري وقادته في الموساد. فبعد مقتل الزعماء الفلسطينيين الثلاثة في عملية فردان، اضطلع سلامة بمسئولية (أيلول الأسود) مع قائده أبو إياد. ولأن أبو إياد لديه الكثير من المهام بصفته المشرف على الاستخبارات الفلسطينية (الرصد)، فقد أطلق يد سلامة للتخطيط والتحرك والعمل، مع توافر ميزانية سخية تغري بتنفيذ عمليات جريئة، مما يضفي مزيدًا من الهلع بسبب براعة سلامة في اختياره لمواقع عملياته التي لا تخطر ببال .

فريق القتل

وعندما ورت معلومات جديدة تفيد باحتمال توجه سلامة للدول الاسكندنافية، توقع هاراري أن عدوه اللدود يخطط لضرب إحدى سفارات إسرائيل هناك. وفي أول يوليو ١٩٧٣ كانت دول شمال أوربا تزدحم بعملاء للموساد، يحمل كل منهم صورة قديمة مكبرة للوحش الفلسطيني، الوسيم.

كان عميل الموساد المعروف (دانييل آربيل)[1] قد وصل إلى استوكهولم في ٤ يوليو

---

(١) دانييل آربيل : كان أحد المشتركين الرئيسيين في خطف سفينة اليورانيوم إلى إسرائيل. ولمزيد من التفاصيل عنه انظر الجزء الأول ص ٣٢٤ من كتابنا (حراس الهيكل) .

١٩٧٣ ومعه رفيقا القتل جوستاف بيستاور، وجان لوك سيفيتير، وأخذوا يمسحون شوارع العاصمة وفنادقها بحثًا عن سلامة. لكن دون فائدة. وقبلما يغادرون إلى تل أبيب، تلقوا أوامر جديدة بالتوجه فورًا إلى أوسلو.

كان رجال الموساد في كوبنهاجن قد راقبوا شابًا جزائريًا يدعى (كمال بن ماما)، واشتبهوا في أنه ربما قد جاء لمقابلة سلامة. وبشكل روتيني تم تعقب الجزائري الذي غادر إلى أوسلو بصورة مفاجئة. وعلى الفور تولى آربيل ورفيقيه مراقبته ليل نهار دون أن يغفلوا عنه للحظة.

وفي تل أبيب وضع هاراري خطته، واختار فريق عمله فبخلاف آربيل وبيستاور وسيفيتير، كان هناك كل من

- سيلفيا رافائيل : جنوب أفريقية الأصل، (٢٧ عامًا).
- نورا هيد نمساوية الأصل وتحمل جواز سفر ألمانيا، وحديثة العهد في الموساد (٢٥ عامًا)
- إفراهام جيهمر : (٢٧ عامًا) يهودي من أصل ألماني.
- جوناثان إنجلي (٢٩ عامًا)، يهودي من أصل روسي.
- ماريانا جلادينكوف : ألمانية الأصل، (٢٧ عامًا).
- رول كوسيني: يهودي مجري الأصل، ويحمل جواز سفر فرنسيا
- رودلف باهز : (٢٦ عامًا)، يهودي ألماني الأصل.
- جيرارد (جورج) لافوند انتحل شخصية يهودي فرنسي هاجر إلى إسرائيل بالفعل عام ١٩٧١، ولم يعرف الرجل الأصلي، إلا بعد ذلك، أن هناك رجلاً من الموساد يستخدم شخصيته في كل أنحاء العالم.
- زيفي شتاينبرج يهودي الأصل يحمل جواز سفر إيرلنديا.. وكان هو أول من وصل إلى وارسو للإعداد لاستقبال فريق القتل.

- ثامارا عميلة شرسة للموساد لم يعلن عن بقية اسمها. أخذها رئيس الموساد معه إلى أوسلو، وكانت منوطة باغتيال سلامة بمسدسها الكاتم للصوت، بمساعدة جوناثان إنجلي، نظرًا لكفاءتها العالية في استخدام السلاح.

فوجئ فريق القتل بأن الجزائري كمال بن مانا اشترى تذكرة بالقطار إلى ليليهامر Lillehammer ، وهي جزيرة سياحية صغيرة تقع بإحدى البحيرات النرويجية، على مسافة ١٧٠ كيلومترًا تقريبًا من العاصمة أوسلو.

وفي غمرة اندفاعه المحموم لاقتفاء أثر الفدائي الفلسطيني، نسى مايك هاراري أن هذه الجزيرة شبه المعزولة لا تصلح أمنيًا لسلامة ورفاقه، بل تصلح لأن تكون مصيدة له شخصيًا، ولفريقه الدموي المكون من أربعة عشر فردًا، الذي أرسله إلى الجزيرة دفعة واحدة خلف الشاب الجزائري، في حين أن ذلك يعد من الأخطاء القاتلة في عمل المخابرات، ولم يدرك رجل الموساد الخبير، هو أو رئيسه زيفي زامير الذي طار خلفهم ليشهد عملية القتل، أن سكان الجزيرة يعرفون بعضهم البعض جيدًا، ويكون أي وافد غريب هدفًا لتساؤلاتهم، وبالتالي عرضة لانتباه رجال الأمن .

الرعب الحقيقي

نزل بن مانا فندق سكوت القريب من المحطة ، يتبعه طابور من رجال الموساد يحصون عليه لفتاته وأنفاسه. وكان لوجود رئيس الموساد شخصيًا الأثر الواضح في ارتفاع معنويات الفريق الذي تصرف بثقة زائدة، وتجاوز بعض أفراده محاذير الأمن الأولية في سلوكيات عدة. فقد كان أغلب أعضاء الفريق يمارسون مهامهم للمرة الأولى، وكان هذا إخفاقا فاضحا في خطة هاراري يضاف إلى إخفاقات عديدة أنهت العملية بفضيحة عالمية مدوية

كان رئيس الموساد في أوسلو متخفيًا باسم مزور، يرافقه حارسه الشخصي ومعاونه، بخلاف العميلة ثامارا ذات الأعصاب الفولاذية، التي سافرت إلى ليليهامر على الفور للحاق ببقية الفريق. وتصادف في ذلك الوقت أن قام فلسطينيون مسلحون باختطاف طائرة يابانية كانت في طريقها من أمستردام إلى طوكيو، حيث طاروا بها

إلى بني غازي، وجرى نسفها على أرض المطار هناك. ذعر رئيس الموساد، وجن جنون هاراري. فها هو النشاط الفلسطيني يتجه إلى الدول الاسكندنافية.. وربما كان سلامة الموجود في الجزيرة المنعزلة يخطط لعمليات أكثر دراماتيكية ضد إسرائيل ومصالحها في المنطقة.

غادر الجزائري كمال بن مانا الفندق، حيث اتجه إلى مقهى هادئ يطل على ميناء صغير للمراكب، للقاء رجل عربي حسن الهندام في نحو الثلاثين من عمره كان ينتظره . وكان ثلاثة من أفراد فريق القتل يتبعونه من بعيد. بالإشارات تحرك جوستاف بيستاور بثقة ودخل المقهى ، متخذا مجلسه قبالة الرجلين من بعيد. من خلف عدسات نظارته السوداء أخذ يحملق في صديق بن ناما. جريدته التي تظاهر بتصفحها بدأت ترتجف بين أصابعه بشكل واضح. فالرجل الذي كان ينتظر بن ناما هو بعينه.. الأمير الأحمر علي حسن سلامة.

صورة سلامة التي كانت بجيبه انطبعت في مخيلته، ولم تسعفه الشجاعة ليمد يده وينظر إليها في وضعه الشديد الصعوبة على نفسه. تصور الإسرائيلى الهلوع أن نزلاء المقهى القلائل كلهم من رجال سلامة، ولما انتبه إلى ارتجاف ساقيه لا إراديًا، تخوف أن يلاحظ ذلك أحد الجالسين.. بل خاف أيضًا أن يقوم ليخرج فيسقط أرضًا من الهلع. لذلك لزم مكانه يرتجف محاولا قدر جهده السيطرة على أعصابه المفككة المنهارة. وعندما نظر إليه الرجل العربى نظرة عابرة سريعة، ضغط العميل الخائر بيديه على مسندي المقعد استعدادًا للهرب، والركض عند اللزوم بكل قواه، بعيدًا عن رصاصات هذا الوحش الذي يرعب إسرائيل وينسف أمنها في الداخل والخارج.

يعترف جوستاف الجسور بعد ذلك أنه قال في نفسه

(.. .. كنت مذعورًا لا أكاد أتحرك من مقعدي.. فقدت السيطرة تمامًا على أطرافي الأربعة وشعرت بأن الموت قريبًا جدًا مني. فالرجل الذي أمامي بعبع إسرائيل المخيف.. قتل بيديه عشرات اليهود.. وحرم إسرائيل من الاشتراك في الدورات الأوليمبية.. خطف الطائرات.. واقتحم السفارات.. وقتل السفراء

والدبلوماسيين.. وتعقب ضباط الموساد في أوربا وقتلهم. فماذا حدث لي عندما فوجئت بهذا الرجل أمامي..؟

لقد انحشرت في مقعدي لأكثر من ثلثي الساعة أرتجف.. لا أفكر وقتها سوى في كيفية خروجي من المقهى.. تصورت يومها أنني لن أغادر مكاني حيًّا.. فالرجل لديه حاسة شم قوية فيكتشف اليهود ويقتلهم.. لقد كنت أجلس كالميت بالقرب من سلامة الذي دوخ الموساد.. ورصدت ملايين الدولارات لقتله. وعندما غادرا المكان قبلي عدت إلى الحياة من جديد.. هززت رأسي بعنف مرات لأفيق.. ثم قمت وكانت أطرافي ما تزال ترتجف.. وعرقي يتفصد بغزارة..)!

كان هاراري الجالس في سيارته بالقرب من المقهى قد راقب الرجل جيدًا، وانتابه بعض الشك في ألا يكون هو الهدف المقصود. فالصورة الوحيدة لعلى سلامة كانت قديمة، وكان لا بد من تأكيد حاسم يزيل هذا الشك.

يقول الباحث الإسرائيلي (ديفيد تينيني) عن هذا المأزق:

(.. خرج الرجلان من المقهى. ابتعد سلامة بإحدى الدراجات وغادر الجزائري ليليهامر في اليوم التالي مبكرًا، في إثره سيلفيا رافائيل، وإفراهام جيهمر، ودانييل آربيل لمراقبته من جديد في أوسلو، وأعاد هاراري تنظيمهم من جديد في المساء.

لقد كان على هاراري أن يلتقي في الليلة نفسها مع بن مانا. وتحت التهديد الوحشي عصره هاراري بنفسه من الأسئلة، فأكد الرجل المذعور بأن صديقه هو علي حسن سلامة[1].!!

اختفى الأمير الأحمر بإحدى الشقق في منزل مكون من تسعة طوابق. ومن بعيد لاحت النهاية المأساوية

---

(١) هكذا تدعى الموساد لمحاولة تخفيف صدمة الخطأ الاستخباراتي الجسيم. فالادعاء من قبيل الكذب والمبالغة ولا يمت للواقع بصلة.

حاصر رجال هاراري البيت ومخارج الجزيرة تحسبًا لخروج سلامة. كانت هناك أربع سيارات للمراقبة، ولدى كل واحد جهاز راديو ورقم للتحديد. ووصل زيفي زامير حيث استقر بمدينة هامار Hamar التي تبعد مسافة ٥٧ كيلومترًا جنوب ليليهامر، ينتظر الأنباء السارة.

وعند الساعة السابعة مساء السبت ٢١ يوليو ١٩٧٣، غادر سلامة المنزل يتأبط ذراع حسناء أجنبية حامل. استقلا أتوبيسًا يتجه ناحية الشمال من المدينة، أنزلهما بالقرب من المنطقة التجارية والسوق. وشوهدا يدخلان السينما حيث كان يعرض فيلم أمريكي عن الحرب العالمية الثانية، اسمه (النسر الشجاع). يحكي الفيلم قصة جنرال أمريكي تم تحريره من الأسر في معتقلات الألمان.

بحرص شديد ودون إثارة الانتباه، دفعوا حساب الفنادق والشقق، وحزموا حقائبهم، وحجزوا تذاكر القطارات، وحددوا ساعة الصفر لعملية التنفيذ والتغطية والانسحاب.

خرج سلامة والمرأة الحامل من السينما. ركبا الأتوبيس إلى أقرب محطة من البيت. كانت المسافة بين البيت والمحطة تقارب المائتي متر، تبدو الإضاءة بها خفيفة إلى حد ما، وتكاد المنطقة تكون هادئة جدًا في الليل لوقوعها في الطرف الآخر من المدينة.

اقتربت منهما ببطء سيارة مازدا يقودها رودلف باهز، ومع ضغطة الفرامل قفز منها رجل وامرأة، جوناثان إنجلي وثامارا. صوبا مسدسيهما المزودين بكواتم للصوت ناحية سلامة، صرخت السيدة الحامل بفزع (لا.. لا..)، وحاول الشاب أن يركض هاربًا، لكن الطلقات كانت أسرع. أصابته رصاصات جوناثان الست في بطنه. سقط على الأرض يتلوى زاحفًا. كان ما يزال يفكر بالهرب والنجاة. فصوبت ثامارا مسدسها، ناحية رأسه، وضغطت زنادها فتناثرت في الحال أجزاء من عظام جمجمته. وبالرغم من ذلك أخرجت مسدسًا آخر في سرعة البرق، وأفرغت رصاصاته الست التي مزقت القفص الصدري للشاب المسكين واخترقت القلب والرئتين.

أخرست نظرة تحذير جادة السيدة الحامل. كان الموت يلامس جلدها ولذلك امتدت يدها بتلقائية شديدة إلى فمها لتحبس صراخها الهلوع المكتوم.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة مساء، واستغرقت العملية ثوان لا تزيد عن خمس وعشرين ثانية. وبعدما انطلقت سيارة الجناة هاربة، ارتفع صوت السيدة المذعورة بالصراخ الذي تردد في جنبات الحي الهادئ. وقبلما تصل سيارة الإسعاف كان الرجل البريء قد همدت حركة أطرافه المرتعشة.. ومات.

غادر أعضاء الفريق ليليهامر بعدما توزعوا على السيارات المستأجرة والقطارات. كان الجميع يشعرون بسعادة غامرة لنجاح مهمتهم. وصلوا إلى أوسلو فالتقى رئيس الموساد بهاراري وهنأه على مهارته وشجاعة فريقه.. واستعرض القاتل لرئيسه في وصف تفصيلي دقيق خطوات تنفيذ العملية خطوة بخطوة. شربا معًا نخب النجاح بعدما اطمئنا على وصول الخبر السعيد إلى إسرائيل، الذي قام بإبلاغه ميشيل دوف مسئول الاتصال، وغرق كل منهما في سبات عميق بعد حرمان طويل من النوم.

بانتهاء عملية الاغتيال انقطعت الاتصالات بين أفراد الفريق وهاراري. فترتيبات مغادرة النرويج كانت قد أعدت مسبقًا، طبقًا لتقديرات وحسابات معينة، وعلى عدة رحلات جوية إلى عواصم مختلفة. وكان من المقرر أن يغادر رئيس الموساد أوسلو بطريق الجو، منتصف نهار الإثنين ٢٣ يوليو برفقته مايك هاراري.

الحصار في أوسلو

فضل زامير البقاء في النرويج ليوم ونصف بعد إتمام العملية، ليشهد بنفسه بقية فصول القصة النهائية، وليطمئن على خروج سلامة جثة هامدة في صندوق ليدفن في لبنان أو سوريا. لذلك نام قرير العين يفكر بالتكريم الذي سيحظى به عند عودته لإسرائيل، واللقاء المثير بينه وبين جولدا مائير، التي ستقبل جبينه بلا شك مع أعضاء فريقه امتنانًا وعرفانًا.

لكن المفاجآت الصاعقة أخذت تتوالى منذ الصباح.. إذ أعلنت وسائل الإعلام النرويجية نبأ الاغتيال الوحشي الذي وقع في ليليهامر، وراح ضحيته الشاب المغربي

الأصل (أحمد بوشيقي) [1] ، المتزوج من الممرضة النرويجية (توريل) Torril ، والذي يقيم في ليليهامر منذ أربع سنوات حيث يعمل جرسونًا في أحد مراكز الاستشفاء.

أضاف النبأ الـذي تناقلتـه الإذاعـة وقنـوات التليفزيـون المحليـة، أن السـلطات الأمنية تتعقب الجناة، وهم عدة رجال وامرأة، كما أفادت بذلك زوجة القتيل.

أصيب زيفي زامير بالصدمة الارتجاجية المذهلـة، وجـن جنـون هـاراري. أمـا في إسرائيل فقد كان الوضع هناك أسوأ وأسوأ، وينذر بكارثة لم تحدث من قبل. فرئيس الموساد محاصر في أوسلو ومعه أغلب أفراد فريقه. أما علي حسن سلامة فقد نجا مـن القتل، ولم يكتف بذلك بل خطط بمهارة لاصطياد رئيس الموساد شخصيًا، وأوقعه في مصيدة محكمة أرعشت العقول في إسرائيل. فمعنـى كشـف زيفـي زامـير واعتقالـه في أوسلو حدوث أزمة لا حدود لها، وفضيحة مدوية لم تشهد إسـرائيل أو أي دولـة في العالم شبيهًا لها من قبل.

فعند إعادة إحدى السيارات المستأجرة، ألقت الشرطة نهار الأحـد القبـض علـى دانييل آربيل وماريانا جلادينكـوف، وفشـل كـل منـهما في تـبرير سـبب وجـوده في أوسلو، واختلقا قصصًا وهمية لم تقنع رجال الأمن. احتجـز آربيـل انفراديًـا بحجـرة صغيرة تقع ببدروم مركز الشرطة، لكنه صرخ مذعورًا مطالبًا بإخراجه ليعـترف. لقد كان عميل الموساد مريضًا بمرض الخوف من الأماكن المغلقة Claustrophobia، ممـا سهل اعترافه السريع بمهمتـه الحقيقيـة في الـنرويج، حتـى أنـه أرشـد عـن زميليـه أفراهام جيهمر وسيلفيا رافائيل.

بإلقاء القبض عليهما عُثر بأوراق سيلفيا على رقم تليفون داخلي، دل الشرطة على ميشيل دوف الموظف بالسفارة الإسرائيلية بأوسـلو، وعنـد القبـض عليـه وجـد عنـده زيفي شتاينبرج فاعتقل هو الآخر.

---

(١) أحمد بوشيقى : ولد عام ١٩٤٥ فى الدار البيضاء ، تعرف على الفتاة النرويجيـة (توريـل) بطريـق المراسـلة والتعارف ، وبعد فترة من تبادل الخطابات والصور تحابا على الورق ، ثم التقيا فتزوجا ، وغادر المغرب ليعيـش معها فى جزيرة ليليهامر . وأبت توريل إلا أن يدفن فى النرويج بالقرب من طفلها القادم .

أعلنت الشرطة النرويجية نبأ اعتقال ستة من عملاء الموساد اشتركوا مع آخرين غادروا البلاد، في اغتيال الجرسون المغربي بطريق الخطأ. إذ ظنوا بأنه فدائي فلسطيني يخطط لإحدى العمليات (الإرهابية) ضد إسرائيل.

كانت هذه صدمة ارتجاجية ثانية أصابت رئيس الموساد المذعور والمحاصر في العاصمة الاسكندنافية. وبالرغم من الصداقة الوثيقة التي تربط جهازي استخبارات البلدين، رفضت الاستخبارات النرويجية التدخل لحماية الفريق الإسرائيلي نظرًا لعلنية الحادث. عندئذ لجأت جولدا مائير لأمريكا، وتدخلت المخابرات المركزية لتأمين خروج رئيس الموساد ومايك هاراري بسلام إلى إسرائيل.

كانت أخطاء عملية ليليهامر فادحة، انتهت بفضيحة أطلق عليها في إسرائيل اسم (ليل هامار) أي ليلة المرارة. فقد أخطأت الموساد في السعي وراء رجل كالشبح لا يعرف له أحد ملامح مؤكدة، وكانت أدلة العثور عليه في ليليهامر واهية هشة. إلى جانب اختيار بعض أفراد غير مدربين[1]، وكارثة دانييل آربيل المريض النفسي الذي لم يكتشفوا مرضه هذا من قبل. فضلاً عن المخاطرة باحتجاز المواطن الجزائري كمال بن مانا، وتواجد رئيس الموساد شخصيًا في موقع العملية. مما هيأ لأعضاء الكنيست الفرصة للهجوم بعنف على مؤسسة الموساد، واتهام قيادتها بالفشل في التخطيط والتنفيذ، وإحراج إسرائيل دوليًا بخلق أدلة لا تقبل الجدل على انتهاك مخابراتها لسيادة الدول الصديقة، بارتكاب جريمة قتل بشعة لشخص بريء، وانتصار ساحق للمخابرات الفلسطينية التي ضللت الموساد على مرأى من العالم.

وبرغم الاحتجاج الرسمي النرويجي، حاولت الحكومة الإسرائيلية إنكار تدخل الموساد في جريمة ليليهامر. لكن اعترافات العملاء الستة ، كانت تربك إسرائيل يومًا

---

(١) هذه الأخطاء تنفي الأساطير التي روجت عن وحدة (السايريت)، وتؤكد كذب ادعاءات الموساد عن عبقرية رجالها، الذين وضح هنا بشكل أكيد أنهم متطوعون لا صلة لهم بالمهارة أو القوة أو الذكاء .

بعد يوم. إلى أن قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣، وادعت إسرائيل بأن عملية ليليهامر كانت مدبرة من قبل المخابرات المصرية، لإبعاد الأنظار عما يحدث على جبهة القتال في مصر.

رزقت أرملة (بوشيقي) بطفلة جميلة أسمتها : (مليكة) ، وقدم العملاء الستة للمحاكمة العلنية في أوسلو. وفي ٥ فبراير ١٩٧٤ وسط ضجيج إعلامي دولي أصدرت أحكامًا بالسجن لمدد تتراوح ما بين خمس سنوات ونصف إلى سنة واحدة على خمسة أفراد فقط وهم :

سيلفيا رافائيل[١] : ٥ سنوات ونصف .

أفراهام جيهمر : ٥ سنوات ونصف.

دانييل آربيل ٥ سنوات.

ماريانا جلادينكوف : عامين ونصف .

زيفي شتاينبرج : سنة واحدة .

أما موظف السفارة الإسرائيلية في أوسلو، ميشيل دوف، فقد حصل على البراءة وطرد فورًا إلى خارج البلاد.

وفي إسرائيل طرد أيضًا زيفي زامير ومعه عشرة من كبار ضباطه في الموساد، تحت إدانة دولية وفضيحة زلزلت الكيان الصهيوني، خاصة بعد اجتياح خط بارليف في أكتوبر ١٩٧٣.

وعندما كانت إسرائيل غارقة في محنة الفشل ومرارة الهزيمة، كان علي حسن سلامة غارقًا في بحور المتعة والفرح، مع حبيبته الأسطورية جورجينا رزق[٢] ، ملكة

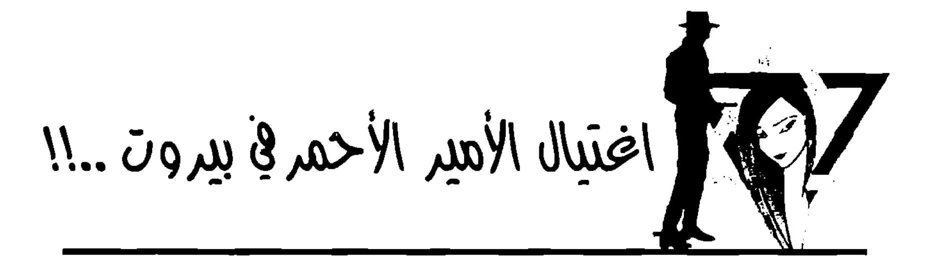
(١)تزوجت سيلفيا من محاميها النرويجي بعد الإفراج عنها ، ورفضت السلطات منحها الإقامة فهاجرت مع زوجها إلى جنوب أفريقيا .

(٢)جورجينا رزق : ولدت في بيروت عام ١٩٥٣ لأب لبناني وأم مجرية. وفي عام ١٩٦٩ فازت بلقب ملكة جمال لبنان وهي في السادسة عشرة من عمرها. ثم اختيرت (ملكة جمال الكون) عام ١٩٧١. عملت كفتاة إعلان ثم عملت في السينما. وكانت ذات جمال نادر، يحلم بامتلاكه الرجال في شتى المعمورة. حتى أن (جيمي كارتر) حاكم ولاية جورجينا، وقبل أن ينتخب رئيسًا، تمنى رؤيتها، وسعى إلى أن رآها والتقطت له الصور معها .

جمال لبنان، ثم ملكة جمال الكون. وهل هناك أروع من أن يمتلك الإنسان كل بهاء الكون وسحره بين يديه..؟

لكن سلامة بالرغم من ذلك لم يهدأ أو تضعف ضربات عملياته.. فقد كان قد تشرب الثورية جنينًا، وشب لا يفكر سوى في وطنه الذي كم حلم بالرجوع إليه يومًا. وعلى ذلك واصل كفاحه المسلح بعزم وقوة، وبقى على رأس قائمة الانتقام التي خطها الخوف الإسرائيلي..!!





اغتيال الأمير الأحمر في بيروت ..!!

كانت عملياته الفدائية تصيب إسرائيل بالشلل.. وتشعل حرائق الهلع في عقول رجال الموساد وقلوبهم. وطوال عقد من الزمان طاردوه.. وتعقبوا تحركاته واتصالاته.. حتى أنهم أنفقوا الملايين لاصطياده.

لكن الفدائي العربي كان كالشبح المهلك لا يخاف الموت.. حكمت عليه جولدا مائير بالإعدام وماتت والخوف يسربلها من ضرباته القاسية.. الواثقة..!!

لا تدعوني أسقطه

بعد فضيحة ليليهامر المدوية، تردد في الموساد أن علي حسن سلامة خطط بذكاء لإحراج إسرائيل في دول أوربا الاسكندنافية، لذلك رتب مع عملاء متطوعين أن ينخرطوا مع الموساد من خلال سفارتين مختلفتين، وكانت مهمتهم تزويد الإسرائيليين بسلسلة من التواريخ والمواقع التي تظهر تحركاته. ليست تحركاته الحقيقية بالطبع، وإنما التي أراد من الموساد أن تصدقها. وكانت عملية ليليهامر إحدى عملياته السرية الناجحة لإظهار مدى غباء رجال الموساد، وفضح الاستخبارات الإسرائيلية على مستوى العالم.

فيما بعد ، اعترف سلامة في حديث نادر له ، قائلاً:

(كنت في أوربا بالفعل عندما قتلوا بوشيقي في ليليهامر. كان بوشيقي موظفًا في Hallenbad ، ولم يكن يشبهني وجهًا أو هيئة. لكن المخابرات الإسرائيلية تستخدم رجالاً أغبياء للمهام الإرهابية، وهي تحاول بكل طريقة، أن تقتل الفلسطينيين على سبيل الدعاية. فحياتي لم تكن آمنة بسبب مهارتي، ولكن بسبب الضعف في المخابرات الإسرائيلية).!!

وتقول عميلة الموساد (إيريكا تشامبرن) عن (علي حسن سلامة) ، أثناء إعدادها لاغتياله :

(تحولت الرغبة عندي، وغريزة اصطياد سلامة إلى حالة هوس. لقد درست كافة الملفات الخاصة به.. وغصت في تفاصيل وجهه المرح.)!

إن الكلمات التي يصفه بها مدرسوها في الموساد، وعلى رأسهم مايك هاراري، لها صداها في أذنيها وعقلها:

(قالوا لي أنهم لم يسبق لهم التعامل مع (عدو خبيث ذكي)، مثل سلامة. فهو لا يبدو مثل هؤلاء العرب الذين يدينون بمذهب الجبرية، ولهم كروش ولحية

كثة. إنه شخص من نسيج آخر متوهج، ماكر، أسطورة في الدهـاء والمراوغـة، واع بأهدافه مدرك لأغراضه .

حذروني منه ومن إثارته، قائلين إنه قاس وجذاب.. وأن أي امرأة يلفها حول إصبعه.

قـالوا لي أيضًـا إن سـلامة متحـدث لبـق.. يجيـد الفرنسـية بطلاقـة أكـثر مـن الإنجليزية والألمانية. يـهوى تدليـل النسـاء ويستمرئ دغدغـة الأعصـاب بلعـب الروليت، ويغير الشقق كما يغير ملابسـه. ولـذا لا يسـتطيع أحـد أن يتعقبـه، أو التكهن بخططه وتحركاته. وبالرغم من انشغاله الدائم فهو أنيق، شاعري، لديـه حاسة شم تقـوده إلى الخونـة ويقتلـهم بـلا رحمـة.وفي ذات الوقـت فـهو سياسـي يتعاون مع منظمة الجيش الأحمر الإيرلندي، ويلتقـي بزعيمـها سـتيللور، وكـذا بالفريق الأحمر (الألويـة الحمـراء) في إيطاليـا، والانفصـاليين الباسـك في منظمـة Eta، ووثيق الصلة بقيادة عصابة بادر ماينهوف الألمانية.)! !

إثر عملية اقتحام السفارة السعودية في الخرطوم أول مارس ١٩٧٣، وقتـل السـفير الأمريكي والقائم بالأعمال في بدروم السفارة، حدث تقارب بـين المخـابرات المركزيـة ومنظمة التحرير الفلسطينية، لم يعرف به الإسرائيليون لفترة طويلة. ويبدو أن سلامة أعطى وعدًا، لذلك، ظل سـفراء أمريكـا في بـيروت وغيرهـا مـن عواصـم دول الشـرق الأوسط الأخرى، دون أن يصيبهم أذى. وتطورت العلاقـة بـين سـلامة ورئيـس فـرع المخابرات المركزية في بيروت (روبرت آميس)، ثم مع خلفه (تشارلز ووترمان)، الذي حكى له سلامة: (لقد رجانـا الـروس أن نخطفكـم. وأظـن أن هـذا يخـالف الاتفـاق المكتوب بين الجهازين العملاقين، الذي نص على ألا يهاجم العملاء عمـلاء الطـرف الآخر).

وأدرك ووترمان مغزى الكلام الذي لم يكن بحاجة إلى شرح. فحادث مقتل السفير الأمريكي وزميله بالخرطوم كان ماثلاً للأذهان. ومن بعده كان هنـاك اتجـاه أمريكـي قوي لفتح قناة اتصال مع الفلسطينيين. ومع انعقاد مؤتمـر القمـة العربيـة بالربـاط في

أكتوبر ١٩٧٤، والإقرار بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، تبدلت الأوضاع كثيرًا، وفي نوفمبر ١٩٧٤ بردائه العسكري ومسدسه، دخل ياسر عرفات الأمم المتحدة في نيويورك، وألقى كلمته التي استمرت تسعين دقيقة وسط تصفيق حاد منقطع النظير:

(جئت اليوم ومعي غصن الزيتون في يد، وسلاح الثورة في اليد الأخرى.. لا تدعوني أسقط غصن الزيتون من يدي..).!!

أقرت الجمعية العمومية مشاركة منظمة التحرير كعضو، في مناقشة المشكلة الفلسطينية. وأعلن مندوب إسرائيل يوسف تيكوا الذي غادر القاعة: **(ستتعقب إسرائيل القتلة من منظمة التحرير الفلسطينية، ولن تسمح في أي جزء من إسرائيل أن تصل إليه سلطة المنظمة. ولن تتحمل منظمة التحرير الفلسطينية نفاذ صبر يهود إسرائيل.**

لقد قتل النازيون ملايين اليهود في معسكرات الإبادة، وقتل عرفات أيضًا الأطفال اليهود. والآن يحاول أن يقهر الدولة اليهودية بحجة إقامة دولة فلسطين الديمقراطية. إن قتلة الرياضيين في ميونيخ، وقتلة الدبلوماسيين في الخرطوم لا ينتمون وبكل بساطة لهذا المجتمع الدولي.)!

وعلقت إسرائيل على لسان وزير خارجيتها، بأن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة غير قانوني. وأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست منظمة تحرير وطنية، بل عصابة من القتلة.

وفي مساء اليوم نفسه ، دعا سفير مصر في الأمم المتحدة عصمت عبد المجيد، الوفد الفلسطيني الذي يزيد عن مائة فرد، إلى قاعة الطعام في المبنى الرئيسي للأمم المتحدة، في حفل أشبه باحتفالات النصر، وكان هناك شاب أنيق حرص على أن يكون دائمًا إلى القرب من عرفات، ولا يكاد يبعد عينيه عنه للحظة واحدة. كان هو علي حسن سلامة، رئيس الأمن والمخابرات في منظمة فتح، وقائد القوة (١٧)، وعدو إسرائيل اللدود.

اتفاق C.I.A وسلامة

فيما بعد ، وفي خريف ١٩٩٨ ، نشرت صحيفة هاآرتس الإسرائيلية حوارًا أجرته مع (فرانك أندرسون)، الرئيس السابق لشئون الشرق الأوسط في الـC.I.A ، قال فيه حول علاقة منظمة التحرير الفلسطينية والمخابرات المركزية: **(بدأت العلاقة بين الطرفين قبل نحو ٣٠ عامًا، وفي عام ١٩٧٤ بعد حادث السفارة السعودية في الخرطوم، كان هناك تنسيق مع (علي حسن سلامة)، أسفر عنه اتفاق بإيقاف المنظمة لأي عمل عسكري يستهدف إسرائيليين خارج إسرائيل، مقابل اعتراف أمريكي بالمنظمة. كان المسئول عن الجانب الأمريكي روبرت أميس، الذي ارتبط مع المسئول الفلسطيني، سلامة، بعلاقات متينة، وبعد مقتل سلامة تولى الأخوين هاني وخالد الحسن فتح قناة مع الـC.I.A مجددًا أواسط الثمانينيات.)!**

وبعد أسبوع واحد من انضمام منظمة التحرير الفلسطينية للأمم المتحدة، والاعتراف الدولي بحق العودة للاجئين، وقع هجوم مسلح على شمال إسرائيل، تلاه اختطاف طائرة مدنية بريطانية في دبي، أقلعت وعلى متنها ٤٧ رهينة إلى تونس، حيث طالب الفدائيون بالإفراج عن ثلاثة عشر من رفاقهم في السجون المصرية، والإيطالية، والهولندية، وقتلوا يهوديًا ألمانيًا وألقوا بجثته على أرض المطار. وبعد إذعان القاهرة لمطالبهم، وافقت تونس على منحهم حق اللجوء السياسي.

وبنهاية يناير ١٩٧٥ ، أعلنت منظمة التحرير رسميًا ، في مؤتمر صحفي حاشد عقده أبو إياد، أن مختطفي طائرة دبي قد حكم عليهم بالسجن لسنوات طويلة ، **(إنني أعد بأن هذه الحادثة العارضة.. ستكون الأخيرة من نوعها في أيامنا هذه..)**. ومن دمشق ترددت الأنباء عن أن منظمة التحرير الفلسطينية ، نفذت أحكامًا بالإعدام ضد مختطفي الطائرات المدنية ، الذين قتلوا رهائن أبرياء من المدنيين.

انقلبت المعايير كثيرًا وتبدلت الأوضاع، وانتهت (أيلول الأسود) تقريبا ، باشتعال الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥.

ففي أواخر أبريل من ذلك العام ، اندلعت الحرب الأهلية بشراسة، واستغلتها قوى عديدة من خارج لبنان لتدفع بها إلى قمم الدمار والتفكك والخطر. لذلك لجأ روبرت أميس إلى علي حسن سلامة لإنقاذ الرعايا الأمريكيين من القتل في ظل غياب أمني كان يعم لبنان وقتها.

نجح ديفيد أجناثيوس المراسل النشط لجريدة (وول ستريت جورنال)، في انتزاع حديث مع روبرت أميس قال فيه معترفًا : **(كنت مكلفًا من قبل مجلس الأمن القومي بالاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية. وتعمقت الاتصالات بين أمريكا والمنظمة بعد خطاب عرفات الشهير في الأمم المتحدة. لذلك لجأنا لعلي حسن سلامة عام ١٩٧٦، عندما واجه الأمريكيون خطر الحرب الأهلية اللبنانية، إذ عمل بإخلاص على خروج جميع العاملين بالسفارة الأمريكية بسلام، وترحيلهم إلى واشنطن. وهذا ما صرح به الرئيس جيرالد فورد، وما صرح به أيضًا عرفات، الذي أعلن في لقاء صحفي أن فورد وجه خطابًا رسميًا يشكر المنظمة لما بذلته من جهد لحماية حياة الأمريكيين.)**. !

أما هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي السابق، فقد كشف في مذكراته (سنوات الجيشان)، عن أنه بعد ستة أسابيع من مقتل السفير الأمريكي في الخرطوم، اجتمع نائب مدير الـ C.I.A فرنون وولترز، وسلامة ، وتوصل الرجلان إلى عقد اتفاق (عدم اعتداء) بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير ، وتوقفت الهجمات الفلسطينية على الأمريكيين.

استشاط غضبًا رئيس الموساد الجديد إسحق حوفي (١٩٧٤ - ١٩٨٢)، عندما علم بالاتفاق السري الذي وقعه وولترز مع سلامة، وكانت هناك تحذيرات حاسمة من واشنطن، التي ضغطت على تل أبيب لمنع إذاعة أخبار الاتفاق. لذلك فقد حبس الأمر لسنوات قبل الإعلان عنه، وبقيت الموساد تتجرع الألم لتصرف الأمريكيين. وكانت الدهشة الممزوجة بالصدمة تجتاح إسحق حوفي، الذي تعجب من قبول C.I.A التعامل مع الأمير الأحمر، بعد أسابيع معدودة من قتل السفير الأمريكي في الخرطوم

على يديــه. لكــن الـذي تجاهلـه حـوفي هـو أن لعبـة المصالح بـين أمريكـا والمنظمـة الفلسطينية كانت فوق كل اعتبار. وكفدائي شجاع وسياسي ذكي، سعى علي حســن سـلامة لصـالح شـعبه المطـارد. وفي سـبيل إنجـاح قضيتـه كــان يخــوض في شــتى الاتجاهات، ولو بالتحالف مع الشيطان الأكبر، أمريكا.

يقول رئيس مكتــب C.I.A في بـيروت وليـام بـاكلي[1] **(إن سـلامة لعـب دورًا مهمًا في كسب مودة الولايات المتحدة وعقلها لمصلحة منظمة التحرير الفلسـطينية. كان ذا شخصية كاريزماتيكيــة ويجيـد الإقنـاع. وكـان يعـرف متـى يتكلـم ومتـى يصغي.)!**

أخطاء سلامة القاتلة

امتد نشاط علي حسن سلامة السياسي إلى الدول الأوربيــة أيضًـا، ولقـى احترامـا بالغا وإعجابا شديدا عندما تولى نقل ٢٦٣ من الرعايا الغربيين من غــرب بـيروت إلى بر الأمان. ويبدو أن إسرائيل جاهدت لإنـهاء العلاقات بين أمريكـا ومنظمـة التحريـر الفلسطينية، بالإيعاز لإحدى الفصائل اللبنانية بضرب طائرة هنري كيسنجر، خــلال رحلاته المكوكية إلى بيروت. لكن سلامة اكتشف المؤامرة وحذر المخـابرات المركزيـة. وانتشرت نكتة دبلوماسية في بيروت تقـول: (هنيئًـا لمـن يسـكن في مبنـى يقيـم فيـه دبلوماسي أمريكي، لأن الحماية الفلسطينية التي يوفرها سلامة ممتازة..)!

---

(١) وليام (بيل) باكلي: مدير الـC.I.A في بيروت، وأحد كبار خبراء المخابرات المركزية في شئون الشرق الأوسـط على مدى ثلاثين عامًا. اختطف في بيروت بواسطة حزب الله في مارس ١٩٨٤، وكـانت نقمـة الأمريكيـين زائـدة عندما تبين أن باكلي قد تعرض للتعذيب الشديد طوال ١٥ شهرًا قبل أن يقتـل ويقـذف بـه مربوطًا بسلاسله في إحدى مناطق بيروت. وعندما اختطفت إسرائيل الشيخ عبد الكريم عبيد، أحد قيادات حزب الله، في ٣١ يوليــو ١٩٨٩، أرسلت الـC.I.A فريقًا لاستجواب عبيد، ومعرفة الدولة التي نقل إليها حزب الله اعترافات بـاكلي الـتي تجاوزت الأربعمائة صفحة، كشفت تركيبة الـC.I.A ، وأسماء عملائها في الشرق الأوسط وخارجـه. كذلـك لمعرفـة مدبر عملية تفجير السفارة الأمريكية ببيروت عام ١٩٨٣.!!

وبسبب ذلك ، تنبأت الـ C.I.A للشاب الفلسطيني المفرط الذكاء، أن يصعد نجمه بسرعة الصاروخ في منظمة التحرير، لما يتمتع به من فكر واع وإلمام بخبايا السياسة ولعبة التوفيق بين المصالح. وبعد محاولة فاشلة لاغتياله في ٨ أكتوبر ١٩٧٦، لم تظهر تفاصيلها حتى الآن، دعاه صديقه فرنون وولترز نائب مدير الـ C.I.A لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية. بالفعل، سافر سلامة وبرفقته زوجته جورجينا رزق، وبعد زيارة لمبنى المخابرات المركزية في ضاحية (لانجلي) بفرجينيا ، قضى سلامة عدة أيام في

لوس أنجلوس، ونيو أورليانز، ثم طار إلى هاواي في إجازة للحب مع ملكة جمال الكون.

لكن.. هل نسيت الموساد خلال تلك الفترة علي حسن سلامة..؟ وهل نبذ سلامة الكفاح المسلح ضد إسرائيل..؟ لا.. لم يحدث ذلك على الإطلاق، كانت هناك فقط مرحلة ترقب مؤقتة. فإسرائيل لم تنس مذبحة ميونيخ وحكم الإعدام الذي أصدرته جولدا مائير على سلامة. فبرغم استقالتها في أبريل ١٩٧٤ واعتزالها الحكم والسياسة، كانت تتصل بين فينة وفينة برجال الموساد لتطمئن على مدى سريان أمرها السابق. وكانت تتلقى تأكيدات في كل مرة بأن الأمير الأحمر لن يفلت من تنفيذ الحكم، مهما طال الزمن.

أما علي حسن سلامة، فبرغم ذكائه الخارق وحساسية موقعه، تخلى عن الحس الأمني الذي اشتهر به ، وأنقذه كثيرًا من محاولات لاغتياله، ووقع في عدة أخطاء قاتلة، سهلت مهمة الموساد في الوصول إليه بعد ذلك:

– بسفره العلني وظهوره مع ياسر عرفات في نيويورك عام ١٩٧٤، أتاح الفرصة الذهبية للموساد للحصول على صور فوتوغرافية مقربة وحديثة له، ومن جميع الزوايا.

- تزوج من ملكة جمال العالم جورجينا رزق، ابنة العائلة المسيحية الكبيرة في لبنان، وهي كشخصية عامة كانت تعمل بالفن قبل زواجها منه، لم يكن من الصعب تجاهلها إعلاميًا وشعبيًا، وبات عنوانها معروفًا لغالبية سكان بيروت.

- أقام سلامة مع زوجته الجديدة بإحدى البنايات التي تحيطها عمارات مرتفعة، متخليًا عن المواقع الاستراتيجية التي تؤمن سرية إقامته وتحركاته، وأصبح بذلك مكشوفًا للجميع.

- زواجه من جورجينا المارونية كان مدعاة لأن يعيش حياة اجتماعية مختلفة، إذ كان يرتاد الأماكن العامة، أندية ومطاعم وفنادق، مصطحبًا زوجته المشهورة في حراسات خفيفة.

- اعتياده اليومي على مواعيد شبه محددة للخروج من شقته ، لمكتبه، وإما لزيارة والدته ، أو أسرة زوجته الجديدة، أو زوجته الأولى وأولاده منها.

- سيارته الخاصة إضافة إلى سيارات الحراسة لم تكن تتبدل، ولم يكن يغير خط سيره اليومي في تنقلاته.

- كان السكان في العمارة، وفي العمارات المجاورة، والشوارع المحيطة، يعرفون موقع شقة (جورجينا رزق) وتتعلق العيون بشرفتها.

- فعل كما فعل رفاقه الثلاثة ضحايا عملية فردان، ولم يهتم بالحراسات المكثفة أمام البناية وحولها ، معتمدًا على فريق حراسة متنقل من أربعة أفراد، حفاظًا على مشاعر السكان.

- كان تليفون بيته معروفًا، مما سهَّل عميلة التنصُّت على المكالمات الخاصة بالعمل التي كانت تتم بالشيفرة، أو المكالمات العائلية لزوجته التي يمكن من خلالها معرفة الكثير عن تحركاته ومواعيد خروجهما معا .

كل هذه الأخطاء ما كان يجب على مسئول الأمن والمخابرات الفلسطيني ارتكابها. فعلى ما يبدو، كانت علاقته بالمخابرات المركزية عاملاً مطمئنًا له ضد غدر الإسرائيليين، هكذا كان تصوره. فخدماته للأمريكيين في لبنان وغيرها من عواصم

دول الشرق الأوسط، كانت كفيلة بأن تدعو الـ C.I.A للجم محاولات الموساد لاغتياله. ربما وعدوه بإسكات الموساد.. ربما، فلا أحد يعلم بأسرار زياراته المتعددة للولايات المتحدة، أو بما دار خلالها من وعود وحوارات بين جدران المبنى الرهيب في لانجلي.

لكن المؤكد أن المخابرات المركزية التي (اضطرت) للتعامل مع سلامة، كانت ترى فيه (صديقًا) مؤقتًا ، بانتفاء الحاجة إليه يهمل. ذلك أنهم كانوا في لانجلي يصفون الرجل على أنه (الشرير الذي يحسن خدمتنا..). ويقول عنه هيرمان إيلتس أحد سفراء واشنطن في بيروت: (أعرف أنه في مناسبات عديدة، وبصورة خفية، ساعد في حماية المواطنين والمسئولين الأمريكيين في لبنان.).!

عملية كمال عدوان

ومع زيارة السادات للقدس في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧، بتشجيع أمريكي، كان لعلي حسن سلامة رأي آخر. إذ اعتبر أن السادات خائنًا عربيًا، وتبنت هذا الرأي منظمة التحرير الفلسطينية وبقية الدول العربية، ورأى سلامة أن اختيار السادات يوم عيد الأضحى لزيارته، استهتار ممجوج بمشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. وكان غضبه يومها أكثر مما يحتمل. غضبه على السادات وأمريكا على حد سواء. ويبدو أنه فكر بـ (العمل) الثوري من جديد، والرد على (مبادرة) السادات، بعملية (كمال عدوان)، التي قامت بها فصائل الثورة الفلسطينية، والتي تعد أفضل وأروع عمليات النضال الفلسطيني داخل الأرض المحتلة.

فباختصار شديد، تطوع اثنا عشر شابًا، تقودهم فتاة جريئة للقيام بعملية مذهلة في تل أبيب، وأطلق على هذه المجموعة اسم مجموعة (دير ياسين). واختيرت (دلال المغربي) للقيادة والتعزيز لكي تثير في نفوس الشبان الفدائيين شجاعة وإقدامًا وحماسًا بلا نظير.

فبعد مائة يوم من زيارة السادات للقدس، وفي ليلة السبت ١١ مارس ١٩٧٨، كانت سفينة ركاب تبحر قبالة السواحل الفلسطينية في المياه الإقليمية. كان الجو

عاصفًا والبحر هائجًا، وقبيل الفجر استعد الفريق الانتحاري للعمل.

نفخت زوارق الزودياك المطاطية بالهواء، وربطت الأعتدة الثقيلة[1] على أرض كل زورق ثم ألقى بها في الماء، وقذفوا بأنفسهم الواحد تلو الآخر. لم تكن عملية التوجه إلى الزوارق سهلة أبدًا، بسبب سرعة الباخرة والمحارة المائية التي تشكلها، فضلاً عن الطقس السيئ والموج الشديد والرؤية الصعبة. لذلك لم يتمكن اثنان من المجموعة من الوصول إلى الزوارق، وكانا أول شهيدين في عملية كمال عدوان.

كانت الخطة تهدف إلى الوصول لمنطقة ما بين حيفا وتل أبيب، واختطاف أول عربة أتوبيس عسكرية أو مدنية، للوصول إلى قلب الكيان الصهيوني، تل أبيب، والاستيلاء على فندق كبير واحتجاز عدد كبير من الرهائن، ثم المطالبة بإطلاق عدد من الفدائيين[2] في المعتقلات الإسرائيلية.

قبل أول ضوء من يوم ١٩٧٨/٣/١١ وصل الفريق إلى الشاطئ، واختفى بين أشجار البرتقال. وفي الساعة ١٤,٣٠ خرج الفريق من مكمنه بكامل الأسلحة، متجهًا إلى الطريق الرئيسي حيفا/ تل أبيب. وتصادف أن التقى الفدائيون بفتاة تلتقط بعض الصور. سألوها فأجابت. كانت صحفية أمريكية، يهودية، تعمل مصورة لمجلة تايم الأمريكية، فأطلقوا عليها النار. وعلى الطريق استوقفوا باص مرسيدس سياحي بلا ركاب، فقتلوا سائقه اليهودي وانطلقوا باتجاه تل أبيب. وفي الساعة ١٦,٣٠ مرت بهم عربة باص مدنية تحمل ٢٥ راكبًا، استولوا عليها بالقوة ومضوا بالسيارة. وقرب (ريشفون) اصطدموا بحاجز لرجال الشرطة واستولوا على إحدى سيارات البوليس الإسرائيلي.

---

(١) كان سلاح الفريق عبارة عن : بنادق M.A.16 أمريكية الصنع، ورشاشات كلاشينكوف الروسية، وقاذف آر. بي. جي (٧) مضاد للدبابات، ومدفع هاون ٢ بوصة (٥١مم) إنجليزي الصنع، ومسدسات متنوعة، وعدد من الحشوات المتفجرة اللاصقة، وذخائر للأسلحة.

(٢) جاء في البيان الذي عثر عليه فيما بعد : (يتم الإفراج الفوري عن التالية أسماؤهم : أودي أديف، زكية شموط وابنتها، عبد العزيز شاهين، مريم الشخشير، زهير اللاعبي.). وتردد أن المجموعة كانت ستطالب بالإفراج عن الياباني كوزو أوكاموتو ، الذي شارك في عملية قتل ٢٧ مسافرًا في مطار اللد الإسرائيلي في ٣٠ مايو ١٩٧٢.

لم يكفوا طوال الطريق عن إطلاق النار على كل سيارة تمر بهم. فدمروا ست سيارات وهوت سيارات عديدة إلى البحر بعد مقتل سائقيها، وبعضها ارتطم بالجبل من الناحية الأخرى .

وعند الساعة ١٦,٤٢ لمحت المجموعة أتوبيس ركاب به أكثر من ٥٠ راكبًا، وتحت التهديد لحق سائق سيارتهم بالأتوبيس فأوقفه الفدائيون ووثبوا عليه وتبادلوا إطلاق النار مع بعض الركاب المسلحين بمسدسات، لكن المجموعة سيطرت على بقية الركاب وتم نقلهم إلى السيارة الأخرى وواصلوا السير وهم يهتفون (بلادي.. بلادي.. لك حبي وفؤادي)، حتى وهم يشاهدون طائرة هليوكبتر تابعة لسلاح الحدود، تحلق فوق الباص وسيارة الشرطة التي استولوا عليها.

أكبر العمليات الفدائية

أذهلت المفاجأة حكام إسرائيل، فهبوا مذعورين لمجابهة الوحش القاتل الذي يتجه إلى تل أبيب. وعند مفترق (جيفعات أولفا) أطلق الفدائيون النار على سيارة شرطة فقتلوا كل من كان فيها، واستمروا في إطلاق النار بغزارة عند عبور منطقة نتانيا الصناعية، فأصابوا عددًا كبيرًا من السيارات.

ومع الفشل المستمر في وقف تقدم الفدائيين بواسطة سيارات الشرطة، فكر الإسرائيليون بقطع كافة الطرق والمحاور على الفدائيين، وعند الساعة ١٧,٢٥ كانوا قد أقاموا حاجزًا قويًا بسوق السيارات القديمة في هرتزليا. وعند (كانتري كلوب) قبل ١٢ كيلومترًا شمال تل أبيب، بدأت المجزرة ، حيث كان هناك . (١١) فدائيًا يقابلهم أربعمائة جندي إسرائيلي، تحميهم الهليكوبتر.

قامت دلال المغربى رئيسة المجموعة[1] بتوزيع المهام. البعض في الباص لحراسة

(١)دلال المغربي، فلسطينية من اللد، ولدت عام ١٩٥٨ ببيروت، التحقت بمدرسة يعبد التابعة لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين، وحصلت على الإعدادية من مدرسة حيفا. وفي المرحلة الثانوية اشتركت في أولى عملياتها الثورية. تقول في رسالتها الأخيرة (أمضيت عمري بحركة فتح. فكانت مدرستي ومعلمي وأمي وأبي وإخوتي. وهي التي جعلتني ألتصق بالأرض وأحب شعبي ووطني.). وكان اسمها الحركي في العملية : (جهاد). =

الرهائن، بينما ترجل البعض الآخر وأخذوا مواقعهم على يسار الطريق المؤدي إلى تل أبيب. وعلى الرغم من عدم تناسب القوى بين الطرفين، فقد استمرت المعركة ٤٥ دقيقة، دون أن يتمكن الإسرائيليون من استعادة الباص بالرهائن، الأمر الذي أرغم القائد الإسرائيلي على أن يطلق المدافع بكثافة على الباص، الذي تحول في ثوان إلى كتلة من اللهب والهياكل العظمية. أما المجموعة التي كانت خارج الباص، ومنهم دلال، فقد واصلت إطلاق النار ببسالة مذهلة، حتى أطلقت عليهم القذائف المدفعية التي قتلتهم جميعًا ما عدا اثنين تم أسرهم. ومع توقف إطلاق النار، ظل رجال الشرطة لأكثر من نصف الساعة في حالة ذعر، ولم يجرؤ واحد منهم على المخاطرة بحياته والدخول إلى قرب موقع المعركة، إذ انتابهم هاجس الخوف من خدعة وجود فدائيين أحياء

وعند اقتحام الموقع أخيرًا بعد إنارته بالكشافات المبهرة مع الاستطلاع الجوي، أخذتهم الصاعقة عندما شاهدوا جثث شباب دون العشرين استشهدوا وهم يحتضنون السلاح، ولم تفارق الابتسامة شفاههم. وأمام كاميرات الصحافة تفقد الجبناء جثة الشهيدة دلال المغربي، وقد كشفوا عورتها.

وفي الكنيست كاد مناحم بيجن أن يبكي وهو يعترف أن قوات الشرطة هي التي دمرت الباص. وكانت المحصلة النهائية مقتل ١٤٢[1] إسرائيليا وإصابة ٨٥ بجروح

= أما رفاقها في عملية كمال عدوان فهم الشهداء :

١ – محمود علي أبو منيف – فلسطيني (١٩٦٠) .
٢ - يحيى محمد سكاف ـ لبناني (١٩٥٩) .
٣ - خالد محمد إبراهيم - فلسطيني (١٩٦٠) .
٤ - خالد عبد الفتاح يوسف - فلسطيني (١٩٥٧) .
٥ - محمد عبد الرحيم مسامح - فلسطيني (١٩٥٩).
٦ - محمد راجي الشرعان - فلسطيني (١٩٥٨) .
٧ – محمد حسين الشمري – اليمن (١٩٥٨).
٨ – محمد فضل أسعد – فلسطيني (١٩٥٨).
٩ – عبد الرؤوف عبد السلام – اليمن (١٩٥٦) .
١٠ – عامر أحمد عامرية – لبناني (١٩٥٢) .
١١ – حسين إبراهيم فياض – فلسطيني (١٩٦٠).
١٢ – علي حسين مراد – لبناني (١٩٦١) .

(أسر كل من : خالد إبراهيم وحسين فياض) .

(١) جاهد العدو الصهيوني لإخفاء العدد الحقيقي لقتلاه ، وذكرت بعض المراجع أن العدد (٧١) قتيلاً ، وفي أخرى (١٣٢) ، وغيرها ذكر أن العدد الفعلي (٩٧) وهناك أرقام أخرى عديدة في المصادر الإسرائيلية: (٤٢) ، (٨٩) ، (١٢٧) ، (١٤٢) ، (٩٤) .

خطيرة . وعلى استحياء ، أعلن قائد الشرطة الإسرائيلي بأن هذه العملية أكبر عملية فدائية في تاريخ المقاومة الفلسطينية.

هلل الشارع العربي من المحيط إلى الخليج لعملية (كمال عدوان) ، وخرجت الجماهير في بعض المدن تهتف للقدس وفلسطين. واستنكرت واشنطن وعواصم الغرب العملية وكذلك استنكرها السادات.

أما أبو إياد ، فقد تناقلت وكالات الأنباء العالمية حديثه لحصيفة قطرية قال فيه : **(لن نتوقف عن تقديم الضحايا من أجل نضالنا العادل. وأن النضال الفلسطيني قادر على نسف كل المؤامرات التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني وضد العالم العربي.)، وحذر أبو إياد: (ستشهد الأيام القادمة غارات فدائية أكثر داخل فلسطين المحتلة، وستكون هذه الغارات بنفس شدة عملية يوم السبت ١١ مارس ١٩٧٨ شمالي تل أبيب.).**

بعد أربعة أيام من عملية كمال عدوان (١٥ مارس ١٩٧٨) اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان. وقد اعتقد البعض أن هذه العملية هي التي دفعت إسرائيل لذلك، لكن الواقع كان يخالف هذا الاعتقاد. فالهجمات العسكرية على شمال إسرائيل كانت في تزايد مستمر، مما دفع مناحم بيجن لاجتياح الجنوب اللبناني بعد تخطيط مسبق طويل.

الرئيس حافظ الأسد قال في حديثه لمجلة (نيوزويك) الأمريكية في ١٩ مارس ١٩٧٨ ، إن الربط بين العملية الفدائية والاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان هو ربط وهمي. وأن العملية الفلسطينية مجرد ذريعة اتخذتها إسرائيل لتنفيذ خطة كانت مقررة ومعدة إعدادًا كاملاً منذ بعض الوقت. وأن الأمر يرتبط بعقلية التوسع التي يؤمن بها حكام إسرائيل.

إخلاص العملاء:

وفي الموساد تم الترتيب لاغتيال علي حسن سلامة كقرار نهائي لا رجعه فيه. فعملية كمال عدوان الفدائية زلزلت عمق إسرائيل وقلبها. وتصريحات أبو إياد المرعبة كانت كالطلقات الصاروخية التي تنسف العقل الإسرائيلي وتحرق الأعصاب. وكانت العميلة المدربة (إيريكا ماريا تشامبرن) جاهزة للتحرك والسفر إلى بيروت.

ولدت إيريكا لأسرة يهودية في فبراير ١٩٤٨ في Portsmouth أقصى جنوب إنجلترا، ثم انتقلت مع والديها للإقامة في لندن. حيث واصلت تعليمها حتى التحقت بالجامعة ونالت البكالوريوس في النبات والجغرافيا. كانت قد قرأت كيهودية عن إسرائيل والتاريخ اليهودي. لكنها لم تكن ذات دوافع سياسية أو اتجاهات محددة.

كانت إيريكا تعشق الجغرافيا، وكان مشروع التخرج في الجامعة عن منطقة (الغابة الجديدة) New forest في جنوب إنجلترا ، بالإضافة إلى بحوثها في المجاري المائية ، حيث انصب أملها في إكمال دراساتها العالية والحصول على الدكتوراه . لذلك سافرت إلى استراليا لدراسة جغرافيتها الجافة، وسرعان ما حصلت على فرصة لإكمال أبحاثها في الجامعة العبرية بالقدس، فغادرت أستراليا إلى إسرائيل في أغسطس ١٩٧٢، وسط ضجيج إعلامي دولي عن دورة الألعاب الأوليمبية في ميونيخ. وفي إسرائيل عاصرت محنة المذبحة التي قتل فيها أحد عشر رياضيًا، ومنذ تلك اللحظة بدأت تتساءل:

- لماذا هذا الصراع الدموي بين العرب وإسرائيل..؟

اتجهت بفكرها واهتماماتها إلى السياسة، وقرأت كثيرًا عن مشكلة اليهود منذ البداية، وخطوات تأسيس الدولة اليهودية، والحروب التي خاضتها إسرائيل للمحافظة على أمنها واستقرارها ، حتى تشكلت لديها ثقافة الكراهية المزمنة للعرب، وباتت تتابع باهتمام العمليات التي يقوم بها (الإرهابيون) ضد اليهود في إسرائيل وخارجها

من هنا تصيدها عملاء الموساد وعملوا على تنشيط الحس العقائدي لديها. لذلك لم يستغرق أمر تهيئتها كثيرًا. إذ أبدت تجاوبًا فوريًا ملحوظًا، مدفوعة عقائديًا بالكراهية الشديدة للعرب، التي يقابلها إعجاب منقطع النظير بإسرائيل، وبعمليات الموساد التي قرأت وسمعت الكثير عنها.

لقد تم تشريح شخصيتها تشريحًا فسيولوجيًا دقيقًا، اعتمادًا على المعلومات التي جمعت حولها في الجامعة والمدينة الطلابية، فتكونت في النهاية الملامح الخاصة، والسمات المطلوبة فيمن ينضم إلى جهاز الاستخبارات الإسرائيلي. تلك السمات التي تتطلب من العملاء الجدد أن يتميزوا بها، كالذكاء والجرأة وسرعة البديهة والإخلاص في العمل.

الداعرات الشريفات

كانت إيريكا تشامبرز تتميز بكل المواصفات المطلوبة تقريبًا.. لكن مشكلة قديمة كانت ما تزال تؤرقها. إذ تعرضت وهي في الخامسة عشرة من عمرها للاغتصاب عدة مرات متتالية من شابين أحدهما زنجي. كانت يومها في رحلة مدرسة لإحدى مدن الشمال البريطاني. شجعتها زميلة لها على الخروج مساء لمشاهدة أحد أفلام السينما.. وعند عودتهما لاحقهما شابين. فرت زميلتها وتركت إيريكا تواجه مصيرها معهما. وفي إحدى الغابات تناوبا اغتصابها تحت تهديد السلاح. هربت منهما واختبأت بين الأشجار عارية حتى أشرق النهار. فعثر عليها رجل عجوز يتريض وكانت بين الحياة والموت.

هذا الحادث شكل لدى الفتاة كراهية للجنس، ونفور Aversion مرضي عند محاولة ممارسته، نتيجة انقباض Vaginismus حاد دفعها لأن تبحث عن صور الجنس المثالى في عالم الخيال Unreality فقط .

وبعد إخضاعها لعلاج نفسي تصاحبه تمرينات عملية لفك حالة الانقباض، تخلصت إيريكا شيئًا فشيئًا من مخاوفها وعقدها النفسية، وأنشأت علاقة خاصة مع أحد المتدربين بأكاديمية الموساد، علاقة تحت الملاحظة وإن كانت بعيدًا عن

المراقبة، وذلك بغية طرد أية مخاوف ترسبية بداخلها، وكان يطلب منهما كتابة ملاحظاتهما إثر كل لقاء عما استجد بينهما. وهكذا شمل التحليل النفسي أدق خلجات إيريكا ومشاعرها، للخروج بنتيجة مرضية عن عميلة الموساد الجديدة، التي قد يطلب منها مستقبلاً مضاجعة من يراد تجنيده خارج إسرائيل.

كانت هذه إحدى حلقات الإعداد النفسي التي تعتمدها الموساد في تدريب فتياتها، لزرع الثقة في نفوسهن ، وإشعارهن أن خلع الملابس الداخلية وإن كان للجنس فهو أولاً وأخيرًا لصالح إسرائيل، وأمن الشعب اليهودي ، وأن الجنس هنا يعتبر عملا مقدسا ومشروعا . تلك هي الشعارات التي تغرسها الموساد في عقول طوابير فتياتها. وبذلك أضحى الجنس الذي يدرس في أكاديميتها هدفًا لا غريزة، ولقبت فتيات الموساد تبعا لذلك بالداعرات الشريفات.

إيريكا تشامبرز، تصورت أن هذا الإعداد الطويل لها توقعًا لعلاقة جنسية مع علي حسن سلامة في بيروت. لذلك تعجبت وضحكت في سرها: هل يُنتظر منه شيئًا وهو المتزوج من ملكة جمال الكون؟ لكن على كل حال تم التحرز لهذا الأمر، واطلعت إيريكا على ملف الأمير الأحمر بما يتضمنه من تقارير تحليلية أمنية وسياسية، كتبت عنه منذ ما يقرب من عشر سنوات، وتأملت كثيرًا في عدة صور حديثة التقطت له في الأمم المتحدة بنيويورك، أخذت له من عدة زوايا وتم تكبيرها ووضعها داخل ألبوم خاص في ملفه

قرأت إيريكا أيضًا تقريرًا تحليليًا عن سلامة كتب عام ١٩٧٥ أثناء الحرب الأهلية اللبنانية: **(يحاول الأمير الأحمر أن يخلع عنه رداء الفدائية بعدما تحول إلى سياسي جاد. لكنه وهو الآن الشخص الثاني تقريبًا بعد عرفات، يبدو متطلعًا إلى مستقبل مشرق لمنظمة التحرير الفلسطينية على يديه.. حيث يحاول رسم صورة مغايرة للمنظمة الإرهابية يخدع بها العالم، في حين أنه يخطط وينفذ عمليات إرهابية داخل إسرائيل وخارجها، دائمًا ما يبدو متنصلاً منها.. لكن دماء ضحاياه من اليهود الأبرياء توشم يديه.). ! !**

وفي تحليل آخر لشخصية سلامة كتبه خبيرا الأمن مايكل بار، وإيتان هاير، قالا: **(منذ تزوج علي حسن سلامة من جورجينا رزق، فإن تفكيره في الموت المبكر لا يترك له شيئًا آخر، فهو يسيطر عليه تمامًا لدرجة ترقبه في أية لحظة. فقد سبق له أن صرح: أعلم أنني سأموت.. سأقتل.. سأسقط فجأة في إحدى المعارك. وعندما أموت يجب على أولادي مواصلة النضال من بعدي. تمامًا مثل أبيهم وجدهم.** قال سلامة أيضًا: **عندما أموت لا يجب أن يكون هناك مجال للحزن. إنني أكره الحزن فالأحزان تعني الخمول والشعور باليأس.)!!**

بعد تدريبات شاقة طالت كل فنون التجسس، غادرت عميلة الموساد إسرائيل إلى فسبادن Wiesbaden في شرق ألمانيا، وذلك بعد زيارة سريعة إلى إنجلترا، استخرجت خلالها جواز سفر جديدا لا يحمل تأشيرة إسرائيل. وبدعوى الدراسة حصلت على إقامة طويلة فى فسبادن مدتها خمس سنوات.

كانت الموساد قد وعت الدرس السابق جيدًا، واستفادت من جملة الأخطاء الفادحة التي ارتكبتها من قبل في عملية أمينة المفتي في لبنان.. تلك العميلة الأردنية الأصل والمشحونة بالغضب، التي انحصر تفكيرها في الانتقام من العرب ثأرًا لزوجها اليهودي الذي أسقط السوريون طائرته.

من زاوية الانتقام، دفع بها إلى بيروت بلا غطاء أمني محبك، ظنًا - وهذا من أفدح الأخطاء لانتفاء الظن في عمليات المخابرات - بأن الاستخبارات الفلسطينية لن تستطيع أن تنقب في قارات العالم، وراء كل متطوع يعرض خدماته الطبية أو الاجتماعية على المنظمة. لكن من خلال ما نشر في بيروت عن أمينة المفتي بعد سقوطها، تبين للموساد أن من عوامل هذا السقوط الاستهتار الشديد بقدرات علي حسن سلامة الأمنية، فضلاً عن الهوس الهستيري المفعم بالغضب عند أمينة المفتي التي من المفترض أن تكون عكس ذلك تمامًا.

لذلك.. استعدت الموساد هذه المرة، فعلى مهل اختارت عميلتها، ودربتها تدريبًا مهنيًا يؤهلها للمهمة المنتظرة في بيروت. إضافة، وهو الأهم ، إلى الغطاء الأمني شديد الإحكام لإيريكا تشامبرز قبل دفعها لعملية بيروت ، التي سميت شفريا بالعبرية (لخيم زار) ، أي (زهرة لكم) في مصطلحات الجاسوسية واستعاراتها. ففي ذلك الوقت من عام ١٩٧٨ كان علي حسن سلامة في منتصف العقد الرابع من عمره[1] ، أو كما يقول العرب (في زهرة شبابه)

اختيرت مدينة فسبادن Wiesbaden لإقامة إيريكا ماريا تشامبرز، قبل انطلاقها إلى بيروت. وقد اختيرت فسبادن بالذات لموقعها الاستراتيجي في مثلث هام يضم مدن فرانكفورت، وبون، ودارمستات Darmstadt، ومانهايم. وهي المدن التي يفضلها العرب للإقامة في ألمانيا الغربية، ومن ضمنهم المئات من الفلسطينيين بعضهم يدرس، وبعضهم يعمل . ويتردد على هذه المدن أيضًا قيادات فلسطينية هامة، قد يصادف أن يكون علي حسن سلامة من بينهم، في إحدى رحلاته البالغة السرية لأوربا.

الغطاء الأمني

وسط هذا المثلث ومزيجه البشري المتباين الوجوه والجنسيات، تواجدت إيريكا تشامبرز كطالبة أوروبية تدرس الفلسفة بجامعة فرانكفورت القريبة، وتستأجر شقة صغيرة من حجرة واحدة وصالة يقتطع المطبخ ركنًا منها. هذا إضافة إلى حساب بنكي في مصرف (درسدن) الدولي يضاف إليه راتبها الشهري في الموساد، ورخصة قيادة جديدة استخرجتها من فسبادن بعدما ادعت فقدانها لرخصتها الدولية.

لكن الجديد ، أن عميلة الموساد بحثت عن مكاتب منظمات رعاية الطفولة في فسبادن والمدن المحيطة بها، وحصلت على عضوية إحدى الجمعيات المحلية، ثم عضوية منظمات دولية مهمة، وقدمتها عضويتها هذه إلى المجتمع الفلسطيني في لبنان فيما بعد.

---

(١) أجمعت أغلب المراجع والمصادر على أنه مواليد ١٩٤٣

كانت الأوامر تقضي بألا تسعى إيريكا لعقد صداقات مع الشبان العرب داخل جامعة فرانكفورت أو خارجها، على أن تترك هذا الأمر بالذات للصدفة البحتة إن توافرت، وألا تمارس أي نشاط تجسسي عن قصد. فمحاولاتها للتقرب إلى شاب عربي ستكون مكشوفة حتمًا، وأي نشاط غير طبيعي يضعها في بؤرة الشك. فرجال الاستخبارات الفلسطينية بعد وقوع حوادث عديدة، بدا واضحًا أنهم لا يغفلون عن كل كبيرة وصغيرة. إذ أوقعوا بضباط معروفين في الموساد، واستعملوا أساليب الخطابات المفخخة بمهارة ضد الدبلوماسيين الإسرائيليين في عواصم العالم. وكلها مؤشرات تدل قطعيًا على تفعيل العمل وتطور حروب الأدمغة بين الاستخبارات الفلسطينية والموساد.

ولما كان التواجد في فسبادن مجرد محطة انطلاق، أي انتظار مؤقت ليس معروفا مداه، كان الملل إحدى سمات هذه الفترة التي عاشتها إيريكا، ملل تشوبه موجات خوف الإقدام على التجربة الأولى في عالم غامض مثير، يحمل رائحة الموت بين الشهيق والزفير، وتحت الجلد.

كان صيف عام ١٩٧٨ حارًا بسبب حرارة التناحرات الأهلية الداخلية في لبنان. إلا أن الأوامر صدرت أخيرًا، وتحركت عميلة الموساد باتجاه بيروت، تحمل بعض الأموال والخطابات من منظمة الطفولة الألمانية إلى مؤسسة (صامد) الفلسطينية[1] والصليب الأحمر في بيروت ، ثم قامت بجولات عديدة بين الملاجئ والمخيمات الفلسطينية والمراكز الاجتماعية، تدرس أوضاعها ونشاطاتها وظروفها المادية، وما تحتاجه من معدات ونفقات.

---

(١) صامد : مؤسسة اقتصادية فلسطينية أنشئت عام ١٩٧٠ للقيام بعمليات متنوعة صناعيًا وتجاريًا بهدف خلق اقتصاد ثوري مكتف ذاتيًا، وتدريب أسر الشهداء على العمل الفني مع توفير الوظائف للفلسطينيين ومدهم بالقدرة التنافسية التقنية والفنية. بدأت فكرة (صامد) باستثمار مبلغ ٢٥ ألف دولار لإنشاء مصانع صغيرة في معسكرات اللاجئين بالأردن ولبنان، وحقق المشروع نجاحًا، حتى تحولت (صامد) الآن إلى إمبراطورية مالية متعددة الجنسيات، حققت عشرات الملايين من الدولارات أرباحًا سنوية لخدمة المواطن الفلسطيني، وكان يدير هذه المؤسسة ذات الفروع بأكثر من ٣٠ دولة، فتحي عرفات، شقيق ياسر عرفات الأصغر، بالإضافة لرئاسته لهيئة الهلال الأحمر الفلسطيني.

لم تبق إيريكا غير أسبوع واحد فقط في بيروت، تعرفت إلى المدينة ووطدت علاقاتها بالمراكز الاجتماعية، وتجولت بالقرب من شارع مدام كوري حيث يقيم علي حسن سلامة. رسمت شكل المنطقة برأسها، وسافرت إلى فسبادن حيث حصلت على معونات طبية للهلال الأحمر الفلسطيني من المنظمة الألمانية، إضافة إلى عدة آلاف من الماركات كتبرع. وعادت من جديد لبيروت . وفي هذه المرة قابلت فتحي عرفات رئيس الهلال الأحمر الفلسطيني ، الذي سُر بما رآه من نشاط الفتاة الإنجليزية المتعاطفة التي تدرس بألمانيا .

هذا الاهتمام الفجائي من الفتاة البريطانية، التي وصلت إلى بيروت تنثر المعونات على ملاجئ الأيتام، جعلها محط اهتمام الأمن الفلسطيني، وما توقعته الموساد قد حدثت تفاصيله دون حذف. إذ تم التحري عن إيريكا في فسبادن وجاءت التقارير تبرئ ساحة الفتاة وتبعدها عن أية شكوك

(مسجلة بالدراسات العليا فى جامعة فرانكفورت. سمعتها بين الطلاب العرب طيبة جدًا ، اشتهرت بينهم بمناصرة القضية الفلسطينية وجمع التبرعات لأطفال المخيمات ، واليتامى الذين خلفتهم الحرب الأهلية في لبنان . وهي عضوة نشطة بمنظمة الطفولة A.S.E.D ، ونشرت صحيفة الجامعة عن اهتماماتها الاجتماعية في مجال الطفولة في دول العالم الثالث، وأطفال المخيمات الفلسطينية.).

اشتمل التقرير الأمني الفلسطيني على كل ما يتصل بإيريكا، من حيث علاقاتها بالآخرين داخل محيط الجامعة وخارجها، والمسكن والجيران وتفاصيل التفاصيل التي تعطي صورة كاملة نهائية عنها. وبناء على ذلك أزيلت أية شكوك أمنية حولها. لكن بقيت هناك تحريات أخرى كانت تتم في بيروت لمتابعة نشاطها وتحركاتها.

هذه المرة في شهر سبتمبر ١٩٧٨ كانت زيارة إيريكا رقم ٧ لبيروت. لكنها تختلف كثيرًا عما سبقها من زيارات. إذ وصلت وبحقيبتها خطاب تفويض من منظمة .A.S.E.D بعمل فرع لها في بيروت تديره إيريكا، تنصب اهتماماته بشكل

خاص على الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة والأيتام. وهذا الاتجاه هو الـذي فتـح لها مغاليق الأبواب المحكمة في بيروت. إذ حصلت على تصـاريح بزيـارة مؤسسـات المخيمات الخيرية والحصول على تقارير وافية عنـها، مـن حيـث النشـاط والتمويـل والحالات والاحتياجات.

وكانت الخطوة القادمة الجريئة في بيروت هي استئجار شقة كمقر وهمـي لمنظمـة الطفولة. إذ لم يكن الأمر مجرد العثور على شقة خالية، أيـة شـقة تطـل مثـلاً علـى الكورنيش، أو بشارع الحمراء أشـهر الشـوارع العربيـة، إنمـا كـان الوصـف المحـدد لسمسار العقارات أن تكون شقة علويـة جيـدة التهويـة، لا تخـرج عـن نطـاق شـارع لبنان، ضمن مجموعة عمارات عالية متجاورة بالشارع. لكن لماذا البحث عن شـقة في هذه المنطقة بالذات..؟ والإجابة بسيطة للغاية، وهـي مـن أجـل مراقبـة شـقة علـي حسن سلامة من فوق (!) ، دون أن يلاحظ أحد ذلك.

دلها السمسار على أكثر من شقة بمجموعة العمارات المختارة. لكن إيريكا رفضت لكون الشقق دون الارتفاع المطلوب، مما لا يحقق ميدان رؤية للشقة الهدف وللشـارع أيضًا، أو بسبب أن بعض هذه الشقق لا تطل بالمرة على ناحية سلامة. لذلك أكـدت على السمسار أن يبحث لها عن شقة تتوافر بها المواصفات المطلوبة، واجتهد الرجل قدر استطاعته لمساعدة الفتاة السخية، مندوبة المنظمـة الدوليـة الـتي تبغـي مسـاعدة لبنان، إلى أن عثر على المكان المناسب، وكانت شقة واسعة تقع بالطابق الثامن ذات مركز استراتيجي هام جدًا، من حيث الهدف المرجو من ورائها .

الـهـدف الـسـهـل

في أكتوبر ١٩٧٨ ، وقعت إيريكـا عقـد الشـقة بصفتـها منـدوب منظمـة الطفولـة A.S.E.D. والممثل لها في لبنان، وعلقت اللافتة النحاسية على بـاب الشـقة، وببـطء شديد بدأت في شراء أثاثات الشقة ولوازم إعدادها كمقر مكتبي. ومـن ضمـن الأدوات التي حُمِّلت إلى المقر، تلسكوب قوي من عدة وصلات يصل طولـه إلى ٦٠ سـنتيمترًا،

دأبت إيريكا على استعماله لعدة ساعات كل يوم في مراقبة شقة سلامة، وتمكنت لمدة شهرين من وضع جدول زمني لتحركاته اليومية صباحًا، في طريقه إلى مكتبه، وعصرًا حين عودته، ثم خروجه بعد ذلك في زيارات شبه منتظمة لزيارة والدته وأولاده من الزوجة الأولى .

هذا الجدول الدقيق بتحركات سلامة اليومية، كانت الموساد بحاجة ملحة إلى تفاصيله، لوضع خطة الاقتناص بحيث لا تخيب. وخلال مراقبة إيريكا لحركة السيارات بالشارع ذات نهار، تنتظر وصول سيارة علي حسن سلامة، دق جرس الباب فانتفضت وسقط منها المنظار الذي انكسر. لكنها أمام رغبتها في مراقبة الموكب وتسجيل لحظة وصوله أهملت دقات الجرس التي توقفت. لكن عودة الطارق من جديد مصممًا أفزعها بحق ، وحبست أنفاسها خلف الباب لعدة دقائق حتى اختفى الطارق المجهول مرة ثانية.

غادرت الشقة بعد ساعتين وهي ترتجف في طريقها إلى حجرتها بالفندق. كانت تفكر في السمسار الذي ربما أراد السؤال و الاطمئنان، وربما كان حارس العمارة (الناطور) وهو لبناني جنوبي اسمه أبو أسعد، فقد كلفته منذ أيام بالتنبيه على سكان الشقة المجاورة بالحرص على إغلاق صندوق القمامة المشترك، للحيلولة دون عبث القطط بمحتوياته.

في الفندق لم تتخلص من توترها بسهولة. فالمنظار المقرب الذي كُسر لم يعد ذا فائدة، لذلك كان عليها أن تخرج لشراء نظارة ميدان قوية تعينها على إكمال مهمتها. وبعد بحث في محلات الأدوات الرياضية ، اشترت سنارة بماكينة يدوية مع أدوات الصيد المختلفة، ومن ضمن ما اشترته نظارة الميدان اليابانية.

كانت إيريكا تذهب إلى مقر منظمة الطفولة (الذي كان تحت التأسيس والتجهيز) في مواعيد شبه متقاربة مرتين يوميًا ، مرة في الثامنة ونصف صباحًا لتشهد خروج سلامة إلى مكتبه ما بين الساعة التاسعة ونصف إلى العاشرة، ثم تغادر الشقة في الواحدة ظهرًا ، حيث اعتادت تناول طعامها في الثانية تمامًا، حتى تكون في الثالثة

ونصف خلف الزجاج بالطابق الثامن تراقب وصول علي حسن سلامة، الذي يرجع إلى شقته في مواعيد تكاد تكون ثابتة فيما بين الرابعة والخامسة، ويعاود الخروج إما لاجتماعات هامة بمكتبه، أو لزيارة والدته وزوجته الأولى، وربما للسهر مع جورجينا في أمسيات بيروت الجميلة.

هكذا تحول سلامة إلى هدف سهل محدد الأماكن والتحركات والمواعيد، لا يكاد يفكر بأن هناك من يتربص به، إما لاستسلامه لفكرة أن الموت لن يخيفه، أو لاطمئنانه على أمنه من خلال أصدقائه في المخابرات المركزية ، الذين طمأنوه بأنهم ضمنوا له (بعض) الأمن من ناحية الموساد

لكن الموساد برغم تخوفها من غضب المخابرات المركزية، لم تتوقف عن مطاردة سلامة ومراقبته، خاصة بعد عملية (كمال عدوان) في ١١ مارس ١٩٧٨، بقيادة دلال المغربي، فقد كان التصميم على تصفية سلامة أقوى دافعًا وهدفًا عن ذي قبل. وبرغم وفاة جولدا مائير[1] في ديسمبر ١٩٧٨، لم يخفت أمل قادة الموساد، حتى رتبوا كل شيء بدقة متناهية، ومن خلال إيريكا ماريا تشامبرز اتضحت الرؤية ، وتحددت خطوات العمل القادمة للانتهاء من كابوس سلامة المفزع، وشبحه الذي ترتجف منه العقول في إسرائيل رعبا

أشباح الليل في جونية

لم يكن من الطبيعي أن تبقى إيريكا ماريا تشامبرز وحدها ليلة رأس السنة في بيروت، خاصة والملف الخاص بها في جهاز الأمن الفلسطيني ، يؤكد بأنها شخصية

---

(١) جولدا مئير : Golda Meir أول امرأة تتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية. ولدت جولدا (مابوفيتش) في كييف بأوكرانيا في ٣ مايو ١٨٩٨. وهاجرت إلى فلسطين عام ١٩٢١ حيث عاشت مع أسرتها بأحد الكيبوتسات لمدة عامين، ثم انتقلت للإقامة بالقدس وتعاونت مع العصابات الصهيونية في ذبح الفلسطينيين وطردهم من قراهم بالقوة. دخلت الكنيست عام ١٩٤٩ ثم تولت وزارة الخارجية فرئيسة وزراء إسرائيل بداية من ١٩٦٨ حتى استقالت في يونيو ١٩٧٤ إثر هزيمة إسرائيل في حرب أكتوبر. عاشت جولدا بعد ذلك تمارس العمل السياسي في حزب الماباي حتى ماتت بالقدس في ٨ ديسمبر ١٩٧٨ .

ملتزمة وجادة، ليست لها أية علاقات (خاصة) في لبنان، حيث تهتم بعملها في جمع معلومات وافرة عن الأطفال والأسر الفقيرة، وتسعى لجلب مساعدات عديدة من الخارج لإعالة هذه الأسر، وتوفير حياة صحية آمنة للأطفال ذوي الحاجات الخاصة واليتامى.

وعلى ذلك طارت إيريكا إلى لندن حيث قضت سهرة رأس السنة مع أسرتها، والتقت بشكل سري للغاية مع أحد ضباط الموساد، حيث شرح لها كيفية الالتقاء بعميلين سوف يزوران بيروت خلال أيام قلائل.

عادت عميلة الموساد إلى بيروت، تحمل بعض الأموال والهدايا لأطفال لبنان اليتامى، وتدرك أن وصول عميلين للمساعدة معناه أن العد التنازلي للعملية قد بدأ، وأن نهاية علي حسن سلامة أوشكت على الانتهاء.

كان علي حسن سلامة تحت إمرته سيارة (شيفروليه ستيشن) ضد الرصاص، ويحذره دائمًا رجال المخابرات المركزية C.I.A من أن هناك محاولات للموساد لتصفيته، لكنه تعود على مدار سنوات هذه التحذيرات وقذف بها خلف ظهره. أما جورجينا رزق فكانت بشكل دائم في حالة توتر، كلما نظرت من الشرفة إلى العمارات العالية التي تحيط بهم تكاد تصرخ . طلبت من زوجها كثيرًا أن يغير السكن فكان يقول: (الرب واحد والعمر واحد) . سألته ذات مرة لماذا لا يتحرى حرسه عن سكان العمارات المجاورة؟ فضحك سلامة: (من الأولى أن أترك أنا هذه الشقة، لا أن أثير حنق جيراني، وأنا اقتحم عليهم خصوصياتهم.).

تقول الرواية الإسرائيلية عن الأيام الأخيرة التي سبقت اغتيال (الأمير الأحمر) في لبنان :

(بعد عودتها إلى بيروت وقد قضت إجازة مرحة في بريطانيا ، واصلت إيريكا مراقبتها لعلي حسن سلامة، أكثر من ١٦ ساعة يوميًا كانت تمسك بالمنظار المكبر وتتبع تحركات السيارة الشيفروليه التي يستقلها سلامة، والسيارة الخاصة بحراسته ماركة رانز روفر) .

في ١٧ يناير سافر من باريس إلى بيروت بريطاني يدعى (بيتر سكرايفر). وفي فندق (رويال جاردن هوتيل) التقى بالكندي (رونالد كولبرج) الذي كان قد وصل من زيورخ، وكلاهما حجز سيارة من شركة ليبانون كار (Lebanon Car) إحداهما ماركة (فولكس فاجن).

مساء أحد الأيام غادرت ثلاثة قوارب صواريخ سريعة ميناء حيفا، على متن أحدهم كان هناك مايك هاراري رئيس العمليات في الموساد. وفي الليل عندما كانت الساعة تشير إلى الثالثة، أنزل قارب مطاطي قرب ميناء جونية **Jounieh** شمالي بيروت، وهو الميناء الحيوي الذي يسيطر عليه الكتائبيون، أصدقاء إسرائيل في لبنان، حيث أنزلت شحنة من مادة **T.N.T** شديدة الانفجار، تسلمها سكرايفر وكولبرج وانصرفا دون كلام. وبعد ثوان كان القارب المطاطي في طريق العودة إلى السفينة الأم، واستدارت القافلة لتغادر مياه لبنان الإقليمية .

كانت المادة المتفجرة تزن ١٥ كيلوجرامًا، قام سكرايفر ورفيقه بتكويمها تحت المقعد الأمامي والمقعد الخلفي للسيارة الفولكس فاجن، التي ستقوم إيريكا بتفجيرها إلكترونيًا عن بعد، بواسطة الريموت كونترول، من شرفة شقتها.

إلى الآن لم تظهر معلومات جديدة حول إعداد العبوة الناسفة، وعما إذا كان سكرايفر وكولبرج أعداها بمفردهما أم أن هناك أحد خبراء المفرقعات من الموساد قد ساعدهما.

وبعد الانتهاء من وضع العبوة، أوقفا السيارة أمام منزل إيريكا تشامبرز، حيث تسكن بمنزل أنيس عساف من الناحية الرسمية، وتطل على شارع البقاع حيث يمر منه سلامة عدة مرات يوميًا .

مايك .. لقد مات

صباح ٢٢ يناير ١٩٧٩ غادر سكرايفر بيروت إلى مطار لارناكا في قبرص. أما كولبرج فقد ترك الفندق هو أيضًا.. لكنه اتجه إلى جونية ونزل بفندق مونتمار انتظارًا لحدوث بقية التطورات التي انتقلت إلى يد إيريكا تشامبرز.

وبالنسبة لعلي حسن سلامة، فإن اليوم مر عاديًا، رغم أنه تسلم تحذيرًا من الأمريكيين.

كان ينتظر أن يسافر سلامة إلى دمشق في ذلك المساء. فهناك ستعقد اجتماعات الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني، وستكون فرصة هامة لاتخاذ القرارات، حيث ينتظر أن تعقد منظمة فتح اتفاقًا معتدلاً مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، حيث أراد عرفات أن يلتقي بمنافسه الأبدي جورج حبش، للتنسيق بينهما خلال المرحلة القادمة ، وبخلاف ذلك، إدانة اتفاقيات كامب ديفيد والتي تم توقيعها بعد أسابيع قليلة.

رجع علي حسن سلامة إلى بيته عصرًا لإعداد نفسه للسفر إلى دمشق. غير ذلك كان عليه أن يزور شقة أمه في غرب بيروت، لكي يقدم التهنئة لابنة أخيه جهاد بمناسبة عيد ميلادها. لقد كانت الساعة تشير إلى ١٥,٤٥ بالضبط، حيث ودع أبو حسن[١] زوجته جورجينا. وضع يده لفترة قصيرة على بطنها الحامل منذ خمسة أشهر، وأخذ يداعب زوجته: (ستكون فتاة جميلة مثلك..).. أجابته : (سيكون صبيًا.. إنني تحملت ذلك من أجل (علي) الصغير.).

غادر الأمير الأحمر شقته وأخذ مكانه بجوار رفيق سفره، جميل، السائق ، متخذًا طريقه إلى منحنى الشارع عند الميدان، وقد جلس ثلاثة من الحراس في المقعد الخلفي، وتبعتهم السيارة **Ranze Rover** وبها خمسة أفراد آخرون من الحرس الخاص، وكانوا من القوة ١٧ .

كان ذلك الطريق المعتاد الذي يجتازه سلامة دائمًا حتى يصل إلى شارع البقاع على بعد ١٥٠ مترًا، وكان يسمى من قبل شارع (عطاني). وعند إحدى الانحناءات في شارع البقاع، دخلت سيارة غريبة بين الشيفروليه والرانز روفر، مما تسبب ذلك في وجود مسافة بين سيارتي منظمة التحرير الفلسطينية تقارب العشرة أمتار.

---

(١) اشتهر على حسن سلامة بهذا اللقب ، نظرا لأن ابنه الأكبر من الزوجة الأولى يدعى حسن .

كانت إيريكا ماريا تشامبرز تجلس أمام نافذتها وتراقب، كيف كانت تقترب السيارة الشيفروليه بسرعة من السيارة الفولكس فاجن، المفخخة. كان الريموت كونترول بيدها وعيناها معلقتان على سيارة سلامة، قاست المسافة بين السيارتين. ما زال هناك مائة متر.. خمسون مترًا.. ثلاثون.. عشرون. قوست إبهامها.. السيارة تقترب أكثر.. إنها الآن بمحاذاة الفولكس فاجن تمامًا، الآن وبسرعة، ضغطت على زر الريموت لأسفل، وفتحت فمها متزامنة مع موجة الضغط التالية.

وخلال أجزاء من الثانية هزت المتفجرات القوية الحي، واشتعل الشارع باللهب. تطايرت السيارة الشيفروليه في الهواء.. وتحول الشارع النظيف الهادئ إلى ساحة لمعركة شرسة خلفت عشرات القتلى والمصابين، وقفزت جورجينا رزق إلى الشباك تنظر في فزع إلى موقع الانفجار ، وكان أول ما فكرت فيه: (لقد قتلوك..!! فعلوها معك..). لقد سمعت الانفجار وشاهدت كمأة الدخان، ولم يتوه صراخها بين صفارات سيارات الإسعاف التي كانت تجلجل.

امتلأ شارع البقاع بالفوضى والزحام. لم يصب الحراس الخمسة في الرانز روفر بأي ضرر، لكنهم كانوا يتحركون بصعوبة. لقد تحطمت سيارة علي حسن سلامة بالكامل، لكن يبدو أنه ما زال حيًا. وبسرعة كان لا بد من الذهاب به إلى مستشفى الجامعة الأمريكية. ومع ذلك فكل ما استطاعه الأطباء في ذلك الوقت إثبات وفاته. لقد التصقت قطعة معدنية بمخه.

الذي حدث بعد ذلك أن تواجدت قوات أمن منظمة التحرير والشرطة اللبنانية. ووجد سبعة أشخاص من المارة قد قتلوا، بينما أصيب ثمانية عشر آخرون. يضاف إلى ذلك ركاب الشيفروليه الخمسة، سلامة وسائقه وحراسه الثلاثة. أما السيارة التي فصلت سيارة سلامة والرانز روفر، فقد أصيب ركابها إصابات مختلفة ولم يمت أحد منهم، وأمكن العثور على اللوحة المعدنية للسيارة الفولكس.

في سرعة البرق ومع ارتباكات الحادث غادرت إيريكا تشامبرز مكتبها لآخر مرة، فركبت سيارتها مخترقة شوارع بيروت حتى وصلت إلى جونية شمالاً. هناك التقت برونالد كولبرج ووصفت له وهي ترتجف فرحًا تفاصيل ما حدث. ومن البحر عن بعد، كان مايك هاراري يحاول أن يتأكد من بقعة الدخان التي خلفها الحادث. وفي ظلام الليل قاد كولبرج سيارته إلى الشاطئ برفقته إيريكا ، وبواسطة بطارية يدوية ومضت عدة مرات، تحرك الزورق المطاطي الإسرائيلى باتجاه الشاطئ، وساعد الرجال إيريكا وزميلها على القفز إلى الزورق، ومن ثم صعود زورق الصواريخ في عرض البحر، حيث احتضن مايك هاراري إيريكا تشامبرز بين ذراعيه مهنئا بنجاح العملية، عندئذ قالت له بفرح:

- (مايك.. لقد مات).

وفي مساء اليوم التالي في أكاديمية الموساد، أقيم احتفال أسطوري كبير بهذه المناسبة.

كان ياسر عرفات في اجتماع هام بفندق ميريديان بدمشق، عندما تلقى خبر استشهاد أقرب رجاله وأحبهم إلى قلبه.. فانفرد بمستشاريه وحراسه، ثم صدر بيان منظمة التحرير الفلسطينية، الذي يتوعد فيه عرفات بالانتقام من القتلة. وجرت مراسم تشييع الشهيد بصورة مثيرة، حيث أحيطت وامتلأت بآلاف البشر منطقة مقابر شهداء منظمة التحرير الفلسطينية، بالقرب من مخيم شاتيلا للاجئين في بيروت الغربية.

حمل عرفات بنفسه الكفن وسالت الدموع على لحيته المرتعشة، وسط أكثر من خمسين ألف فلسطيني ولبناني مشوا خلف نعش الشهيد، بينما أطلقت الأعيرة النارية وتعالت تكبيرات المشيعين.

(إننا نواري شهيدًا التراب) كان ذلك صدى صوت عرفات الحاد النغمة: (إلى اللقاء أيها البطل!.. استقر مكانك في كبرياء!.. سنكمل مسيرتنا إلى فلسطين مهما

كانت التضحيات.) ! !

على مقربة من عرفات كانت تقف أم حسن، الزوجة الأولى لسلامة، وقريبة المفتي الأسبق للقدس الحاج أمين الحسيني[1] ، وكان حسن، الابن الأكبر للشهيد، يرتدي ملابس الفدائيين خلال الجنازة. تتدلى الكوفية فوق كتفيه، ويمسك في يده مدفع الكلاشينكوف، وتشرق نظراته بشعاعات التحدي.

لم يبك الابن في انهيار أثناء توديع أبيه، وكان عرفات يمشي إلى جواره ممسكًا بيده، في حين تتساءل العيون والعقول: هل سيظهر حسن سلامة مرة أخرى..؟ لقد سمح للزوجة الأولى بأن تكون حاضرة لمراسم الوداع الأخير. أما الزوجة الثانية فلم يكن من اللائق ظهورها، لكن سمح لسائق سيارتها بأن يصحبها خلف الجنازة من بعيد، فكانت متشحة السواد ترتجف حزنًا ولوعة، ولا أحد من المشيعين عرف أنها زوجة الشهيد.

---

(١) الحاج محمد أمين الحسيني (١٨٩٧ - ١٩٧٤) مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، الذي كان صاحب الدور الرئيسي في ثورة البراق لعام ١٩٢٩، كما لعب فى شبابه دورًا مهمًا في ثورة أخرى قبلها هي ثورة النبي موسى عام ١٩٢٠. كانت ثورة البراق عبارة عن درس أراد الحسيني ورفاقه أن يلقنوه للاحتلال البريطاني، الذي كان يمهد السبيل لاحتلال فلسطين من قبل اليهود. وكان الحاج أمين الحسيني اليد المحركة القوية وراء انعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس عام ١٩٢٨ ، وقد عقد بدعوة من المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه الحاج أمين الحسيني ولجنة الدفاع عن البراق الشريف (يسميه اليهود حائط المبكى). دُعي إلى المؤتمر في الأول من نوفمبر ١٩٢٨ وحضره حوالي ٧٠٠ شخص. بهذا المؤتمر نقل الحسيني القضية الفلسطينية من أفقها المحلي إلى أفقها الإسلامي. وبقى هذا الرجل يقاوم على جبهتين، الأولى الجبهة اليهودية، والأخرى البريطانية خلال العشرينيات والثلاثينيات. وخلال الأربعينيات حاول الاستعانة بقوى معادية لبريطانيا لنصرة شعبه فالتقى بهتلر خلال الحرب العالمية الثانية، وحاول الحصول على دعمه. وفي ١٩٤٨ حينما سقطت أجزاء من فلسطين بأيدي اليهود كان الحسيني يريد أن يؤكد هوية الشعب الفلسطيني فشكل حكومة في غزة، أسقطتها في النهاية الأيدي العربية فضمت غزة إلى الإدارة المصرية والضفة الغربية إلى شرق الأردن. واستمر الحسيني على حركته الرامية إلى تحرير فلسطين من ربقة السيطرة اليهودية.

وقد وصف أستاذ جامعي إسرائيلي (زئيف ايلبلغ) في كتاب صدر له عام ١٩٩٤ الحسيني بقوله : (إنني أراه مثل حاييم وايزمان وبن غوريون ، وحتى مثل هرتزل للحركة الوطنية الفلسطينية) ، مؤكدًا أن هذا الرجل لم يحتل مكانه اللائق به في التاريخ العربي والفلسطيني بعد .

وجاء الرد الفلسطيني بأسرع ما يمكن ، ففي ٢٨ يناير ١٩٧٩ انفجرت بسوق نتانيا المزدحم قنبلة قتلت وأصابت ٤٥ إسرائيليا، وتلقت الشرطة مكالمة مجهولة بأن هذه العملية أولى العمليات الانتقامية لمقتل علي حسن سلامة، وأن العمليات ستتواصل ولن تتوقف في كل مكان.

حتى النفس الأخير

كانت قوات أمن منظمة التحرير الفلسطينية بعد انفجار السيارة الفولكس فاجن قد حاصرت شوارع المنطقة، وداهمت المنازل المحيطة التي تطل على شقة سلامة. لكن لم يتطرق الشك إلى مكتب المنظمة الدولية المعنية بالطفولة.

لكن مع اختفاء إيريكا من بيروت بشكل فجائي ، إضافة إلى إبلاغ شركة السيارات عن السيارة التي استأجرتها إيريكا لأيام ثم اختفت، قامت قوات الأمن باقتحام الشقة التي كانت شبه خالية من أي أدلة تقود إلى القاتل. وأمكن بعدها بأيام العثور على سيارتي إيريكا وكولبرج في جونية متجاورتين على الشاطئ ، وبربط الوقائع والشواهد تكشفت الحقيقة. وبالبحث عن إيريكا في ألمانيا باسمها المزيف (روث آلوتي) لم يعثر لها بالطبع على أثر.

وفي سبتمبر ١٩٨٥ ، كان أحد رجال الأمن الفلسطينيين في قبرص. وبينما كان يتجول في ميناء لارناكا لمراقبة حركة الإسرائيليين في الميناء، لمح إيريكا تشامبرز التي كان يعرفها جيدًا من قبل، خلال ترددها المستمر على مؤسسة صامد وشتى الجمعيات الأهلية الفلسطينية، وأيضًا من خلال صورها التي وزعت على رجال الأمن لملاحقتها أينما وجدت.

لم يصدق الرجل عينيه وهو يرى إيريكا بعد أكثر من ست سنوات. كانت ترتدي المايوه البكيني على سطح أحد اليخوت برفقة رجلين. اتصل من فوره بقائد القوة ١٧ العقيد محمد ناطور (أبو الطيب)، وأبلغه رجل الأمن بما لديه من معلومات، فسأله:

- هل أنت متأكد..؟

أجابه:

- مائة بالمائة .. فأنا سبق لي أن تقابلت معها، بخلاف صورتها التي أحفظها عن ظهر قلب.

فجر يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨٥ وقفت سيارة قبرصية بالقرب من اليخت، وغادرها ثلاثة رجال، أحدهم إنجليزي، يحملون حقائب خفيفة، سرعان ما اختبأوا خلف كشك مغلق ثم ظهروا بعدها بدقائق، يحملون رشاشات الكلاشينكوف ويندفعون بقوة إلى اليخت (إفرست)، وسيطروا عليه بلا أدنى مقاومة.

(أين جوازات سفركم..؟ أنتم إذن إسرائيليون.! وأنت..؟ ألست إيريكا ماريا تشامبرز أيتها المومس..؟ هل هما بيتر سكرايفر و رونالد كولبرج رفيقا عملية اغتيال علي حسن سلامة..؟ كيف نصدقك..؟ هل يوجد إسرائيلي واحد يعرف الصدق..؟! هه.. ألا تعترفي بالحقيقة..؟).

سمعت طلقات الرصاص.. وجرجر أحد الرجال الثلاثة جثة إيريكا إلى السطح. لقد نفذوا فيها حكم الإعدام، وتركوها منكفئة على بطنها فوق سور اليخت لتسع ساعات ونصف ، هي مدة المفاوضات التي شارك فيها السفير المصري للإفراج عن الرهينتين.

لقد حوصر الميناء بإحكام، ودارت مفاوضات شاقة من أجل أن تفرج إسرائيل عن ركاب مدنيين فلسطينيين سبق وأن اختطفتهم في عرض البحر في المياه الدولية، كانوا على متن عدة سفن ويخوت في طريقها ما بين بيروت ولارناكا والعكس . رفضت إسرائيل إطلاق سراح الركاب المدنيين المختطفين، فحصل الرجال على وعد من وزير الداخلية القبرصي بمحاكمتهم محاكمة عادلة ، وبناءً عليه ألقوا سلاحهم وغادروا اليخت. سألهم صحفي عن مصير الرهينتين حال ركوبهم سيارة الشرطة، فأجاب أحدهم: تجدهما في السماء.. (أي لم يعد لهما وجود على الأرض).

وفي اليوم التالي أذاعت إسرائيل أسماء القتلى الثلاثة، ومن ضمن ما قيل عن القتيلة أن اسمها إستير بالتسور، وهي إسرائيلية مواليد حيفا عام ١٩٣٥. وكانت برفقة زوجها (رولفن – ٥٣ عامًا) والآخر هو صديقهما إبراهام أفنيري (٥٥ عامًا)، وجاء بالبيان أن الثلاثة لا صلة لهم بالموساد.

لكن تسابقت الصحف الألمانية في اليوم التالي، عندما نشرت تؤكد أن القتيلة هي (ثامار)، بطلة عملية ليليهامر الفاشلة ، التي قتلت بمسدسها الجرسون المغربي أحمد بوشيقي[١] . ونقلت الصحف العالمية الخبر، وعادت ليليهامر من جديد تطفو على محيط الأضواء بغزارة.

وفي المحاكمة التي عقدت لهم في قبرص بداية من ٢٥ ديسمبر ١٩٨٥، قال الشاب البريطاني: **(إنني لن أندم على ما قمت به، وأشعر بسعادة لأنني أحارب الحركة الصهيونية.).**

وقال زميله الفلسطيني عبد الحكيم الخليفة :

(قتلت أفعى يهودية سامة.. أطلقت عليها الرصاص برغم أننا نعلم أن قتل أفراد عمل إرهابي وليس من صميم عمل الثوار أمثالنا. لكن المرأة اعترفت لنا بأنها عضو في الموساد وتحمل رتبة عسكرية.).

أما الثالث خالد الخطيب فقد اعترف أمام المحكمة القبرصية بأنه اشترك في عملية القتل للثلاثة الإسرائيليين، لأنهم كانوا يديرون حلقة تجسس على الفلسطينيين في قبرص، فضلاً عن **(أن هذه المرأة سعت لقتل رئيسي الأسبق علي حسن سلامة، كما أن اليهود أبادوا كل أسرتي وأنني الوحيد الباقي على قيد الحياة. لذلك لن أكتفي حتى أقتل عشرات اليهودي بيدي، وسأظل أخطط لقتلهم حتى النفس الأخير في حياتي)..!!**

---

(١) قتل أحمد بوشيقى بـ ٢٢ طلقة رصاص ، منها سبع رصاصات مزقت جسده وخرجت منه ، وأطلقت ثامار عليه آخر رصاصة تلك التى استقرت فى ظهره .



اغتيال أبو جهاد في تونس .. !!

ظنوا أن بموته سيخنق الصوت الفلسطيني وتندثر أحلامه بين غمامات الخيال.. وأن المقاومة والانتفاضة والعمليات الفدائية ستحال إلى متحف التاريخ.. إلا أن ظنهم بات وهمًا.. وهاجسًا.. فصوت النضال لم يخمد أمام إرهاب الدولة الصهيونية.. أو زمجرة الدبابات ودوي المدافع ..!!

اغتالت وحدات الكوماندوز الإسرائيلية خليل الوزير – أبو جهاد – ليلة الجمعة ١٥ أبريل ١٩٨٨ في تونس.. لكي تخمد الانتفاضة الفلسطينية في الأرض المحتلة.. إذ كان الاعتقاد السائد وقتها أن أبو جهاد هو المحرك الأول للانتفاضة وأنه يقودها بحرفية عالية من مقر إقامته في تونس.. وباغتياله سوف تتلاشى الثورة العارمة وتعود الأمور لسابق طبيعتها. إلا أن اغتياله أشعل الانتفاضة التي اتخذت أبعادًا جديدة لم تكن إسرائيل تحسب لها حسابًا.. وبات الوضع المتفجر يشكل أزمة حادة داخل المجتمع الإسرائيلي وحكومته.

بدأت بذور الانتفاضة على شكل اضطرابات غير مترابطة عقب ختام القمة العربية في عمان أول ديسمبر ١٩٨٧.. حيث تجاهل الزعماء العرب قضية الشعب الفلسطيني وانصب تركيز القمة على أحداث الحرب العراقية الإيرانية، مما أثار الشارع الفلسطيني الذي صدمه هذا التجاهل التام.. في الوقت نفسه كان الرئيس الأمريكي رونالد ريجان[1] ونظيره السوفييتي ميخائيل جورباتشوف يجتمعان في واشنطن، ولم يصدر عن اجتماعهما ما يدل على التفاتهما لقضية الصراع العربي الإسرائيلي.. أو معاناة الفلسطينيين في الأرض المحتلة.

---

(١) رونالد ريجان Ronald Reagan هو الرئيس رقم ٤٠ للولايات المتحدة الأمريكية. ولد في ٦ فبراير عام ١٩١١ في مدينة تامبيكو Tampico بولاية إلينوي من أسرة متوسطة الحال تنحدر من أصول إيرلندية واسكتلندية. كان والده جون إدوارد ريجان بائع أحذية، مات عام ١٩٤١ بسبب أزمة قلبية بعد حضوره أول فيلم مميز لابنه رونالد. درس ريجان الاقتصاد في جامعة يوركا Eureka بعد حصوله على منحة جزئية،وكان يدبر بقية مصاريف الجامعة عن طريق عمله في غسيل الأطباق في المطاعم.عمل بالتمثيل بعد تخرجه وتزوج من الممثلة دين دايمان وأنجب منها ابنته مورين عام ١٩٤١. ثم تزوج ثانية من نانسي دافيد عام ١٩٥٢ بعد طلاقه وجين، وأنجب باتي ورونالد. بسبب ضعف بصره لم يخدم في العسكرية طويلا.. وبرغم شهرته كممثل اتجه إلى السياسة وانضم إلى الجمهوريين وأصبح محافظًا لكاليفورنيا (١٩٦٧ – ١٩٧٥). ثم خسر أمام جيرالد فورد لتولي منصب الرئيس الأمريكي عام ١٩٧٦ بفارق ستين صوتًا فقط. وفي عام ١٩٨٠ نجح ضد كارتر في انتخابات الرئاسة ثم نجح لفترة رئاسة ثانية عام ١٩٨٥ واختار جورج بوش نائبًا له حتى عام ١٩٨٩. في عهد ريجان حدث اجتياح لبنان عام ١٩٨٢، وتفجرت سفارة أمريكا ببيروت أبريل ١٩٨٣، وانفجرت طائرة لوكيربي ١٩٨٨ . في عهده أيضا قصف طرابلس وأصيب منزل القذافي عام ١٩٨٦ وقتلت ابنته بالتبني، كما حدثت وقائع إيران جيت عام ١٩٨٥ (بيع أسلحة أمريكية لإيران مقابل الإفراج عن رهائن أمريكيين في بيروت)، ومحاولة التستر على جريمة إسرائيل باغتيال أبو جهاد فوق أرض دولة ذات سيادة .

لهذين السببين عم غضب شديد في فلسطين وتظاهرات تحاول أن تقول للعالم (نحن هنا.. لكن لا أحد يهتم بقضيتنا). وبرغم أنها كانت تظاهرات سلمية واحتجاجات غاضبة، إلا أن المحتل الإسرائيلي أزعجته هذه الأصوات.. وحاولت قواته العسكرية إسكاتها بشتى الطرق دون جدوى.. فقد حدث ما يشبه الانقلاب الجماهيري، عندما ضجت المدن الفلسطينية العربية بالهتاف.. والاحتجاج.

لكن في اليوم الثامن من ديسمبر ١٩٨٧، الثلاثاء، حدث انفجار شعبي عاصف وانفلات كامل لصمت طال أمده.. وذلك عندما اندفع مستوطن إسرائيلي مجرم بشاحنته عبر الطريق الرئيسي في غزة.. وصدم جمع من الفلسطينيين فسقط منهم أربعة قتلى تحت عجلات الشاحنة ونقل سبعة إلى المستشفى بحالة سيئة.. وكان منظر الدماء على الأسفلت والجثث المقطعة مدعاة لأن ينفجر الموقف تمامًا.. خاصة بعدما أفلت القاتل من أيدي الفلسطينيين ، وزعمت السلطات الإسرائيلية بأن الحادث غير متعمد وأفرجت فورًا عن المستوطن الصهيوني.

هذا الحادث كان شرارة الانتفاضة الحقيقية.. التي انتقلت نيرانها من قطاع غزة إلى الضفة الغربية.. والتهبت المدن العربية في ثورة عارمة كاسحة.. عبر عنها الأطفال العرب، في يأس، بالاحتجاج على طريقتهم الخاصة.. بالحجارة.. وكانت الثورة عنيفة لم تستطع قوات جيش الدفاع الإسرائيلية كبحها بعدما فشلت أجهزة الشرطة في ذلك.. ومع سقوط كل شهيد فلسطيني يكون دمه زيتا لإيقاد الانتفاضة وتأججها في وجه المحتل البربري الذي فتح نيران مدافعه ودباباته وطائراته بكثافة لإسكات صوت الانتفاضة بلا فائدة.. فالشهداء المدنيون العزل من الأطفال والشباب لم يكن سلاحهم سوى الحجارة في مواجهة الدبابة.. ومع كثرة الشهداء الضحايا اعتقد حكام إسرائيل أن العرب سيخضعون في النهاية.. وما كانت حساباتهم صائبة هذه المرة.. فالغضب كان يملأ الصدور لسنوات طويلة تحت الاحتلال.. مع يأس قاتل في الالتفات العربي والعالمي لمعاناتهم ومأساتهم وضحاياهم من الأبرياء.

هذا الإحساس اليائس المرير ساعد على الصراخ بصوت أعلى.. ومع المواجهة البربرية المسلحة يزداد الصراخ علوًا يصم آذان حكام إسرائيل فينزعجون.. وتتوقف الحياة تقريبًا في المدن.. وتلجأ الآلة العسكرية إلى الاستخدام المفرط في القصف والقتل والهدم والتخريب لعل ذلك ينهي الأزمة.. لكن لا فائدة ولا قوة غاشمة أثرت في الشارع العربي الفلسطيني.. بل اشتعال متزايد متصاعد مستمر في مواجهة العقاب الجماعي والاعتقال والقصف المتواصل.. وظهرت جماعات فدائية مسلحة بالإيمان.. وبقدرات محدودة للغاية في مواجهة الآلة العسكرية.. منها حركة (حماس)[1].. وحركة الجهاد الإسلامي. حتى تطورت المقاومة إلى عمليات استشهادية أرعبت العقول الإسرائيلية التي أفزعها أسلوب القنابل البشرية المفخخة.. وأصبحت الانتفاضة ثورة غير قابلة للسحق.. برغم استهزاء القيادات الإسرائيلية وقتها من نجاح استمرارها لأيام محدودة.

فقد وصف إسحق شامير[2] رئيس الوزراء الانتفاضة بأنها مجرد (جعجعة) مؤقتة ولن تطول.. بينما قال الجنرال دان شمرون رئيس الأركان معلقا: (مجرد صبية سذج يقذفون الحجارة).. أما رئيس الموساد ناحوم أدموني[3] فقد اعتقد بأنها (تنفيث مجانين) ولم يكن يوسف هارملين[4] رئيس الأمن الداخلي (الشاباك بعد ذلك) بأقل منه ثقة: (زمجرة جنازير المدرعات ستدخلهم بيوتهم كالدجاج)..

والأخيران ما كانا يتوقعان أن الانتفاضة ستقضي على مستقبل كل منهما في جهازي الأمن، بعد فشلهما المشين أمام حجارة الانتفاضة بأعتى الأسلحة وأقواها.. ومقتل ٣٠٠ فلسطيني في العام الأول ١٩٨٨ ومثلهم في العام التالي.

---

(١) (حماس) الحروف الأولى من (حركة المقاومة الإسلامية) وتأسست يوم ١٤ ديسمبر ١٩٨٧ في غزة بزعامة الشيخ أحمد ياسين.. (عام ٢٠٠٤ عندما أغتيل كان عمره ٧١ عامًا تقريبًا) وهو رجل كسيح منذ صباه. تعلم بالقاهرة وعاش حياته أسير مقعد متحرك ويأتي تفصيل حياته في فصل (محاولة اغتيال مشعل في هذا الجزء).

(٢) إسحق شامير: تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية بين عامي ١٩٨٣، و١٩٨٥. ثم تولى من عام ١٩٨٧ حتى عام ١٩٩٢، وخلفه إسحق رابين حتى اغتياله في نوفمبر ١٩٩٥ بيد متطرف صهيوني اسمه إيجال عامير.

(٣) ناحوم أدموني: كان نائبًا لرئيس الموساد إسحق حوفي (١٩٧٤ – ١٩٨٢)، ثم اختاره مناحيم بيجين رئيسًا للموساد عام ١٩٨٢ إلى أن أقاله إسحق شامير في مارس ١٩٩٠.

(٤) تولى يوسف هارملين رئاسة جهاز الأمن الداخلي بين عامي ١٩٦٤، ١٩٧٤. ثم لفترة ثانية من ١٩٨٦ حتى ١٩٨٨ واشتهر بدمويته وبأدائه الشرس.

لقد احتاج رؤساء أجهزة الأمن الإسرائيلية لدواء فعال يفيقهم من هول صدمة الحدث منذ تفجر الانتفاضة.. فبعد الاستخفاف والثقة كفوا جميعا عن استهانتهم بالوضع الثوري العاصف.. وعكفوا على الاجتماع أسبوعيًا تحت اسم لجنة (فاراش).. وبعد شهرين، نهاية فبراير ١٩٨٨ تقريبا، توصلوا إلى أن الجيش والشين بيت (شاباك) أخفقا في وقف الانتفاضة.. وصرخ هارملين قائلا إن شبكات جهازه من المخبرين تتهاوى[١]. وأن المتعاونين باتوا عرضة للانتقام والقتل [٢]

وحسبما جاء بالتقارير الأمنية الإسرائيلية.. أن المفاجأة كانت صاعقة.. حيث لم يكن هناك أي تفسير للإخفاق بالتنبؤ بالانتفاضة. وكان أسوأ فشل واجه لجنة (فاراش) هو العجز عن التكهن بأن الفلسطينيين سيغيرون أساليبهم.. فقد تحولوا عن الهجمات الفدائية المعزولة التي يشارك فيها قلة من الأفراد.. إلى عمل جماعي أقل عنفا.. لكن أكثر انتشارا.. يتفوق على القوة العسكرية الضخمة لإسرائيل.. حتى بدا المارد المسلح.. بنظم أسلحته المتطورة.. قزما أمام ثورة الحجارة في المدن والقرى العربية.

ووصلت فلسفة التحليل الخاطئ عند لجنة (فاراش) إلى حقيقة رسخت بعقولهم.. وهي أن الانتفاضة يلزمها تجنيد (عملاء) محليون أكثر كثافة .. بالتلويح بسياسة

---

(١) خلال الشهور الأولى للانتفاضة تمكن الفلسطينيون من إعدام عشرات المتعاونين الخونة الذين يمدون أجهزة الأمن الإسرائيلية بأخبار زعماء الانتفاضة وتحركاتهم. وكان أشهر هؤلاء الخونة، محمد عياد، الذي حوصر في بيته في قباطية بقطاع غزة، وبرغم زخات الرصاص من رشاشه العوزي الإسرائيلي ومقتل طفل صغير، اقتحمت الجماهير الغاضبة بيته ثم جرى شنقه بسلك كهربائي وعُلق على عامود إنارة قرب محطة الباصات. كانت هناك أيضًا أساليب أخرى لمعاقبة الخونة جرى تنفيذها في العديد منهم، كالضرب بالفؤوس للإعاقة الأبدية، أو الإعدام الفوري بالرصاص أو بالسكاكين والمدي بدون محاكمة، أو بمحاكمات علنية سريعة في الميادين العامة .

(٢) في ١٤ يناير ١٩٩٤ نشر عطا الله منصور مقالاً بعنوان (ظاهرة القتل) يشير فيه إلى أن هناك مشاكل تواجه الإسرائيليين، بسبب ٥٠,٠٠٠ متعاون وعائلاتهم، يعيشون داخل الخط ا لأخضر بعدما تم كشفهم. وفي ٩ يناير ١٩٩٧ نشرت صحيفة هآرتس Ha'aretz أن من الأسباب التي دعت الفلسطينيين إلى التعاون مع إسرائيل، التعرض للابتزاز، أو للحصول على امتيازات معينة مقابل تعاونه، تشمل هذه الامتيازات استصدار تصاريح العمل، أو إطلاق سراحه أو سراح آخرين عزيزين عليه من السجن، أو الحصول على تصاريح لم الشمل. ويضيف الباحث الفلسطيني أن هناك عددا من الأشخاص الذين وافقوا على التعاون مع إسرائيل لثأر شخصي محض. ويؤكد تقرير بتسيليم B'tselem report الذي نشرته هآرتس في ١ يناير ١٩٩٤، استخدام أسلوب الابتزاز، الذي أطلق عليه اسم الإسقاط، وهو يتضمن الحصول على صور لنساء وبنات فلسطينيات وهن عاريات، ومن ثم تهديدهن بنشر الصور على الملأ إن رفضن التعاون. وكان يتم الحصول على هذه الصور بواسطة كاميرات خفية يتم زرعها في البيوت، أو في مراكز الاعتقال. وتشير التقديرات الفلسطينية إلى أنه حتى عام ١٩٩٣ منذ انتفاضة ١٩٨٧ ، قتل ٩٤٢ متعاونا، بينما تؤكد وكالة الأسوشيتدبرس أن العدد ٧٧١ متعاونا، وذكرت إسرائيل أن العدد ١٠٠٠ قتيل من المتعاونين معظمهم من الضفة الغربية .

(العصا والجزرة) لتفكيك شبكات الاتصال بين النقاط المضطربة بعضها بعض.. واغتيال الرموز المحرضة حتى تجتث الزعامات الجديدة.

أحشاء إسرائيل

وعلى الرغم من يقين الحكومة الإسرائيلية أن الانتفاضة ما هي إلا ثورة ضد الاحتلال والقيود والتعنت.. وأن جذورها الأولى كانت من الداخل وليست من الخارج.. فقد أشارت التحليلات وقتها أن الزعماء في الخارج يتحركون بسرعة للتضامن.. والتحريض والأعمال الدعائية المساندة.. وتمثلت هذه المظاهر في واحدة من أشهر عمليات التضامن التي وقعت أحداثها في قبرص.

لقد أعدت منظمة التحرير الفلسطينية عملية دعائية تكسب بها التعاطف الدولي.. وتثير من جهة ثانية أعمال الانتفاضة في الداخل.. حيث جهزت سفينة يونانية قديمة اسمها (سول فراين) للإبحار بها إلى غزة وعلى متنها ١٣١ مبعدًا فلسطينيًا.. إلى جانب أعداد غفيرة من المراسلين الصحفيين والتليفزيونيين العالميين. بالإضافة ، وهذا أمر مثير ، إلى عضو يساري في الكنيست الإسرائيلي ، وأربعة عشر إسرائيليًا متضامنين مع حقوق الشعب الفلسطيني.

هؤلاء الإسرائيليين والأجانب ، كانوا بمثابة الحماية والضمان بألا تحاول إسرائيل إغراق السفينة، وأطلق على العملية ، حسبما تردد في وسائل الإعلام العالمية، سفينة (العودة) .

كانت سفينة العودة مثار قلق شديد لأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.. فمحاولة منعها بالقوة من الرسو على سواحل غزة عمل فيه إحراج لا حدود له لإسرائيل وتشويه لصورتها التي تحرص دعاياتها على أن تبقى نظيفة مثالية. ولم يكن هناك حل منطقي آخر ، في حساباتهم ، لإنهاء الأمر لصالحهم.. إلا بنسف السفينة في ميناء ليماسول بقبرص .

وأثناء التخطيط للعملية.. تأكد للمخابرات الإسرائيلية أن محمد باسم سلطان التميمي متواجد بقبرص للإعداد للرحلة.. والتميمي ضابط فلسطيني نشط في حركة فتح ، خطط لعشرات من الهجمات الفدائية الناجحة على المستوطنات الإسرائيلية.. وعندما عرض الأمر على إسحق شامير ، هكذا تقول مصادرهم ، فأبدى موافقته على العمليتين معا.. دون اعتبار للتواجد الإعلامي المكثف.. ووهج الإعلام العالمي لتغطية أنباء سفينة العودة في جزيرة قبرص.

تحرك فريق الإرهاب الإسرائيلي.. وبينما كان الفريق المكلف باغتيال التميمي يراقب الهدف.. استقل الضابط الفلسطيني سيارته في ١٤ فبراير ١٩٨٨.. ومعه مروان الكيالي أحد ممثلي منظمة التحرير في قبرص.. ومحمد حسن بحيص الموظف بدائرة الوطن المحتل بالمنظمة.. وقبلما تقترب السيارة من منزل شقيق الكيالي في ليماسول.. انفجرت بمن فيها بواسطة الريموت كونترول.

وفي اليوم التالي أحدثت العبوة الناسفة التى انفجرت ثقبًا كبيرًا بقاع السفينة ، ولم يتمكن البوليس القبرصي من القبض على الجناة ، الذين اختفوا كخفافيش الظلام في بيوت آمنة كانت معدة سلفا في قبرص.. وبتعطل رحلة إبحار سفينة العودة.. رأت منظمة التحرير أن الثأر السريع أمر مطلوب للغاية في مثل هذه الظروف.. انتقاما من حكومة إسرائيل وأجهزة مخابراتها.

أرسل خليل الوزير - أبو جهاد - على وجه السرعة ، ثلاثة فلسطينيين إلى مصر.. استطاعوا في ١٨ مارس ١٩٨٨ عبور الأسلاك الحدودية إلى النقب بإسرائيل سيرًا على الأقدام.. حيث استوقفوا (باصًا) للركاب عند مفترق طرق مهددين برشاشاتهم.. بعدها اهتزت إسرائيل عن بكرة أبيها للحادث.. فقد كان الأتوبيس يحمل فنيين من العاملين في مفاعل ديمونة الذري كانوا في طريقهم من بئر سبع إلى المفاعل.

طاش صواب الحكومة الإسرائيلية ومختلف أجهزتها الأمنية.. فما كان لأحد أن يتخيل ولو واحد بالمائة أن المقاتلين الفلسطينيين قد يتجرأون ويغامرون بالاقتراب من

المنطقة المحظورة البالغة السرية.. لكنهم الآن وقد دخلوها بالفعل، باتوا يهددون أحشاء إسرائيل من الداخل بجرأة مذهلة.

وفي معركة طاحنة عند أحد الحواجز قرب المفاعل.. استبسل فيها الفلسطينيون الثلاثة.. واسقطوا عددًا من الجنود قتلى إلى جوار مدرعاتهم ومصفحاتهم.. قصفت القوات الإسرائيلية الباص بالمدافع الثقيلة فقتل ثلاثة من الركاب وأصيب أغلبهم إصابات بالغة.. واستشهد الفدائيون الثلاثة بعدما نفدت ذخيرتهم.

وبرغم فشل العملية الفدائية (عسكريًا) إلا أن نجاحها المعنوي كان أكثر من نصر لمنظمة التحرير الفلسطينية.. حيث أوصلت الرسالة لقادة إسرائيل صريحة لا لبس فيها.. وهي أن بمقدورهم التغلغل داخل أكثر المناطق الإسرائيلية سرية.

وقرأ الإسرائيليون الرسالة.. بل وحللوا مغزاها مرات ومرات حتى استوعبوها جيدًا.. فالفلسطينيون باتوا مصدر خوف حقيقي.. وستفتح هذه العملية الفدائية المثيرة شهيتهم لعمليات أخرى أكثر حرفية وتخطيطًا، بغرض إنزال أكبر الخسائر في العمق الإسرائيلي، وفي بؤرة الأهداف الاستراتيجية الهامة التي كان من المفترض أن تكون محصنة ومأمونة.

لذلك ازدادت قناعتهم بأن هؤلاء الذين يحيطون بعرفات أرادوه واجهة سياسية بينما يتولون هم قاعدة العمل المسلح ضد إسرائيل سواء في الداخل أو الخارج.. وكان على رأس هؤلاء خليل الوزير ، أبو جهاد ، الذي أعلن أن العملية الفدائية في النقب جاءت مؤازرة لأبطال الانتفاضة من إخوانهم خارج الأرض المحتلة.. وتعد انتصارًا حقيقيًا للشعب الفلسطيني وكفاحه المسلح ضد الاحتلال الصهيوني.

وزير الدفاع الإسرائيلي إسحق رابين لم يتمالك أعصابه ، وبعصبية شديدة أعلن أن إسرائيل ستعاقب المعتدين وسوف تسحقهم سحقا لا قيام بعده.. ونشر عن أمنون ليبكين شاحاك رئيس المخابرات العسكرية – أمان – أنه لن يهدأ حتى ينتقم من (الإرهابيين) ويفتت عظام جماجمهم. أما المذعور يوسف هارملين رئيس الأمن

الداخلي فقال: ليس هناك إلا الثأر.. فلينتظروا انتقامنا.. وهكذا أجمعوا بلا استثناء على اغتيال أبو جهاد في تونس[1]..

كان أبو جهاد القائد الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية ، صاحب اليد الطولى والسيطرة والتوجيه في الأرض المحتلة.. ويعرف بـ (الرجل الصامت) لمظهره الخجول الهادئ.. لكنه كان جادًا ومخططًا بارعًا وتكتيكيًا عبقريًا.. وهو العقل المدبر والمحرك للعديد من العمليات الفدائية الناجحة التي هزت إسرائيل.. سواء أكانت عمليات بحرية.. أو داخلية نتيجة لعمليات تسلل.

ومع الانتفاضة التي اندلعت في شراسة.. فشلت أعمال القمع الإسرائيلية في إيقافها.. أو بقطع الصلة بين الانتفاضة وقيادة المنظمة في تونس.. وكانت الحجارة وقنبلة البنزين (المولوتوف) والفاكس أهم رموز الانتفاضة.. فقد استخدم الفاكس على نطاق واسع لتوزيع المنشورات.. وتلقى التعليمات من الخارج.. وفشلت المنشورات المزيفة التي عمدت أجهزة الأمن على توزيعها في خداع الفلسطينيين.

---

(١) هو خليل إبراهيم محمود الوزير، أحد زعماء منظمة التحرر الفلسطينية بعد عرفات، والقائد العسكري للتنظيم ، ومسئول الضفة الغربية وغزة . خطط لعشرات العمليات الفدائية داخل إسرائيل.. واتخذ من تونس مركزًا رئيسيا يدير منه عملياته لتأجيج الانتفاضة واستمرارها.. ولد أبو جهاد عام ١٩٣٦ في رام الله بين القدس وحيفا وفي ١٩٤٨ انتقل مع أسرته إلى غزة. وبعد حصوله على الثانوية العامة (البكالوريا) التحق بجامعة القاهرة حيث التقى بعرفات، ثم عمل مدرسا بالكويت وتزوج من ابنة عمه انتصار مصطفى محمود الوزير التي ترأست صندوق الشهداء التابع للمنظمة.

وفي منتصف الستينيات أسس مع عرفات منظمة (فتح) وترك الكويت إلى دمشق ليكون المسئول المالي للمنظمة متخذا اسم (أبو جهاد) كنية له. وخطط مع عرفات لأول هجوم فدائي فلسطيني في ١٩٦٥/١/٣ لنسف محطة ضخ في (بيت نيتونا) إحدى مشاريع الري الكبرى في إسرائيل.. لكن المسئول بالمحطة - إريه زيزهيك - اكتشف الشحنة الناسفة .

تواصلت رحلة كفاح أبو جهاد بفدائية مطلقة وذكاء خارق. حتى أنه حيَّر الإسرائيليين كثيرا بانتهاجه أساليب جهادية تفوق الوصف. وكانت المشكلة الرئيسية لأجهزة الأمن الإسرائيلية هي الوصول إليه لتصفيته. وخلال الانتفاضة فشلت إسرائيل في تحديد الجهة التي أطلق عليها اسم (القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة) ومنذ بداية عام ١٩٨٨ ظهرت منشورات القيادة الوطنية في الأرض المحتلة، تحمل أوامر التحرك والعمل: متى يتم الإضراب، متى تغلق المحلات أو تفتح، متى يهاجم المتعاونون مع العدو. وبعد بحث أمني طويل تبين أن أبو جهاد يقود الانتفاضة من تونس عبر الفاكس والمنشورات والأوامر، وعلى الرغم من اعتقال الآلاف استمرت الانتفاضة، وظلت المنشورات توزع بصورة منتظمة. وعندما قطعت خطوط التليفونات الدولية عن الضفة الغربية وغزة، كان نص المنشورات يذاع عبر إذاعة المنظمة في بغداد، ثم ينقل داخليا ويطبع ويوزع بالفاكس. وباتت الانتفاضة تشكل حربًا موجعة في الجسد الإسرائيلي الذي أنهكته ضربات أبو جهاد.. القائد الذي يقود من الخارج، فترتج إسرائيل فى الداخل ويهتزئ أمنها.

هكذا انفجرت المدن العربية في فلسطين ، وبات الموقف أمام الأجهزة الأمنية الإسرائيلية حالكا وصعبا.. فالتنبؤات بالقضاء على الانتفاضة[1] مع زمجرة الدبابات كانت غير واقعية.. مما أصاب الإسرائيليين بصداع مزمن شاق وعجز كامل عن توقع ما سيجرى في اليوم التالي.. وما كان أمامهم إلا الاعتقاد بأن اغتيال أبو جهاد سيقضي على الثورة الشعبية الفلسطينية في معاقلها ويصيبها باليأس.

اغتيال في تونس

اجتمعت كل العقول الإسرائيلية – الاستخباراتية والعسكرية – للتخطيط لعملية الاغتيال.. في واحدة من أبعد مواقع الحرب ضد الفلسطينيين على بعد ١٦٠٠ ميل من إسرائيل (أكثر من ٢٥٠٠ كيلو متر)

شرح رئيس المخابرات العسكرية (أمان) ، أمنون ليبكين شاحاك خطة العملية أمام مجلس الوزراء المصغر.. وبرر أن الهدف منها تصفية الانتفاضة.. وإثارة الخوف لدى القيادات الفلسطينية ، التي تروج أن الانتفاضة تزلزل إسرائيل من الداخل وتشتت قوتها العسكرية.

أما الهدف غير المعلن لعملية الاغتيال.. فهو (استعراض) القوة لرفع معنويات الشعب الإسرائيلي اليائس من آثار الانتفاضة وعدم قدرة الجيش على قمعها.

---

(١) استطاع الأب الروحي للانتفاضة، أبو جهاد، أن يمسك زمام المبادرة الشعبية، بتحويل الانتفاضة إلى ثورة جماهيرية منظمة وفاعلة، تشتت مجهود جيش الدفاع الإسرائيلي في الأرض المحتلة، وتنشر بين جنوده الرعب. أمر أبو جهاد في بدايات الانتفاضة بعدم استخدام العنف المسلح ضد قوات الاحتلال، والاكتفاء باستخدام الحجارة والمقلاع ليثيروا الرأي العام العالمي ضد إسرائيل. وقبيل اغتياله كان قد صرح لجريدة الأنباء الكويتية بأن الانتفاضة ستتطور بشكل حاد، بما يعني انتقالها لمرحلة تالية أشد وطأة، وهذا ما عجل باختيار ساعة الصفر لتصفيته. وكان رجال الأمن الإسرائيليين قد وضعوا نصب أعينهم عشرات العمليات العسكرية التي خطط لها أبو جهاد أو اشترك في إعدادها، منها عملية كمال عدوان عام ١٩٧٨، وعملية فندق سافوي بتل أبيب عام ١٩٧٥ ، والعشرات من العمليات الأخرى الجريئة، كانت كلها مدعاة لإسكاته ،حسبما تصوروا ، لكي تخفت المقاومة وتخمد الانتفاضة. لكن الحسابات هذه والتي تبناها باراك، تبين خطؤها في النهاية.

وبالرغم من الجدل الذي أثير في الاجتماع.. ومعارضة رئيس سلاح الجو السابق عيزرا وايزمان.. ورئيس الدولة إسحاق نافون.. إلا أن الأغلبية وافقت على العملية.. وتزعم هؤلاء وزير الدفاع إسحق رابين (الذي قتل بعد ذلك بواسطة يهودي) ، وحاييم بارليف وزير الأمن (الشرطة) ، وكان كل منهما قد شغل منصب رئيس الأركان في الجيش الإسرائيلي من قبل.. ويؤمنان بأن هذا الهجوم رسالة تحذير لعرفات ورجاله.. وفي النهاية اعتمدت الخطة تحت قيادة رئيس الأركان شومرون ونائبه المتحمس إيهود باراك وأمنون شاحاك رئيس (أمان).. لسابق خبرتهم[١] في مثل هذه العمليات ، وليكرروا نجاحهم هذه المرة أيضًا.

وفي أوائل أبريل ١٩٨٨ طار إلى تونس عدة رجال ونساء من عملاء الموساد يحملون جوازات سفر لبنانية.. وصلوا في رحلات مختلفة.. ونزلوا كسواح في عدة فنادق.. (كانت لهم مهام محددة كتلك التي قام بها رجالهم في بيروت عام ١٩٧٣). حيث عكفوا على مراقبة المنطقة التي يقيم بها أبو جهاد في الضاحية الشمالية من منطقة (سيدي بوسعيد).. واستئجار السيارات التي ستنقل رجال الكوماندوز من الشاطئ ثم العودة بهم..

وفي ١٥ أبريل ١٩٨٨[٢] ، كانت أربعة من زوارق الصواريخ الإسرائيلية في المياه الدولية قبالة السواحل التونسية.. وبواسطة قوارب مطاطية وصلوا في عتمة الليل إلى شاطئ هادئ.. حيث كانت السيارات المعدة سلفا تنتظرهم.. (السيناريو نفسه الذي استخدم قبلاً في عملية فردان ببيروت). ولأن تونس بلد سياحي يزوره قرابة مليوني سائح سنويًا.. فالأمن هناك لا يدقق كثيرًا في هوية السواح أثناء تحركاتهم.

---

(١) اشترك الثلاثة أيضا عام ١٩٧٣ في عملية اغتيال زعماء منظمة التحرير الفلسطينية الثلاثة في بيروت ، كمال عدوان ، و كمال ناصر ، و أبو يوسف النجار . وكان باراك أحد القتلة يومها حيث تخفى في زي امرأة ليل تتأبط ذراع زبون.

(٢) بعد مرور ١٥ عاما وخمسة أيام من عملية فردان في بيروت .. (!!)

كانت الاتصالات بين الطائرة البوينج ٧٠٧ التي كانت تحلق بعيدا[1].. وبين عملاء الموساد على الأرض التونسية تتم بواسطة أجهزة اتصالات ثنائية الاتجاه.. حيث كان شومرون وباراك وشاحاك يقودون فريق القتل من الجو ويتابعون الخطوات أولا بأول.

ركبت أجهزة تشويش في كشك التليفون الرئيسي بالمنطقة فعطلت الاتصالات التليفونية.. واقترب الفريق من الفيلا التي دخلها أبو جهاد قبل ساعة ونصف الساعة ، حيث استسلم سائقه الفلسطيني للنوم داخل سيارته المرسيدس الخاصة بجوار السور الخارجي.. وعلى مقربة منه جلس الحارس الأمني الفلسطينى منهمكًا بالاستماع إلى راديو صغير بيده وبجواره زميله الذى كان نائما فى مقعده ، بينما كان هناك حارس تونسى بحديقة الفيلا غير مسلح .

وبمسدسات بريتا الكاتمة للصوت أسكت السائق النائم إلى الأبد برصاصة واحدة في رأسه.. وقبلما يتحرك الجنديان الفلسطينيان على مدخل الفيلا الرئيسي، أطلقت على رأسيهما الرصاصات فسقطا أرضًا وجرى سحبهما إلى الحديقة الداخلية. هذا ما حدث أيضًا مع الحارس التونسي بالداخل ، الذى قتل بواسطة أفراد فاجأوه من الخلف.. لكنه كان قد أصدر صرخة تنبه لها أبو جهاد الذي كان بمكتبه يطلع على تقارير الانتفاضة، فأسرع إلى مسدسه في الوقت الذي اقتحم فيه أربعة من فريق القتل الباب الداخلي للفيلا.. وعندما التقط أبو جهاد مسدسه في الدور العلوي وأسرع بالنزول.. فوجئ بهم وقبلما تنطلق رصاصاته كانت رصاصاتهم الأسرع.

صرخت أم جهاد عندما رأتهم يفرغون مسدساتهم في بدنه تشفيا[2].. وارتجفت

---

(١) قيل في مصادر أخرى أن طائرتان ٧.٧ اشتركتا في العملية.. واحدة كمركز قيادة طائر والأخرى تعمل كمركز الكتروني للعمليات وبداخلها شومرون وشاحاك وباراك، إلى جانب طائرتى وقود وأربع مقاتلات F15 لتوفير الحماية للطائرات ولنشات الصواريخ الأربعة..(!!).

(٢) أطلقوا على جسده أكثر من ٦٠ رصاصة اخترقت بعضها عظام الجمجمة والصدر. مما يظهر مدى الحقد والانتقام والخوف.

ابنته حنان أمام وحشيتهم.. فعانقت الأم ابنتها واستدارتا بعيدا تنتحبان.. وسمعت الابنة أحدهم وهو يقول لها بالعربية لماذا تبكين..؟ من الأفضل أن تهتمي بأمك

تردد بعد ذلك أن امرأة كانت مع الفريق تحمل كاميرا فيديو تصور بها مشهد القتل، وجسد أبو جهاد المدد بملابسه العسكرية وسط بركة من الدماء بجوار الحائط ومسدسه بيده.. وبعدما فتشوا المكتب واستولوا على الأوراق والملفات.. أسرعوا بمغادرة الفيلا.. حيث عثرت الشرطة التونسية بعد ذلك على السيارات الثلاث المستأجرة وآثار أقدام كثيرة تتجه إلى عمق الشاطئ.

وزير الدفاع الإسرائيلي إسحق رابين بدا كأنه لا يحبذ فكرة الاغتيال، عندما صرح بأن هذه العملية تتعارض مع اتجاهات السلام، وتساهم في المزيد من عمليات (الإرهاب) . أما شاحاك فصرح لإحدى المجلات العسكرية الإسرائيلية ، أن التصفية الجسدية في المخابرات الإسرائيلية أسلوب مناسب للقضاء على من يوجهون الإرهاب إلى إسرائيل.. ولم يصدر اعتراف إسرائيلي رسمي بالعملية في حينها.

سافر وزير الخارجية التونسية ، محمود المستيري، إلى نيويورك.. وفي كلمته أمام مجلس الأمن طلب إدانة صريحة وقوية لإرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل.. حيث انتهكت بعدوانها سيادة الأراضي التونسية للمرة الثانية[1]. إلا أن أمريكا استخدمت حق الفيتو ، بحجة أن الأدلة التي قدمتها تونس عن تورط إسرائيل في اغتيال أبو جهاد غير كافية ، ولا تشكل دليلاً ثبوتيًا يستدعي الإدانة الدولية..

لكن الوزير التونسي لم ييأس.. وأيده مندوبو الدول العربية.. حتى صدر قرار الأمم المتحدة ، في ٢٥ أبريل ١٩٨٨ ، الذي يدين إسرائيل صراحة ،وجاءت الإدانة بأغلبية ١٤ صوتًا وامتناع أمريكا عن التصويت.. لتنتصر الدبلوماسية التونسية في استصدار قرار دولي بإدانة إسرائيل التي صرخت أبواق دعاياتها منددة بالقرار.

---

(١) في أكتوبر ١٩٨٥ هاجمت الطائرات الحربية الإسرائيلية مقر القيادة الفلسطينية في منطقة حمام الشط بتونس، مما أسفر عن مقتل ١٥٦ فلسطينيا وتونسيا.. و أصدر مجلس الأمن قرارا بإدانة إسرائيل.

لكن فضيحة الإرهاب الصهيوني كانت قد عمت دول العالم.. وقال محللون إسرائيليون بعد ذلك: **إن العمليات الفدائية الفلسطينية التي تمت بعد اغتيال أبو جهاد فاقت العمليات التي تمت قبل موته.. بمعنى أن نتائج عملية الاغتيال كانت وبالاً على إسرائيل وأمنها..(!!).**

حقائق عن العملية

في حينه ، أصدر الرئيس التونسي زين العابدين بن علي أوامره بالبحث في خلفية هذا الاعتداء الإرهابي، وقد استدلت الشرطة التونسية أن ثلاثة إسرائيليين وصلوا إلى تونس بجوازات سفر لبنانية للتحضير للعملية، برسم خرائط للمنطقة ومعرفة الشوارع ومحاور الهرب، وكذا معرفة كشك التليفون العمومي للحي الذي سيتم تعطيله، واستئجار السيارات الخاصة التي ستستعمل في نقل فريق الكوماندوز لفيلا أبو جهاد. وكشفت السلطات عن أن هؤلاء الثلاثة انتحلوا أسماء

- مجيد رياض أبو رياح – مواليد بيروت عام ١٩٤٨.
- خليل صبحي كاتم – مواليد طرابلس الشمال عام ١٩٤٨.
- حوات علام مصطفى – مواليد فوار أنطلياس – بيروت عام ١٩٤٧

---

(١) دفن الشهيد خليل الوزير بمدافن الشهداء في مخيم اليرموك بدمشق.. ولم يحضر ياسر عرفات جنازته لخلافات شديدة مع الرئيس الأسد امتدت لسنوات سابقة.. حيث سبق لعرفات أن اتهم سوريا عام ١٩٨٢ وهو تحت الحصار في بيروت، أن القوات السورية لم (تقم بواجبها) في مواجهة الغزو الإسرائيلي. بل لعله كان يلمح بذلك إلى أن هناك تواطؤا سوريًا إسرائيليًا لطرد عرفات والمقاومة الفلسطينية من لبنان. فيما بعد.. وتحديدًا بعد عقد جلسات المجلس الثوري الفلسطيني بدمشق في ١٩ يونيو ١٩٨٣ ، ووقوع التمرد بين قوات فتح الفلسطينية في البقاع، طردت سوريا عرفات من أراضيها. ومنذ ذلك الوقت ظلت العلاقات مقطوعة بين الأسد وعرفات، إلى أن استشهد أبو جهاد وتحقيقًا لرغبة عائلته تمت الموافقة على دفنه في دمشق. لذلك لم تسنح الفرصة لعرفات بمرافقة جثمان رفيقه إلى مثواه الأخير، برغم أن دمشق لم تكن – وهي التي أقامت جنازة عسكرية لائقة للشهيد – لتعارض أبدًا زيارة عرفات الذي لجأ إلى ليبيا، فتوسط العقيد القذافي حتى أتيح لعرفات أن يزور قبر صديقه في ٢٤ أبريل ١٩٨٨ بعد أيام من دفنه.. وهناك بكى عرفات وهو يستند إلى قبره.. بكى صديق الحياة.. ورفيق الكفاح لمدة ثلاثين عاما.. وقال: (كنت آمل أن تحملني أنت إلى قبري.. لكنني آسف يا أخي.. لم أودعك ولم أحملك بيداي.. فسامحني..).

هؤلاء الثلاثة انتظروا فريق الكوماندوز عند شاطئ (روّاد) المقفر، وعادوا بـه ثانيـة إلى ذات المكان بعد تنفيذ عملية الاغتيال، حيث تركوا السيارات المستأجرة بـالقرب من الشاطئ، ودلت آثار أقدامهم على انسحابهم الجماعي إلى هناك.

جاء بالتقرير التونسي أيضًا حول ملابسات الحـادث، أنـه تزامـن تحليـق طـائرة البوينج ٧٠٧ الإسرائيلية، في ممر جوي على بعـد ٥٩ ميـلاً مـن المجـال التونسـي، وقت وقوع الجريمة فى الساعات الأولى من صباح يوم السبت ١٦ أبريل ١٩٨٨، بعد خمس عشرة سنة بالضبط من عملية (فردان) ببيروت. وذكرت هيئة مراقبي الجـو في إيطاليا، أن فنيين إيطاليين بأحد المطارات المدنية، اتصلوا بالطائرة الإسرائيلية فـوق البحر المتوسط وقت تنفيذ حادث الاغتيال.

وجاء بالصحافة التونسية :

بعد ساعات من استشهاد الزعيم الفلسطيني في منزله بضاحية سـيدي بوسـعيد شمالي العاصمة تونس، تصورنا أننـا سـنجد زوجتـه (أم جـهاد) في حالـة انـهيار ومحطمة نفسيًا بسبب اغتيال زوجها أمام عينيها. وبالرغم من آثـار الدمـاء الـتي كانت تغطـي مسـاحات مـن الجـدران، وحجـم المأسـاة البشـعة، وقفـت أم جـهاد متماسكة ثابتة وسط سيدات باكيات متشحات بالسواد، يعلـو صراخـهن بـالعويل المحزن.

كانت أم جهاد قد عادت من المستشفى الوطني، حيث جثمـان زوجـها الشـهيد بانتظار نقله إلى دمشق، وقالت للنسوة النائحات : (لقد استشهد أبـو جـهاد ولـن يعيده البكاء.. وبدلاً من أن نبكي لرحيله يجب أن نكمل رسالته في سبيل تحريـر وطننا). ثم وضعـت في الكاسيت شـريطًا سجلت عليـه أغـاني وطنيـة فلسطينية وأخذت تزغرد، بينما عقد أولادها جهاد وباسم وحنان وإيمان دبكـة فلسـطينية، ويصفق لهم شقيقهم الأصغر نضال.

ومع القهوة المرة وسط ذهول الجميع روت أم جهاد تفاصيل اللحظات الأخـيرة في حياة زوجها الشهيد:

خلاص .. مات

(قبل منتصف الليل بقريب، عاد أبو جهاد من جلسة عمل مع فاروق قدومي، أبو اللطف[1]، وكان باسمًا منشرحًا مشرقًا. تناولنا طعام العشاء ثم صعدنا إلى الطابق العلوي في غرفة النوم التي تضم مكتبه الذي يجلس عليه للعمل لفترة طويلة من الليل. ذهب الأولاد للنوم بينما كانت ابنتنا حنان معنا. كنت مستلقية على سريري بجانبي حنان وكان أبو جهاد على مكتبه يقرأ على مسمعي تقريرًا جاءه من الأرض المحتلة قبيل ساعات.. ثم ضحك بابتهاج ودهشة وهو قول: سننتصر.. إن الله معنا ولن يتخلى عنا أبدًا.. تصوري.. لقد اصطدمت سفينتا شحن قبالة سواحل غزة فسقطت حمولتهما من مواد غذائية في البحر ، سمن وجبن ومعلبات، طفت وجرفتها الأمواج إلى الشاطئ فانتشلها السكان المحاصرون ووزعوها على بعضهم البعض. وأعلنت الحكومة الإسرائيلية أن العلب غير صالحة للاستهلاك الآدمي، وأنها مسمومة، إلا أن السكان ضحكوا من هذه الادعاءات وأكلوا مما رزقهم به الله دون أن تحدث حالة تسمم واحدة).!!

تضيف أم جهاد :

(غلبني النعاس بعد منتصف الليل بنصف الساعة، وتركت حنان تترجم تقريرًا باللغة الإنجليزية كان قد وصل لوالدها من الأرض المحتلة، وسمعتهما قبلما استغرق في النوم يتناقشان حول الترجمة، وكان ما يزال مرتديًا لباسه العسكري كاملاً ولم يتهيأ بعد للنوم.

استيقظت مذعورة عندما قام منتفضًا وتحرك بحذر باتجاه باب الغرفة يحمل مسدسه ويشهره بمحاذاة كتفه. لحقت به فأشار لي بالابتعاد عنه دون أن يلفظ

---

(١) فاروق قدومي : رئيس اللجنة السياسية ، وعضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح، ووزير الخارجية الفلسطيني بعد ذلك.!!

كلمة واحدة. فتح باب الغرفة وانتحى مكانًا في زاوية بهو صغير ملحق بغرفة النوم ، وأطلق رصاصة واحدة[1] باتجاه السلم الواصل بين الطابقين الأرضي والعلوي الذي نحن فيه.

بعد ذلك مرت لحظات سريعة لكني خلتها الدهر كله. لم نسمع أي صوت إطلاق رصاص جوابًا لطلقة زوجي. وعندما نظرت باتجاه نهاية السلم رأيت أشباحًا تصعد السلم وتتقدم وهي تطلق النار باتجاه زوجي. أحسست بالرصاص ينطلق وأنا ساهمة من هول الذهول و المفاجأة دون أن أسمع شيئًا، ورأيت أبا جهاد وقد انطرح على الجدار بجسده، فيما غطت الدماء وجهه، وسقط المسدس من يده، وهوى بعد ذلك على الأرض بعد إصابته بالعديد من الرصاصات التي اخترقت صدره ورأسه.

القتلة كانوا أربعة. ثلاثة منهم كانوا بحجم واحد طولاً ونحافة، والرابع كان بدينًا إلى حد ما، وكانوا يضعون على وجوههم كمامات كتلك التي يستخدمها الأطباء في حجرات العمليات. لذلك لم أر وجوههم، ولم ألاحظ إذا كانت بينهم فتاة أم لا. أما ملابسهم فكانت عسكرية داكنة وينتعلون أحذية رياضية ثقيلة. وكانت أسلحتهم رشاشات خفيفة كاتمة للصوت. وعندما صرخت ابنتي حنان تكلم أحدهم بالعربية "روحي لأمك أحسن".

بعدما سقط أبو جهاد على الأرض تناوب القتلة الأربعة إطلاق النار عليه. فبعدما كان أحدهم يفرغ رصاصاته صوب جسد أبي جهاد يخلي مكانه لزميله. وهكذا حتى أفرغوا أربعة خزن في جسده المسجي بجانب الحائط، وسال الدم فغطى المكان وتناثر على الحائط.

كنت أرتجف. وكلما حاولت إلقاء نفسي تجاه أبي جهاد صوب أحدهم سلاحه نحوي مشيرًا إلي بعدم الاقتراب. وظل القاتل يراقبني وهددني عدة مرات بالقتل

(١) يقول رفيقه محمد عودة (أبو داود) في حوار مع مجلة الوسط ١٩٩٩/٦/٢١ : أعتقد بأنه لم يتمكن من إطلاق النار. كان بحوزته مسدس. قائد من هذا النوع كان يجب أن تكون معه بندقية. ولو أنه تصرف بحذر لكان بإمكانه أن يبيدهم لأنه كان في وضع أفضل فهو فوق وهم يصعدون.

عندما كنت أصرخ، حتى أنه كان يضع فوهة مسدسه على رأسي، فكنت أشيح بوجهي نحو الحائط مرددة بعض الآيات القرآنية. وعندما انتهى الرابع من إفراغ رصاصاته فقدت أعصابي وصرخت بقوة وأنا أتوقع الموت: خلاص.. خلاص.. أبو جهاد مات. ماذا تريدون؟ حرام عليكم.. اتركوه.

وبعدما انتهوا وتيقنوا من أنه فارق الحياة بالفعل، توجه أحدهم بعد أن غاص بحذائه الثقيل في بركة الدماء إلى غرفة النوم وأطلق عدة رصاصات على الجدران والسرير والستائر، ثم خرجوا مسرعين متجهين إلى الطابق الأرضي بينما اعتقدت أن المجرم قتل ابني نضال، فأسرعت إلى حجرة النوم ووجدت الطفل يبكي ويصرخ، فقد أطلق القاتل النار حول جسده وفوق رأسه. حملته وجريت به وأعطيته إلى أخته حنان ثم عدت إلى أبي جهاد. انحنيت فوقه أتحسس جبينه وأسمع نبضه الذي كان لا يزال مستمرًا.

أسرعت إلى التليفون لطلب النجدة لكن الأسلاك كانت مقطعة. لمحت القتلة يسرعون بالانسحاب من باب الفيلا إلى الشارع، كان عددهم أكثر من أربعة. نزلت إلى الطابق الأرضي مع الأولاد وخادمة المنزل التي كانت منهارة تمامًا مثلنا. اتجهت نحو باب البيت فوجدت الحارسين الفلسطينيين مقتولين، وكذلك الرجل التونسي "حبيب" الذي يعتني بالحديقة.

الهدوء كان مخيفًا ولا أحد يشعر بما حدث. صرخت في الشارع أمام البيت، صرخت بأعلى صوتي ربما يلحق أحدهم بالقتلة الذين استغرقت جريمتهم بالفيلا ثماني دقائق.

برغم صراخي المرتفع وصراخ الأولاد أمام الفيلا، في الشارع العام، لم يجيبنا أحد، وكنت أتعجب.. هل خلت المنطقة من البشر بعد استشهاد زوجي وحارسيه..؟ حتى أن سائقه الخاص كان مقتولاً أيضًا داخل السيارة. وأخذت أهرول بين طابقي المنزل والحديقة والشارع لأكثر من نصف الساعة وأنا أصرخ طلبًا للنجدة، حتى هرول إلينا جار فلسطيني قام معنا بنقل أبي جهاد إلى

المستشفى، لعل معجزة إلهية تحدث، برغم علمي أنه فارق الحياة منذ اللحظات الأولى للهجوم، وتأكيد الجار الفلسطيني الذي حمله إلى سيارته بأن عروق أبي جهاد كانت لا تزال تنبض) .

رُوِّج بعد ذلك أن إسرائيلية شقراء كانت مع فريق القتل، صورت بكاميرا فيديو تفاصيل الاقتحام والقتل لحظة بلحظة، لكن الشاهدة الوحيدة، أم جهاد، نفت ذلك نفيًا قاطعًا، وأكدت بأنها لم تر سيدة وسطهم.فقد كان القتلة الأربعة بمفردهم بالطابق العلوي[1]، بينما كان هناك عدد آخر بالطابق السفلي والحديقة، لتأمين عملية الحماية والانسحاب.

تلك كانت واحدة من عمليات أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، التي تسطر تاريخ الدولة الصهيونية وتلقي الظلال على أسلوب إرهاب الدولة. لكن هل خُسف بالانتفاضة بموت خليل الوزير..؟ والإجابة نعرفها جميعًا.!!



---

(١) يقول محمد عودة في المصدر السابق : كنت في تونس عندما حصل الحادث. توجهت إلى المنزل الذي برغم ترددي عليه، لم أكن أعرف السلم المؤدي إلى غرفة نوم الشهيد . هذا يعني أن الذي زود الإسرائيليين بالمعلومات يعرف بيت (أبو جهاد) بالتفصيل. ويضيف عودة: كانت هناك ثغرات أمنية في حراسة المسئول الكبير ، الذى كان يتعامل مع موضوع حساس جدًا بالنسبة إلى الإسرائيليين هو موضوع الداخل. فهل يعقل أن يكون معه حارس واحد نائم في السيارة وحارس آخر كبير السن نائم في القبو؟ في المقابل كان عدد أفراد حراسة (أبو إياد) يصل إلى العشرين؟

اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي في مالطا .. !!



نموذج نادر في التخطيط وتنفيذ عملياته العسكرية داخل الأرض المحتلة. عاش حياته كأغلب الثوار مطاردًا من مكان لمكان، لكنه لم يكن يخاف الموت.. ذلك لأنه وهب روحه فداء لوطنه منذ وعى.

تصيدوه في مالطا وحيدًا بلا حراسة، واغتالوه بالرصاص بأمر مباشر من رابين الحاصل على جائزة نوبل للسلام. وبعد تسعة أيام، اغتيل رابين بذات الرصاصات.. بين حرسه وشعبه..!!

الدكتور فتحي الشقاقي، نموذج مشرف للجهاد، وأحد رموز المقاومة الفلسطينية الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الحرية والوطن.

إنه مؤسس وزعيم وأمين عام حركة (الجهاد الإسلامي) في الأرض المحتلة. تبنى العديد من العمليات الفدائية الجريئة التي أوقعت أكثر من ثلاثين قتيلاً صهيونيًا داخل فلسطين المحتلة. أبرز هذه العمليات، واحدة في التاسع من أبريل عام ١٩٩٤ في قطاع غزة، راح فيها ثمانية قتلى إسرائيليين دفعة واحدة ، بينهم سبعة من جنود جيش الدفاع.

أما أشهر عملياته على الإطلاق ، فكانت تلك العملية المزدوجة المبهرة التنفيذ ، التي وقعت في ٢٥ يناير ١٩٩٥ عند مفرق (بيت ليد) شرقي تل أبيب، أسفرت وحدها عن مقتل عشرين جنديًا صهيونيًا وجرح أكثر من ستين آخرين.

يقول الإسرائيليون[١] :

في هذا العالم القاسي، كان الشقاقي موضع احترام شعبه. كان هو من أفتى شخصيًا بأن استشهاديي بيت ليد مغفورٌ ذنبهم عند الله . وللخروج بهذه الفتوى استقرأ آيات القرآن الكريم واستشهد بها لتعزيز فرضية فلسفية تقول إن الاضطهاد يساعد المضطهد على اكتشاف قوى جديدة فيه. وقام بتهيئة الاستشهاديين نفسيًا ليقوموا بعملياتهم الفدائية الجريئة وهم في حال اتّقاد ديني. بعدئذ كان الشقاقي يرثيهم في خطب الجمعة مؤكدًا أن مثواهم الجنة.

بعد اختيار المجنّدين وتعيين الأهداف كان الشقاقي يحيل الشبان إلى خبراء المتفجرات الاستراتيجيين ، الذين كان بوسعهم تحديد كمية المتفجرات المطلوبة لتدمير أي هدف بمجرد تفحّص صورة له

(١) جوردون توماس : انحطاط الموساد اغتيالات وأكاذيب وارتزاق . ترجمة محمد معتوق. دار بيان، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠ .

وكحال الكيميائيين القدامى، كانوا يعملون في ضوء الخبرة وبدافع الغريزة، وكانت لغتهم مليئة بعبارات توحي بالموت: "المؤكسد"، "مزيل الحساسية"، و"اللدائنيات"، و"العقاقير الخافضة المجمّدة". هؤلاء كانوا جماعة الشقاقي. كان الشقاقي يردد دائمًا: "إننا نحارب إذن نحن موجودون" [1]

من هو فتحي الشقاقي؟

ولد الشقاقي في عام ١٩٥٢، في مخيم رفح للاجئين في قطاع غزة. وهو ابن لعائلة شردت من ديارها في نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، وبعد دراسة الطب، في مصر. أسس حركة الجهاد الإسلامي.

يقول الدكتور رمضان شلّح، الذي انتخب أمينًا عامًا للحركة بعد اغتيال الشقاقي، عن تلك المرحلة

(تجمعت النواة الأولى لمشروع (الجهاد الإسلامي)، من خلال تنظيم أسسه الدكتور فتحي الشقاقي، في مصر، أواخر السبعينيات، منفصلاً عن حركة الإخوان المسلمين.. وبعد عودتنا، من مصر، أوائل الثمانينيات، تهيأ التنظيم لخوض غمار التعبئة الشعبية والسياسية في المساجد والجامعات والمدارس.. جاءت حركة الجهاد إجابة إسلامية ثورية عن السؤال الفلسطيني، ورفعت شعارات الإسلام والجهاد وفلسطين: الإسلام كمنطلق، والجهاد كوسيلة، وفلسطين كهدف للتحرير).!

وقد سجنت إسرائيل الشقاقي، عام ١٩٨٢ لمدة عام واحد بتهمة التحريض على العمل الجهادي المسلح، دون تمييز للمصالح اليهودية أو الأفراد. وبعد الإفراج عنه راح يقود حركته ضد الاحتلال الإسرائيلي من جديد، حتى طردته إسرائيل عام ١٩٨٧، إلى لبنان، إثر انطلاقة الانتفاضة الشعبية في فلسطين.

---

(١) لاحظ أسلوب الكاتب الملتوى فى توصيل أهدافه، فبالرغم من أن مؤلف كتاب: (انحطاط الموساد) إيرلندى، إلا أن لغة تعاطفه وإعجابه بالإسرائيليين واضحة، حتى وإن بدا مهاجما لأسلوب أجهزة الاستخبارات الصهيونية، ذلك لأنه صهيونى الفكر والمبدأ.

تنقل الشقاقي ما بين لبنان ودمشق، لحشد القوى المشتتة ضد إسرائيل واتفاقات أوسلو ، وتمتين أواصر تنظيمه الثوري بالدعم والتأييد.

كان الشقاقي تزوج من فلسطينية ، من القدس، ورزق أربعة أطفال. وبعد إبعاده إلى لبنان، طردت إسرائيل زوجته فتحية ، أثناء زيارتها لعائلتها في القدس .

بوضوح شديد كانت مواقف الشقاقي السياسية معروفة ، فقد كان ضد مبدأ (دولتين لشعبين) في بلد صغير كفلسطين. وكان مع خيار استمرار الكفاح المسلح، بغض النظر عما تفرزه عملية السلام القائمة وكان يردد دائمًا : **(إن عملياتنا الاستشهادية ليست مربوطة بمرحلة سياسية معينة بل متواصلة).**

وكان الدكتور الشقاقي، مؤمنًا بالشهادة وطريق الشهداء، فهو القائل:

(في عالم تحكمه معادلة القوة الظالمة يقود الشهداء الطريق الأمثل لتحقيق توازن الرعب مع عدو مدجج بكل النفير والسلاح، ويؤكدون باستشهادهم أن هذه الأمة حية، لا تموت ولا تركع.. الشهادة هي المعادل الموضوعي للحياة، والشهداء هم عنوان الحياة، لأنهم لا يموتون، بل ينزرعون في الأرض، يورقون ويثمرون وتخضر بهم حياتنا).

وفي تاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة ، كان (الاختراق) الإسرائيلي، ولم يزل، هو أداة الوصول لتصفية قادتها الواحد تلو الآخر[1] . ولا يمكننا القول، إن عملية اغتيال الدكتور الشقاقي في مالطا، هي آخر نموذج (للاختراق) الإسرائيلي لصفوف الثورة الفلسطينية.

ومن المؤسف حقًا، أن الثورة الفلسطينية المعاصرة، بالرغم من كل تجاربها العسكرية والأمنية، لم تجد حلاً لمصيدة (الاختراق) الإسرائيلي، ولم يحتط قادتها،

---

(١) كانت عملية اغتيال الدكتور الرنتيسى فى أبريل ٢٠٠٤ ، قبيل صدور هذا الكتاب ، نموذجا صارخا للاختراق . فقد كان الرنتيسى يبدل سياراته فى نقاط معينة لا يعرف بها أحد ، حتى أنه فى يوم استشهاده غادر بيته متخفيا ، إلا أن أحد الجواسيس تمكن من مراقبة أحد حراسه وتتبع خطواته ، وبذلك اكتشف الأماكن السرية التى تتم عندها عملية تبديل السيارات . ومن خلال التليفون المحمول أمكن للعميل إرشاد الإسرائيليين عن السيارة الهدف فتم قصفها .

بالقدر الذي يضمن لهم الأمن والحماية، بالحس الأمني الذي من المفترض أن يكون إحدى حواسهم الهامة. على الرغم من نجاحها في إحباط بعض (الاختراقات) قبل بلوغها أهدافها.

اجتماع الشياطين

في البدء كان (الاختراق) الإسرائيلي لتحركات الدكتور الشقاقي، أما الاغتيال فهو الخطوة الثانية

لقد ظن الدكتور الشقاقي، أن استخدامه جواز سفر ليبي باسم (إبراهيم الشاويش)، يمكن أن يحجب عنه أعين عملاء (الموساد) الإسرائيلي، أو سهام الاستخبارات الأمريكية التي تدعم النشاطات الإرهابية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين. وهو، على حذره، لم يحسب حساب قدره، الذي كان ينتظره متخفيًا في جزيرة مالطا يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٩٥.

كان من المنتظر أن ينتقل الشقاقي من مالطا إلى دمشق، بعد المحاولات التي بذلها في ليبيا مع العقيد معمر القذافي، من أجل إيقاف عملية ترحيل الفلسطينيين المقيمين هناك.

ودفعت أخبار توقّفه في مالطا بابنيه المراهقين إلى تقديم قائمة مشتروات نصف دستة من القمصان لكل منهما من متجر في مالطا كان الشقاقي قد زاره من قبل.

وتتذكّر السيدة فتحية الشقاقي تلك المرحلة **(كان زوجي مقتنعًا بأنه لو كان الإسرائيليون يخطّطون لتصفيته لكانوا فعلوا قبل ذلك. فاليهود يردّون بسرعة على أي حادث. لكن زوجي كان متأكدًا جدًا بأنهم في حالته لن يفعلوا ما يغضب سورية).**

تقول المراجع الإسرائيلية

(حتى قبل ثلاثة أشهر من ذلك كان الشقاقي مصيبًا في حكمه على سلوك الحكومة الإسرائيلية. ففي أوائل صيف ١٩٩٥ رفض رئيس الوزراء إسحق رابين،

خطةً وضعتها الموساد لشن هجوم بالقنابل الحارقة على شقة الشقاقي في دمشق. كان أوري ساجي وقتها رئيسًا للاستخبارات العسكرية (أمان) ، والقائد الأعلى الفعلي للاستخبارات الإسرائيلية ، قد أبلغ رابين أنه (يلاحظ تغييرا في دمشق. فلا يزال حافظ الأسد معاندًا للإسرائيليين صراحة. لكن الطريقة الوحيدة للتغلّب عليه هي أن نتخلّى عن مرتفعات الجولان كليًا، إنه ثمن باهظ جدًا، ولكنه السبيل الوحيد إلى سلام دائم ولائق).

أصغى رابين إليه وهو يعلم كم كلّف الاستيلاء على مرتفعات الجولان أوري ساجي شخصيًا. فقد أمضى معظم حياته العسكرية وهو يدافع عن جغرافيتها الوعرة. وقد أصيب أربع مرات في أثناء ذلك. ومع ذلك كان مستعدًا لنسيان كل شيء من أجل تحقيق السلام الحقيقي لإسرائيل.

أجّل رئيس الوزراء إعطاء موافقته النهائية على تنفيذ خطط الموساد لقتل الشقاقي، بينما تابع ساجي استكشاف حقيقة آماله. كانت هذه الآمال قد ذابت في حرارة الصيف فأمر رابين، الذي كان قد حصل على جائزة "نوبل" للسلام، باغتيال الشقاقي.

في آخر عملية كبرى وقعت أثناء ولايته أمر شبتاي شافيت[1]، رئيس الموساد، "عميلاً سريًا" في دمشق باستئناف المراقبة الإلكترونية المستمرة لشقة الشقاقي. كان الجهاز الإلكتروني الأمريكي الذي يستخدمه العميل متطورًا إلى حد مكّنه من إبطال عمل قاطع الرادارات الدفاعية في نظام الاتصالات الروسي الصنع في شقة الشقاقي.

---

(١) شبتاي شافيت – رئيس الموساد ١٩٩٠ – ١٩٩٦ .

(٢) الجنرال مائير عاميت : من مواليد طبريا عام ١٩٢٦ ، تطوع في منظمة الهاجاناه الإرهابية عام ١٩٤٦، وحارب الجيوش العربية عام ١٩٤٨ وجرح في جنين، واستولى مع إحدى الفصائل على إيلات، وكان قائد معركة الجنوب في حرب السويس ١٩٥٦ ، وأصيب وقتها برصاص المصريين وظل يعالج ستة عشر شهرًا في أمريكا، وقبلما يتولى رئاسة (أمان) كان قائدًا لوحدة مشاة ودبابات، واشتهر عنه بأنه الذي طور مبدأ (اتبعوني)، أي أن القائد العسكري يجب أن يكون في المقدمة أثناء الحرب لا العكس. واسمه الأصلي مائير سلوتزكي، وهو أول رجل من خارج الموساد يتولى رئاستها (١٩٦٣ – ١٩٦٧) .

أرسلت تفاصيل زيارة الشقاقي إلى ليبيا ومالطا إلى تل أبيب .

في تلك الليلة من ليالي أكتوبر ١٩٩٥ اخترق رؤساء أقوى ثلاثة أجهزة استخبارات في إسرائيل الجموع السائرة في شارع (بينسكر) في طريقهم إلى الاجتماع. كان كل منهم يؤيد الشروط المتعلقة بتصفية عدو لدود لإسرائيل، وهي الشروط التي طالب بها الجنرال مائير عاميت[٢] بوضوح عندما كان رئيسًا للموساد :

– لا اغتيال للزعماء السياسيين فهؤلاء يُعاملون سياسيًا.

– لا اغتيال لعائلة العدو المسلّح. ولكن إذا تدخلت عائلته في الأمر فليست مشكلتنا. كل عملية اغتيال لا بدّ أن تنال موافقة رئيس الوزراء.

– كل أمر لا بد أن يجري وفقًا للقواعد المتّبعة. ومحاضر الاجتماع الذي يتخذ فيه القرار تُحفظ ويحافظ على نظافة وترتيب كل شيء.

– يجب ألا تبدو أعمالنا وكأنها عمل إجرامي ترعاه الدولة بل العقوبة القضائية القصوى التي يمكن أن تنزلها الدولة. فنحن لا نختلف عن الشانق أو أي جلاد عُيّن ينفذ حكم الإعدام بموجب القانون .

كان أول الواصلين إلى الاجتماع الأمني شبتاي شافيت، الذي كان زملاؤه يقسون عليه فيقولون أن تصرفاته تشبه تصرّفات موظف استقبال في أحد فنادق تل أبيب. فهو مثله يرتدي بشكل دائم ملابس مكويّة ، ومثله يصافح زوّاره بيد لا تطيل المكوث. كان قد أمضى في منصبه ثلاث سنوات وكان يوحي بأنه لا يعرف كم سيبقى فيه .

بعده وصل العميد دوران تامير، كبير ضباط الاستخبارات في الجيش الإسرائيلي، وهو شاب رشيق في مقتبل العمر، وكان مظهره يوحي النفوذ الباعث على الثقة الذي اكتسبه من سنوات طويلة في القيادة .

أخيرًا وصل أوري ساجي وهو يختال في مشيته كقائد عسكري محارب ، في طريقه إلى نجومية أكثر سطوعًا من موقعه كمدير للاستخبارات العسكرية "أمان".

كان يصرّ على أن سورية مستعدّة للتفاوض السلمي على رغم نوبة غضبها المتجدّدة، وكانت وجهة نظره هذه التي يعرضها بصوته الرقيق وتواضعه تثير الجدال بين نظرائه.

كانت العلاقة بين الرجال الثلاثة "ودّية بحذر" على حد تعبير شافيت.

قال أوري ساجي :

(إننا لا نستطيع أن نتبارى بشكل أو بآخر في ما بيننا. وكرئيس لـ "أمان" كنت أعهد بالمهام للرجلين الآخرين.كنا نتنافس في ما بيننا، ولكن طالما كنا نعمل للهدف ذاته فلا بأس).

وعلى مدى ساعتين جلس الثلاثة حول مائدة الاجتماعات في غرفة الجلوس وراجعوا خطة اغتيال فتحي الشقاقي. كان إعدامه سيكون عملاً انتقاميًا بحتًا وفق مبدأ "العين بالعين" التوراتي الذي يزعم الإسرائيليون إنه لا يحرم مثل عمليات الاغتيال هذه .

عدالة السماء

في ٢٤ أكتوبر ١٩٩٥ غادر شابان في أواخر العشرينيات من عمرهما اسماهما الرمزيان جيل وران من تل أبيب في رحلتين منفصلتين، فطار ران إلى أثينا وجيل إلى روما. وفي المطار سُلّم كلّ منهما جواز سفر بريطانيًا حمله متطوّع محلي. ووصل الإسرائيليان إلى مالطا في وقت متأخر من الليل ونزلا في فندق "دبلومات" المطل على مرفأ فاليتا العاصمة .

مساء ذلك اليوم استأجر ران درّاجة نارية قال لموظفي الفندق إنه سيستخدمها في التجوّل في الجزيرة.

ولا يذكر أي من موظفي الفندق أن جيل وران أجريا أي اتصال، بل إنهما أمضيا معظم الوقت في غرفتيهما. وعندما قال أحد عمال الفندق أن حقيبة جيل ثقيلة غمزه جيل وقال إنها مليئة بسبائك الذهب.

في تلك الليلة اتصلت باللاسلكي سفينة شحن كانت قد أبحرت من ميناء حيفا في اليوم السابق متجهة إلى إيطاليا بسلطات ميناء مالطا لتبلّغها عن حدوث عطل في محرّكها، وأنها ستضطر بينما يجري إصلاح العطل إلى اتخاذ اتجاه معيّن قرب الجزيرة. كان على متن السفينة شبتاي شافيت وفريق صغير من تقنيي الاتصالات في الموساد. وقد أقاموا اتصالاً باللاسلكي مع جيل الذي كان ينقل في حقيبته جهازًا صغيرًا لكنه قويّ.

كان قفلا الحقيبة مصممين بطريقة تحدث انفجارا في شحنتين داخل غطاء الحقيبة إذا فتح القفلان باتجاه اليسار بدلاً من اتجاه اليمين. وكان هوائي اللاسلكي وطوله ربع ميل من السلك ذي الألياف البصرية ، ملفوفًا بإحكام بشكل أسطوانة قطرها ست بوصات متصلة بأربعة هوائيات ثنائية الاستقطاب ثبتت داخل زاوية الحقيبة. تلقّى جيل خلال الليل عددًا من الرسائل اللاسلكية مصدرها السفينة .

كان فتحي الشقاقي قد وصل في اليوم السابق على طائرة هليكوبتر ، تعمل بين طرابلس وفاليتا ، وبرفقته عدد من رجال الأمن الليبيين ظلوا على متن الطائرة. فقد انتهت مهمتهم مع بلوغ الشقاقي الشاطئ.

كان الشقاقي حليقًا وقدّم نفسه إلى مسئول قسم الجوازات في مالطا باسم إبراهيم درويش[1] وهو اسمه على جواز سفره الليبي. وبعدما سجّل اسمه في فندق "دبلومات" أمضى عدة ساعات في المقاهي المطلة على البحر يحتسي القهوة ويتذوّق الحلويات العربية. كما أجرى عددًا من الاتصالات الهاتفية .

وفي صباح اليوم التالي (٢٦ أكتوبر ١٩٩٥) ، كان الشقاقي عائدًا إلى الفندق وهو يحمل القمصان التي وعد بها ولديه. وفيما هو يسير بمحاذاة البحر قبيل دخوله إلى الفندق، تحرك رجلان يركبان دراجة نارية من طراز (ياماها) على مهل

---

(١) جاء ببعض المصادر أن اسمه في جواز السفر الليبي (إبراهيم محمد الشاويش).

بجانبه ، وأطلق أحدهما النار على رأس زعيم حركة الجهاد من مسافة قريبة فأرداه قتيلاً. واختفى الرجلان ولم يعثر على أي منهما. تضيف المصادر الإسرائيلية أنه وبعد ساعة كان زورق صيد يبحر من ميناء فاليتا يلقي مرساه إلى جانب سفينة الشحن. ولم يلبث ربّان السفينة أن أبلغ سلطات الميناء أن العطل الذي أصاب المحرك قد أصلح مؤقتًا، وأن السفينة ستعود إلى حيفا لمزيد من أعمال الصيانة).

في إيران أعلن يوم حداد وطني على الشقاقي. أما في تل أبيب، فعندما سئل رئيس الوزراء إسحق رابين عن رأيه في عملية الاغتيال قال باستخفاف شديد: (إنني لست حزينًا بالطبع).

أما الشرطة المالطية فقد وصفت العملية بأنها من تنفيذ قاتل محترف[1].

وفي تل أبيب فقد كتب الصحفي والمحلل الأمنى الإسرائيلي (يوسي ميلمان)[2] في صحيفة (هاآرتس) يقول:

(بعد القضاء على الشقاقي بث رابين حملة من الإشاعات التي تلمح بأنه المسؤول عن اغتياله.).

وأضاف ميلمان **(الدافع الأساسي لملاحقتهم (قادة الإرهاب) هو الانتقام، ولكن في حالة اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي تم التوصل إلى هدفين في نفس الوقت. فقد شكل اغتياله رادعًا للجهاد الإسلامي الذي يرأسه رمضان شلّح الآن وحال دون تخطيطهم لعمليات استشهادية داخل إسرائيل خشية أن يلاقوا نفس مصير الشقاقي).**

إلا أن كلام يوسي ميلمان الأخير غير صحيح أو منطقي على الإطلاق، فقد جاء الرد الأول في قطاع غزة بسيارة مفخخة وأصيب في التفجير (١١) إسرائيليًا.

---

(١) جاء ببعض المصادر أن الشرطة المالطية اكتشفت أن لوحات الدراجة النارية مزورة. وأن الشهيد فتحي الشقاقي أتى من ليبيا إلى مالطا بحرًا لا جوًا بدون حراسة، مع علمه بأن قبرص ومالطا مسرحان مكشوفان للمخابرات الإسرائيلية.

(٢) لسان دعائي معروف للموساد، استهوته لعبة الدعاية لحراس الهيكل، ووصف عملياتهم في كتابه (أمراء الموساد) بالأسطورية الخارقة .

وكانت تلك العملية بعد أيام قليلة من تولي رمضان شلح زعامة الجـهاد الإسلامي خلفًا للشهيد الشقاقي. وكان ذلك الرد ترجمة لقول الحركة: **"سنجعل كل صهيوني على وجه الأرض هدفًا لضرباتنا"**.

وصل جثمان الشهيد القائد فتحي الشقاقي إلى دمشق، ثم نقل إلى مقبرة الشـهداء في مخيم اليرموك وسط جنازة جماهيرية مهيبة وحضور إعلامي كثيف، حيث دفـن إلى جوار رفيق الكفاح الشهيد خليل الوزيـر (أبـو جـهاد) ، وعاهدتـه الجماهـير مـن خلالها على مواصلة طريق النضال والكفاح، حتى تحقيق الأهداف الوطنية المشـروعة للشعب الفلسطيني.

مرت تسعة أيام بالتمام والكمال.. ودماء الشهيد فتحي الشقاقي لم تكن قد جَفّت بعد بين يديه القذرتين، عندما قُتل رابين وسط حراسـه وشعبه في مـهرجان للسـلام أقيم بميدان الملوك في تل أبيب ، على مقربـة مـن البيـت السري الـذي جـرى فيـه الإعداد لتنفيذ أوامره باغتيال الشقاقي. كان مقتله على يـد متعصّـب يـهودي يدعـى إيجال عامير الذي كان يتحلّى بصفات القسوة نفسـها الـتي أثـارت إعجـاب رئيـس الوزراء بالموساد.

كان إسحق رابين صقرًا تحوّل إلى حمامة ، وكان الزعيـم السياسـي القـوي الـذي آمن بأن الفرصة الوحيدة للسلام في الشرق الأوسـط هـي ، كمـا نقـل مـرة خطـأ عـن التوراة، (أن نحوّل سيوفنا إلى محاريث ونحرث الأرض مع جيراننـا العـرب) . وقـد قتله أحد أفراد جماعته لأنه لم يضع في حسبانه أن أعداءه في الداخــل ، سـيظهرون التصميم والشراسة في تدمير رؤيته المستقبلية

فعندما اخترقت فى ٤ نوفمبر ١٩٩٥ رصاصات من الخلف جسد رابـين ، يكـون القاتل إيجال عامير أول من أزال القشـرة الفاسـدة التـى تغطـى القبـح فـى المجتمـع الإسرائيلى ، والذى فرّخ فى العقود الأخيرة منظمـات دينيـة وقوميـة متعصبـة ، ولم يكن عامير سوى شخصية يهودية متعصبة ، رضعت دم الكراهية منذ نعومة أظفارها حيال العرب . فالتلمود علم إيجال منذ البداية مقولة : **(قريب اليهود هو اليهودى فقط . وباقى الناس حيوانات "حمير وكلاب وخنازير" ولكنهم فى صورة إنسـان ، ويلزم سبهم سرا وفى الوقت نفسه فإن النفاق معهم جائز.) ! !**

محاولة اغتيال خالد مشعل في عَمَّان.. !!



جربت الموساد شتى أدوات الفتك والدمار لاغتيال القيادات الفلسطينية وغير الفلسطينية. إلا أن محاولة اغتيال خالد مشعل كانت أولى تجارب الاغتيال بالسلاح الكيماوي .

لقد فضحت العملية على مرأى من العالم بربرية الدولة الصهيونية، التي لم تدخر جهدًا لاحترام معاهدة السلام بينها وبين الأردن. ولم تشعر ببعض حياء لأنها اغتصبت أرضًا ليست أرضها.. وتطارد أصحاب الأرض الأصليين بالاغتيال والمذابح.. أمام صمت العالم ..!!

فضيحة محاولة اغتيال خالد مشعل في الأردن، أم الفضائح في تاريخ الموساد وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كما يرى المحللون الأمنيون، الذين أجمعوا على أنها سقطة موسادية كبرى، ومهزلة دبلوماسية إسرائيلية أكبر حجمًا من وصف (دولة الإرهاب) ، أو (الإرهاب الصهيوني الأخرق).

شبكة CNN الإخبارية الأمريكية كشفت تفاصيل المحاولة الفاشلة، لاغتيال المتحدث الرسمي باسم حركة حماس في عمان خالد مشعل، وجاءت العملية بنتائج عكسية، كما وصفتها جريدة الصانداي تايمز اللندنية بأنها عملية تضج بالخزي والغباء، والاستهتار الذي يخيم على مجتمع الاستخبارات الإسرائيلي.

وقبل الخوض في تفاصيل محاولة الاغتيال، وتداعياتها، نتعرف أولاً على تقنية القنابل البشرية لدى المقاومة الفلسطينية ، التي تصيب بالشلل أدمغة حكام الدولة الصهيونية، قادتهم يأسًا في النهاية إلى التفكير بعملية عمان.

إذ يُجمع المحلّلون وراصدو التطورات الساخنة في الصراع العربي/ الإسرائيلي، على أن (حزب الله) كان أول من أدخل إلى ترسانة أسلحته تقنية (القنابل البشرية). وفي عام انطلاقته الأولى ١٩٨٢ نفذ أحد استشهادييه، وهو (أحمد قصير) ، أول عملية انقضاض بسيارته المفخخة على مبنى الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور ، أسفرت عن صدمة زلزالية داخل إسرائيل لسقوط مئات القتلى ، وشكلت منعطفا في الصراع لأنها غيرت مجرى الأحداث، ونقلت الخوف من معسكر إلى آخر.

انشغل العالم بهذه الطريقة غير المسبوقة في المواجهة، وازداد انشغاله بعد عمليتي تفجير (المارينز) في أكتوبر ١٩٨٣ ، ومقر القوات الفرنسية (المظليون) بعد أقل من دقيقة على الانفجار الأول والحصيلة سقوط ٥٠ جنديًا فرنسيًا.

كان قد سبق هاتين العمليتين، تفجير السفارة الأمريكية في بيروت في ١٨ أبريل ١٩٨٣ حين اقتحم استشهادي بشاحنة مفخخة مبنى السفارة وفجرها، مما أدى إلى مقتل ٦٣ شخصًا معظمهم من الأمريكيين، إضافة إلى عدد مماثل من الجرحى.

وتميزت عمليات (حزب الله) الاستشهادية بالدقة في التخطيط والتنفيذ، مما جعلها تسجل نجاحًا كبيرًا في إيقاع أفدح الخسائر في صفوف الاحتلال الإسرائيلي وتأجيج روح المقاومة والتضحية لتحرير الأرض. بدليل أنه بعد العملية الاستشهادية التي نفذها أحمد قصير في العام ١٩٨٢ توالت العمليات الاستشهادية التي أدت إلى استشهاد أكثر من ٣٠٠ مقاوم، الأمر الذي جعل الصراع مع إسرائيل يتخذ منحى جديدًا.

وإذا كان من الصعب حصر كل أسماء استشهاديي (حزب الله) فإن أبرزهم هم علي صفي الدين الذي فجر سيارته وهو في داخلها لدى اقتحامه مدرسة في مدينة صور حولها الإسرائيليون مقرًا لمخابراتهم، وهيثم دبوق ، وعبد الله عطوي ، والشيخ أسعد برو ، وصلاح غندور ، حيث اقتحموا على فترات متباعدة قوافل عسكرية إسرائيلية بسيارتهم المفخخة وفجروها لدى اقترابهم منها. موقعين العشرات من القتلى. كان هناك أيضًا إبراهيم ضاهر الذي اندفع نحو دورية مشاة إسرائيلية عام ١٩٩٢، وأمطرها بالرصاص ثم عمد إلى تفجير نفسه وكان جسمه مفخخًا بكمية كبيرة من المواد المتفجرة .

المهم إن الحالة الاستشهادية شكلت مدرسة قائمة في ذاتها، تلقفتها حركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" واعتمدتها في التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي. والجناحان العسكريان السريان في الحركتين، أي كتائب عز الدين القسام (حماس) و"قسم" (الجهاد) لم يوفرا أي جهد منذ العام ١٩٨٤ في تجنيد استشهاديين ودفعهم وراء الخطوط الإسرائيلية لحصاد القتلى والجرحى، الأمر الذي وضع أدمغة التخطيط في الجيش الإسرائيلي في حالة ارتباك وهلع.

ولا بد هنا من ذكر اسم (المهندس رقم ١) في حماس ، يحيى عياش[1] ، الذي رعى العبوات البشرية منذ ١٩٩٤ . وهذا النمط من العمليات حقق للجناح العسكري

---

(١) اغتيل في ٥ يناير ١٩٩٦ في غزة بواسطة تليفون محمول مفخخ، سلمه له الخائن كمال عبد الرحمن عياد الذي هرب وبقى في حماية الأمن الإسرائيلي بعدما أهدر الفلسطينيون دمه.!

نتائج مبشرة، وأحدث حالة من الرعب في المجتمع الإسرائيلي وصدى إعلاميًا عربيًا وعالميًا، مما وضع "حماس" على الخريطة السياسية، وجعل منها منافسًا خطيرًا لمنظمة التحرير . وكان مثيرًا أن يطلق إسحق رابين تسمية (المهندس) على يحيى عياش، ولم يُخف إعجابه بقدراته في المحافل الأمنية المغلقة، وحدد لأجهزة الأمن الإسرائيلية أن المطلوب رقم واحد هو (المهندس). ولعل أهم العمليات التي خطط لها عياش، كانت عملية "بيت ليد" وأدت إلى قتل ٢٢ جنديًا إسرائيليا وجرح ٤٥ آخرين، والمثير أن العملية نفذت على بعد ٣٠ مترًا فقط من سجن "كفار يونا" حيث كان الشيخ أحمد ياسين معتقلاً، وبعد يومين فقط منها، قدم رئيس "الشاباك" الإسرائيلي استقالته مع خمسة من كبار مساعديه لفشلهم في العثور على (المهندس). وقام رابين بتعيين كرامي جيلون رئيسًا للشاباك ، الذي صاغ هدفه الأول بتصفية يحيى عياش حتى تمكن من اغتياله عام ١٩٩٦ ، ولكن رابين لم يشهد هذا الحدث أغتيل قبل عياش بأيام قليلة

ولا شك أن عياش كان متفوقا في صنع المتفجرات والتخطيط العملياتي والتنكر والتخفي والإفلات من المطاردة الإسرائيلية في الضفة الغربية. وعندما قرر الهرب إلى غزة، انطلق بمفرده بسيارة تحمل لوحة إسرائيلية في اتجاه حاجز "أيرز" ، وقام الجنود الإسرائيليون بتحيته بكل أدب وهم يلوّحون لسيارته بالعبور إلى قطاع غزة.

يومها تنكر في زي حاخام يهودي إسرائيلي وتبين أن في رصيده ١٣٢ قتيلا إسرائيليا ، لكن المتعاونين الخونة رصدوه في غزة ، وسقط أحد أبرز أدمغة (حماس) العسكرية وأشهر مخططي عملياتها الاستشهادية، يحيى عبد اللطيف عياش، في انفجار لم تنف إسرائيل مسؤوليتها عنه. وكانت الإذاعة الإسرائيلية أول من أعلن نبأ وقوع الانفجار في منزل في مخيم جباليا شمال القطاع، وتبارى الوزراء الإسرائيليون في الإعراب عن سعادتهم بتصفيته قبل أن يتمكن أي مصدر في مخيم جباليا من تحديد الانفجار.

تبين أن (المهندس رقم واحد) اغتيل بعبوة ناسفة مزروعة في تليفون محمول، كان قد تلقّاه قبل أيام من سقوطه من أحد المقاولين المعروفين في قطاع غزة ويدعى "كمال حماد" [1] بواسطة أحد أبناء شقيقته الذي كان عضوا في خلية استشهادية، يتولى المهندس تدريبها في مكان سري بين مخيم جباليا وقرية "بيت لهيا". وكان الاختراق كبيرا وخطيرًا ومدوّيًا. وزّجت تل أبيب بترسانة إلكترونية متطورة للقضاء على عياش. وحلقت طائرة هليوكبتر فوق مخيم جباليا ، بثت ذبذبات تفجيرية اصطادت "المهندس".

عملية مشعل

ومنذ تلك اللحظة ، دخل الجناح السري لـ "حماس" في حالة انعدام الوزن. وباتت جبهة مفتوحة أمام كل أنواع الاختراقات.

أعلنت "حماس" الحداد الوطني ودعت إلى رفع الأعلام السود على كل بيت. وقالت: ولينطلق الآذان بالتكبير والتهليل من مآذن كل المساجد.

وفي ٣٠ يوليو ١٩٩٧ دوّى انفجاران فصل بينهما أقل من دقيقة في سوق الخضار المركزية (محنية بن يهودا) في القدس الغربية ، فقتل ١٦ شخصًا وأصيب ١٦٩ بجروح. وتبين أن شابين فلسطينيين في العشرينيات من العمر نفذا العملية الاستشهادية. وقالت الشرطة الإسرائيلية إن كلا منهما فجّر نفسه بنحو عشرة كيلوغرامات من مادة "TNT" بواسطة صاعق كهربائي.

وكان المنسق العملياتي (المهندس رقم ٢) محيي الدين الشريف[2]. ومنذ هذه اللحظات، تركزت الخطط الإسرائيلية على اصطياده..

---

(١) مؤخرًا تقدم كمال حماد بدعوى لدى محكمة في تل أبيب، يُطالب فيها جهاز الأمن الداخلي بدفع ٢٥ مليون دولار على شكل تعويضات، من جراء الخسارة التي تكبدها بعد فراره من القطاع حيث كان يقيم حتى تصفية عياش. فقد أصدرت السلطة الفلسطينية أمر اعتقال بحقّه. وصادرت ممتلكاته الواسعة في غزة، بعدما تمكن من الهرب مع أفراد عائلته إلى إسرائيل.

(٢) اغتيل محيي الدين الشريف في ٢٩ مارس ١٩٩٨ في رام الله .

لقد تنامى الإحباط في جهاز المخابرات الإسرائيلي لفشله في القبض على المـهندس (الثاني) ، الذي قيل إنه يتولى عمليات تدريب جيـل جديـد مـن مفجـري الأحزمـة الناسفة.. لكن التسريب المبرمج لأخبار العجز عـن اصطيـاد الشـريف لم يكـن سـوى جدار من الدخان. ونشطت عمليات بحث ضخمة عن هذا الدماغ العبقري .

غير أن المؤكد ، أن عملية سوق محنية بن يهودا ، كانت ذات وقـع خـاص عنـد القيادة الإسرائيلية ، لارتباطها باجتماع مجلس الوزراء الأمني الإسـرائيلي ، في اليـوم ذاته ٣٠ يوليو، واتخـاذه قـرار بتكليـف رؤسـاء الوكـالات الاسـتخباراتية للتخطيـط لعمليـات خاصـة تـهدف الإمسـاك بزمـام المبـادرة، وتوجيـه ضربـة قاسـية لحركــة (حماس).

وفي اجتماع ضم رؤوس إسـرائيل الكبـيرة، تم اسـتعراض شـتى الحلـول لإسـكات (حماس)، لكن لم يكد يمر سوى عدة أيام من أغسطس ١٩٩٧ ، حتى قتل حارسين على السفارة الإسرائيلية في عمان عندئذ ، بدأت الموسـاد في تقليـب ملفـات قيـاديي حماس في العاصمة الأردنية، في محاولة للـرد علـى العمليـات الـتي نفذتـها الحركـة فزرعت الرعب في المجتمع الإسرائيلي وأرقته.

أرسلت الاستخبارات الإسرائيلية عملاءها إلى كـل مـن لبنـان والأردن في محاولـة لاغتيـال مصطفـى اللـداوي ممثـل حمـاس في لبنـان، وخـالد مشـعل رئيـس المكتـب السياسي للحركة في عمان. فاعتقل جهاز أمن حزب الله عملاء الموساد الذين اعترفوا بكل شيء. ولم يكن على خريطة الاغتيالات وقتئذ سوى خالد مشعل الـذي تصيـب تصريحاته الإسرائيليين بالهلع.

لكن.. لم يكن القرار الإسرائيلي سـهلاً، نظـرًا لوجـود علاقـات بـين عمـان وتـل أبيب، وتوقيع معاهدة السلام بينهما في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٦ ، أي بعد أقل من عام.

وقبل خمسة أيام من ساعة الصفر المحددة لاغتيال مشعل، وصلت مجموعة سياح أجانب إلى العاصمة الأردنية، بينهم اثنان يحملان الجنسية الكندية، ويـوم الاثنـين

٢٢ سبتمبر ١٩٩٧ الذي سبق تنفيذ العملية، في شارع وصفي التل [1] المعروف بشارع "الجاردنز" في منطقة تلال العلي غرب عمان، بدأ قسم من الفريق المنفذ عملية استطلاع لمتابعة تحركات مشعل، الذي يقع مكتبه في الطابق الخامس من مبنى في الشارع المذكور "شركة المقاصد للاستيراد والتصدير" . ولاحظ مرافقون وعاملون في "المقاصد" ذلك النهار، وجود أشخاص ذوي ملامح أجنبية في محيط المبنى وأخطروا الوكيل في العمارة بذلك

ومن مستشفاه قال مشعل عن الأجواء التي سبقت محاولة اغتياله :

(كنت متجهًا إلى مكتبي مع ثلاثة من أبنائي حين لاحظت وجود سيارة سياحية تتبعنا منذ لحظة مغادرتنا المنزل. وعند وصولنا إلى مدخل البناية التي يقع فيها مكتبي، لاحظت أن شخصين ملامحهما غربية يقفان قرب مدخل المبنى، فحاولت أن أسلك طريقًا أبتعد فيه عنهما، غير أنهما هجما باتجاهي، وحاول أحدهما ضرب رأسي بجهاز غامض كان ملفوفًا على يده. ولم تمر لحظات حتى سمعت صوتًا مدويًا قرب أذني . وتمالكت نفسي بعدما حال تدخل مرافقي بين وصول يد المهاجم إلى رأسي، بعدما رماه أرضًا، وقبل أن يتدخل الإرهابي الثاني لنجدة زميله الذي كسرت نظارته، ثم فر الاثنان ركضًا على الأقدام.

تركت مرافقي يواصل مطاردتهما بينما أعدت أطفالي إلى السيارة، وغادرت المكان خشية وجود كمين آخر في الموقع.

شعرت بطنين في أذني اليسرى، وقشعريرة تسري في بدني، وقد تواصل الطنين حتى تحول إلى صداع، ثم أصبت بحالة غثيان وتقيؤ متكرر بعد وقوع الهجوم بنحو ساعتين. لقد أيقنت منذ اللحظة الأولى للاعتداء أن هذه محاولة اغتيال، إذ لا توجد عداوة شخصية لي مع أحد، وأن الجهة الوحيدة المعنية بذلك هم الصهاينة. كما أن تهديداتهم المتكررة، وطبيعة الصراع الذي تخوضه حركة

---

(١) وصفي التل : رئيس وزراء الأردن الذى اغتيل عام ١٩٧١ بفندق شيراتون القاهرة ، بواسطة جماعة من (أيلول الأسود) الفلسطينية .

"حماس" ضد الاحتلال، تجعلنا نتوقع حدوث محاولات من هذا النوع في كل حين).

وعن الجهاز الذي استخدم لاغتياله، قال مشعل:

(لا أعرف ما هي طبيعته، غير أنني لاحظت أنه شيء مهم بالنسبة إلى المهاجمين، إذ استعمل المهاجم الأول رباطًا لتثبيته على يده خشية أن يقع أثناء الهجوم، كما أن المهاجم الثاني بدا حريصًا على عدم سقوط الجهاز من يد زميله عندما سقط على الأرض).

الفدائي المجهول

وكشف قيادي في "حماس" في العاصمة الأردنية، تفاصيل أخرى، فقال:

(إن "العناية الإلهية" لعبت دورًا كبيرًا في إلقاء القبض على المهاجمين، إذ أن محمد أبو سيف، سائق السيد محمد نزال ممثل "حماس" في الأردن، كان قد وصل إلى مدخل المبنى بهدف إيصال رسالة إلى "أبو الوليد" (مشعل) في مكتبه عندما لاحظ السيناريو أمامه . وعندما رآهم يركضون، لحق بهم، من دون أن يكترثوا به لظنهم أن لا صلة له بخالد مشعل ومرافقه.

واستمر الكنديان في الركض مسافة لا تقل عن ٥٠٠ متر حين وصلوا إلى ساحة خلف مبنى، حيث كانت تنتظرهم سيارة سياحية من نوع هونداي مع سائقها . وما إن وصلوا إلى السيارة حتى أقلعت بهم قبل أن يغلقوا أبوابها. عندها استنجد سائق محمد نزال بسيارة خصوصية صودف مرورها في المكان، وبعدما شرح لقائدها الحادثة، انطلق به خلفهم. وبعد وصول سيارة المهاجمين إلى شارع المدينة المنورة، غادر الكنديان السيارة وسارا مشيًا على الأقدام. وعندما وصل سائق محمد نزال إلى المكان، نزل من السيارة وحاول الإمساك بالكنديين اللذين حاولا الهرب بعدما ركضا مسافة لا بأس بها، ومع محاولته الإمساك بهما مجددًا، دار اشتباك بالأيدي، وعلى رغم تلقيه ضربات قوية على رأسه ، إلا أنه أمسك أحدهما، إلى

أن تجمهر المارة حولهم، وكان من بينهم ضابط من جيش التحرير الفلسطيني المتمركز في الأردن، أمسك بالمهاجم الثاني ونقلاهما إلى مخفر مجاور للشرطة).

سئل محمد أبو سيف[1]

■ رغم أنهم لم يطلقوا الرصاص، والطريقة التي استخدموها كانت مبتكرة، كيف خطر لك أن العملية كانت محاولة اغتيال؟

- منذ اللحظة الأولى التي رأيتهم فيها، أدركت أنهم يهود، ففي سحنتهم شيء يقول ذلك. كما أن طبيعة الشخص المستهدف، خالد مشعل، لم تجعلني أتردد في أن الطرف الذي يمكن أن يستهدفه هم اليهود.

■ ولكن ألم تشعر بالخوف عند مطاردتهم، خاصة وأنك تسمع أن رجال الموساد والأجهزة الإسرائيلية مدربون وأقوياء؟

- إنهم يعملون على ترويج سمعة كبيرة لأنفسهم، ولكننا نؤمن بالله عز وجل، ونؤمن أن لكل إنسان أجله وأنه "لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"، ولذلك فقد طاردتهم وواجهتهم بروح معنوية عالية، رغم إدراكي بأنهم مدربون جيدًا . غير أن للإيمان دوره في حسم المعركة. وهم بالمقابل جبناء، حتى وهم مدربون . هذا ما نعرفه عنهم.

■ ولكن ماذا لو كانوا يحملون سلاحًا، وأطلقوا عليك الرصاص، ألم تفكر بذلك؟

- إطلاقًا ، فحتى لو كانوا مدججين بالسلاح، وأنا لم أفترض خلاف ذلك. فقد كنت سأطاردهم لإلقاء القبض عليهم، ولو أدى ذلك إلى استشهادي . فأنا لست

---

(١) محمد أبو سيف، اسم أصبح له وقعه في آذان الناس، بسبب حادثة واحدة، كان له فيها دور البطولة، فقد شغل الدوائر الإسرائيلية، السياسية منها والإعلامية، فهو الرجل الذي حقق ضربة رهيبة لجهاز الموساد الإسرائيلي، الذي يصنف نفسه ثالث جهاز مخابرات على المستوى العالمي.

محمد أبو سيف، هذا الشاب الفلسطيني البسيط الذي تربى في مخيم للاجئين في الشمال الأردني، أصبح بطلاً في عيون الشعب الفلسطيني، بل والأمة، رغم أن أحدًا لم يشاهد صورته إلى الآن، حيث حرص على عدم تصويره طوال الأحداث لأسباب أمنية في الأردن. طالب كتاب كثيرون بوسام رفيع لمحمد أبو سيف، بسبب الإنجاز البطولي، الذي حققه، فيما طالب وزير أردني سابق بعمل فيلم يخلد بطولة هذا الشاب .

خيرا من إخواني من رجال المقاومة الذين يستشهدون في الأراضي المحتلة وفي لبنان.

■ هل شعرت بقوتك الخاصة ، أو بنوع من الفخر بعد تغلبك عليهم ؟

– لم يحدث ذلك، إن تغلبي عليهم قد جاء بتوفيق الله عز وجل، الذي لولاه لما كان ذلك "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى".

■ وصفتك الصحافة الإسرائيلية بأنك "جيمس بوند حقيقي"[1] ، هل أنت سعيد بهذا الوصف؟

– لا يشرفني ذلك، فأنا تلميذ المجاهدين المسلمين العظام على مدى التاريخ الإسلامي، كما أنني أفتخر بأنني تلميذ ليحيى عيّاش وعماد عقل، ومن يملك هذه القائمة الطويلة من الأبطال، لا يبحث عن بطل وهمي يتشبه به

■ ذُكر أنك كنت صائمًا في ذلك اليوم، هل صحيح ذلك ؟

– نعم، وبحمد الله ، فقد زاد ذلك في إصراري، كما لعله ساهم في توفيق الله لي.

■ قالت الصحف الإسرائيلية أنك كنت في أفغانستان وتدربت هناك، هل هذا صحيح؟

– لم يحدث أن ذهبت إلى أفغانستان، وهذه معلومات غير صحيحة.

■ هل لك أن تصف لنا المعركة بينك وبين رجلي الموساد؟

– بعد أن وجهت ضربة قوية لأحدهما كان الآخر قد ضربني على رأسي بأداة حادة لا أعلم طبيعتها أدت إلى جرح في الرأس بـ١٨ غرزة، ومع ذلك فقد تشبثت بأحدهما وأمسكت به ورحت أتقي ضربات الثاني بجسم الأول. فقد كان هدفهما

---

(١) حظى محمد أبو سيف كادر حماس بحديث مهم في الصحافة الإسرائيلية. فقد وصفته صحيفة يديعوت أحرونوت بأنه "أفغاني" أي أنه متدرب في أفغانستان. رغم أنه لم يكن كذلك. وقالت الصحيفة : إنه لولا الدور الذي قام به أبو سيف لما تسنى للأمن الأردني الكشف عن رجال الموساد. وقالت صحيفة "هتسوفيه" بأن ما قام به أبو سيف يفوق الخيال. إنه أقرب إلى قصة خيالية يمكن أن تكون موضوعًا لفيلم سينمائي مثير. وقد وصفه صحافي إسرائيلي آخر بأنه "جيمس بوند حقيقي".

هو الفـرار بـالطبع، واسـتمرت المعركـة، حتـى تجمـع النـاس وجـاء ضـابط أمـن فلسطيني اقتاد أحدهما وأنا اقتدت الآخر إلى مركز أمن قريب .

■ العميلان قالا بأنهما ظنا أن العملية قد نجحت تمامًـا، حيـث لم ينتبـها إلى أنـك تلاحقهما، كيف ذلك؟

- عندما ركبا في السيارة التي كانت بانتظارهما، لم ينتبـها إليّ حينمـا ركبـت مع سيارة "خاصة" تعاون معي صاحبها - جزاه الله خيرًا - ولحقنا بهما، وعندمـا غادرا سيارتهما، نزلت ولاحقتهما فانتبها، وبدأت المطاردة إلى أن أمسكت بهما.

■ هل رأيت الجهاز الذي كان بحوزتهما ، والذي استخدماه في العملية؟

- الحقيقة أنني لم أره، فقد كان أحدهما يلف يده بشاشـة بيضـاء، يبـدو أنـه كان يخفي تحتها الجهاز، وحينما طاردتهما، لم يكن معهما شيء، يبـدو أنـهما قد تركاه في السيارة.

الجهاز الكيماوي

والسؤال المطروح هو ، ما هي طبيعة الجهاز الذي تم استخدامه؟

يقول قيادي في "حماس" : **(إن تحليل الطبيب الأمريكي الـذي استقدمه الملـك حسين من مايوكلينك في الولايات المتحدة للإشراف على علاج مشعل ، أن الجـهاز يفرز مادة كيماوية تترك مضاعفات تؤدي إلى وقف تنفس الشـخص المحقـون بـها أثناء نومه بشكل طبيعي بعد ١٢ ساعة. لكن المادة لم تتسرب بكاملها إلى مشعل).**

وينسب إلى أطباء مدينة الحسين الطبية الذين أشرفوا على علاج مشعل أنـه شـعر في الليلة التي أعقبت وقوع الحادث بصعوبة في التنفس .

ولدى نقل مشعل إلى المستشفى الإسلامي في عمان، تأكد تعرضـه لاعتـداء، الأمـر الذي دفع الملك حسين فور وصول التقارير إليه عن الحادث، بنقل مشعل إلى مدينـة

الحسين الطبية، وأجرى اتصالات مع المسؤولين الأمريكيين والإسرائيليين عبر قنوات مختلفة، واستدعى طبيبًا من مستشفى مايوكلينك الأمريكي، وضع الحلول المناسبة لعلاجه.

ومع أن طبيعة الجهاز الذي كان في يد أحد المهاجمين لم تحدد بعد، إلا أن الخبراء في حقل الإرهاب، وفي مقدمتهم بول ولينكسون البروفيسور في جامعة سانت أندروز الإسكتلندية يقول:

"إن هناك حوادث اغتيال مشابهة حدثت من قبل. أبرزها تعرض المنشق البلغاري جورجي ماركوف في لندن في سبتمبر عام ١٩٧٨ لمحاولة اغتيال، تبين فيما بعد أن الاستخبارات البلغارية نفذتها ضد المنشق إثر خروجه من مبنى هيئة الإذاعة البريطانية القسم البلغاري ، حيث نخزه أحد المتربصين به برأس مظلة في أعلى فخذه قبل أن يعتذر له ويستقل سيارة تاكسي ويتوارى عن الأنظار، أما ماركوف فتدهور وضعه الصحي بعد أربعة أيام، ولم تؤخذ أقواله للأطباء على محمل الجد حين قال لهم : إنه تعرض لعملية اغتيال، إلا بعدما تعرض منشق بلغاري آخر في فرنسا يدعى فلاديمير كوستوف لمحاولة مماثلة في شهر أكتوبر من العام نفسه. وقد كشفت الفحوصات التي أجريت على المادة التي تعرض لها كوستوف بأنها تحتوي على مادة الريسين، وهي عبارة عن مادة من البروتين الأبيض السام، والتي تحتوي على ٩٠ في المئة من البلاتينيوم و١٠ في المئة من الأيريدوم) .

ويقول رون بيرفر المحلل الاستراتيجي الكندي الذي يعمل لمصلحة جهاز الاستخبارات الكندي في دراسة خاصة بهذا النوع من العمليات :

(أن قائمة هذه العمليات طويلة، وتراوحت بين محاولة لاستهداف رئيس الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ عبر استعمال غاز الأعصاب، وأخرى لاغتيال وزير

خارجية تشيلي أورلاندو ليتلير ١٩٧٦. وقد تحدثت التقارير عن محاولات قامت بها حكومات كل من كوبا والكونغو والعراق وليبيا وجنوب إفريقيا في فترات متفاوتة، لاستعمال مواد كيماوية أو حتى جراثيم وأنواع مختلفة من السموم للتخلص من معارضيها.

ومن هذه المحاولات عملية استخبارات ألمانيا الشرقية في العام ١٩٨١ (الستازي) لوضع الثاليوم في سندويتش هامبرجر لقتل منشق، وأخرى قامت بها جنوب أفريقيا لنشر مرض الإيدز بين صفوف السود في مدينة جوهانسبورغ) .

كان الأسبوع الذي سبق محاولة اغتيال مشعل أسبوعًا صعبًا على الصعيدين الأمني والسياسي بالنسبة إلى الأردن، إذ لم تتمكن عمان ومعها الأجهزة الأمنية من التقاط أنفاسها بعد الهجوم المسلح الذي تعرض له اثنين من موظفي السفارة الإسرائيلية في وضح النهار، حتى وقع الاعتداء على خالد مشعل بعد ستة أيام.

وعلى رغم تباين العمليتين وتناقض أهداف منفذيهما، فإن القراءة الأردنية كانت واحدة. إذ أن ما حدث في ذلك الأسبوع الحافل بالنسبة إلى الأردن هو خرق لسيادته، وخرق فاضح لاتفاقات الأردن مع كلا الطرفين المتنازعين، فإسرائيل ملزمة في معاهدة السلام عدم المساس بالأمن الأردني، و"حماس" ملتزمة عدم القيام بأي عمل يخالف القوانين الأردنية، خصوصًا ما يتعلق منها بمعاهدة السلام. فهل انفلتت الأمور إلى هذا الحد، وهل قررت "حماس" توسيع دائرة الصراع بضرب إسرائيل في الخارج، وبالتالي جاء الرد الإسرائيلي سريعًا في عمان؟

لم تكن هناك إجابات مؤكدة ، لكن كانت هناك حقائق على الأرض. فإسرائيل لم تتهم "حماس" بالوقوف وراء الهجوم على الموظفين في سفارتها في عمان، والأردن لم يعلن رسميًا أن إسرائيل تقف وراء محاولة اغتيال مشعل في عمان. فهل توقفت الأمور عند هذا الحد من التصعيد الأمني والسياسي بين إسرائيل و"حماس" على

الأرض الأردنية شرط عدم محاكمة الرجلين الذين نفذا الهجوم ضد مشعل، في مقابل إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين؟ [(١)].

(١) الشيخ أحمد إسماعيل ياسين ، مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) . ولد عام ١٩٣٨ في قرية الجورة، قضاء المجدل جنوبي قطاع غزة، لجأ إلى قطاع غزة بعد حرب عام ١٩٤٨. تعرض لحادث في شبابه أثناء ممارسته الرياضة، نتج عنه شلل جميع أطرافه شللاً تامًا. درس الأدب الإنجليزي في كلية الآداب جامعة القاهرة لمدة عام، إلى أن نفدت نقوده وساءت صحته فرجع ثانية إلى غزة. عمل مدرسًا للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم خطيبًا ومدرسًا في مساجد غزة فرئيسا للمجمع الإسلامى ، وأصبح في ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حجته وجسارته في الحق.

اعتقل الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٣ بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكري، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وقد حوكم أمام محكمة عسكرية أصدرت عليه حكمًا بالسجن لمدة ١٣ سنة. ثم أفرج عنه عام ١٩٨٥ في إطار عملية تبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال والقيادة العامة للجبهة الشعبية، بعد أن أمضى ١١ شهرًا في السجن.

أسس مع مجموعة من إخوانه تنظيم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في قطاع غزة عام ١٩٨٧. فداهمت قوات الاحتلال الصهيوني منزله أواخر شهر أغسطس ١٩٨٨ ، وقامت بتفتيشه وهددته بدفعه في مقعده المتحرك عبر الحدود ونفيه إلى لبنان. وفي ليلة ١٨/٥/١٩٨٩ قامت سلطات الاحتلال باعتقال الشيخ أحمد ياسين مع المئات من أبناء حركة حماس ، في محاولة لوقف المقاومة المسلحة التي أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه، واغتيال (المتعاونين). في ١٦/١٠/١٩٩١ أصدرت محكمة عسكرية صهيونية حكمًا بالسجن مدى الحياة على الشيخ أحمد ياسين مع خمسة عشر عامًا أخرى، بعد أن وجهت للشيخ لائحة اتهام تتضمن تسعة بنود منها التحريض على اختطاف وقتل جنود صهاينة، وتأسيس حركة حماس وجهازيها العسكري والأمني.

بالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام يعاني من أمراض عدة ، منها : فقدان البصر في العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيق، وضعف شديد في قدرة الإبصار للعين اليسرى، وفقدان السمع بالأذن اليمنى، وضعف شديد في السمع بالأذن اليسرى، حساسية في الرئتين، وأمراض والتهابات باطنية ومعوية، وقد أدت ظروف اعتقال الشيخ أحمد ياسين السيئة إلى تدهور حالته الصحية مما استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة.

نفذت حماس عدة عمليات فدائية لتأمين الإفراج عنه وعن بقية المعتقلين في السجون الصهيونية، وخاصة عن طريق أسر عسكريين صهاينة لمبادلتهم، كان أبرزها في ١٣/١٢/١٩٩٢ حيث قامت بخطف جندي صهيوني، عرضت الإفراج عنه مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من المعتقلين في السجون الصهيونية، بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب اختطفتهم قوات صهيونية من لبنان، إلا أن الحكومة الصهيونية رفضت العرض وداهمت مكان احتجاز الجندي مما أدى إلى مصرعه، ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهاد أبطال المجموعة الفدائية في منزل في قرية (بير نبالا) قرب القدس.

أفرجت عنه سلطات الاحتلال في ١ أكتوبر ١٩٩٧، على خلفية حادث مشعل في الأردن، وقد نقل إلى مدينة الحسين الطبية في عمان لتلقي العلاج، وقد رفض الشيخ صعود الطائرة التي أقلته إلى عمان إلا بعد أن حصل على تعهد خطي من سلطات الاحتلال الصهيوني بأنه يملك حرية العودة إلى قطاع غزة متى شاء. عاد إلى غزة في السادس من أكتوبر ١٩٩٧ وسط استقبال جماهيري حاشد وشعور فلسطيني بالانتصار.

اغتيل في غزة يوم الإثنين ٢٢ مارس ٢٠٠٤ ، عقب خروجه من المسجد وقد أدى صلاة الفجر، حيث أطلقت عليه مروحية أباتشي عدة صواريخ، وهنأ شارون جنوده على مرأى من العالم ، لنجاحهم في اغتيال الشيخ القعيد. وكالعادة رفضت أمريكا إدانة إسرائيل.

يقول الدكتور (موسى أبو مرزوق) رئيس المكتب السياسي السابق لحماس ، إن الملك حسين أخبره، بأن نتيجة العملية وحيثياتها قد تبدت منذ الساعات الأولى، بعد أن أدلى المتهمان الرئيسيان باعترافاتهما للمحققين الأردنيين، وأوضحا علاقتهما بجهاز الموساد الإسرائيلي، وطبيعة المادة الكيماوية التي حقنوا بها زعيم حماس. وهنا اتصل الملك حسين مباشرة بنتنياهو، وكان حديثًا ساخنًا جدًا، إذ طالب الملك الأردني رئيس الوزراء الإسرائيلي بعلاج مشعل فورًا، والإفراج عن الشيخ ياسين. وهدده إن لم يفعل ذلك بإغلاق السفارة الإسرائيلية في عمان فورًا وطرد جميع العاملين فيها.

ويضيف أبو مرزوق أن نتنياهو، لم يجد بدًا من الاستجابة وأرسل العلاج المضاد للمادة التي حقن بها مشعل.

مصادر سياسية أردنية ذكرت أن مما زاد في حرج نتنياهو أن ثلاثة من المشاركين في العملية من غير طاقم التنفيذ المباشر، كانوا من أفراد السفارة الإسرائيلية في الأردن، أي أنهم يحملون صفة دبلوماسية. هذا فضلاً عن تزوير الجوازات الكندية، وهو ما أحدث أزمة دبلوماسية مع كندا التي استدعت سفيرها في تل أبيب. ولم تعيده إلا بعد الاعتذار الإسرائيلى الرسمي،وتعهد خطي بعدم استخدام اسم كندا في عمليات إرهابية أخرى.

لم تتوقف الجهود الأردنية عند الاتصال بنتنياهو والتي هدفت كما يبدو إلى إحضار العلاج بشكل أساسي. فقد سافر إلى واشنطن ولي العهد وقتها ، الأمير حسن، وكان سبقه إليها حسب المصادر الأردنية اللواء سميح البطيخي مدير دائرة المخابرات الأردنية حاملاً معه أشرطة فيديو لاعترافات رجلي الموساد. وقد اجتمع الأمير حسن مع كلينتون في لقاء سري خلا من الصور البروتوكولية التقليدية التي تؤخذ عادة في مثل هذه اللقاءات ربما ليؤكد حساسية المسألة.

قبل سفر الأمير حسن، كان لقاء سريًا قد عقد بينه وبين ثلاثة من المسؤولين الإسرائيليين حضروا سرًا إلى عمان، والثلاثة حسب المصادر الإسرائيلية هم أرييل شارون، ووزير الدفاع إسحق مردخاي، وداني ياتوم رئيس الموساد . ويبدو أن هذا اللقاء لم يسفر عن صفقة مقنعة بالنسبة للأردنيين الذين أرادوا الحصول على مزيد من المكاسب السياسية، خاصة وأنهم في موقع قوة مهم. فنتنياهو خرق شروط المعاهدة الموقعة بين البلدين، واندفع باتجاه عملية تمس الأمن الأردني ، فضلاً عن السيادة الأردنية.

الموقف الأردني

كان الموقف الأردني الرسمي في حرج شديد، فالمسؤولون الأردنيون يرفضون الاعتراف بمسؤولية الموساد عن العملية، بينما بدا الشارع الأردني على قناعة أكيدة بتلك المسؤولية. كما أن رفض الكشف عن الجهاز ونتائج التحقيقات قد زاد في حرج الموقف الرسمي. فكان لابد من خطوة تنفس هذا الاحتقان الشعبي، الذي وجد تعبيره في حملة تهكم على وزير الإعلام، والناطق الرسمي الأردني، وتجرأت عليه حتى الصحف الأردنية، فضلاً عن الصحف الأخرى.

في هذه الأجواء جاءت عملية الإفراج عن الشيخ ياسين. ورغم أن الإفراج[1] كان متفقًا عليه عند الساعات الأولى ، إلا أنه تأخر إلى حين قيام العاهل الأردني بزيارة لمحافظة الزرقاء وإلقائه خطابًا هناك، حيث تضمن الخطاب نداءً إلى نتنياهو بالإفراج عن الشيخ ياسين. وما هي إلا ست ساعات بعد الخطاب، حتى كانت طائرة أردنية تحمل الشيخ من تل أبيب إلى عمان، وتحديدًا إلى مستشفى مدينة الحسين الطبية، لتحط في حوالي الساعة الثانية والنصف فجرًا، وليكون الملك

(١) شمل الإفراج أيضًا حوالي ٨٠ معتقلاً في السجون الإسرائيلية عبارة عن :
- ٩ أردنيين أعيدوا إلى الأردن .
- ١٤ فلسطينيا من سكان الضفة الغربية ويحملون الجنسية الأردنية وعادو إلى ذويهم.
- ٥٠ معتقلاً فلسطينيًا من سكان الضفة والقطاع (تحرروا بعد نحو أسبوعين).
- عدد آخر من الأردنيين لم يذكر عددهم بالضبط، وهم يمثلون كل من تبقى من المعتقلين الأردنيين في إسرائيل .

شخصيًا ومعه رئيس الوزراء في استقبال الشيخ، وليقوم في الوقت نفسه بزيارة خالد مشعل الذي كان يرقد في ذات المشفى.

وبعد صمت دام أيامًا ، فضح الإعلام الإسرائيلي حقيقة القصة، من الاغتيال إلى الإفراج عن الشيخ ياسين، بدأها الصحافي المعروف آمنون إبراموفيتش الذي تحدث عن تفاصيل لقاء مجلس الوزراء المصغر الذي أقر عملية الاغتيال. وقال أبراموفيتش أن الجنرال داني ياتوم رئيس الموساد كان قد أعد خطة لتصفية عدد من قيادات حماس، وذلك بعد عمليات القدس الأخيرة.

أبراموفيتش، الشهير بكشف أكثر القضايا الأمنية حساسية، قال إن نتنياهو دعا مجلس الوزراء المصغر لشئون الأمن للانعقاد ، وأصدر تعليماته للموساد بالشروع في الاستعداد لتنفيذ عملية الاغتيال ، مستغلاً وجود وزير الخارجية ديفيد ليفي في زيارة للخارج لتمرير القرار، حيث إن ليفي معروف بمعارضته لمثل هذه العمليات، كما سبق له أن عارض بشدة عملية "الكوماندوز البحرية" الإسرائيلية الفاشلة[1] في جنوب لبنان والتي أدت إلى مقتل ١٢ جنديًا إسرائيليًا.

وأضاف أبراموفيتش أن عددًا من الوزراء أبدوا تحفظات حول تنفيذ العملية ، سيما وأن للأردن علاقات وثيقة بإسرائيل، إلا أن رئيس الموساد ومسؤول العمليات في الجهاز أكدا أن عملية الاغتيال لن تثير ضجة، وأن منفذي العملية هم من أصحاب الخبرة الواسعة، وقد سبق لهما أن اشتركا في العديد من العمليات ، بالإضافة إلى استخدام طريقة إبداعية في عملية التصفية. وقد احتد نتنياهو أثناء النقاش في مجلس الوزراء المصغر قائلاً **"لا يمكن أن نبقى صامتين، يجب أن نعمل شيئًا، لا يحق لهم أن يشعروا بالطمأنينة ما داموا يقدمون على إيذائنا".**

أبراموفيتش، ذهب إلى أن التحقيق مع منفذي المحاولة إذا تم بصورة جادة في عمان ، فإن ذلك قد يؤدي إلى اعترافهما بمعلومات خطيرة جدًا حول عدد من الأمور مثل:

---

(١) جاءت تفاصيلها فى الجزء الثالث من (حراس الهيكل) ، تحت عنوان : (فضيحة الإنزال الفاشل فى صيدا) . ! !

١ - طريقة عمل الموساد والهيئات التي يتكون منها والتغييرات التي أدخلت عليها مؤخرًا .

٢ - كيفية تجنيد رجال الموساد والتدريبات التي يتلقونها وخصوصًا كل ما ينطلق بوحدة الاغتيالات في الموساد .

٣ - مراكز ومواقع مكاتب الموساد في إسرائيل والخارج .

٤ - الكشف عن العملاء المتعاونين مع الموساد في الخارج .

٥ - الكشف عن الأجهزة التي يستخدمها الموساد في عمليات التصفية

٦ - الإدلاء بتفاصيل عن عمليات تصفية سابقة تمت بواسطة الموساد .

٧ - تعرية أساليب الاتصال بين عملاء الموساد وقادتهم .

هذه المعلومات يؤكدها حديث يهودا ياتوم، أحد قادة جهاز الشاباك الإسرائيلي السابقين وشقيق رئيس الموساد، حيث وصف رجلي الموساد المعتقلين بأنهما "صيد ثمين"، موضحًا أنه (لم يسبق أن استطاعت دولة عربية إلقاء القبض على رجال الموساد) (١) .

وأضاف ياتوم بأن الرجلين يملكان الكثير من الأسرار التي لو تم الكشف عنها لألحقت ضربة قاضية بالأمن الإسرائيلي. موضحًا أن قادة الموساد لا يمكن أن يكونوا قد توقعوا إمكانية القبض على منفذي العملية

بشرط العودة

وعن عملية الإفراج عن الشيخ ياسين كنتيجة لعملية الاغتيال الفاشلة، نقل أبراموفيتش عن الجنرال (مئير داجان) مستشار نتنياهو لشؤون مكافحة الإرهاب ،

---

(١) هذا خطأ ، لأن مصر ألقت القبض على ضابط الاستخبارات الإسرائيلي ماكس بينيت عام ١٩٥٤، وكان قد دخل القاهرة باسم مزيف هو إميل وايتباين. وانتحر الضابط الخائر في زنزانته بسجن الاستئناف بالقاهرة في ١٩٥٤/١٢/٢١ (انظر فصل الصفقة المخزية بالجزء الثالث). أما ضابط المخابرات الإسرائيلي الثاني بول فرانك (إفري إيلاد) فقد ألقى القبض عليه بالقاهرة عام ١٩٥٤ أيضًا وجند للعمل مع المصريين، وبعد مراقبات في إسرائيل وخارجها ، اتهم بالتجسس لمصر وسجن عشر سنوات بعد محاكمة سرية. وهناك الكثيرين غيرهما اعتقلوا في العراق والأردن وسوريا ولبنان..!!

أنه كان أعد ورقة طالب فيها نتنياهو بعدم الإفراج عـن الشـيخ ياسـين، موضحًـا أن الشيخ سيكون قادرًا على مضاعفة التأييد لحركة حماس داخل القطـاع والضفـة أو في الخارج، بعد أن تحول إلى مثال للتضحية بالنسبة للفلسطينيين والعرب والمسلمين.

جدعون عيزرا نائب رئيس الشاباك السابق، وصف الشيخ بأنه الرجل الذي خلق "كابوس حماس" . وقال وزيـر الأمـن الداخلـي كـهلاني بـأن عـودة ياسـين إلى غـزة ستشكل وقفة قوية لحركة حماس. فيما تمنى باراك رئيس حزب العمـل الإسـرائيلي لو لم يفرج عن الشيخ في هذه الظروف .

لكن ليلة الأربعاء الأول من أكتوبر ١٩٩٧ كانت ليلة التفاوض بين الشـيخ ياسـين وسجانيه من أجل الإفراج عنه، وهي المفاوضات التي روى الشيخ ياسين تفاصيلـها، ومعه مرافقه المعتقل رائد بلبول.

جاء ثلاثة من كبار ضباط الجيش الإسرائيلي إلى زنزانة الشيخ وعلى رأسهم قـائد المنطقة الجنوبية، وعرضوا عليه رغبـة الملـك حسـين باسـتضافته في عمـان، فرحـب الشيخ ياسين بمبادرة الملك الأردني، غير أنه أصرّ على الحصول على تعـهد مكتـوب بحقه بالعودة إلى غزة في أي وقت يشاء، غير أن الضباط الإسـرائيليين رفضـوا ذلـك. وهو ما دفع الشـيخ إلى رفـض إطـلاق سـراحه، قـائلاً لهـم: **(مـن قـال لكـم بـأنني متهافت على الخروج من السجن؟ إنني سعيد هنا. لن أخرج من هنا إلا إلى القبر، أمـا الذهـاب إلى الأردن فبشـرط العـودة)**[1] . وهنـا أجـرى الضبـاط اتصـالات مـع المسؤولين الإسرائيليين، وعادوا وكتبوا ورقة لم يوافق عليها الشيخ وطلب نصًا آخـر، وأخيرًا حصل على تعهد مكتوب بخط قائد المنطقة الجنوبية، وبلغة ركيكة

بعد ذلك اشترط الشيخ مجيء مرافقـه معـه، وهـو (رائـد بلبـول) المحكـوم عليـه بالسجن ثماني سنوات، قضى منها خمس سنوات، فرفضوا بحجة عدم وجود مكان

---

(١) يقول الشيخ ياسين : عندما رفضوا إعطائي تعهدًا مكتوبًا، ذكرتهم بالمرات السابقة التي رفضت فيها عروضًـا بالإفراج عني مقابل الإبعاد. كما ذكرتهم بعرض الإفراج عني مقابل جثـة الجنـدي (سـابورتاس)، ذلـك العـرض الذي رفضته أيضًا. وعند ذلك قاموا باتصالات مع مسئولين كبار، ومن ثم وافقوا على كتابة التعهد..!!

في الطائرة فرفض الشيخ ، وأخيرًا وافقوا على شرطه، وخرج معه مرافقه. وعند الطائرة طلب الشيخ من المسؤول الأردني المرافق أن يؤكد له مبدأ العودة، فطمأنه على ذلك.

الخطأ المخجل

إن فشل الموساد في اغتيال خالد مشعل لم يكن من النوع السهل، لا من زاوية تأثيره على سمعة الجهاز الأسطورية، ولا من زاوية التداعيات التي أفرزها، وعلى رأسها الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين. لذلك امتلأت الصحافة الإسرائيلية بالتغطيات والمتابعات للحدث.

رون بن يشاي واحد من أهم المعلقين الأمنيين في صحيفة يديعوت أحرونوت، كتب تحليلاً مطولاً حول الأخطاء التي ارتكبت في محاولة الاغتيال، خاصة بعد حوالي أسبوعين من تشكيل لجنة "شحنوبر" الخاصة بالتحقيق في القضية

يؤيد بن يشاي مقولة لشبتاي شافيت رئيس الموساد السابق حول العملية، حيث وصفها بأنها "سلسلة من الأخطاء على كل المستويات وفي كل المجالات".

التوقيت حسب بن يشاي كان خاطئًا ، حيث كان قبيل إجراء الانتخابات الأردنية، إضافة إلى وجود نشاطات أخرى ضد حماس كانت تخطط من قبل جهات أخرى، وكانت ستؤدي إلى نتائج إيجابية، حسب تعبيره.

يذكر هنا أن نفس الصحيفة، قد نقلت عن أوساط أمنية قولها أن عمليات أخرى ضد رموز في حماس لم تحدد مكان تواجدهم، كانت جاهزة للتنفيذ، غير أنها ألغيت بسبب فشل عملية عمان، وهو ما علّق عليه بن يشاي بالقول "لقد عزم الاثنان (نتنياهو ورئيس الموساد داني ياتوم) على الإضرار بحماس وأحدثا نتيجة معاكسة".

ويؤكد بن يشاى أن : المشكلة الأولى كانت في التخطيط، فالأسلوب الذي تم اختياره لاغتيال مشعل هو من الأساليب الأكثر إثارة للمشاكل في الموساد، ذلك لأنه يحتاج إلى المواجهة بين المنفذين وبين الهدف، ومثل هذه العمليات تم الاعتياد على تنفيذها في حلبتي عمل محتملتين .

الاحتمال الأول: اختيار حلبة يكون فيها الهدف معزولاً تمامًا بـدون حـراس أو شهود عيان، في مثل هذه الحالة من الممكن مثلاً افتعال اصطدام جسـدي ينتـهي باعتذار مؤدب ، بعدها يصاب الهدف بمـرض خفـي ويعـاني مـن سـكرات المـوت لفترة طويلة .

والاحتمال الثاني: تنفيذ العملية في مكان مكتظ بالناس مثــل موقـف سـيارات عمومي، وفي مثل هذه الحالـة مـن السـهل "لـدغ" الهـدف بـدون أن يشـعر هـو أو حارسه بأي شيء، وحتى لو لاحظا شيئًا ما فإن بمقدور المنفذين الهرب والاختفاء بين الجمهور المكتظ.

غير أن الساحة التي اختارها قـائد العمليـة لم تسـتجب لأحـد هـذه الشـروط، لذلك لم تناسب أسلوب الاغتيـال الـذي تم انتهاجـه. ويتضـح مـن أقـوال الشـهود الذين ظهروا أمام لجنة تقصي الحقائق، بدون أدنى شك أن قـائد العمليـة ارتكـب خطأ تخطيطيًا خطيرًا، لقد حدد أن تنفيذ العملية سيتم في وضح النهار في منتصف شارع في عمان، الشارع الذي يمر به ما يكفي من النـاس القـادرين علـى رؤيـة مـا يجري والتدخل في الحدث ولكنه غير مكتظ بما يكفي لتمكين المنفذين من الهــرب وسط الزحام.

"لم نعرف أن لمشـعل حارسًـا شـخصيًا" ، يقـول قـائد العمليـة ورجالـه : مـن الصعب أن نصدق، ولكـن هـذه هـي الحقيقـة، حتـى بعـد عـدة أشـهر مـن جمـع المعلومات الاستخبارية عن خالد مشعل في الأردن، لم يلاحظ رجال الموساد أن أبـا سيف سائق مشعل هو أيضًا حارس ويحمل سلاحًا. حتى لو افترضنا للحظة أن أبا سيف لم يتصرف كحارس شخصي محترف، كان يجب الافـتراض بـأن أحـدًا مـا سيتدخل ويعرقل تنفيذ العملية . ربما يقوم أحدهـم باسـتدعاء السـلطات، لكنـهم افترضوا أن أبا سيف سيكون سلبيًا في تلك اللحظات الحاسمة، وافـترضوا أيضًـا أن المنفذين سيقابلان "مشـعل" بمفـرده متوجـهًا إلى المكتـب ، حينـها يصطدمـان بـه ويحقنانه الحقنة القاتلة وينصرفان.

لقد نجح ذلك على وجه التقريب. ولكن من اعتقد أن أبا سيف مجرد سائق وتعامل معه باستهانة حكم عمليًا على مصير العملية بالفشل الذريع. لقد واصل المنفذان تجاهل وجود أبي سيف حتى أثناء العملية نفسها، حين فشلا في الاصطدام مع مشعل مثلما أرادا، ونشبت مشادة بينهما وبين الهدف ، وفي نهاية الأمر حقنا مشعل بالمادة السامة وواصلا الهرب دون أن يشعرا بأن أحدًا يتعقبهما.

ربما هذا أيضًا السبب الذي لم يجعلهما يتصرفان بالضبط مثلما تقضي الأوامر في مرحلة الهرب وحاولا الانتقال من سيارة إلى أخرى. وفقط حين ألقى أبو سيف نفسه عليهما اتضح لهما أن السائق الذي يجب أن يبقى سلبيًا هو مقاتل مجرب وخبير في القتال وجهًا لوجه، ولم يكن هذا هو الخطأ الوحيد في مرحلة الهرب، ولكن مفهوم السائق الحارس كان الخطأ المصيري .

لقد أدرك داني ياتوم بسرعة الخطأ المخجل الذي ارتكبه رجاله لأنهم لم يفهموا من هو أبو سيف وما هو دوره في القوة. لذلك حين طرح الصحفيون والسياسيون أمامه اسم أبي سيف بعد انفجار القضية قال بإصرار : "ليس حارسًا شخصيًا بل سائقا، أي من الممكن أن نتوقع من الحارس أن يقفز إلى سيارة ويلاحق المنفذين ولكن حين يدور الحديث عن سائق فإنه لا يمكن الاعتقاد سلفًا أن يقوم بذلك".

وفي ختام تحليله لمسار الأخطاء في العملية يلخص بن يشاي تلك الأخطاء، والتي تضمنت من خلال تحقيق اللجنة المعنية ، في التالي :

١ - الخطأ التنفيذي في أن رجال الموساد لم يعرفوا أن لمشعل حارسًا شخصيًا واختاروا موقعًا خاطئًا.

٢ - الضرر الوطني : خططت العمليات ضد حماس وألغيت بعد الفشل.

٣ - الاعتبارات : نتنياهو ضغط على (العمل) بعد أن عرقلت شعبة الاستخبارات العسكرية عمليات خطيرة في مناطق الحكم الذاتي .

تقرير لجنة (شحنوبر) حول عملية مشعل[1]

مدخل :

في ٢٥ سبتمبر ١٩٩٧ نفذت محاولة لاغتيال خالد مشعل في الأردن. وفشلت العملية وضبط المنفذان واعتقلا.

في ٦ نوفمبر ١٩٩٧ قررت حكومة إسرائيل إقامة لجنة تقصي حقائق لدراسة عملية الموساد ضد خالد مشعل. وعقدت اللجنة ٤٧ جلسة واستمعت إلى ٣٥ شاهدًا، بعضهم ظهر أمامهم أكثر من مرة ، كما عاينت مئات الوثائق والأوراق. وتمت كل جلساتها بصورة سرية في منشأة مغلقة وسط البلاد.

ومن منطلق الرغبة في التركيز على المواضيع الأساسية المرتبطة بفشل العملية في الأردن، فقد حددت اللجنة لنفسها مجال علمها، وحددت أنها ستتناول الموضوع منذ اليوم الذي صودق فيه على اعتبار خالد مشعل كهدف للعملية وحتى وقت اعتقال اثنين من رجال الموساد من قبل السلطات الأردنية

وصف العملية :

في ٢٥ سبتمبر ١٩٩٧ تواجد رجال الموساد أمام مكتب حماس في عمان بهدف اغتيال خالد مشعل، صحيح أن العناصر تمكنوا من إصابته بواسطة مادة قاتلة، ولكن فور ذلك تدخل في الحادث السائق الشخصي لخالد مشعل وحارسه. ونجح السائق، الذي شاهد ما فعله العنصر ضد مشعل في ضرب العنصر على يده، بواسطة صحيفة كانت بيده، فيما بدأ الحارس بملاحقة العناصر ونجح كما يبدو في تسجيل رقم السيارة التي هربوا فيها ، واستقل سيارة لملاحقتهم دون أن يلاحظوا ذلك

---

(١) لم ينشر تقرير لجنة تقصي الحقائق برئاسة يوسي شحنوبر بكامله، فمن أصل ٩٠ صفحة خرجت إلى العلن فقط ١٥ صفحة. وخلص التقرير إلى أن رئيس الوزراء لم يخطئ عندما أعطى موافقته على عملية الاغتيال. لكن من قاموا بالتخطيط في الموساد وقعوا في أخطاء جسيمة لفرط الثقة بأنفسهم .

وبعد نحو ٣٠٠ متر ، أوقف العناصر السيارة التي هربوا فيها ، ونزلوا منها. فركض الحارس باتجاههم وهجم عليهم بمساعدة شرطي بلباس مدني تصادف وجوده في المكان، حتى نجح في التغلب عليهم واعتقالهم. ونقل العناصر من قبل الشرطي والحارس بسيارة أجرة مرت من المكان إلى أقرب مركز شرطة

وحين علم في البلاد بأمر اعتقال العناصر انتقل رئيس الموساد بتوجيه من رئيس الحكومة، إلى الأردن بهدف إطلاع الملك حسين على ما حصل. وحمل رئيس الموساد معه إلى الأردن المادة المضادة من أجل معالجة خالد مشعل. تلقى خالد مشعل المادة، وتم إنقاذ حياته. وفي المفاوضات التي جرت في السياق للإفراج عن الشيخ ياسين وعدد آخر من المعتقلين ، توافق السلطات الأردنية على الإفراج عن العناصر وتمكينهم من العودة إلى البلاد .

من هو خالد مشعل ؟

خالد مشعل هو رئيس الدائرة السياسية لحماس في عمان العاصمة الأردنية. وكان قد شغل المنصب الذي كان يشغله أبو مرزوق. وإضافة إلى مهامه السياسية يقود خالد مشعل، من مكان وجوده في الأردن ، أطرًا مختلفة في أوروبا وفي إسرائيل، تبادر، وتشجع وتنفذ عمليات. وبواسطة مكتبه يتم التمويل.

تنفيذ العملية في الأردن :

حقيقة وجود قيادة حماس في الأردن ونشاطها الواسع من هذا المكان، فرضت على إسرائيل مشكلة كبيرة . لقد استند قرار تنفيذ العملية في الأردن إلى السياسة التي تحدد أنه بعد التأكد من وجود (مدينة لجوء) آمنة في إسرائيل، فإن يد إسرائيل ستصل إلى كل مكان من أجل ضرب من ضربوا اليهود، أينما كانوا .

لقد اعتادت كل حكومات إسرائيل اتباع هذه السياسة التي اتبعتها الحكومة الراهنة، لذلك لم تجد أي مجال لانتقاد اعتبارات هذه السياسة. مع ذلك تقترح اللجنة أن تقوم الحكومة ببحث الموضوع وتحديد أطر وطرق تنفيذه.

إن تنفيذ العملية في الأردن تم على قاعدة الفرضيات التالية :

طرق تنفيذ العملية يجب أن تضمن عدم ترك (بصمات أصابع) إسرائيل عليها من أجل أن لا يستطيع أحد إذا نجحت العملية، توجيه أصبع الاتهام ضد إسرائيل. وبلغة رجال الاستخبارات يدور الحديث عن (عملية هادئة). وإمكانية أن تفشل العملية، والآثار التنفيذية والتخطيطية الناجمة عن هذه الإمكانية لم تؤخذ بالحسبان من قبل المخططين والذين صادقوا على العملية في الموساد

وبما أن العلاقات السلمية بين الأردن وإسرائيل وتعزيزها يعتبران حجر الأساس للسياسة الإسرائيلية وحتى لو وقع خلل ما ، فإن الأمر لن يمس بنية العلاقات بين إسرائيل والأردن، ويؤكد في هذا الصدد أن فرص وقوع خلل، كانت بالنسبة للمخططين، ضئيلة جدًا . ولما كانت العلاقات التي تطورت في أعقاب اتفاق السلام مع الأردن ذات قيمة عالية في نظر الأجهزة السرية، فقد اعتقد الجميع أن تنفيذ العملية "بصورة هادئة" لن يمس بالملك أو بالنظام الهاشمي في الأردن .

وقد وافق على هذه الفرضيات الأساسية كل قادة أجهزة الاستخبارات ومعظم الشهود الذين ظهروا أمام اللجنة، رغم أنهم لم يتفقوا في الرأي حول موعد تنفيذ العملية. ولكل واحد مبرراته

النتائج

أ- نتائج تنظيمية :

ثمة عدة أسباب أدت في نهاية الأمر إلى فشل العملية في الأردن تفاعلت مع بعضها البعض. ولكن السبب الأساسي كان جمودًا فكريًا ألم بالمخططين والمصادقين والمنفذين للعملية، الذين اعتقدوا أنه تتوافر لديهم وسيلة قتالية وأسلوب عمل يضمن "العملية الهادئة" الخالية من المخاطر تقريبًا. أي أن السلاح لا يثير ضجة نظرا لأن النتيجة الفورية لإصابة الهدف لا تظهر للعيان بعد العملية.

اعتقد الجميع أيضًا أن العملية المقترحة يمكن تنفيذها دون أن يشعر بها أحد، ولن يخطر على بال أحد بأنه تم تنفيذ مثل هذه العملية. ولا خوف من أن تؤدي هذه المادة القاتلة، التي يحملها المنفذ،والتي تختلف مثلاً عن المسدس، إلى التوصل إلى اعتقاد بوجود عملية تصفية جسدية ، وبذلك لا يمكن توجيه أصبع الاتهام باتجاه إسرائيل.

إن نظرية "العملية الهادئة" لم تأخذ تقريبًا بالحسبان إمكانية فشل العملية، لسبب ما، وأن تتحول إلى ضجيج. إن التخطيط، والخطط، والاستعدادات للعملية لم تعط وزنًا كافيًا لمثل هذا الافتراض. وحتى بعد عرض الخطة أمام رئيس الحكومة لم يتم بحث هذا الاحتمال أمامه. فمنذ البداية كان يحظر إعداد الخطة على هذا النحو، وبالتالي لم يكن بالإمكان طرحها أمام رئيس الحكومة بصورة ضارة .

أثناء عملها وقفت اللجنة أمام عدة أخطاء بنيوية وتنظيمية في الموساد. اعتقدت اللجنة أن هذه الأخطاء ساهمت في إيجاد هذه النظرية الخاطئة وتبني أساليب عمل أدت إلى إجراءات وخطوات خاطئة وناقصة.

لقد أشارت اللجنة إلى هذه الأخطاء بإسهاب في التقرير الكامل، ورأت أن ثمة ضرورة للتطرق في التقرير الذي قدمته إلى طرق التنسيق بين الأجهزة الاستخباراتية، خاصة لطرق علم لجنة رؤساء الأجهزة. وحتى في هذا المجال أوصت اللجنة بإجراء عدة تعديلات.

كما درست اللجنة أيضًا موضوع إقامة مجلس الأمن القومي، ووصلت إلى نتيجة بأنه ثمة شك كبير في إمكانية إقامة مثل هذه المؤسسة في ظل المعطيات القائمة. وبسبب هذا الشك لم توص اللجنة بإقامتها.

سجلت اللجنة أيضًا رأيها في المبنى الاستشاري في مكتب الحكومة، في كل ما يتعلق بمعالجة المواد الاستخباراتية.

هذا وقد أوصت اللجنة بأن يتم تعيين مساعد خاص لرئيس الحكومة في شؤون الأمن والاستخبارات، برتبة عالية تقابل اللواء في الجيش أو رتبة مشابهة. وهذا المساعد، الذي يكون خبيرًا في الشؤون الاستخبارية، سيركز ويعزز كل المعلومات التي تتدفق إلى مكتب رئيس الحكومة في المجال الاستخباري ، ويكون بمثابة الأذن والفم لرئيس الحكومة تجاه الأجهزة الاستخبارية ، ويشارك بصورة دائمة في لجنة رؤساء الأجهزة السرية، ويلفت نظر رئيس الحكومة للقضايا الأساسية في هذا المجال. وليس من المعقول أن نتوقع من رئيس الحكومة أن يتعاطى بنفسه مع كل المواد الهائلة في مجال الاستخبارات التي تصل إلى مكتبه . إذ ليس هناك نية في أن يشكل هذا المساعد فاصلاً بين رئيس الحكومة وأجهزة المخابرات، أو يستبدل السكرتير العسكري لرئيس الحكومة الذي يقوم بالصلة بين رئيس الحكومة والجيش.

ومن أجل عدم خلق ازدواجية بين مكتب السكرتير العسكري وبين مكتب المستشار المقترح لشؤون الأمن والاستخبارات، اقترح أن يعمل الاثنان في مكتب واحد، ووفقًا لرتبهم العسكرية يكون الواحد مرتبطًا بالآخر.

ب- نتائج شخصية :

لقد حاول رئيس الموساد ورئيس القسم المسئول عن وحدة العناصر، إقناعنا بأن تصرفهما والخطط والاستعدادات التي سبقت العملية كانت كلها سليمة، وأن أخطاء العناصر أثناء العملية هي التي تسببت في هذا الفشل. لم نردد القول بأن العناصر لم يخطئوا أثناء الحادث، ولكن يبدو لنا أنه لا يجب تحميل مسؤولية الفشل للعناصر. حسب رأينا، فإن أخطاء العناصر أثناء العملية وقعت بصورة غير قليلة بسبب أخطاء في الرأي، والتخطيط والخطط والتدريبات .

في كل هذه الأمور وجدنا أن مسؤولية رئيس الموساد و"ح" رئيس القسم المسئول عن وحدة العناصر كبيرة جدًا

وبعد أن تبلور لدينا الرأي بأن الأسباب الرئيسية للفشل كانت الأوساط التي ذكرناها أعلاه، رأينا من الصواب أن نقدم نتائجنا لرئيس الموساد ورئيس القسم المسئول عن وحدة المقاتلين، وأن نوضح لهما ما هي القضايا التي نعتقد أنهما ارتكبا أخطاء بشأنها ولذلك سيتضرران من نتائجنا وطلبنا منهما موقفهما من هذه القضايا.

رد علينا كل واحد منهما خطيًا وتطرق بصورة مختصرة إلى القضايا التي عرضناها أمامه. لقد توصلنا إلى النتائج الشخصية، مثلما نشرت في التقرير بإسهاب، وستذكر هنا، بعد أن أخذنا بالحسبان ردود كل واحد من المذكورين أعلاه.

وفي ما يلي رأينا حلاً حول كل واحد من الأطراف المرتبطين بالموافقة على التخطيط :

براءة رئيس الحكومة :

درسنا أداء رئيس الحكومة في هذا الموضوع خاصة لكونه المسئول المباشر عن عملية الموساد. وبذلك حاولنا أن نحدد لأنفسنا مقاييس عمل غير منحازة بقدر الإمكان، بموجبها نستطيع أن نحلل الإجراءات التي اتخذها، حين درس وصادق على خطط اغتيال خالد مشعل. وكوسيلة مساعدة حاولنا مقارنة طريقة رئيس الحكومة الحالي مع الطرق التي استخدمت في حالات مماثلة من قبل رؤساء حكومات سابقة.

وبعد إجراء طريقة معالجة رئيس الحكومة مع المقاييس التي وضعناها لأنفسنا، توصلنا إلى استنتاج بأن رئيس الحكومة عالج هذه الحالة بصورة معقولة. لقد درس وفكر بالخطط التي عرضت أمامه من كل زاوية نتوقعها. ومن خلال محاضر الجلسات في مكتب رئيس الحكومة توصلنا إلى قناعة بأن رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو اهتم بتفاصيل الخطط بالقدر الذي نتوقعه من أي رئيس حكومة. لقد اقتنعنا أن رئيس الحكومة كرر وطلب أن يتم تنسيق العملية مع كل رؤساء أجهزة الاستخبارات، بحيث يعلم الجميع بها. واتضح لنا أنه في مكتب رئيس الحكومة جرت عدة نقاشات إلى أن تمت المصادقة على العملية وتنفيذها.

لقد سألنا أنفسنا ما إذا كان أداء رئيس الحكومة في موضوع العملية ضد مشعل يختلف عن رؤساء حكومة سابقين في ظروف مشابهة. ومن أجل ذلك طالعنا محاضر مصادقة على عمليات مشابهة في الماضي، وكذلك سمعنا إفادات رؤساء حكومة سابقين. وتوصلنا إلى استنتاج بأن رئيس الحكومة تصرف في هذه الحالة بطريقة لم تتجاوز الأعراف المألوفة في حالات مماثلة في السابق .

لقد درست اللجنة أيضًا سؤالاً بشأن ما إذا كان رئيس الحكومة قد مارس ضغطًا ما من أجل تنفيذ العملية (بسرعة وبأي ثمن) من أجل أن يكون ردًا فوريًا لأعمال الإرهاب في سوق محنية يهودا وشارع بن يهودا في القدس. لقد توصلنا إلى استنتاج بأنه لم يمارس أي ضغط غير معقول من جانب رئيس الحكومة في هذا المجال.

لذلك ، لم نجد أي دليل بوجود خلل في تصرف رئيس الحكومة كمسؤول عن نشاطات الشاباك. واللجنة لم تر من الصواب الدخول في مسألة المسؤولية الإدارية لرئيس الحكومة لهذا الفشل. لقد سبقتنا في هذا الموضوع لجان تحقيق قررت أن موضوع المسؤولية لا يقع ضمن اختصاص لجنة تحقيق أو لجنة تقصي حقائق، بل يقع في مجال علاقة الناخب مع ممثليه، ولا يعني قولنا هذا أن ثمة خلل ما من الزاوية السياسية في تصرف رئيس الحكومة

رئيس الموساد وخطته المعطوبة

لقد تم تعيين داني ياتوم[1] في منصب رئيس الموساد قبل نحو سنة ونصف. وكان آخر منصب له قبل تعيينه هو السكرتير العسكري لرئيس الحكومة برتبة لواء في الجيش . وبحضوره أمام اللجنة تطرق داني ياتوم إلى مسألة مدى التزام رئيس الموساد بالاطلاع على تفاصيل خطط عمليات الموساد عند التصديق على تنفيذها.

---

(١) عندما ذهب داني ياتوم إلى عمان للاعتذار للملك حسين وتقديم العلاج اللازم لإنقاذ مشعل، سأله الملك عن قراره بتصفية مشعل رغم علمه بالعواقب التي قد تنشأ في حال فشله. أجابه ياتوم: (أنا مجرد جندي في خدمة بلادي.. وعليّ أن أطيع الأوامر بغض النظر عن عواطفي تجاه ما أقوم به).

لم نشأ أن نرد على هذه المسألة بصورة عامة، ولكن ليس لدينا أدنى شك في حقيقة أنه قبل المصادقة على خطة عمل من هذا النوع ، وكان يجب على رئيس الموساد أن يفحص تفاصيلها.

لذلك فاللجنة تعتقد أن رئيس الموساد أخطأ في طريقة معالجته للعملية والمصادقة عليها، حيث أنه لم يكن من الصواب التعامل مع هذه العملية كعملية هادئة ، دون اتخاذ مسائل مناسبة في حالة تحول العملية إلى "عملية مثيرة للضجة".

تعتقد اللجنة أيضا ، أن رئيس الموساد كان يمتلك الوقت الكافي ، لإنشاء نقاش آخر أكثر تنظيمًا مع رؤساء أجهزة المخابرات قبل التنفيذ. فمن المعروف أن هذا كان يجب أن يتم. مع ذلك اعتقدت اللجنة أن قادة أجهزة المخابرات علموا من قبل رئيس الموساد بشأن إمكانية تنفيذ العملية ضد مشعل.

رئيس الموساد هو رجل ضليع وخبير في مجال العمليات الميدانية - العسكرية، ويمكن أن نتوقع منه قبل المصادقة على الخطط أن يقف على الأخطاء الكثيرة التي تكشفت لنا أثناء فحصنا، وأن يعمل على تعديلها وأن لا يصادق على خطة ناقصة وخطط معطوبة. لذلك كان من الأجدر لرئيس الموساد أن يوضح لرئيس الحكومة بصورة أكثر تفصيلاً الآثار التي كانت مرتبطة بتنفيذ الخطة في المجال التنفيذي والسياسي.

موقف أغلبية أعضاء اللجنة :

أعتقد أنه بحكم دورنا في لجنة تقصي الحقائق ، درسنا بدقة كل ما كلفنا به بشأن داني ياتوم، رئيس الموساد ، وأشرنا إلى القضايا التي نعتقد أنه أخطأ فيها وعددنا أسباب هذه الخطة.

لذلك لم نجد أنه من المناسب التقدم بتوصية أمام الحكومة في المجال الشخصي، لكوننا نعتقد أنه يجب ترك هذا الموضوع لقرار الحكومة لكي نستطيع التعامل معه بعد أن تدرس الحقائق والتوصيات الواردة في التقرير .

موقف الأقلية :

حين تم استخلاص النتائج التي توصلت إليها اللجنة ، استنادًا إلى المادة التي اطلعت عليها في كل ما يتعلق بدور ومدى مسؤولية رئيس الموساد بفشل العملية في الأردن، فإنه من الصحيح أن نمتنع عن تقديم توصيات شخصية، والأكثر من ذلك حسب . وعلى ضوء ما جاء أعلاه نوصى بأن لا يواصل داني ياتوم[1] أداء منصبه كرئيس للموساد .

وإذا كان تقرير لجنة شحنوبر قد أدان رئيس الموساد مما أدى إلى الاستغناء عنه ، فقد مثلت فضيحة مشعل بالأردن أقذر عمليات الموساد الفاشلة ، وأكثرها شهرة على المستوى الدولى . وبقيت آثارها نقطة سوداء فى تاريخ الدولة الصهيونية الإرهابية ، وفى عمل جهاز الموساد وكفاءة رجاله . تلك الأكذوبة التى توضحت على الملأ دون تفنيد .. أو شروح ..!!



(١) بناءً على هذا التقرير قدم رئيس الموساد استقالته وتولى المنصب من بعده إبراهام هاليفي.



اغتيال أمين عام حزب الله في لبنان .. !!

أسس عباس الموسوي (حزب الله) مع رفاقه رجال الدين البقاعيين، وفي أولى العمليات ضد القوات الإسرائيلية، أسقط أكثر من ثلاثمائة صهيوني بين قتيل وجريح؛ فأجبر الجيش المحتل على الانسحاب إلى أقصى حدود لبنان، إلا أن الموسوي ظل يقاوم بلا هوادة، حتى اغتيل غدرًا بواسطة طائرة بدون طيار ، عرفت في الجنوب اللبناني باسم : أم كامل ..!!

مناسبة جبشيت

تعاقبت الشهور تلو الشهور بعد عملية اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد إلى إسرائيل.. وما يزال جاسوس الموساد أحمد عبد البديع الحلاق الذي شارك في العملية يرتجف خائفًا.. تسيطر عليه سحابات رعب تعصف بمجامعه.. وتراوده الهواجس بلا رحمة في نومه ويقظته.. فتحيله إلى ما يشبه الخائر المشوش.. الذي ضاقت به الدنيا على اتساعها. لذلك آثر أن ينغلق على نفسه هربًا من أشباح الموت.. متشبثًا بأحضان زوجته حنان الياسين، التي كلما منحته قطوف أنوثتها أقبل عليها في نهم الجائع المحروم.. ووجد في ذلك متعة ما بعدها متعة للانعتاق من أغلال خوفه وشياطين أفكاره.

كانت حنان التي جرجرته إلى عالم الجاسوسية تشفق عليه معاناته المهلكة، وبأرق كلمات الحب والعطف كانت تردد دوما على مسامعه.. بينما تحتويه كطفل وليد في حنان.. فَتُسكِّن قليلاً من ارتجاجاته التي سرعان ما تعود ثائرة مصطخبة من جديد.

وبعد عامين طويلين في هلع الترقب والانتظار، كان أحمد الحلاق الذي استقر بالناقورة قد هدأ تمامًا.. معتقدًا بأنه بعيد عن دائرة الشك في أجهزة أمن حزب الله. فكل المعطيات كانت تنأى به عن شبهة المؤامرة.. ذلك لأن رفاق الشيخ عبيد الذين كانوا يعرفونه ، رأوه ليلة الاختطاف في بيروت (وكان ذلك من ترتيبات الخطة).. وكثيرًا ما التجأوا إليه خلال تلك المدة فتعاون معهم.. وقام على مساعدتهم وتذليل بعض الصعوبات لرجالهم في الجنوب.. ظنًا بأن ذلك سيحسب له إذا ما اكتشف أمره مستقبلاً.

فقد خبأ الحلاق ثلاثة من عناصر الحزب بمخزن متجره في الناقورة لأيام طويلة..وتمكن من إيصال عدة قنابل إلى أماكن حرجة بالقرب من الشريط الحدودي، في مخاطر مميتة ، فارتفع شأنه بذلك لدى حزب الله. مما مكنه من التغلغل.. والاطلاع على العديد من الأسرار الهامة جدًا .

وفي أوائل فبراير ١٩٩٢ علم أحمد الحلاق أن أمين عام حزب الله السيد عباس الموسوي.. سوف يحضر الاحتفال الكبير بذكرى استشهاد الشيخ راغب حرب(١) الذي سيقام بقرية جبشيت الجنوبية يوم ١٧ فبراير.. فأسرع لمقابلة قائده رينيه البياضي وأسر إليه بالخبر.. وبعد ساعات تحول مبنى الموساد في تل أبيب إلى خلية نحل تضج بقادة أجهزة الاستخبارات وخبراء الاغتيالات.. ووضعوا على مدى عدة أيام خطة اغتيال الأمين العام إذا ما تأكد لهم حضوره مناسبة جبشيت .

تحمل قرية (جبشيت) الجنوبية وقع معنوي حماسي مؤثر عند شيعة لبنان، ولدى رجال حزب الله على وجه الخصوص. حيث تحمل القرية الكثير من الدلالات الجهادية التي لا يمكن تجاهلها، والتي غطت مسيرة الحزب منذ انطلاق شرارته الأولى.

ففي ١٦ فبراير ١٩٨٥ في الذكرى السنوية الأولى لاغتيال أحد قادته، الشهيد راغب حرب، إمام قرية جبشيت، تولى الناطق الرسمي للحزب آنذاك ، إبراهيم الأمين، إعلان الوثيقة الأولى للحزب من الضاحية الجنوبية في بيروت، وكانت تحت عنوان: (رسالة مفتوحة إلى المستضعفين في لبنان والعالم..). تضمنت الوثيقة تعريفًا بالحزب ونظرته إلى مختلف الشئون السياسية، سواء على المستوى اللبناني الداخلي أو على المستويين الإقليمي والدولي، إلى جانب الأسس الفكرية التي يعتمدها الحزب في تعاطيه معها.

هذه الوثيقة، التي جاءت في مناسبة جبشيت الأولى، شكلت الخلفية التي استند إليها الحزب، فيما بعد، حتى مطلع التسعينيات من القرن الماضي، عندما وضعت الدولة اتفاق الطائف عام ١٩٨٩ موضع التنفيذ.

---

(١) الشيخ راغب حرب إمام قرية جبشيت في جنوب لبنان. أثناء اجتياح الجيش الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ وقعت القرية تحت الاحتلال. وبرغم ذلك لم يسكت الشيخ حرب، بل كانت خطبته في صلاة كل جمعة تنتهي بمظاهرة جماهيرية حاشدة تهتف بانسحاب العدو الصهيوني إلى حدوده، مما دفع القوات الإسرائيلية إلى اعتقاله والتنبيه عليه بألا يثير الجماهير في خطبه الحماسية. لكنه لم يكن يخاف التهديدات، وظل صورة رائعة للمسلم الذي يجاهد ولا يخشى الاعتقالات المتكررة التي بدأت تأخذ طابع التهديد الصريح، إلى أن استشهد بالفعل في ١٦ فبراير ١٩٨٤ ، وتولى مكانه الشيخ عبد الكريم عبيد إمامًا للقرية، وقائدًا حصيفًا لم تسلم القوات الإسرائيلية من عملياته العسكرية إلى أن تم اختطافه إلى فلسطين المحتلة في ٣١ يوليو ١٩٨٩ .

وقعت قرية جبشيت تحت نير الاحتلال الإسرائيلي لعدة أشهر متصلة ، إثر اجتياح لبنان عام ١٩٨٢. وكان من نتيجة ذلك عمل ملفات أمنية لكوادر المقاومة ، حيث كان على رأسهم إمام القرية الشيخ حرب الذي اغتيل فيما بعد، والإمام التالي له الشيخ عبد الكريم محمد عبيد الذي اختطف إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة. وكما أعلن في ذكرى استشهاد راغب حرب الأولى قيام حزب الله، استغلت إسرائيل مناسبة الذكرى الثامنة لراغب حرب أيضًا في الإقدام على تنفيذ إحدى عملياتها الإجرامية الإرهابية.

كان الشيخ عباس الموسوي ، ابن قرية (النبي شيث) ، في سلسلة الجبال الشرقية ما بين سوريا وبعلبك، رجل دين ورع، تلقى تعليمه الأولي في القرية ثم أكمل تعليمه الجامعي في بيروت، وسافر إلى النجف وإيران حيث ارتبط بعلاقات وثيقة مع رجال الدين في البلدين.

اشترك الموسوي مع نبيه بري في تأسيس حركة (أمل) منتصف السبعينيات لمواجهة الاجتياح الإسرائيلي للبنان . لكن بعدما انضم بري إلى هيئة الإنقاذ الوطني، التي ضمت وليد جنبلاط وبشير الجميل، انشق الموسوي عن (أمل). وبالاشتراك مع البقاعي، إبراهيم الأمين، ابن قرية (النبي إيلا) بالقرب من زحلة، إضافة إلى الشيخ صبحي الطفيلي، والشيخ محمد يزبك، وحسن نصر الله، حدثت ولادة حزب الله التي أعلنت رسميًا في ١٦ فبراير ١٩٨٥. لكن، ليس بخافٍ أن الحزب قد ولد بالأصل منتصف عام ١٩٨٢ عند الاجتياح الإسرائيلي للبنان، ونَفَّذَ أول عملية استشهادية بواسطة (أحمد قصير) في ١١ نوفمبر ١٩٨٢، الذي أطلق عليه فيما بعد لقب: (أمير الاستشهاديين)

يقول الدكتور رفعت سيد أحمد[1] :

عندما التقيت بوالد الشهيد أحمد قصير في منزله الريفي الفقير الجميل، بقرية (معروب ، قضاء صور) ، سألته:

---

(١) مجلة الغد العربي سبتمبر ١٩٩٩ .

- هل كنت تعلم بأن الشهيد أحمد ينتمي إلى حزب الله، أو المقاومة، وأنه كان سيفجر نفسه في هذا المبنى (الذي أسقط من رجال العدو ٣٠٠ ما بين قتيل وجريح، وأجبرهم على التقهقر إلى الجنوب اللبناني بعيدًا جدًا..؟).

أجابني مبتسمًا وهو الريفي البسيط المتواضع :

- هل تعلم أنني لم أعرف أن ابني قد ارتفع شهيدًا إلا بعد ثلاث سنوات من استشهاده..؟

سألته :

- كيف..؟

أجابني :

- لم يكن هناك تنظيم اسمه (حزب الله). إذ لم يعلن عن تشكيله إلا عام ١٩٨٥. وبعد الإعلان بوقت قصير فوجئت بمن جاء منهم ليبلغني أن ابني الشهيد أحمد هو أول شهدائنا. وحكوا لنا عن عمليته الاستشهادية التي سمعنا دويها هنا في منزلنا ولم نكن نعرف أن ابننا هو الذي تشرف بها (نسف مقر قيادة الجيش الإسرائيلي في مدينة صور) .

- لقد كنا نبحث عنه بين المعارف والأصدقاء في القرى وفي الضاحية الجنوبية ببيروت، طيلة ثلاث سنوات. ولم نكن نعلم أنه عند من هو أكرم وأعظم، بجوار النبيين والصديقين والشهداء. ثلاث سنوات من الحزن والمعاناة، وسعادة حين علمنا بالخبر.

(ومفاجأة لنا حين نعلم ، أن هذا الأب أيضًا ، قدم شهيدًا آخر من أبنائه).

لقد أعلن الشيخ عباس الموسوي ورفاقه ، أول عملية استشهادية نفذتها المقاومة الإسلامية في لبنان بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٨٢، حين أقدم الاستشهادي أحمد قصير على اقتحام مبنى الحاكم العسكري في صور، مزودًا بخمسمائة كيلوجرام من مادة T.N.T شديدة الانفجار بسيارته، حيث تمكن للفدائي الشاب من المرور بين السواتر

الترابية لمدخل مقر الحاكم العسكري في صور، ثم اقتحام وتجاوز شتى الإعاقات والموانع الحديدية، حتى أنه جر الأسلاك الشائكة التي تلف المبنى وانطلق بكل قوته، حتى وصل إلى جدار المبنى فاصطدم به وفجره فدمره تدميرًا كاملاً، وأجهز على من بداخله والبالغ عددهم أكثر من مائتين.

كان هذا ما أعلن بعد مدة في لبنان ، عن أول عملية استشهادية ضد العدو الإسرائيلى ، نفذها شاب فدائى ينتمى لحزب الله

أما عن السيد عباس الموسوى ، فعندما توافرت المعلومات الأكيدة عن مناسبة جبشيت ، استدعى الحلاق إلى الوحدة ٥٠٤ في الجنوب.. وعلى مدار أربع ساعات اجتمع به كبار ضباط أنطوان لحدو الموساد المختصين بعمليات التخطيط والاغتيال، وذلك من أجل وضع خطة اغتيال الموسوي التي سيكون عميلهم أساسها.

تلخصت الخطة المرسومة في أن يتصل الحلاق بالموساد من جبشيت.. بواسطة جهاز دقيق مطور يعمل بواسطة القمر الصناعي مباشرة. واصفًا سيارة الأمين العام من حيث النوع واللون وترتيبها في الموكب، كذلك الطريق الذي ستسلكه بعد انفضاض المناسبة.

كانت العملية تبدو سهلة لدى الإسرائيليين.. (عملية استخدام اللاسلكي) لكنها كانت بالنسبة لعميل الموساد غاية في الصعوبة.. إذ كيف سيتمكن من بث رسالته القصيرة بين الجموع الحاشدة وعيون جهاز أمن الحزب؟ المسألة كانت أكبر من مواهبه وقدراته.. لكن رجال الموساد الذين كانوا على ما يبدو لا يهتمون بأمن عميلهم الشخصي، أوجدوا حلاً لتساؤلاته.

أم كامل

كان سعي أحمد الحلاق محمومًا للعودة من جديد إلى حظيرة العمل التجسسي.. بعد توقف عامين عن مزاولة النشاط شحت أثناءهما دولارات الموساد بين يديه. إذ كان يتحصل منها على راتب شهري مجز. إضافة إلى مكافآت (التقارير والأخبار)..

كما توقف أيضًا دخل حوافز ومكافآت زوجته لانقطاعـها عـن العمـل.. ممـا أدى إلى اختلال ظروفه المعيشية وتجارته لإسرافه الشديد، واعتماده كلية علـى المـال الحـرام الذي منع عنه.

لذلك.. عاد صاغرًا إلى النشاط التجسسي هربًا من أزمته الاقتصادية.. وهو بعـد لم يدرك أن المخابرات الإسرائيلية تستنزف عملاءها ثم تتخلى عنهم بسهولة.. وتتركهم بعد انتهاء مهامهم، سواء بالنجاح أو الفشل، يواجهون التجاهل والضياع والنسـيان. وهناك في ملفات المخابرات والجاسوسية.. عشرات الأمثلة لعمـلاء قدمـوا لإسـرائيل خدمات لم تحلم بـها.. ثـم تجاهلتـهم وأخرجـت لهـم لسـانها في ازدراء(١).. لكـن الخونة، وهم عجينة مختلفة من البشر، يبدو أنهم يساقون بلا وعي لما ستسـفر عنـه النهاية.. وسوء المصير .

وفي ١٧ فـبراير ١٩٩٢ توجـه الحـلاق بسـيارته إلى قريـة جبشـيت الجنوبيـة، وصاحبته زوجته التي كانت حاملاً في شهرها الأول، طمعًا في مكافـأة أخـرى لهـا.. ولابنهما (داني) ذو العامين ونصف الذي رافقهما رحلة الخسة..

وفي جبشيت ، رحب بـهم رجـال حـزب الله بحفـاوة.. واسـتأذن الحـلاق في أن يكون أحد حراس الزعيم عباس الموسوي.. بحيث يقف بسيارته عند مشارف القريـة لمراقبة الوافدين خوفا ، حسبما ادعى ، مـن تسـلل أحـد العمـلاء الجنوبيـين الذيـن يعرف ملامحهم.. فابتهجوا لحماسه وأكدوا لـه أن جـهاز الأمـن منـوط بتـأمين كـل شيء.. وأمام إصراره تركوه لحاله.. فاتخذ من مكان قريب يقـع علـى مفـترق الطـرق موقعًا يستطيع منه رؤية الضيف القادم.. وتمـييز سيارته بسهـولة بينما جلست إلى

---

(١) في كتابنا : (انشراح موسى.. أعدمها السادات فأعتقها بيجين)، يتـأكد القـارئ مـن مـدى تجـاهل الموسـاد لعملائها، عندما تركت انشراح موسى في إسرائيل تواجه الجوع والفقر، وتعمل متسولة تغسل الأطباق في المطـاعم لكي تعيش. أما أولادها الثلاثة، فقد هـرب أحدهـم مـن إسـرائيل، والآخريـن يفكـران بـالعودة إلى مصـر.. لكـن الظروف المحيطة تحول دون تحقيق ذلك.

جواره حنان الياسين بـ (التشادور) - الزي المفضل لنساء حزب الله- تداعب الصغير الذي تلهى بلعبه.. وتراقب الحركة من حولهم..

نظر الحلاق إلى ساعته مليًا.. وبيد مرتعشة.. سحب جهاز اللاسلكي الذي خبـأه أسفل مقعده.. وشرع في تشغيله. ولما لاحظت حنان ارتباكه الشديد وارتعاش أطرافه، طمأنته بأن كل شيء على ما يرام.. ومسحت بيدها كفه المرتعش.. ثم جففت جبينـه الذي تفصد منه العرق برغم الصقيع.. فاطمـأن قليـلا يحـدوه الحـذر المغلـف بـالهلع وواصل بالرغم من ذلك عمله

كان جهاز الاستقبال في تل أبيب مفتوحًا قبل الموعد المتفق عليـه بسـاعتين علـى الأقل.. وفي عدة مواقع حساسة جدًا بإسرائيل.. كانت هناك قيادات مختلفـة تنتظـر تلك الإشارة.

وفي أقل من ساعة ونصف السـاعة.. وصـل موكـب الأمـين العـام إلى القريـة مـارًا بالجاسوسين.. وتلقوا الإشارة في تل أبيـب فتـهللت وجوهـهم بـالفرح. وفي الحـال.. تحركت الآلة التدميرية الإسرائيلية رغبة في القتـل والإرهـاب.. وبعـد ثلثـي السـاعة أنهى الأمين العام خطبته

وبينما كان الشيخ عباس الموسوي يغادر القرية، خالف الحلاق الأوامر والمحـاذير الأمنية، عندما سحب هوائي الجهاز وبث رسالته الثانية :

(إنهم يسلكون طريق البقاع) ..

فقد كانت هناك مخاوف من احتمالات اسـتعانة جـهاز أمـن حـزب الله بسـيارة (التتبع اللاسلكي).. وعلى ذلك، استعد الحلاق لدفن الجهاز فـورًا بمكـان يسـتطيع الاستدلال عليه فيما بعد.

وبينما كانت حنان تدفن الجهاز مصطحبة طفلها إلى قرب شجرة أرز بشكل يبدو منه أنه يقضي حاجته، حلقت طائرة إسرائيلية بدون طيار.. يطلق عليـها اللبنـانيون اسـم (أم كـامل). وبواسـطة الصواريـخ الموجهـة حراريـا الـتي تجذبـها بـؤر سـاخنة

وضوئية.. أمكن قصف سيارة الأمين العام التي انفجرت به.. واستشهد في الحال مع خمسة من رفاقه..

وفي طريق العودة قالت حنان لزوجها:

(هل كنت مقنعة حقًا عندما صرخت وبكيت أمام مشهد الجثث المتفحمة ..؟) .

أجابها الحلاق :

سنتحصل على مكافأة سخية .!!



محاولة اغتيال عماد مُغنِّـية في بيروت .. !!



وصفه رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية بأنه (داهية في التخطيط العسكري.. يفـوق أعتى من تخرجوا من الأكاديميات العسكرية العريقـة في العالم.. ذو ذكاء فطري أصاب الجيش الإسرائيلي في لبنان بالهلع.. وأجبره على الهرب ليلاً داخـل حدوده خلف أسوار مكهربة.. بغية اتقاء عملياته الشرسة..).

إنه الفدائي عماد مُغنيـة.. رجـل حـزب الله الـذي أنفقت إسرائيل ملايين الدولارات لاغتياله..!!

عماد مغنية .. (!!)

من أشهر الأسماء التي أرّقت أمن إسرائيل وأذاقتها مرار الخوف والهلع.. لذلك جدت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في طلبه.. وأنفقت الملايين لاصطياده دون جدوى.. فالرجل ماكر كالثعلب.. وحشي كالأسد في عملياته ضد إسرائيل.. خارق الذكاء في التخطيط والتخفي للدرجة التي أذهلت عقول الموساد مجتمعة.

إنه رئيس جهاز الأمن في حزب الله ، عماد مغنية ، الذي وصفه رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان)، عاموس ملكا، بأنه (داهية في التخطيط العسكري.. يفوق أعتى من تخرجوا من الأكاديميات العسكرية العريقة في العالم.. ذو ذكاء فطري أصاب الجيش الإسرائيلي في لبنان بالهلع.. وأجبره على الهرب ليلا إلى داخل حدوده خلف الأسوار المكهربة.. بغية اتقاء عملياته الشرسة..)..!!

ولأنه أحد أهم المطلوبين في إسرائيل.. كان من المستحيل اختطافه نظرا لتخفيه الدائم وحسه الأمني العالي، وعدم قدرة عملاء الموساد في بيروت على تتبع خطواته أو أماكن إقامته ومواعيد تحركاته.. لذلك كلف العميل أحمد الحلاق باغتياله بواسطة سيارة مفخخة.. أعدها أحد ضباط الموساد بذات الأسلوب الذي اغتيل به علي حسن سلامة عام ١٩٧٩ ببيروت أيضًا.. وكانت مهمة الحلاق الضغط على زر جهاز التفجير عن بعد [1] .. نظرًا لأنه يعرف فؤاد مغنية شقيق عماد.. والذي ترددت أنباء تفيد بأنه يقود سيارة شقيقه متنقلاً به هنا وهناك في حراسة سيارة أخرى تحمل كوادر مسلحة.

لكن.. قبلما نتعرض لتفاصيل عملية التفجير، علينا أولاً أن نتعرف على قصة الحروب السرية بين عماد مغنية والأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية، لنستشف منها أسباب ودوافع إسرائيل للتخلص من القائد اللبناني الجريء، الذي بدا كالشبح المرعب والمثير للهلع

---

(١) قيل بعد ذلك إنه التقى بايريكا تشامبرز ، التى جئ بها خصيصا لكى تشرح له كيف اغتالت على حسن سلامة بالريموت كونترول .

كانت قوانين العقوبات المائعة في لبنان ، سببًا مباشرًا في إفلات العديد من جواسيس الموساد من الإعدام، بل وتحول بيروت إلى ميدان ناشط لصراعات أجهزة الاستخبارات. يتعاظم بها يومًا بعد يوم جيش جرار من العملاء والخونة، دون خوف من عقاب رادع.. أو قوانين صارمة

ولكون لبنان بلد ذو اقتصاد حر وميدانًا جاذبًا للسياحة والاستثمار، فهو يهرب من الزج بنفسه في لعبة الصراعات الإقليمية أو الاستخباراتية.

لكن في عام ١٩٩٦ ، انقلبت المعايير كلها رأسا على عقب، وذلك عندما صدر فجأة أول حكم قضائي بالإعدام، وكان ضد الجاسوس أحمد عبد البديع الحلاق.

وقتها.. شكلت الحادثة انقلابًا خطيرًا في لبنان وخارجه، كان أقرب إلى الصدمة والذهول.. وعدم التصديق. فالحكم القضائي كان سابقة جديدة لم يألفها المجتمع اللبناني لعقود طويلة خلت، طفحت خلالها البلاد بالعشرات من عملاء الموساد المحليين، وشبكات التجسس والتفجيرات والإرهاب.

جميع هؤلاء الخونة إما أنهم أدينوا بعقوبات هشة.. رقيقة، أو تركوا ليغادروا بيروت في دعة وسلام.

المثير هنا في هذه القضية، أن أحمد الحلاق لم يجند - كما هو متبع - لإمداد الإسرائيليين بمعلومات عسكرية واقتصادية عن الفلسطينيين وحركة المقاومة، إنما جُنِّدَ لاختراق بعبع إسرائيل المخيف.. حزب الله..(!!) والقيام بعمليات تفجيرية ضد قادته.. إضافة إلى رصد تحركات جناحه العسكري ومخازن تسليحه وثكناته.

والأكثر إثارة، أن زوجته الشابة - حنان الياسين - كانت شريكته الوحيدة ، وساعده الأيمن في نشاطه التجسسي والتخريبي ، مدفوعة بطيش الحب ولذائذه، ورغبتها في امتلاك شقة بأرقى أحياء بيروت ترى من خلالها البحر.

وقبل أن نغوص في تفاصيل الحروب السرية بين حزب الله وإسرائيل ، وقصة السقوط المثير للحلاق وزوجته، علينا أولاً أن نتطرق لقصة حزب الله : نشأته،

ورموز قادته، وأهدافه، واستفحال نشاطه العسكري ضد العدو الإسرائيلي في الجنوب اللبناني وداخل عمق أراضيه.. وتلك الحرب الشرسة بينهما بالسلاح، وبالأدمغة، وبالاختراقات المضادة.

نشأ حزب الله في بعلبك[1] في مطلع الثمانينيات، وفيها نشأت حركة (أمل) الإسلامية بزعامة نبيه بري وحسين الموسوي، وانشق الموسوي عن (أمل) إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، ليؤسس اللبنة الأولى للحزب بمباركة إيرانية تبناها علي أكبر محتشمي، سفير إيران في دمشق، ووزير داخلية بلاده بعد ذلك. وظل حزب الله منذ تأسيسه وحتى مقتل أمينه العام عباس الموسوي في فبراير ١٩٩٢، تحت قيادة رجال دين بقاعيين[2]، إلى أن انتخب السيد حسن نصر الله، من البازورية في الجنوب، أمينًا عامًا خلفًا للموسوي.

وحزب الله حزب شيعي خالص، له مكتب سياسي ومجلس شورى، وأعد إعدادًا جيدًا لممارسة المقاومة المحترفة التي لا تفترض جبهات سياسية مع قوى أخرى علمانية، أو حتى إسلامية غير شيعية

وأسلوب المقاومة التي ينتهجها حزب الله ، أسلوب معقد ويشكل تحديًا كبيرًا لإسرائيل، التي اعتادت خوض معارك عسكرية سهلة مع أعدائها. فجنود الحزب مدربون تدريبًا عاليًا ومعدون أيديولوجيا بما يتناسب وطبيعة العمليات العسكرية التي ينفذونها، حيث يتدافعون بشوق إلى القتال طلبًا للجنة

---

(١) بعلبك Baalbek أشهر مدن البقاع اللبناني وتقع على مسافة ٨٠ كيلومترًا شمالي شرق بيروت، وتأتي شهرة المدينة بسبب المعابد القديمة التي أقامها الرومان بها وأهمها معبد جوبتر وأطلق عليها في القرنين الأول والثاني للميلاد اسم مدينة الشمس (هليوبوليس) ولا توجد بأنقاض المدينة أي آثار لمستقر فينيقي سابق، كما يفترض من (بعل) - إله الشمس الفينيقي - الذي يكون جزءًا من الاسم، أو من آثار المدينة الهللستينية التالية له. وبالمدينة أكبر كتل حجرية استخدمت في البناء الفعلي ويبلغ طول إحداها ١٩ مترًا وعرضها وارتفاعها أربعة أمتار .

(٢) في مرحلة التأسيس حرص المؤسسون على اعتماد القيادة الجماعية للحزب، من خلال مجلس الشورى، وعدم إعطاء صفة الرئيس أو الأمين العام لأي شخصية في الحزب، وبرز اسم السيد إبراهيم أمين كناطق رسمي للحزب في عام ١٩٨٥، وفي عام ١٩٨٩ شهد الحزب تحولاً مهمًا ، إذ سمح للمرة الأولى بتولي أحد قيادييه منصب الأمين العام، بالانتخاب، رابطًا مواقفه وقراراته بموافقة مجلس الشورى، الذي كان ولا يزال سلطة القرار الأولى في الحزب، ووضع شرط أساسي بعدم التجديد للأمين العام لأكثر من ولايتين، مدة كل منهما سنتين (أصبحت فيما بعد ثلاث سنوات) فكان الشيخ صبحي الطفيلي أول من تولى هذا المنصب ولاية واحدة فقط، ثم خلفه عباس الموسوي، وبعد اغتياله انتخب السيد حسن نصر الله ليكمل ولاية سلفه.

أيضًا .. لحزب الله قدرة فائقة على توفير الدعم اللوجستي السريع لمقاتليه على خطوط التماس مع إسرائيل. وأن مئات المقاتلين يتدفقون إلى الحزب في كل مرة تتخطى فيها القوات الإسرائيلية معابر الشريط الحدودي.

وعادة.. في حرب العصابات، من لا يملك القدرة الدفاعية على مواجهة العدو، يمكنه أن يخفف من أهمية أسلحته الجوية، وذلك بإخفاء الأهداف والابتعاد عن المظاهر. وهذه هي إحدى نقاط القوة في حزب الله. فالحزب، سواء في بعلبك أو ضاحية بيروت أو الجنوب اللبناني، بعيد عن كل أشكال الاستعراض، وليست لقواته قواعد عسكرية ثابتة أو ثكنات يمكن رصدها. وعدد أفراد جنوده المقاتلين نحو ثلاثة آلاف مقاتل، ويتلقى مليوني دولار دعمًا شهريًا يأتيه من مؤسسة "إمداد إمام" الإيرانية.

إكسير الحياة

وعند احتلال جنوب لبنان ، زرعت إسرائيل أحدث منظومة رادارية[1] ضد تسلل المقاتلين، تفنن خبراء الحزب في تعطيلها، ففقدت فاعليتها، وأصيب بالرعب جنود العدو الإسرائيلي، إذ نشطت بعدها الكمائن وزُرعت العبوات الناسفة بكثافة، فلجأت إسرائيل إلى الولايات المتحدة، التي زودتها بأفضل منظوماتها[2] المضادة لصواريخ الكاتيوشا لحماية مستعمراتها الشمالية، لكن ثبت فشلها فشلاً ذريعًا هي الأخرى، وبذلك انقلب أمن إسرائيل إلى جحيم لا يهدأ .

هكذا واجهت إسرائيل عمليات حزب الله الناجحة برعب ثقيل، اضطر جنود النخبة[3] - جولاني - أمامها، إلى وضع خلفية سوداء لشاراتهم العسكرية، بدلاً من الخلفية الخضراء، حدادًا على زملائهم الذين قتلوا على أيدي رجال حزب الله، وأيقنوا أن الذهاب إلى لبنان رحلة إلى الموت .

---

(١) وهي منظومة متطورة من إنتاج شركة Elbit الإسرائيلية .

(٢) منظومة Nautilus الأمريكية التي تفاخرت أمريكا كثيرًا بإنتاجها .

(٣) جنود النخبة : قوات كوماندوز يتمتع أفرادها بدرجة عالية من التدريبات تضمهم وحدات عمليات خاصة تعرف باسم: سايريت ماتكال، وجحفاني، وإيجوز، وجولاني .. إلخ .

لذلك.. كانوا يكتبون رسائل وداع مسبقة إلى الأهل والصديقات، مستسلمين لجنود أكفاء لديهم القدرة على المباغتة والمبادرات الفجائية، وتسيير اللعبة بفن وخبرة نادرتين. فنمت نزعات الخوف والرعب لدى الإسرائيليين وباتت الدبابة الإسرائيلية تقصف أختها، والوحدة الإسرائيلية تقتل أبناءها برصاص الذعر والارتباك. ونلمح الخوف في تصريحات بنيامين نتنياهو نفسه

- (نريد أن نترك لبنان.. لكننا نريد ضمانًا بعدم لحاق حزب الله بنا) ..!

وتصرخ جوفرة ماريسون، زوجة الوزير رافي إيتان، الذي وصف العرب بالصراصير:

- (لتعمل الحكومة على مهادنة حزب الله ، فلبنان بات جحيمًا بالنسبة لنا).

وينفعل إيتان هابر، وكان من مساعدي رئيس الوزراء الأسبق إسحق رابين، قائلا:

- (لماذا ليس لدينا حل ونحن نملك القنابل الذرية..؟ نحن الذين حررنا الرهائن في عنتيبي[1]، وأخذنا الرادار من تحت أنوف المصريين[2] ، وقتلنا قادة الفلسطينيين على أسرَّتهم بجنود في ثياب نساء[3])!

وآخر صوت صارخ دعا إلى الهرب من مستنقع حزب الله في لبنان هو أرئيل شارون السفاح :

- (نحن في حاجة على الفور إلى حكومة طوارئ، للتوصل إلى قرار بشأن انسحاب من جانب واحد، واتفاق سلام مع حزب الله والفلسطينيين)!

---

(١) عملية عنتيبي في يوليو ١٩٧٦ جاءت تفاصيلها بالجزء الثالث من (حراس الهيكل).

(٢) ليلة ٢٣/٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ تمكنت قوات العدو الخاصة من الهبوط في رأس غارب بمنطقة صحراوية نائية، وتمكنت من الإغارة على رادار مصري سوفييتي الصنع من طراز B-12 ، حيث قتل سبعة جنود مصريين وجرى تفكيك الرادار وحمله بواسطة الهليوكبتر إلى إسرائيل.

(٣) يقصد عملية (فردان) التي تمت في ٩ أبريل ١٩٧٣ ، وراح ضحيتها الزعماء الفلسطينيين الثلاثة في بيروت .

وفي هذا المقام يجب قراءة بعض الحقائق الجديدة. فإسرائيل تسعى، وللمرة الأولى، وبمبادرات منها إلى الخروج من أرض عربية باتت جحيمًا بالنسبة إليها . فهي عادة، تحتل ولا تعود تتزحزح، ولو تدخلت جميع الدول. ثم إن حال البلبلة السياسية والأمنية، داخل إسرائيل، واقع فرضته المقاومة الشرسة في الجنوب اللبناني، والضربات الموجعة التي تصيب مستوطنات إسرائيل الشمالية. فبات الجميع يصرخون، لكنهم عاجزون، ويقترحون، ومتشائمون.

هذا التشاؤم يشبه تشاؤم الكاتبة اليهودية (روبرتا شتراوس) صاحبة كتاب (مصير اليهود) عندما قالت :

- (في جنوب لبنان يبدو كل فرد كما لو أنه يقاتل الجيش الإسرائيلي كله، ويبدو الجيش الإسرائيلي وكأنه يقاتل فردًا واحدًا.. ففي جنوب لبنان ارتكبنا السقطة الاستراتيجية. لقد دخلنا أفران الغاز ولكن برغبة كاملة وحمقاء منا نحن).

ويبدو أن الدولة العبرية تأثرت إلى حد كبير، بصراخات الكتاب والمنتقدين لسياساتها، برغم أن ذلك يناقض طبيعة الدولة الإسرائيلية، ذات الميزانية العسكرية الأضخم في التاريخ العالمي بالمقارنة مع حجمها، ونتاجها . فهي إذن ترتبط بالقوة العسكرية في أساس وجودها، وبأجهزة مخابراتها التي تمنحها إكسير الحياة،عندما تضخ المعلومات في شرايينها.

لكن، وبرغم كل ذلك، عجزت الآلة الإسرائيلية تمامًا في جنوب لبنان، وتوقفت، فيما يشبه الشلل الرعاش، أمام جرأة حزب الله واستبسال رجاله المدربون، وفي ذلك يقول أحد الخبراء العسكريين في إسرائيل :

- (لا يمكن لأي جيش حديث لدولة كبرى، أن يهزم بشكل تام منظمة حرب عصابات، فليس ثمة جدوى في السجال حول ما إذا كان من الأفضل محاربة حزب الله من خط الحدود الدولية، أم من داخل الحزام الأمني).

وقال خبراء عسكريون غربيون

– (إن ضربـات حـزب الله الذكيـة المتتاليـة ، زعزعـت أسـطورة الجيـش الإسرائيلي، وأثبتت، بشهادة مخابرات دوليـة، أنـه يتعـامل مـع الإسـرائيليين بوسائل حديثة متطورة، استطاع من خلالها اخـتراق السـرية الإسـرائيلية، الـتي كانت تعصى على الأمريكيين أنفسهم) ! !

وفي إحدى خطبه يقول الأمين العام لحزب الله ، حسن نصر الله :

– (إن الضباط والجنود الإسرائيليين، لا يتحلون بالشجاعة التي يُسَّوق لهـا في وسائل الإعلام خلال عقود من الزمن، ففي الحقيقـة أنـه خـلال ٥٠ عامًـا لم تكـن إسرائيل هي القوية، بقدر ما كان العرب هـم الضعفـاء، ومـن خـلال تعاملنـا مـع العـدو، فـإن الجنـدي الإسـرائيلي عندمـا يتحـرك، يكـون مجـهزًا بـأحدث التجهيزات، ويرتدي درعًا من رأسه إلى أخمص قدميه، لكنه مع كل ذلـك، لديـه جُبن لا مثيل لـه في العـالم، بسـبب نقطـة الضعـف الأساسية الـتي لديـه، وهـي الحرص علـى الحيـاة. في مقـابل ذلـك، نذهـب نحـن إلى القتـال، وقلوبنـا تعشـق الشهادة. وهنا تكمن نقطة القوة في المقاومة).

هكذا لخَّص حسن نصر الله فلسفة عقيدة الجهاد الـتي يتحلـى بـها جنـوده، في مواجهة عدو مذعور جبان، لا يحارب على أرضه، ولا يقاتل في سبيل مبدأ شريف، أو غاية شرعية مُقَنَّنة.

استعان حـزب الله بالدراسـات الاسـتخباراتية الـتي تتفـق وطبيعـة صراعـه مـع المخابرات الإسرائيلية، وطور منها الكثـير، بواسـطة أمـهر العقـول وأذكـى الخـبراء. وتؤكد عمليات حـزب الله في جنـوب لبنـان، أن جـهاز أمـن الحـزب بقيـادة عمـاد مغنية، انتهج أفضل أسـاليب التعـامل مـع الموسـاد و(أمـان)، ممـا حقـق نجاحـات خارقة، أدهشت خبراء المخابرات في العالم ، وأرست قواعد جديدة، لحرفية العمـل الاستخباراتي الدقيق المنظم، الذي يرقى إلى مستوى العبقرية والنبوغ .

ومع اشتداد عمليات حزب الله الناجحــة، كـانت إسـرائيل هـي الأخـرى تـرد، بعمليات من نوع آخر لا توجــع حـزب الله ، بـل تكـون موجعـة للدولـة اللبنانيـة، وللمواطن اللبنـاني، وذلـك بضـرب عمـق البـلاد، وتدمـير بنيتـه التحتيـة والمنشآت الحيوية للدولة، في محاولة للضغط مـن أجـل لَجْـم عمليـات الحـزب وشـل فعاليتـه العسكرية.

ولما فشل هذا الأسلوب على مدى سنوات طويلة، لجأت إسـرائيل إلى المفاوضـات مـع حـزب الله، حيـث توصلـت ، برعايـة وزيــر الخارجيــة الأمريكــي، واريــن كريستوفر، في أبريــل ١٩٩٣[١] ، إلى اتفـاق يقضــي بـأن يحصـر حـزب الله مقاومتـه داخل الأراضي المحتلة في الجنوب اللبنـاني، وعـدم تجـاوز هـذا الإطـار إلى منـاطق شمالي إسرائيل ، "الجليل" ، لا بإطلاق الكاتيوشا، ولا بعمليات فدائيـة، مقـابل أن تلتزم إسرائيل بضرب مواقع حزب الله ومناطق تجمعاته، وملاحقة وتعقب تحركاتـه وقياداته، دون أن يتجاوز الأمر إلى أعمال عسكرية كبيرة تهدد سلامة الأمن اللبنـاني الداخلي، أو يقود بالتالي إلى احتكاك مع الجيش السوري.

لكن هذا الاتفاق الذى ضمنتــه أمريكـا وباركتـه ، سـرعان مـا خرقتـه إسـرائيل، فاشـتعلت مـن جديـد عمليـات حـزب الله في الجنـوب اللبنـاني وضـد المســتوطنات الإسرائيلية الشمالية، كما نشطت في ضراوة حرب المخابرات السرية بـين الفريقـين، وكانت بلا شك معارك شديدة الدهاء، ذكية الأدمغة، بدأت منذ قيام حــزب الله ولم تنته حتى بالانسحاب العسكري الإسرائيلي المخزى في مايو ٢٠٠٠ ، وإلى اليوم .

ومع ضربات الحزب المؤثرة، كان هناك قرار إسرائيلي بضـرب مفـاصل الهيكليـة الأمنية له ، واستهداف كوادره ونشطائه ، فالحرب السـرية طويلـة ومفتوحة، وكان

---

(١) عرف باسم : اتفاق نيسان .

الفصل الأول فيها اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد[1] إلى إسرائيل، لمعرفة مصير الطيار الإسرائيلي المفقود "رون آراد"[2] ، ثم اغتيال أمين عام حزب الله عباس الموسوي، بواسطة طائرة بدون طيار، وذلك بعد مرور ثلاثين شهرًا من اختطاف عبدالكريم عبيد. وفي هاتين العمليتين كان لعميل الموساد أحمد الحلاق الدور الخفي في إنجاحهما

وفي مايو ١٩٩٤ أقدمت وحدة كوماندوز إسرائيلية محمولة جوًا ، على اختطاف الشيخ مصطفى الديراني ، القائد العسكري الأبرز ، بينما كان بمنزله في البقاع، وتبين أن ابن عمه – الذي قُتل بعد ذلك – قام بمساعدة الإسرائيليين وإرشادهم عن مكانه.. وكان اختطاف الديراني لذات السبب الذي اختطف لأجله الشيخ عبيد

وفي ديسمبر ١٩٩٤ ، فشلت عملية اغتيال عماد مغنية، رئيس جهاز الأمن في الحزب ، بواسطة سيارة مفخخة، أعدها له العميل الإسرائيلي أحمد الحلاق، في الضاحية الجنوبية من بيروت .

هكذا كانت حروب الظلام السرية بين المخابرات الإسرائيلية وحزب الله، بعيدًا عن الخنادق والرادارات ومواسير الدبابات، تلك الحروب التي سقط فيها العديد من الشهداء، منهم

---

(١) ولد الشيخ عبد الكريم عبيد عام ١٩٥٧ بقرية جبشيت الجنوبية . تلقى تعليمه الثانوي في بيروت ودرس الهندسة المعمارية في معهد الفنون الجميلة بجامعة لبنان. وفي عام ١٩٧٩ سافر إلى إيران والتحق بالحوزة العلمية الدينية في مدينة قم .

في مارس ١٩٨٣ رجع إلى جبشيت بعدما اعتقلت القوات الإسرائيلية إمام البلدة الشيخ راغب حرب الذي استشهد عام ١٩٨٤ . فتولى الشيخ عبيد إمامة البلدة ولم يغادرها حتى الانسحاب الإسرائيلي منها عام ١٩٨٥، حيث قاد حركة الاعتصامات ضد الاحتلال، متحديًا أوامر قوات الاحتلال، برغم اعتقاله مرتين، وتعرض منزله لمداهمات عدة، حتى وصل الأمر إلى إلقاء عبوة ناسفة أمام منزله قبل الانسحاب الصهيوني إلى الشريط الحدودي.

وفي نهاية يوليو ١٩٨٩ اختطف من منزله في جبشيت، بواسطة فريق من الكوماندوز الإسرائيلي، ، بترتيب مع عميل الموساد أحمد الحلاق. كان الشيخ عبيد نائمًا عند مداهمة منزله، وكان بضيافته قريباه أحمد عبيد وهاشم محض، حيث نقلا أيضًا مع عبيد إلى فلسطين المحتلة، بينما قتل أحد جيران المنزل (حسين أبو زيد) عندما خرج ليستطلع الجلبة التي ببيت الشيخ عبيد. وفي ٢٩ من يناير عام ٢٠٠٤ أفرج عنه في عملية المبادلة الشهيرة التي تمت بوساطة ألمانية. (بالجزء الأول من حراس الهيكل، أفردنا تفاصيل اختطاف الشيخ عبيد.)!!

(٢) أفردنا فصلاً كاملاً عن الطيار الإسرائيلي بالجزء الثالث من : حراس الهيكل.

سعيد حرب في نوفمبر ١٩٩٥ ، وهيثم مغنية في سبتمبر ١٩٩٧ ، وهما من نشطاء الحزب، وسقط أيضًا خبير المتفجرات زاهي حيدر[١] في ديسمبر ١٩٩٨، وكان آخر الذين سقطوا من رجال حزب الله، علي ديب[٢] ، المسئول العسكري ومنسق العمليات في الجنوب، الذي استشهد في ١٦ أغسطس ١٩٩٩، بعبوة ناسفة فجرت لاسلكيًا من الجو، بواسطة طائرة بدون طيار[٣] .

لقد فاقت عمليات حزب الله الاستخباراتية ضد الإسرائيليين كل تصور، وبدا ذلك جليًا منذ تولي قيادته الشيخ حسن نصر الله عام ١٩٩٢ ، خلفًا للشيخ عباس الموسوي. وكانت الاختراقات المستمرة لأجهزة المخابرات الإسرائيلية وشبكاتها المحلية موضع تساؤلات لا تنتهي، إذ توصل جهاز مخابرات حزب الله إلى فك شيفرة ماكينة العمل الاستخباراتي الإسرائيلي، واختراق منظومته السرية من خلال أذرع وآذان وعيون، نجحت في رصد مسبق ودقيق لخطط القيادة الشمالية في الجيش الإسرائيلي، ولتحركات كبار الضباط، في مسلسل متواصل من الهزائم، أحدث زلزالاً داخل الجيش الإسرائيلي، والمخابرات، والقيادة السياسية

لقد ظن العدو الإسرائيلي، أنه بغزو لبنان عام ١٩٨٢، تحددت خريطة الحدود الآمنة للمستوطنات الشمالية، بطرد المقاومة الفلسطينية من لبنان. لكنه خلق مقاومة أخرى أكثر استبسالاً شكلها المسلمون الشيعة في لبنان ، وانقلب حزب الله إلى قوة أكثر تعقيدًا ومهارة، ووصفه أحد العسكريين قائلاً :

(إنهم قوة قتالية صغيرة لديها مخزونات محدودة من الأسلحة، ولكنها تحظى بدرجة عالية من الخبرة والفدائية والاحترام).

---

(١) زاهي حيدر أحمد : استشهد لحظة تفكيكه عبوة ناسفة في بعلبك كانت معدة لاغتيال حسن نصر الله .

(٢) علي ديب : كان يعرف حركيًا باسم (علي حسن سلامة). وكان على رأس قائمة قادة حزب الله المطلوب قطاف رءوسهم، وهو التعبير الذي استخدمته مجلة (بمحانيه) العسكرية التي تصدرها شهريًا وزارة الدفاع الإسرائيلية. وذكرت صحيفة معاريف Ma'ariv daily newspaper في ٢٢ أغسطس ١٩٩٩ (إن تصفية قادة حزب الله العسكريين ، أفضل وسيلة للحد من عمليات المقاومة ضد إسرائيل). وكان ذلك في تعليق على عملية اغتيال ديب (٤٢) عامًا) الذي سقط في بلدة عبرا شرقي صيدا.

(٣) أم كامل ، هو اسم الشهرة للطائرة الإسرائيلية (بدون طيار) الذي أطلقه عليها أهالي جنوب لبنان.

ويقول خبير عسكري آخر :

(إن أفراد القوات التي تخرجت من معسكرات تدريب حزب الله، على مستوى يضاهي أي قوة عسكرية نظامية. ففي الوقت الذي يكون فيه هناك ما يصل إلى ٥٠٠ من مقاتليهم في الميدان، يكون هناك عدد مماثل أيضًا يتلقى التدريب، أو في الاحتياطي، وما زالت أسلحتهم بسيطة لكنهم يستخدمونها بفعالية).

فالبنادق الكلاشينكوف السوفييتية الصنع التي كانوا يحملونها، حلت محلها بنادق آلية من طراز M – 16 الأمريكية الصنع. ولا يملك حزب الله مدفعية ثقيلة، كالتي تستخدمها إسرائيل في قصف أهداف مقاتليه، لكنه يستخدم مدافع المورتر المحمولة من عيار ٨٢ ملليمترًا بدرجة دقة عالية للغاية. ودفع تحول حزب الله لاستخدام نوع مطور من صواريخ "ساجر"، السلاح السوفييتي القديم المضاد للدبابات، إسرائيل، إلى إحلال أحدث دباباتها وهي "ميركافا" محل دباباتها المحدثة من طراز M – 60 في لبنان .

الوثائق الطائرة

هذا وقد تكبدت إسرائيل أكبر خسائرها في الأرواح من القنابل المزروعة على الطرق، فالطرق الملتوية في جنوب لبنان كانت غير آمنة وفي غاية الخطورة، حتى أن القوات الإسرائيلية لجأت بشكل متزايد لاستخدام الطائرات في تحركاتها، إذ أن السماء هي المكان الوحيد الذي لا يملك حزب الله أسلحة فعالة لتهديده .

وفي كل مرة يسقط فيها قتلى إسرائيليون، يسود اعتقاد بأن هناك عميل مزدوج، سَرَّبَ لحزب الله معلومات حقيقية عن تحركات القوات الإسرائيلية، أو أن القوات الخاصة استدرجت لكمين أعده جهاز الأمن في حزب الله بناء عن معلومات مضللة من ذلك العميل .

ومع توالي العمليات الناجحة لحزب الله ، حققت المقاومة الإسلامية إنجازًا أمنيًا وعسكريًا خارقًا في مواجهة الجيش الصهيوني ، وعملاء جيش أنطوان لحد في

الجنوب، وهو الأمر الذي دعا الأمريكيين إلى التدخل مرارًا، لمحاولة إقناع حزب الله بالكف عن زرع العبوات الناسفة ضد قوات الاحتلال(!!)، داخل المناطق المحتلة في الجنوب، وذلك بالضغط على الحكومة اللبنانية، كي تنضم إلى الاتفاقية الدولية لحظر استخدام الألغام المضادة للأفراد

هذا.. وقد حذر الأمريكيون ، من خلال رسائل عديدة ، بأن إسرائيل سترد بعمليات عسكرية قاسية ضد حزب الله، إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه . ذلك أن تلك العمليات الجريئة الصائبة أقلقت إسرائيل، وهزتها، وأرعبت قيادتها، وشعبها، وجيشها، وأجهزة مخابراتها.

لقد بنى حزب الله جهازًا أمنيًا من القوة والمهارة والخبرة، بحيث تفوق تفوقًا ملحوظًا على أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وتفوق إلى درجة العبقرية المطلقة في مجال التجسس والتجسس المضاد، وبات الوضع الأمني الإسرائيلي سيئًا، بسبب اضطراب أجهزة مخابراتها، مما أدى إلى انخفاض درجات المهارة بين رجالها، تلك المهارة الإعلامية الزائفة التي أحاطها الإسرائيليون بهالات أساطيرية تفوق مستوى البشر.

إنه عالم التجسس والتجسس المضاد، وهما وقود الحرب السرية بين حزب الله ومخابرات الدولة الصهيونية . ومما يثير الدهشة أنه بالرغم من الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ، فمازالت الحرب السرية قائمة، وأكثر ضراوة وحدة، استلزمت اختراقًا عاليًا وأدوات متطورة ورجال أكفاء أذكياء

لقد أدخل الإسرائيليون المناطيد المزودة بأشعة ما تحت الحمراء لمراقبة تحركات عناصر المقاومة، واستخدموا الليزر أيضًا لكشف عمليات التسلل، وكذا رادارات للتنصت، ومجسات للاستشعار عن بعد، وطبقوا أحدث المنظومات الإلكترونية في الشريط الحدودي ، لكن فعالية حزب الله الأمنية والمخابراتية بفضل قيادة عماد مغنية كانت مؤثرة، إذ أسست على شبكات واسعة من المتعاونين الجنوبيين، فشلت مخابرات إسرائيل في كشفها

ويأتي خوف ضباط جيش لبنان الجنوبي وجنوده[1] على مصيرهم، إذا ما تم انسحاب إسرائيلي مفاجئ، عاملاً مهمًا دفع بكثيرين منهم إلى التعامل مع حزب الله، والسلطات اللبنانية، في سعي يائس إلى استقرار ضائع منذ سنوات، واضطر بعض هؤلاء إلى الفرار إلى بيروت، حاملين معهم معلومات دقيقة وخطيرة، كشفت النقاب عن شبكات تجسس وتخريب إسرائيلية في العاصمة، الأمر الذي سهل اعتقال معظم هؤلاء

وطبيعي ، كما قالت بعض المصادر العسكرية والمخابراتية العالمية ، ألا يكون ما حدث من ضربات زعزعت أسطورة الجيش الإسرائيلي وأجهزة مخابراته، على أيدي حزب الله، مجرد مصادفة. فقد أثبت حزب الله أن لديه القدرة، والإمكانات الهائلة، للاختراق المضاد، بشكل لا يكاد يتوافر إلا لأجهزة المخابرات ذات الميزانيات الضخمة.. لذلك فقد اقتحم بسهولة السرِّية الإسرائيلية وغزا شرايينها.

وتندرج في هذا الإطار سرقة وثائق بالغة السرية من مكتب قائد الجبهة الشمالية، الجنرال جابي أشيكنازي، في مارس ١٩٩٩، وقال رئيس الأركان وقتها، شاؤول موفاز [2] إنه يعتقد بعدم وجود صلة بين الوثائق المسروقة، ومقتل الجنرال إريز جيرشتاين وثلاثة ضباط إسرائيليين على أيدي رجال حزب الله. وأضاف في محاولة للتهوين من وقع الحادث: **(إن الوثائق لا تحتوي على أي معلومات خاصة بالوحدة التي كان جيرشتاين يترأسها، أو عن قافلته التي وقعت في الكمين).**

---

(١) وفقًا لتقرير مراقبي الأمم المتحدة، أن القوات الإسرائيلية وقوات عميلها سعد حداد، أطلقت خلال شهر أغسطس ١٩٧٩ ، على مدن وقرى جنوب لبنان، وعلى أهداف مدنية فيها،(٥١٨٠٠ قذيفة، أي (١٥٠,٠٠٠) ألف كجم من القذائف، بما يعادل قوة تدميرية تبلغ سبعة أضعاف القنبلة الذرية التي ألقتها أمريكا على هيروشيما. وقد أدى القصف المستمر لمدن وقرى الجنوب إلى :

- تدمير ١٣ قرية تدميرًا كاملاً وتفريغها من سكانها .
- بلغ عدد المهجرين من سكان الجنوب خلال سنة ١٩٧٨ نسبة ٥٧,٥٪ من مجموع السكان.
- أفرغت مدينة صور القديمة من أكثر سكانها (٧٠,٠٠٠) ألف نسمة .
- أفرغت مدينة النبطية (٥٠,٠٠٠) ألف نسمة من سكانها.
- أدى القصف إلى تدمير حوالي عشرة آلاف منزل ومدرسة وجامع وكنيسة ومستشفى ومؤسسة.
- سيطرت إسرائيل على ٥٥ مدينة وقرية لبنانية بصورة غير مباشرة بواسطة عميلها سعد حداد.
- تدمير البنية التحتية والاقتصادية والتجارية والزراعية في الجنوب .

(٢) تولى منصب وزير الدفاع عام ٢٠٠٣ ، وهو يهودى متعصب من أصل إيرانى .

ولم تكن "الوثـائق الطـائرة" ، ومـهما كـان مضمونـها ، سـوى عينـة مـن المـأزق الاستخبارراتي الإسرائيلي في جنوب لبنان[1]، بعد أن نجحت مخـابرات حـزب الله في تفكيك العديد من الشبكات، واستنطاق عناصرها، مما سمح بالوقوف على مفاصل ماكينة التجسس والتخريب الإسرائيلية، وجرى تعطيلها في أغلب الأحيان.

والسـؤال المـهم هـو : كيـف تعمـل هـذه الماكينـة ، وتمـد أذرعـها إلى الداخـل اللبناني..؟

فقد لا يكون صعبًا تجنيد بعض العملاء الذين يتساقطون بفعـل إغـراءات المـال أو الجنس، وليس من المستحيل على ضباط أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية المختلفـة، إقامة شبكات من العملاء وزرعهم في المناطق الحساسة بالنسبة لإسرائيل. والأساس في ذلـك كلـه امتـلاك فـهم عميـق لطبيعـة المجتمـع اللبنـاني، في تفاصيلـه الطائفيـة والمذهبية، وصراعاته السياسية ومشكلاته الاقتصادية.

هذه الروافد الأساسية التي تتغذى منها اتجاهات الاختراقات الأمنية الإسـرائيلية في لبنـان، يتـم في اسـتمرار تغذيتـها مـن قبـل أذرع أجـهزة المخـابرات الإسـرائيلية المختلفة، عن طريق ربط الأوامر الاستخباراتية والأمنية فيما بينها لتتسـع في النهايـة دائرة البنية الاختراقية في لبنان قدر المستطاع.

من هنا.. فإن الخـرق الأمـني الإسـرائيلي انطلاقًـا مـن الشـريط المحتـل، اتصـل بضاحية بيروت الشرقية في السبعينيات والثمانينيات، وبالمخابرات الدولية في قبرص وراء البحر. وكلا الخطين كانـا يغذيـان ويرفـدان شـبكات المعلومـات والاسـتطلاع في بيروت والعمق اللبناني.

كان مايسترو هذه اللعبة الكبرى "أوري لوبرانـي" المرتبـط مباشـرة بـوزارة الدفـاع وبرئيس الأركان. وهو الذي يضبط إيقاع التعـاطي الأمني والسـياسي والعسكري في

---

(١) كانت منطقة الحزام الأمني (الشريط الحدودي) في جنوب لبنان، تضم حـوالي ١٦٠ ألفًـا مـن اللبنـانيين مـن مختلف الطوائف، وتصل مساحتها إلى ٨٥٠كم٢ بعمق ١٠كم٢ من حدود فلسطين المحتلة إلى جنوب لبنان.

لبنان، ويرتبط به مباشرة قائد المنطقة الشمالية، وقائد وحدة الارتباط، ومسئول الإدارة المدنية، الذين يتلقون الأوامر والتعليمات منه، وهو يوزع المسئوليات داخل المنطقة المحتلة، حيث يمسك بجميع الخيوط بيده، المستورة منها والظاهرة، وتحت إمرته جهاز أمني خاص به، اسمه "الشافاك" لا يتواجد بشكل دائم في المنطقة، بل يتردد إليه حسب الظروف.

جميع هذه الأذرع الإسرائيلية تلتقي كلها في بلدة (الخَيَّام)، داخل الوحدة (٥٠٤) التي تتبع جيش لبنان الجنوبي، وتتعامل مباشرة مع شبكات المخبرين تجنيدًا، ومتابعة، وتخريبًا. وتعتمد على ضباط وحدة الارتباط كوسطاء، لاصطياد العملاء الذين يتم الزج بهم للقيام باختراقات أمنية في العمق اللبناني.

فيتنام اللبنانية

لقد نجح جهاز مخابرات حزب الله ، وبمؤازرة الأجهزة اللبنانية المعنية، والدعم السوري والإيراني للحزب، في تفكيك العديد من الشبكات والخلايا السرية واعتقال أفرادها. لكن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كانت تعود بعد كل هزيمة بأساليب جديدة في فنون التجسس، وتنظيم الخلايا، وربطها بقاعدة خلفية في قبرص بشقيها التركي واليوناني، أو لندن، وفي روما ومدريد، وهذا ما يسميه تقرير أمني لبناني (الساتر الدولي التضليلي).

ولذلك استخدمت إسرائيل مجموعة محطات في أوروبا وأفريقيا ، حيث هناك وفرة كبيرة من المغتربين اللبنانيين، واستفادت أجهزتها في هذا التحرك، لحبك الاتصال بين محطات الأذرع المخابراتية وشبكاتها اللبنانية، حيث استعملت في بعض الحالات "الإنترنت" ، ووظفت صفحات التعارف والمراسلة لإغراء أعداد من الشباب اللبنانيين، وتبدأ المسألة عادة بصورة فتاة حسناء تسعى إلى لقاء شاب لبناني في أي مكان من العالم، مبدية استعدادًا لدفع تكاليف الرحلة. وبتعدد الرحلات

يسقط شباب ضحايا، تكبلهم خيوط مصيدة الجاسوسية دون مقاومة، إلى أن يتم كشفهم وتمتلىء بهم زنزانات السجون .

وليس أدل على ذلك ، عندما سقطت شبكة جاسوسية إسرائيلية في بيروت، عام ١٩٩٨، مكونة من ٢٢ عنصرًا، وشبكة أخرى من ١٧ عضوًا، أرشد عنهما العقيد (رجاء ورد) ، الرجل الثاني في الوحدة (٥٠٤) . ثم اكتشاف شبكة جاسوسية مكونة من ٢٠٠ شخص بداية عام ١٩٩٩، تشكل أكبر شبكات الجاسوسية التي يتم ضبطها في دولة عربية، طوال مرحلة الصراع العربي الإسرائيلي إلى اليوم. هذا بخلاف عشرات الشبكات الأخرى التي بترت مفاصلها، وهي أكثر من أن تعد.

أما العملاء المنفردين الذين سقطوا في قبضة مخابرات حزب الله، فقد كانوا بالعشرات، وباستنطاقهم تكشفت أسرار كثيرة هامة، وعرف سبب وكيفية تجنيدهم، والضغوط النفسية التي عطّلت إرادتهم وجعلتهم أداة طيعة في قبضة المخابرات الإسرائيلية، للتجسس على حزب الله وبنيته القيادية والأمنية

وطوال مرحلة الصراع الطويلة بين جهاز مخابرات حزب الله والمخابرات الإسرائيلية، سقط في قبضة حزب الله العديد من رموز جيش لبنان الجنوبي العميل، واغتيل العديد أيضًا من ضباطه الأمنيين .

ومن أبرز هؤلاء الخونة ، الذين سقطوا، أو قُتلوا: حسين عبد النبي، المسئول الأمني في بنت جبيل، الذي سقط في ٥ أكتوبر ١٩٩٢. وكَرَّت حبات المسبحة مع طوني نهرا، أبرز ضباط الأمن في جيش لحد، الذي قتله رجال حزب الله في ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦. ثم سقط نضال نصر، الذي حل مكان رجاء ورد الرجل الثاني في الوحدة (٥٠٤) ، وكلاهما درزيان. وقُتل غسان ضاهر، مسئول أمن مزارع شبعا في آخر فبراير ١٩٩٨. وفي منطقة جزين قُتل سليم ريشا في ١٩ أكتوبر ١٩٩٧، مع

حارسه المصري[1]. وكان ريشا قد خلف طوني نهرا، ويحمل الرقم (٧٠) بين الضباط الأمنيين في جيش لحد، الذين سقطوا على يد حزب الله

وكانت ذروة الكارثة الإسرائيلية ، الأمنية والعسكرية ، في ٤ فبراير ١٩٩٧، عندما تصادمت مروحيتان من طراز ياسور فوق الجليل الأعلى ، وانفجرتا ليسقط ٧٥ عسكريًا في ثوان، هم من وحدات النخبة من ألوية جعفاني وغولاني والاستخبارات العسكرية . وقالت صحيفة "هاآرتس" تحت عنوان: "ليلة النعوش الطائرة" **(إنها أكثر من اللعنة، بل هو النزول إلى الجحيم)** . وقيل وقتها : إن مهمة الطائرتين كانت اختطاف عدد من قادة حزب الله، كانوا سيشاركون في حفل إفطار في "النبطية"، لجمع تبرعات للمقاومة. وعلقت إحدى الصحف الإسرائيلية: **(إن حزب الله يطاردنا مثل اللعنة، ومأساة المروحيتين تدفعنا إلى البحث في جدوى وجودنا في منطقة تتحول تدريجيًا إلى ما يشبه فيتنام اللبنانية).**

وقد تكون المصادفة لعبت دورها في حادثة "النعوش الطائرة" ، بسبب خطأ فني أو بشري، أو الاثنين معًا. لكن مأساة الإنزال الفاشل لوحدة "سايريت ماتكال" التي تعتبر طليعة نخبوية في جيش الدفاع الإسرائيلي، وتكلف عادة بالمهمات المعقدة وراء الحدود، فجر يوم السادس من سبتمبر ١٩٩٧، في بلدة أنصارية الجنوبية، شكل ذروة الفشل، عندما قتل الفريق الإسرائيلي على أيدي رجال حزب الله ، الذين كانوا ينتظرونه.

يومها.. دار حديث عن "عميل مزدوج" ساعد حزب الله في معرفة موعد العملية، وقال معلق القناة الأولى في التليفزيون الإسرائيلي:

(إن المشكلة استخباراتية.. والأمر يتعلق بمجموعة مؤهلة جدًا ذهبت بكل بساطة إلى مصيدة حزب الله.. وهذا يعني أن حزب الله علم أين ومتى ينتظرهم ..

---

(١) ذكرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية أن الشاب المصري (لم يذكر اسمه) كان يتجول في جنوب لبنان مع أحد المتعاملين مع الجيش الجنوبي، وأن قوات حزب الله رصدت الجيب وهي تقترب من حدود تمركزها. ثم انفجارها بواسطة لغم أرضي. وقد سحبت القوات الإسرائيلية جثة المصري.

من خلال تسريب معلومات وصلت إليه.. وسمحـت لـه بالانتظـار في المكـان الـذي سينزل إليه الجنود).

أما القناة الثانية الإسرائيلية فقالت **(هناك حقيقة واحدة ، أن حـزب الله كـان في انتظار رجال الكوماندوز البحري ، ولا يمكن الحديث عن كمين بالصدفة، إنما عن انتظار، وربما عن معلومات).**

إنها الحرب الضارية المفتوحة والسرية، بين حزب الله والمخابرات الإسـرائيلية، التي أقلقت المؤسسة الاستخباراتية الإسرائيلية، وخسائرها زلزلت أركانها، وأصابت رجالها بالشلل الرعاش وأمـراض الرعـب والهلـع، فكـانت محرقـة الـرؤوس فيـها، ومسلسل الاستقالات والصراعات، التي هزت أركـان الدولـة العبريـة مـن جذورهـا، وأجبر جيشها على الفرار في جنح الليل، متشحا بالخزي والخيبة، إلى داخل حدود أراضيه، يطلب السلامة والاستقرار والأمـن، محتميًا بالأسـلاك المكهربـة والحواجـز الإلكترونية، وأجهزة تعمل بالذبذبات الصوتية وتحت الحمراء.

لقد كانت أدوات الحرب السرية طاحنـة ومثـيرة، وكـان "أحمـد الحـلاق" أحـد أدوات هذه الحرب ، وأشهرها ، ذلك لأنه الجاسوس الوحيد للموسـاد، الـذي نـال حكمًا بالإعدام، هو الحكم الأول من نوعه في تاريخ محاكمات الخونـة في لبنـان منـذ استقلاله. وكان هذا الحكم المفاجيء سببًا مباشرا في إعـلاء شـهرة الحـلاق، وتسـطير اسمه بارزًا على رأس قائمة الخونة فوق صفحـات التـاريخ، فيجللـه العـار الأبـدي، ملتصقًا بعائلته ، وبأبنائه، وأحفاده، حتى آخر سلسلة من نسله ، ولأحقاب طويلـة قادمة..!! ففي ٢١ ديسمبر ١٩٩٤ بمحلة صفير في الضاحية الجنوبية ببيروت، تولى الحلاق.. متخفيـا.. تنفيـذ عمليـة تفجـير السـيارة المفخخـة، بغـرض اغتيـال عمـاد مغنية!!

كانت السيارة المفخخة التي أعدت بواسطة خبراء الموساد ، تحمل مائة كيلوجرام من مادة T.N.T شديدة الانفجار.. أوقفها أحمد الحلاق في المكان الذي اختير بعناية في محلة صفير[1].. بينما وقف هو على مسافة خمسين مترًا يرتدي زي رجال الدين بلحية مستعارة، ونظارة سوداء تخفي ملامح وجهه.

وأمام أحد محال البقالة تعمد أن يبدو قَلِقا وهو ينتظر صديقًا له.. وطلب رقمًا تليفونيًا متظاهرًا بأن صديقه الذي هاتفه تأخر كثيرًا عن موعده، فأشفق عليه صاحب الحانوت وقدم له كرسيًا.. فجلس الحلاق أمام المحل يراقب السيارات المارة في حذر.

كان يعلم بأن عماد مغنية شخصية مجهولة بالنسبة له.. وأن شقيقه فؤاد مغنية هو الدليل الوحيد الذي سيقوده إليه.. فهو سائقه الخاص.. وذراعه الأيمن في تحركاته. وكان الحلاق يشعر ببعض الاطمئنان لأنه يعرف فؤاد مغنية شخصيًا، وحدثت بينهما لقاءات عابرة سابقة

لحظات .. وأطلت من بعيد السيارة الهدف يقودها فؤاد.. إنها بلا شك تحمل عماد مغنية بداخلها.. فالستائر البنية المنسدلة تحجب الجالسين بالمقعد الخلفي.. وثمة سيارة أخرى للحراسة تجد في اثرها .

لم يدع أحمد الحلاق تلك الفرصة الذهبية تفوته.. إذ سرعان ما فتح صفحات الجريدة المنتفخة التي يحملها.. وفي سرعة امتدت أصابعه إلى الهوائي الصغير فسحبته.. وبضغطة على ذر الجهاز المستتر حدث انفجار مدو.. اتجهت قوته التدميرية الهائلة ناحية الهدف بواسطة ألواح من الصلب.. فتفسّخت السيارة المشتعلة بمن فيها وطارت أجساد البشر مقطعة الأوصال، بينما ارتجت البيوت

---

(١) محلة صفير : إحدى مناطق الضاحية الجنوبية في بيروت.. وتزدحم بالشيعة اللبنانيين.. وبها مكاتب حزب اله، إضافة إلى هيئاته ومؤسساته الخيرية، وبيوته الآمنة ومنشآته البالغة السرية..!!

وتحطمت الكثير من النوافذ والسيارات، وساد الشارع ارتباك شديد وزحام.. ومع لحظات الذهول والاندفاع والصراخ، انطلق أحمد الحلاق يغادر المكان حيث كانت تقف سيارته الأخرى المستأجرة بأوراق مزورة .

وبينما كان يسابق الزمن مبتعدًا عن مسرح جريمته.. أوقعه حظه العاثر فيما لم يخطر له ببال.. إذ لمحه قريب له ونفر من رفاقه يعرفهم.. فناداه قريبه.. ومذعورا التفت إليه وقد تدلت نصف لحيته المستعارة التي ربما خلخلها الانفجار ، أو أنه اصطدم بأحد الفارين.. لكنه واصل هرولته غير عابئ. فتحير قريبه ثم سرعان ما نسى الأمر وانشغل بحادث التفجير .

لم تتردد الحكومة اللبنانية لحظة في توجيه اتهام رسمي مباشر إلى إسرائيل.. بأنها سعت إلى تنفيذ عمليات لا توجع حزب الله.. بل تكون موجعة للدولة اللبنانية وللمواطن اللبناني.. اللذين يجب أن يتدبرا مسألة حزب الله وعملياته العسكرية في الجنوب.. فهذا يعني في مضمونه أن إسرائيل قررت تحرير نفسها من اتفاق أبريل/ نيسان ١٩٩٣.. الذي سبق وأن توصلت إليه مع حزب الله برعاية وزير الخارجية الأمريكي وارن كريستوفر..

وقتها قالت التحليلات السياسية : إن إسرائيل بالتفجير الأخير باتت عازمة على الخروج عن أصول (اللعبة) التي حددها الاتفاق.. بحصر مقاومة حزب الله داخل الأراضي المحتلة في الجنوب اللبناني فقط وعدم تجاوزها إلى مناطق شمالي إسرائيل.. لا بإطلاق الكاتيوشا.. ولا بعمليات فدائية.. مقابل التزام إسرائيل بضرب مواقع حزب الله وتعقب قياداته.. دون القيام بعمليات عسكرية تهدد سلامة الأمن اللبناني الداخلي.

وفي حين اجتمع وزير الداخلية اللبناني ميشال المر مع القيادات الأمنية.. داعيًا إلى أقصى درجات الحيطة والحذر.. انهمك رجال الأجهزة الأمنية في حزب الله.. في محاولة لفك لغز الرجل الملتحي الذي أدلى البقال بأوصافه.. واحتفظت ذاكرة تليفونه برقم هاتف فؤاد مغنية.. وبصمات ذلك العميل المجهول.

وعلى حين فجأة.. تقدم قريب الحلاق بشهادته.. وتردد أن هذا القريب هو خالد الشقيق الأصغر لعميل الموساد، حيث أكد على أن رجل الدين المشتبه بـه هـو أحمـد الحلاق.. وأنه يعرفه حتى مـن ظـهره.. وأن عيونـهما تلاقـت للحظـة عندمـا نـاداه باسمه.. فاعتقد بأنه مكلف من حزب الله بعملية سرية استدعت تنكره.

وبينما كان الحلاق يرتجف هلعًا في الناقورة.. أعلن رسميًـا في بـيروت نبـأ مقتـل فـؤاد مغنيـة وشـخصين آخريـن وجـرح خمسـة عشـر مدنيًـا.. وأن عمليـة التفجـير استهدفت اغتيال عماد مغنية أحد زعماء حزب الله .. الذي عدل عن مغـادرة منزلـه في اللحظة الأخيرة .

المـقـايضـة

وفي خضـم الضجيـج الإعلامـي حـول أسـباب عمليـة التفجـير في محلـة صفـير بالضاحية الجنوبية.. غادر أحمد الحلاق بيته في الناقورة هو وزوجته وطفليه.. لاجئًا إلى قائده الرائد رجاء ورد في بلدة الخيام[1].

كان في حالة نفسية متدهورة.. يحاصره الخوف الشـديد مـن انتقـام حـزب الله.. فكان يبكي بارتجاف وتبكي حنان الياسين لحاله، لذلك عنفه ضابط الارتباط بشدة، متـهمًا إيـاه بـأن غـروره أدى إلى فشـل العمليـة.. وألحـق أضـرارًا بالغـة في منظومـة الاستقرار التي ستنقلب إلى جحيم لن يتوقف.. بسبب استثارة غضب حزب الله

وبإلحاح مغلف بالفزع.. التمس منه الحلاق أن ينتقل للعيش داخل إسـرائيل مـع أسرته.. مذكرًا إياه بتاريخه الطويل، هو وزوجته، في التعاون معهم.. وبأن الخدمات التي أدياها تشفع لهما تلبية رغبتهما.

---

(١) تقع قرية الخيام على مسافة تسعة كيلومترات تقريبًا من الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة. وهي تقع علـى مرتفع يطل على قرية مرجعيون في الشمال ونهر الحاصباني في الشرق وقلعة الشـقيف في الغـرب. ونظـرًا لموقعـها الاستراتيجي تحولت إلى مقر عسكري واسـتخباراتي لقوات أنطوان لحد العميلة، وللقوات الإسـرائيلية علـى حـد سـواء. فمنها تنطلق القوات للخطف أو القتل، وفيها يتم تجنيد العملاء، وسجن المقـاومين بمعتقـل الخيـام الـذي لقى شهرة محلية وعالمية بسبب بربرية التعذيب الوحشي بين جدرانه، والحبس لسنوات طويلة بـدون محاكمـة مع التعذيب الشـديد، إضافة إلى مقتل المئات والمئات على أيدي الإسـرائيليين وقوات لحد داخله .

من جهته ، حاول ورد إقناعه بأن حزب الله لن يتشكك في أمره.. لكـن الحـلاق كان لا يكف عن البكاء.. مرددًا بأن قريبه قد رآه أثناء جريه بلحيتـه المـدلاة.. وأنـه لن يتوانى في الشهادة ضده لأنه (وطني أكثر من اللازم).. وبناء على ذلك فهم سوف يتعقبونه .. ولن يكفوا عنه حتى ينتقموا منــه . وعلـى مضـض.. اسـتبقاه ورد بـأحد بيوت القرية.. بدعوى أنه سيتكلم مع رؤسائه في إسرائيل..

لاحظ النقيب رينيه البياضي ما آل إليه مصير عميل الموساد وأسـرته.. وارتسـمت بخياله صورة مأساوية لمصيره هو الآخر إذا ما لفظته الموساد وتخلت عنه.. فقد جـاء الرد حاسمًا من إسرائيل برفض استقبال الحلاق وأسرته.. وبأن ما (ابتزَّه) منـهم مـن أموال يكفي لإعالته في الجنوب لسنوات.

لكن الواقع كان غير ذلك . ففى حقيقة الأمر.. لم يكن الحلاق وقتها يمتلك سوى ستمائة دولار فقط ، كانت هي كل ثروته السائلة بعدما أنفق الآلاف من جيبـه علـى عملية التفجير.. انتظارًا لمكافأته الثمينة بعد ذلك من الموساد

هكذا مرغمًا.. ظل الحلاق مقيمًا بالخيـام مكتئبًـا مذعـورًا.. دون أن يطلعـه أحـد على الرد الإسرائيلي.. فكان يتردد كل يوم على مكتـب القـائد ورد الـذي ضـاق بـه لكثرة إلحاحه .. مطالبًا بصرف مستحقاته.. وضرورة نقله إلى إسرائيل..

ولشعوره باليأس وتخلي الجميع عنـه.. إضافـة إلى هواجـس الرعـب الـتي تفتـك بأعصابه.. طلب نقله إلى مكانه آخر بعيـدا عـن قريـة الخيـام ، يحـس فيـه ببعـض الراحة والاستقرار .. فبعـث بـه رجـاء ورد إلى قريـة (يـارين) [1] الحدوديـة ، علـى مسافة كيلومترين ونصف تقريبا من الحدود الإسـرائيلية.. وهـي قريـة خاويـة تمامـا أفرغت من سكانها عقب الاجتيـاح الإسـرائيلي للجنـوب في مـارس ١٩٧٨.. فرضـى الحلاق بها مستقرًا ثانويًا.. يراوده الأمل في الموافقة على العبور إلى الناحيــة الأخـرى عما قريب.

---

(١) تردد في بعض المصادر أنها قرية (المطلة) المتاخمة للحدود، وهي الرواية الأصـدق، لأن رجـال المخـابرات في الوحدة (٥٠٤) بالخيام، لن يبعدوا الحلاق عن رقابتهم لأكثر من ٥٥ كيلومترًا في (يارين)، أقصى قـرى الجنـوب اللبناني المهجورة، بينما قرية (المطلة) تبعد عنهم أربعة كيلومترات جنوبًا فقط.

وبأحد المنازل المهجورة المتهالكة عاش الحلاق وأسرته حياة بدائية صعبة.. بلا مياه أو كهرباء.. أو الحد الأدنى من متطلبات الحياة في قرية من قرى القرون الوسطى في المجاهل الإفريقية.. إذ سرعان ما طواه التجاهل والنسيان.. وتقلصت حصته التموينية التي تقررت له.. فبدأ يتسول الطعام والألبسة والسجائر والمياه من جنود الدوريات.. وكانوا في غالبيتهم من يهود العراق والدروز..حتى أذله الفقر والقهر والقر..

ففي نهاية فبراير ١٩٩٥ طحنته الأحوال النفسية والمعيشية السيئة.. ومع لسعات البرد القارص والجليد الذي يجمد الدماء في العروق أصيب الحلاق بالحمى.. فخرجت زوجته تبحث عن دواء وطعام.. وعلى الحدود الإسرائيلية ساومها ثلاثة من الجنود الدروز.. وبلا تردد.. تناوب الثلاثة مضاجعتها.. وكان أخيرهم سادي مريض أدمت أسنانه عنقها وصدرها.. فعادت برغم ذلك إلى بيتها سعيدة بما حملت من مؤن.. لا يؤرقها المقابل الذي دفعته أو ظلمة المستقبل المجهول.. فقد تنازلت عن الكثير عندما باعت الوطن من قبل.. ومن باع الوطن يهون من بعده كل ثمين.. ولما سألها زوجها عما حدث.. قذفت إليه بعلبتي سجائر.. وأخرجت ما جلبته من طعام وهي تضحك باكية :

- إنه طعام جيد .. سيكفينا لعدة أيام.

فقبلها الحلاق فرحًا ودعا لها بطول العمر .

ولاء الخونة

جاسوسان للموساد يختبئان بقرب الحدود الإسرائيلية.. تطاردهما أجهزة أمن حزب الله.. وتبحث عنهما في كل شق من شقوق جبال لبنان الجنوبية.. يعيشان كالجرذان في ظل الحماية الأمنية لجيش لحد العميل.. إنهما يتجرعان المر.. ويلوكان الخوف انتظارًا لقرار دخول إسرائيل تتويجًا لنهاية قصة الخيانة والغدر.. لكن القرار لا يجيء.. والانتظار وحش كاسر.. ضرباته ولا تهدأ .. أو تستقر كالسوط لاسعة

موجعة قاسية لا ترحم..

وأمام معاناة الحلاق وخوفه من أنياب الانتقام التي تتربص به.. بدت الحياة أمامه سوداء قشيبة.. فالأيام تجري والشهور تتعاقب ولا أمل في دخول إسرائيل.. وتوج الصمت الكريه لغة الحوار بينه وبين زوجته ، فحل الجفاء وسيطر الشرود ، وبدا العميل الخائف كأنما يعيش في سجن مفزع.. محكم.. بالكاد هو بحجم ثقب الإبرة.. لكنه عار من الأمان ومزروع بالجنون.. فكان لا يملك إلا البكاء صمتا في انكسار.. والانكماش بسجن مهجور تطويه المخاوف طيًا.. فيرتجف رعبًا إذا ما حرك الريح شجيرة عوسج.. وينتفض كالملسوع مع خربشات الفئران وشخشخة الأوراق الجافة.. حينئذ.. يهرول إلى مكتب الرائد رجاء ورد يلتمس لديه الأمل الذي تبعثر:

– أخرجوني من هنا.. لقد مللت سجني اللعين.. لا أريد أن أعيش مقبورًا بين السحالي والديدان..

فينفجر الضابط العميل مزمجرًا :

– أنت تضايقني بهذيانك يا رجل.. لماذا تبكي هكذا كالنساء ..؟ طلبنا منك أن تقيم معنا هنا فرفضت.. نعطيك الأرز والسكر والسمن والحمص والطحين فتشكو الجوع.. قلنا لك إن دخول إسرائيل يتطلب إذنا لم يصلنا بعد لكنك لا تفهم.. ماذا تريد إذن..؟

أجاب الحلاق في تضرع وذل:

– سيدي.. أقسم لك أننا نتضور جوعًا.. وليس بجيبي ليرة واحدة.. وأخاف إن أقمت في (الخَيَّام) أن يتكشف حزب الله مكاني.. فقط سيدي.. أريد مكافآتي التي لديكم واتركوني أغادر لبنان.

صاح ورد حانقا

– مكافآت.. مكافآت.. لقد منحناك مقابل خدماتك.. فكف يا رجل عن مضايقتي بتخاريفك.. ألا يحميك رجالنا ونمنحك الطعام والمسكن..؟ عد الآن من حيث جئت ولا تجيئني ثانية هنا.. أفهمت..؟

ومقهورًا.. ذليلاً.. نادمًا.. غادر الحلاق المكتب.. دون أن يصرخ في وجهه بأن زوجته تبيع جسدها مقابل الطعام.. لكنه استحى أن يقول.. فقد أيقن أن لا شيء سيتغير.

كان يعلم بأن حنان تضحي دون أن تتكلم.. أو تظهر له مدى انتهاك جسدها في كل مرة تخرج فيها وتعود إليه محملة بالمعلبات والسجائر.. إنه يعرف كل شيء لكنه كان يتغابى.. ويتعامى.. ويتعذب في داخله.. موطنًا نفسه على أنها أكثر منه تضحية .. فغاليا تدفع الثمن.. تدفعه في قهر وصمت لتخفف عنه معاناته.

وفي بيروت.. كانت الأحداث تجري سراعًا.. فقد أدلى قريب أحمد الحلاق بما رآه بالتفصيل، ووضعت الخطة تلو الخطة لتعقب الجاسوس الفار.. أما وقد اختفت آثاره عن عيون جهاز أمن حزب الله، فقد بات واضحًا أنه إما بمخبأ ما بالجنوب اللبناني المحتل.. أو أنه أخذ إلى إسرائيل.

كان الاحتمال الأول هو الأكثر ملاءمة.. ذلك لأن إسرائيل وعلى مدار تاريخها الطويل في التجسس.. عرف عنها تخليها بسهولة عن العملاء الذين أنهوا مهامهم ولم تعد هناك حاجة إليهم.. ويستثنى من ذلك، لأسباب سياسية حرجة، الطيار السوري محمد عادل بسام.. والطيار العراقي منير روفا.. والأردنية أمينة المفتي[1].. دون ذلك هناك عشرات العملاء الذين تخلت عنهم وتنكرت لهم.. وتركتهم يواجهون العار والفضيحة والسجون والضياع.. على رأس كل هؤلاء، قديمًا، المهندس السويسري الفريد فرانكشيت الذي أمد إسرائيل بآلاف اللوحات السرية.. الخاصة بتصاميم الطائرة الفرنسية ميراج ٣. أما حديثا.. فقضية مئات العملاء في جيش لبنان الجنوبي يعرفها الجميع .

---

(١) هذا الاستثناء ليس مرجعه أن هؤلاء وأمثالهم من المستحيل أن يعودوا ثانية إلى أوطانهم ، وإنما لإظهار مدى الاهتمام بهم ، لتشجيع غيرهم على اللجوء إلى إسرائيل ، وما فى ذلك من حرج شديد للحكام العرب وللشعوب العربية على حد سواء .

كثفت الأجهزة الأمنية في حزب الله جهودها لتقصي أخبار أحمد الحلاق في الجنوب.. وجندت لذلك جهد العديد من عملائها السريين والمزدوجين.. الذين جدوا في البحث عنه باستماتة.. فكان عملهم أشبه بالتنقيب عن إبرة في جرن من القش. وهو ذات التعبير الذي استخدمه دونالد رامسفيلد، وزير الدفاع الأمريكي في شهر نوفمبر ٢٠٠٣، في وصفه لاستحالة العثور على الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين، قبيل عدة أيام من اعتقاله داخل (حفرة العنكبوت)، في حادثة مهينة لرئيس عربي تحدث على الملأ لأول مرة .

لكن الأحداث اتخذت أبعادًا جديدة بعد ذلك. فبعد عام طويل وشاق.. ضربت خلاله عمليات حزب الله و اختراقاته مفاصل التواجد الإسرائيلي في الجنوب اللبناني.. وتحديدًا في يناير ١٩٩٦.. أبلغ أحد العناصر أنه علم بوجود الحلاق وأسرته بتلك القرية الحدودية المهجورة .

كان البلاغ مثيرًا للدهشة.. فمعنى ذلك أن إسرائيل تخلت عن عميلها بالفعل.. وتحفظت عليه بالقرية المحاطة بحزام أمني.. ثقة أنه بذلك بمأمن يستحيل كشفه.. لكن.. على العكس تمامًا.. رأى جهاز الأمن في حزب الله أن وجود الحلاق في القرية اللبنانية المتاخمة للحدود، وتحت أنظار دوريات الجنود الإسرائيليين وتحركاتهم، أفضل كثيرًا بالنسبة لهم عما إذا كانت إقامته بقرية الخيام.. تلك المحاطة بكمائن الأمن، والرقابة الشديدة ليل نهار.

ففي الخيام مثلاً ، التي هي مقر محطة التجسس الرئيسية لإسرائيل في لبنان سيحتاط الحلاق لنفسه.. وذلك لقرب البلدة من هجمات المقاومة.. أما في القرية الحدودية المهجورة فلن يحتاط.. ولن يتوقع اقتناصه لإدراكه أنه بعيد عن المطاردة والرصد.. كذلك ستنخدع الوحدة ٥٠٤ العميلة لكون الحلاق بين ظهرانيهم.. وستهمد بالتالي مع مرور الوقت، عملية المتابعة المستمرة للجاسوس المذعور وعائلته

لكل ذلك.. ستتواجد الثغرة الأمنية التي بنيت على افتراضيات الثقة في نظام الأمن.. ومن خلال تلك الثغرة يكمن الخطر.. حيث يمكن النفاذ بهدوء عبر كل الخطوط.. واختطاف الجاسوس القاتل وزوجته الأفعى الناعمة الرقطاء.

تمامًا .. كانت الرؤية التحليلية لأجهزة أمن حزب الله صائبة.. وغير متوقعة.. إذ تأكد للحزب صدق المعلومة (الاستراتيجية) ، التي أشارت إلى وجود الحلاق بقرب الحدود. ولمدة شهر ونصف بمساعدة بعض الأعوان في الرصد والمتابعة المستمرين.. تم التوصل إلى خطة مدهشة لاجتياز كل الخطوط الحمراء.. التي تعوق التسلل للوصول إلى القرية الحدودية، برغم منظومة الأجهزة الإلكترونية المزروعة ووسائل الحماية المختلفة.

وفي فبراير ١٩٩٦ في ليلة باردة غاب فيها القمر وخيم الظلام.. كان أحمد الحلاق يحتضن طفليه ويغط في نوم ثقيل.. وكانت زوجته متهالكة في فراشها بحجرة داخلية.. بعد حفل صاخب مع جنديين إسرائيليين لقاء بعض الأطعمة والسجائر.. وبينما الهدوء مستقر في ذلك الوقت المتأخر من الليل، عولج الباب الرئيسي للمنزل بهدوء وأطلت بعض الأشباح. صحا الحلاق فزعًا وهم يوقظونه شاهرين أسلحتهم وكشافاتهم اليدية ، فامتثل مرتجفًا لأوامر الأشباح الملثمة ولزم الصمت.. وجيء بزوجته المتهالكة تصطك أسنانها هلعًا، حيث اقتيدا مع طفليهما صاغرين.. وسجل التاريخ في تلك اللحظة أروع عمليات حزب الله، التي زلزلت جدران أساطير الأمن والحماية التي تروجها إسرائيل.

كيف تم اختطاف الجاسوسين من بين أحضان الحراسة والدوريات المنتظمة وقوات الجيش الجنوبي العميل..؟ وكيف اقتيدا ومعهما طفلان أحدهما رضيع لمسافة طويلة عبر الوديان والدروب والجبال والغابات والكمائن والأسلاك والعملاء..؟

إن تلك لأسطورة حقيقية رائعة تفيض بالبسالة والجرأة والعقول الذكية الحصيفة.. بل إنها إحدى روائع الأعمال المخابراتية التي لم يكشف بعد عن أسرارها[1].

لقد فقد العدو الإسرائيلي اتزانه.. وانهار رجاء ورد ورجاله.. عندما ظهر أحمد الحلاق على شاشات التليفزيون اللبناني منهارا.. ليعترف على الملأ أنه خُدع هو وزوجته.. وأن إسرائيل شر النجاسات على الأرض.. حيث استغلوه أسوأ استغلال ليقتل أبناء وطنه.. ويدمر بنيانه الاجتماعي المتكامل..

---

(١) في ٢٢ فبراير ١٩٩٦ أقدمت أجهزة المخابرات الإسرائيلية على اختطاف أربعة لبنانيين من الأراضي اللبنانية.. وقدمتهم للمحاكمة في إسرائيل بتهمة التعاون مع حزب الله في خطف أحمد الحلاق المختبئ بمكان سري بجنوب لبنان (في الشريط المحتل).. والمتهم من قبل السلطات اللبنانية بالتجسس وتفجير سيارة مفخخة في الضاحية الجنوبية ببيروت استهدفت عماد مغنية مسئول الأمن والعمليات بحزب الله.

هؤلاء الأربعة هم رمزي نهرا، وماهر توما، وبسام حاصباني، وسليم سلامة.. حيث جرى احتجازهم لمدة ستة أشهر في أقبية وزنزانات منفصلة في سجن (أشمورت) داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتعرضوا للتعذيب الشديد قبل إحالتهم إلى المحكمة في ١٢ سبتمبر ١٩٩٦.

استغرب محامي الدفاع (الصهيوني) ، والمكلف من المحكمة الإسرائيلية بالدفاع عن هؤلاء الشبان قائلا: (إنه لأول مرة في التاريخ، تقدم دولة على محاكمة رعايا دولة أخرى بتهمة التعامل مع العدو، بسبب تعاونهم مع دولتهم وعلى أرض هذه الدولة). وتساءل المحامي : (من هو العدو بالنسبة لهؤلاء المتهمين..؟ هل هي دولتهم التي يحملون جنسيتها ويعيشون على أرضها، أم الدولة المعتدية التي احتلت جزءاً من أرضهم؟.. إن القضية إذن ليست قضية تجسس.. إنما هي قضية اختطاف رهائن أبرياء)..!!

وفي منتصف ديسمبر ٢٠٠٢ قتل رمزي نهرا في جنوب لبنان بواسطة عبوة ناسفة جرى تفجيرها عن بعد وحتى الآن لم يعرف من المسئول عن عملية التفجير.. فحزب الله يعترف بأن رمزي نهرا (شهيد) وكان له دور إيجابي هام في عمليات حزب الله السرية.. منها استدراج ثلاثة جنود إسرائيليين في أكتوبر ٢٠٠٠ واختطافهم من مزارع شبعا (وهم الذين تمت مبادلة رفاتهم في ٢٩ يناير ٢٠٠٤ في الصفقة المشهورة بين حزب الله وإسرائيل.). أما في إسرائيل فتقول صحيفة معاريف عنه : إنه العميل رقم واحد في الشرق الأوسط.. فقد عمل مع جميع أجهزة المخابرات الموجودة في المنطقة تقريبا ولم يُعرف ولاؤه الحقيقي لأي جهاز.. فهو جيمس بوند الشرق الأوسط بلا منازع.. وتشير الصحيفة في التحقيق نفسه أن رمزي نهرا ربما يكون (رأفت الهجان) اللبناني.. وأنه نجح في خداع الإسرائيليين وكان الثمن حياته.

كان رمزي نهرا، كما أرى ، جاسوسًا مزدوجًا تم الإفراج عنه في إسرائيل مع خمسين سجينا لبنانيا ضمن صفقة مع حزب الله مقابل رفات أحد جنود القوات البحرية الخاصة الإسرائيلية.. ومنعته قوات جيش لحد من الإقامة في قريته الجنوبية.. لكنه تمكن من ممارسة نشاطه التجاري متعاونا مع حزب الله حتى أمكن له الوصول إلى مخبأ أحمد الحلاق السري على الحدود، وساعد على خطفه لمحاكمته في بيروت وإعدامه..!!

فيما قالت حنان الياسين.. إن الإعدام أكرم ألف مرة مما لاقوه في الجنوب.. وكشفت عن مساحة زرقاء كبيرة أعلى صدرها وهي تقول:

- "لقد نهش خنازير اليهود جسدي من أجل إطعامنا.. إنهم قطيع من الخنازير النجسة المتوحشة".

الجاسوس اللص

كانت اللطمة عنيفة جدًا ومفاجئة فأفقدت العدو صوابه.. إذ لم يتصور الإسرائيليون مدى تعاظم قوة حزب الله لدرجة انتزاع الحلاق وأسرته من بين أحضانهم.. في عملية مخابراتية ذكية جريئة خارقة، تحولت معها أسطورة الموساد المزعومة إلى أضحوكة يتندر بها العالم .

على وجه السرعة جرت تحقيقات قادها خبراء أمنيون في تل أبيب.. لاستكشاف ملابسات الضربة الخاطفة.. والثغرات الأمنية المهلهلة في الوحدة (٥٠٤) التي استغلها رجال حزب الله.. وعما إذا كانت هناك اختراقات بين صفوفهم أدت إلى إنجاح العملية.. وكان ذلك هو شغلهم الشاغل ومصدر خوفهم .

أما في بيروت .. فالفرحة كانت غامرة .. وتلقت قيادات حزب الله التهانئ من داخل لبنان وخارجه.. وأمر الشيخ حسن نصر الله بكفالة طفلي أحمد الحلاق، مع تقديم الرعاية لهما تحت إشراف الحزب بإحدى دور الرعاية المنتشرة.. وخوفا من أن يطول الانتقام الجماهيري أسرتي عميلي الموساد، أعلن الأمين العام أن ذلك ليس من تعاليم الإسلام.. فالأهل أبرياء من إثم الأبناء الذين جنحوا إلى الخيانة والتعامل مع الأعداء.

وفي التحقيق مع الحلاق وزوجته.. الذي كان منفردًا في البداية.. حاول الحلاق المراوغة وادعاء الخبل.. لكن الأدلة التي ووجه بها أحكمت حوله جريمة التفجير.. وأولى الأدلة الثبوتية كانت بصمات أصابعه التي تطابقت مع بصماته على جهاز

التليفون بمحل البقالة.. وكذا رقم الهاتف الخاص بفؤاد مغنية الذي احتفظت به ذاكرة الجهاز.. أما البقال الذي سبق أن تعرف على صورة الحلاق في حينه.. فقد تعرف عليه ثانية وجها لوجه.. وشهد بأنه كان يحمل جريدة منتفخة عبث بمحتوياتها لحظة الانفجار.

كانت هناك أيضا شهادة قريبه.. الذي واجهه بشهادته ضده.. وبأنه رآه بمكان التفجير وتعرف عليه برغم تخفيه.. ثم جيء بصاحب معرض السيارات.. الذي استأجر منه الحلاق بوثيقة مزروة السيارة التي بدلها في صيدا بسيارته الأصلية.. فتعرف عليه الرجل بدون تردد، وبمقارنة البصمات التي وجدت بالسيارة وبصمات الحلاق كان هناك تطابق لا يقبل الشك .

أخيرًا.. انهار أحمد الحلاق وراح في نوبة تشنج هستيرية بعدما أطلعوه على صور الجثث والأشلاء المتقطعة المحترقة والمتناثرة التي خلفها الانفجار.. كذلك صور المصابين الأحياء الذين فقد غالبيتهم أطرافهم.. وكان من بينهم طفلة في السابعة من عمرها فشلت الجراحات في ربط ساقها المبتورة.

توالت اعترافات أحمد الحلاق المذهلة التي أدهشت المحققين معه.. فالصور البشعة التي أطلعوه عليها زلزلته من الأعماق.. وكسَّرت إرادته.. وحركت فيه ضمير الإنسان الذي مات بداخله منذ زمن فاعترف بأنه عميل للموساد.. ولأجل المال والثراء باع ضميره ونفسه وأهله ووطنه.. وأن زوجته شريكته في التجسس وذراعه الأيمن.. وقاده حبها الأعمى بلا تردد إلى مصيره المحتوم .

وعلى مدار عدة أيام من الاستجواب.. تفجرت مفاجآت عجيبة.. إذ اعترف الحلاق بعمليات خطيرة لم يسأل عنها في البداية.. إنما جاءت وليدة ترابط الأحداث وتسلسلها.. كعملية اغتيال الأمين العام لحزب الله عباس الموسوي.. واختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد إلى إسرائيل.

أقر أيضًا بأنه قصد من عملية اختطاف عميل إسرائيل حسين عبد الغني وتسليمه إلى الحزب.. التقرب إلى الأمين العام الشيخ حسن نصر الله تمهيدًا لاغتياله هو الآخر.. لكن إحاطته بحواجز من السرية والأمن حالا دون ذلك.. ففكر في اختطاف آخرين، ومنهم الشيخ مصطفى الديراني الذي تطلبه الموساد بالاسم.. لكنهم أمروه بألا يفعل.. فقد كان يجهل أنهم يخططون لذلك مع (ابن عمه) محمد الديراني .. فاتجه تفكيره إلى القيام بسلسلة اغتيالات لنشطاء الحزب معتمدًا على ثقة الحزب به، وكونه فوق مستوى الشبهات .

اعترف الحلاق أيضًا بأن جملة ما أخذه من الموساد ثلاثة وعشرون ألف دولار لم يدخر منها بنسًا واحدًا.. وأنهم لم يعطوه شيئًا مقابل عملية التفجير بحجة أنها فشلت في اغتيال عماد مغنية.. وأثارت حزب الله ضدهم..

أما السيارة المفخخة، وكانت قد سرقت في صيدا، فقد اعترف الحلاق أنه سرقها بمفتاح مصطنع بمنطقة الراهبات.. حيث بدل أرقامها ولونها في الناقورة.. ثم تقابل في بيروت بخبير إسرائيلي جاء خصيصًا لتركيب العبوة الناسفة، وغادر الخبير لبنان عشية عملية التفجير بعدما سلمه السيارة المفخخة وجهاز التفجير، وعلمه كيف ينفذ العملية بشتى جوانبها.

الأفعوان والحية

وجاءت اعترافات عميلة الموساد حنان الياسين سهلة بدون مواربة.. فبالرغم من حالة الانهيار التي أصابتها ولازمتها لفترة طويلة، كانت ما تزال تحتفظ بوجهها البرىء الجميل الساحر.. مع دقة اختيارها للألفاظ بعناية شديدة.. ففي البداية أكدت أن زوجها برئ لأنها هي التي تصيدته وأوقعته في حبها بغية استقطابه.. وسعت كثيرًا إلى ذلك حتى استحوذت على عقله ومشاعره.. لكنها أحبته غصبًا عنها دون أن تقصد.. فأشفقت عليه طريق الخيانة والجاسوسية وصارحته في لحظة حب صادقة بحقيقة اتصالها بالموساد .

وتضيف بأنها فوجئت بـه لا يـهتم بـل ازداد تمسـكًا بـها على عكـس مـا كـان متوقعًا.. فانقادت في الطريق دون أن تفكر أو تتوقع عواقبه إلى أن صارحـها برغبته في الزواج منها.. والانتقال للعيش معًـا في بـيروت.. لكـن الرائـد رجـاء ورد رفـض تلـك الخطوة وعارض الزواج من أصله.. والسبب في ذلك أنه كان يريدها إلى جواره.. فقد سبق أن استغلها جنسيا في بداية عملها معه.. وانتهكها العديد من رجاله في الوحـدة ٥٠٤ أثناء الدورات التدريبية وبعدها.. وكان يقصد من ذلك تكسير إرادتها ورضوخها التـام.. واستسـهالها منـح جسـدها بـدون تفكـير أو تذمـر، لاسـتغلاله في عمليـات التجسـس والسيطرة، وجلـب المعلومـات والأخبـار مـن المرضـى بمستشـفى النـاقورة والزائرين على حد سواء

هذا وقد اعترفت عميلة الموساد بأنها حملت حملاً متكـررًا مـن الرائـد رجـاء ورد ورجاله ، وأجهضت نفسها سرا في كل مرة قبلما تتعرف بالحلاق.. كما أكـدت بـأن ورد كان ينوي إعدامها في معتقل الخيام مـع الحـلاق لـو لم يتدخـل النقيـب رينيـه البياضي لإنقاذهما. وفي مجمل اعترافاتـها قـالت حنـان بأنـها كـانت صاحبـة فكـرة اختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد إلى إسرائيل.. وجاءتـها تلـك الفكـرة عندمـا كـانت تمضي شهر العسل في بيروت.. وقالت أيضا بأنها كانت تشارك زوجها في التخطيـط للعمليات.. لكنها لم تساعد ، كما أشيع ، في اختطـاف عميـل المـوساد حسـين عبد الغني.. قائلة إن مخابرات حزب الله هي التي استدرجته وخطفته، وقد علمـت ذلك من رجاء ورد.

لم تكن اعترافات حنان الياسين وليدة إكراه، وزوجها أيضا كذلك، إذ أن الصـور التي سبق عرضها على أحمد الحلاق ، كان لها فعل السحر في الضغط على أعصـاب زوجته هي الأخرى.. خاصة صورة الطفلـة الصغـيرة المبتـورة السـاق. كـل مـا طلبتـه حنان من أجل أن تعترف بكل شيء هـو وعـد مـن السـلطات بتـأمين حيـاة طفليـها وتعليمهما في المـدارس والجامعـات.. وبعدمـا وعدهـا المحققـون بمـا طلبـت أفـاضت تفصيليًا باعترافاتها وبالتكليفات التي قامت بها.. ولم تكـن أبـدًا تكـذب أو تـراوغ..

لكنها أرجعت أسباب خيانتها إلى الضغوط النفسية الزائدة التي كان يمارسها الرائد رجاء ورد لكونها أجنبية الجذور.. وإلى تهديداته المستمرة بالتنكيل بأسرتها.. ثم تهديداته المتكررة بعد ذلك بشرائط فاضحة التقطها لها ، كان ما يزال يحتفظ بها في خزانة مكتبه.. وكانت هناك أيضا تلك الإقرارات التي أجبرها على التوقيع عليها. إضافة إلى إيصالات استلام أية نقود كان يعطيها لها.

وفي الوقت الذي كان فيه زوجها يدافع عن نفسه متهمًا زوجته بأنها السبب في جره إلى الموساد.. كانت حنان تبرئه وتدين نفسها.. وتلقي على عاتقها مسئولية كل العمليات الخسيسة التي نفذت ضد حزب الله.

إنه تناقض عجيب وأمر يدعو إلى الدهشة.. فالحب بين أفعوان وحية كالحلاق وزوجته.. هو ذات الحب الذي يعرفه بقية البشر على اختلافهم.. الحب هو الحب.. مصدر السعادة للطرفين معا.. أو رمز الشقاء كله

انتهت اعترافات عميلي الموساد.. وفي الثلاثاء ١٩ مارس ١٩٩٦ مثلا أمام المحكمة العسكرية الدائمة في بيروت.. وكانت برئاسة العميد الركن الطيار زيد حلاوي.. ومفوض الحكومة اللبنانية لدى المحكمة القاضي ميسر شكر.. وكانت هناك مفاجأة مذهلة في جلسة المحاكمة العلنية الأولى .

الحكم بالإعدام

كانت أولى المفاجآت في الجلسة الأولى من المحاكمة.. أن محاميو لبنان لم يقبل واحد منهم الدفاع عن الجاسوسين لقذارة الجرم في حقيهما .. فرفعت الجلسة ثم عادت إلى الانعقاد بعدما رأت عدالة المحكمة أن تنتدب المحامي البيروتي أنطوان الهاشم كوكيل عن الحلاق وزوجته

كانت عيون المجرمين تتفحص وجوه الحضور بحثًا عن أسرتيهما.. لكن لا أحد بينهم سوى الشقيق الأصغر لأحمد الحلاق، خالد الحلاق.. فانزويا بين الحراس يبكيان ويواسيان بعضيهما في أسى.. ولم يعلق صحفي واحد من بين العشرات الذين

ملأوا قاعة المحاكمة عن هذا البكاء.. أكان بكاء الندم؟. أم بكاء الخزلان والفضيحة، والتناسي من الأهل والأصدقاء؟.. لا أحد يعلم ما كان بداخلهما لحظتئذ.. لا أحد يعرف على ماذا كانا يبكيان ! !

وعلى مدار الجلسات كلها.. كانت عيونهما اللامعة تتفحص.. وتتمنى.. وتمني نفسها.. وفي كل جلسة كان يخيم اليأس والحزن والبكاء.. ويخفت الأمل.. أو لنقل: يُخنق خنقًا .

وذات مرة.. تسلم خالد ثلاث رسائل من شقيقه من بين قضبان القفص.. لزوجته الأولى رسالة.. وأخرى لوالديه.. وثالثة لأخيه شفيق.. كانت الرسائل في مضمونها تطلب منهم أن يسامحوه.. ويغفروا له جريمته ويبادروا بالذهاب إليه في الجلسة التالية.. لكن لا شيء تغير.. ولم يشأ خالد أن يخبره بأن أمه أصابها الشلل من جراء فعلته.. وأن ابنته وهيبة فقدت النطق وانخرست.. ورفض والده وشقيقه الذهاب لرؤيته.

حنان الياسين أيضا تناساها أهلها.. وحرمت من رؤية طفليها الصغيرين.. حتى زوجها.. لم تعد تجمعها به سوى جلسات المحاكمة.. والقفص الحديدي والحراس الذين يباعدون بينهما ولا يسمحان لهما بالحديث معا.. مجرد الحديث ولو عن بعد.. أو بإشارات الأيدي.. كل منهما يجلس في ناحية يأكلهما الصدأ.. وينبش بجسديهما معول الفراق الطويل المرير .. وصمت القبور.

كانت أدلة الاتهام ثابتة أمام هيئة المحكمة وممثل الادعاء.. واعترافهما بالعمل لصالح الموساد كان مؤكدًا لا شك فيه.. ومحاميهما أنطوان الهاشم أملى عليه ضميره أن يدافع عنهما قدر استطاعته.. ملتمسًا من عدالة المحكمة الرحمة .. تلك هي مهنته الرائعة في نصرة المظلوم.. والتماس الرأفة للمجرمين .

وفي منتصف يونيو ١٩٩٦ . كانت جلسة النطق بالحكم .. حيث بدا الحلاق شاردًا خائرًا.. وقد أمسك مصحفًا بيديه.. أحيانًا يقرأ في سورة مستغرقًا.. وأحيانًا

أخرى تزوغ عيناه إلى نقطة اللاشيء يستقرئ المجهول عبر الفراغ ، بينما كانت حنان التي سترت شعرها ترفع يدها بين فينة وفينة.. لتمسح دموعها المدرارة.. وتتفحص الوجوه في فزع وانكسار.. ربما تلمح من بينها وجها تعرفه.. أو تتلمس نظرة شفقة تنطلق إليها عبر القضبان.

نادى الحاجب، فانتصب الحضور وقوفًا ودخلت هيئة المحكمة.. عندها احتبست الأنفاس.. وتعلقت الأنظار بشفتي زيد حلاوي وهو يتلو منطوق الحكم.. الذي يقضي بإعدام أحمد عبد البديع الحلاق رميًا بالرصاص.. وبالأشغال الشاقة خمسة عشر عاما لزوجته.

لحظتها.. صفق الحضور لعدالة المحكمة.. وسقط الحلاق مغشيًا عليه.. بينما صرخت حنان الياسين صراخًا عاليًا ، وظلت تصرخ حتى والحراس يجذبونها إلى خارج القاعة، وتنادي زوجها الغائب الوعي في مشهد سينمائي مؤثر :

- (أحمد.. أحمد.. أنا المجرمة.. أنا المجرمة) ..!!

أخذ عميل الموساد المنهار إلى سجن رومية الشهير.. وكانت تلك آخر مرة يلتقي فيها وزوجته وجهًا لوجه.. إذ توالت المفاجآت بعد ذلك.. وتسارعت الأحداث لتصنع نهاية الخيانة والجاسوسية والغدر.. ونهاية قصة حب بين ثعبان وحية اتفقا على القتل والإجرام .

رصاصة الرحمة

أحيل ملف القضية إلى محكمة التمييز العسكرية العليا للتصديق على الحكم.. وفي يوم الأربعاء ٢٤ يوليو ١٩٩٦ تم التصديق عليه ، بما يعني أنه حكم نهائي لا يقبل الطعن أو النقض. وعلى ذلك أحيل الحكم، طبقًا لنظام القضايا العسكرية في لبنان، إلى رئيس الجمهورية إلياس الهراوي للتصديق عليه.

ترددت أقوال مفادها أن هناك احتمال كبير ألا يعدم الحلاق.. فتاريخ لبنان لم يشهد حالة إعدام واحدة لأحد جواسيس الموساد من قبل.. لكن كانت هناك مخاوف

أيضًا.. فالرئيس الهراوي سبق أن صدق على خمس إعدامات منذ توليه الحكم في ٢٤ نوفمبر ١٩٨٩.. وهي إعدامات لأشخاص ارتكبوا جرائم قتل واغتصاب.. وكلها إعدامات بالشنق إلا واحدة فقط كانت رميًا بالرصاص للمجرم شاكر البريدي .

كان الحلاق في سجن رومية لا يكف عن كتابة الرسائل لزوجته الأولى فاطمة.. ولابنته وهيبة ذات الستة عشر عامًا وأخيها هيثم الذي يصغرها بعامين.. كذلك أفاض في الكتابة لوالديه ولأخيه شفيق.. فلم يتلق جوابًا واحدًا.. أو زاره إنسان.. لكنه برغم ذلك لم يتوقف عن الكتابة.. لعل وعسى.. ومع مرور الأيام تمكن منه الخوف والفزع.. وهجمت عليه كوابيس الليل تقض مضجعه.. فيعلو نحيبه لساعات بلا توقف.. ويصرخ في أحيان كثيرة أن يرسلوا في طلب أولاده في برجا.. لكن لا أحد يجيبه.

وفي يوم الأربعاء ١٨ سبتمبر ١٩٩٦ صدر المرسوم الجمهوري رقم ٩١٧١ الذي أيد حكم المحكمة العسكرية بإعدام أحمد الحلاق.. واستقبل الشارع اللبناني النبأ بالابتهاج.. وتداول المسجونون الخبر فيما بينهم.. ثم وصل إلى مسامع الحلاق فطاش عقله.. وارتجت لصراخاته جدران السجن السميكة .

تقرر تنفيذ الإعدام صباح السبت ٢١ سبتمبر.. وعلى ذلك زاره مأمور السجن مساء ١٨ سبتمبر بزنزانته الانفرادية.. حيث أطلعه على منطوق الرئاسة وبأنهم على استعداد لتلبية طلباته في حدود القانون.. فسأله الحلاق عن ميعاد التنفيذ.. فأجابه المأمور، العقيد فؤاد عثمان، بأن ذلك لم يتحدد بعد

ومرت لحظات صمت كان الحلاق أثناءها يرتجف بشدة.. ثم طلب السماح له بالذهاب إلى الحمام.. بعدها طلب ورقة وقلمًا.. وكتب بيده بحروف مرتعشة

(إني قد تبرأت من إسرائيل.. وجعلت أولادي أمانة في أعناق المسلمين.. وإن كنت أخطأت فإني تُبْتُ إلى الله.. راجيًا أن يعفو عني.. وأطلب أن يُبَنِّجُوني وألا يعصبوا عيني.. ولا يضعوا ورقة على صدري مكتوبا عليها ﴿ ولكُم في القصاصِ

حياةٌ يا أولي الألبَاب ﴾ .. وإني أوصي أن أدفن في أرض أهلي في برجا.. وأن يقيموا لي جنازة.. وأن يعرف العالم أن أحمد الحلاق ليس خائنًا.. وإني أحب زوجتي فاطمة وابنتي وهيبة وابني هيثم.. وأحب زوجتي حنان وأتمنى أن يفرجوا عنها.. ويسمحوا لي برؤيتها وتقبيلها.. وأطلب من أمي أن ترضى عني وكذلك والدي.. وأوصي شقيقيّ خالد وشفيق بالأولاد.. ولا أريد أن يضعوا أولادي في دار الأيتام).

فاستجيبت كل طلباته باستثناء إحضار زوجته حنان لكونها سجينة

وفي يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٩٩٦ . تسجل المحضر التالي :

(في السادسة إلا ربعًا فجر ٢١ سبتمبر/ أيلول ١٩٩٦ .. انتقل رئيس الدائرة القضائية في المتن الشمالي القاضي سليم أسطا.. يرافقه رئيس القلم الأول لدى دائرة التنفيذ المنتدب سهيل عون.. إلى سجن رومية المركزي، للوقوف على تنفيذ وصية أحمد الحلاق قبل إعدامه.. وحضر تنفيذ الحكم رئيس المحكمة العسكرية الدائمة العميد الركن الطيار زيد حلاوي.. والقاضي ميسر شكر.. وقائد منطقة جبل لبنان العميد جورج حجار.. والشيخ أنس العلايلي المسئول في قسم الأسلمة في دار الفتوى.. والمحامي أنطوان الهاشم.. وآمر (قائد) سجن رومية المركزي العقيد فؤاد عثمان.. وطبيب السجن خضر عساف.. وكاتب الضبط المؤهل منصور الخوري.. والتقى الحلاق قبل إعدامه بشقيقه خالد..وأولاده الأربعة.. وارتمت وهيبة على قدمي والدها.. ثم تلا الحلاق الشهادة.. وساعده الشيخ العلايلي على أن يتوضأ.. ثم اقتيد إلى عمود خشبي.. وعيناه غير معصوبتين.. وأركع هناك.. وربطت يداه إلى العمود.. ووسط طلبات منه بتخديره تلا القاضي ميسر شكر مرسوم إعدامه.. وقد أعطى حبوبًا مُسكِّنة.. ثم نفذ عملية إطلاق الرصاص (١٢) من عناصر قوى الأمن.. واستكملها ضابط أطلق من مسدسه الميري (رصاصة الرحمة) التي حتمت الموت.. ونقلت سيارة إسعاف جثة الحلاق إلى مستشفى

ظهر الباشق الحكومي القريب من رومية.. حيث تسلمها ذووه لدفنه في قريته برجا..).

هكذا انتهى أمر الحلاق وزوجته، وعاد الشيخان عبيد والديراني إلى لبنان من جديد، وما زال عماد مغنية هو البعبع والشبح المرعب الذي يهدد أمن إسرائيل . لقد فشل الحلاق في اغتياله، كما فشل العقيد الإسرائيلي الحنان تننباوم في اختراق حزب الله. فالرجل الذي تولى أمن الحزب، مغنية، تسلح بالإيمان بالله وبالفدائية والصلابة، إلى جانب خبرة التعامل مع العدو الصهيوني الذى قرأ عماد مغنية أعماقه ، وفك ألغاز شيفرته . ومن يمتلك كل هذا يستطيع دحر عدوه وإصابته بشلل الخوف..!!



محاولة اغتيال حسن نصر الله في بيروت .. !!



سميًا .. طلبت إسرائيل من الولايات المتحدة مؤازرتها تكنولوجيًا في تحديد تحركات أمين عام حزب الله بهدف التخلص منه بضربة جوية.. لكن أقمار التجسس كان يلزمها جاسوس بشري لاقتفاء أثر الزعيم (المحصن).. لذلك بعثت الموساد بأحد ضباطها إلى بيروت.. للالتقاء بعميل لها هناك.. وكانت الصدمة موجعة عندما أسر ضابط الموساد.. وتبين أن العميل اللبناني هو أحد كوادر الأمن في حزب الله..!!

كاريزما وطَلّة

كان من نتائج غزو لبنان وحصار بيروت عام ١٩٨٢، طرد المقاومة الفلسطينية المتمركزة هناك.. لكن من ناحية أخرى خلق مقاومة أكثر استبسالا شكلها المسلمون الشيعة في لبنان.. وأصبح حزب الله قوة أكثر تعقيدًا على مستوى يضاهي أي قوة عسكرية نظامية.. بالمقارنة بما كان رجاله يقدمون عليه خلال الأيام الأولى للاحتلال الإسرائيلي للبنان.

اعتمد (حزب الله) في مرحلة التأسيس[1] على العمل السري، وكانت تشكيلاته التنظيمية ذات طبيعة عسكرية، لأن عمله الأساسي كان في إطار المقاومة المسلحة للجيش الإسرائيلي وعملائه. في حين كانت تشكيلاته العلنية تقتصر على التجمعات الدينية في بيروت والجنوب والبقاع.

أما أول ظهور علني ورسمي للحزب، فكان عند إعلان (الرسالة المفتوحة) عام ١٩٨٢، ليبدأ بعدها بالتطور، شيئًا فشيئًا، حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم. وحرص المؤسسون خلال تلك المرحلة على اعتماد القيادة الجماعية (مجلس الشورى)، وعدم إعطاء صفة الرئيس أو الأمين العام لأي شخصية في الحزب. وعلى رغم بروز اسم السيد إبراهيم أمين كناطق رسمي باسم الحزب في ١٩٨٥، إلا أن دوره كان يقتصر على الإعلان عن المواقف السياسية للحزب.

وفي ١٩٨٩ شهد (حزب الله) تحولاً مهمًا في هذا المجال. إذ سمح للمرة الأولى بتولي أحد قيادييه منصب الأمين العام، بالانتخاب، رابطًا مواقف الأخير وقراراته بموافقة (مجلس الشورى) الذي كان ولا يزال سلطة القرار الأولى في الحزب. ووضع شرطا أساسيا بعدم التجديد للأمين العام لأكثر من ولايتين، مدة كل منهما سنتين

---

(١) جاء في مقال للدكتور رفعت سيد أحمد بمجلة الغد العربي عدد سبتمبر ١٩٩٩، أنه في العام ١٩٨٥ التقى خمسة من كبار أبناء الحركة الإسلامية الشيعية، ليعلنوا ميلاد (حزب جديد) وسط ركام الأحزاب والتيارات اللبنانية القائمة، والتي وصلت إلى (٢٦٩) حزبًا وتنظيمًا علنيًا وسريًا عشية الغزو الإسرائيلي للبنان ! . وفي ذلك العام (١٩٨٥) صدر البيان الأول التأسيسي لحزب الله ، وجاء إعلانه الواضح عن مقاومته الإسلامية - الجناح العسكري له - الموجهة بالأساس ضد العدو الصهيوني .

(أصبحت فيما بعد ثلاث سنوات) . فكان الشيخ صبحي الطفيلي أول من تولى هذا الموقع (ولاية واحدة فقط)، ثم خلفه الشيخ عباس الموسوي الذي اغتالته مروحية إسرائيلية في ١٦ فبراير ١٩٩٢. فاختارت قيادة الحزب الشيخ حسن نصر الله [١] ليكمل ولاية سلفه

هذا الاختيار كان مفصلاً مهمًا في مسيرة الحزب، إذ استطاع ذلك الشاب (٣٢ عاما آنذاك) بشخصيته القيادية ، أن يخرج (حزب الله) من شرنقته التى نسجها

---

(١) وُلد نصر الله في منطقة النبعة في ٢١ أغسطس ١٩٦٠ ، في أسرة فقيرة، وساعد والده في بيع الخضار، دروسه الأولى كانت في (مدرسة النجاح) الخاصة، والتكميلية في الثانوية التربوية في سن الفيل. ثم انتقل مع بداية الحرب إلى البازورية في قضاء صور. وقطن فيها ممارسًا نشاطًا ثقافيًا استهل بتأسيس جمعية (الهدى) وعين مسؤولاً عن حركة (أمل) في البلدة، دون الانقطاع عن دروسه في ثانوية صور الرسمية. بعد ذلك سافر إلى النجف بالعراق عام ١٩٧٦ لتحصيل دروس دينية. فتعرف إلى عباس الموسوي ونشأت بينهما علاقة وثيقة. وعاد إلى لبنان عام ١٩٧٨ بعد تعرضه لمضايقات من السلطات العراقية، وأكمل علومه الدينية في (مدرسة الإمام المنتظر) في بعلبك.

في هذه المرحلة استأنف نشاطه في حركة (أمل) (١٩٧٩) وعيِّن مسؤولاً أساسيًا عن إقليم البقاع وعضوًا في المكتب السياسي (١٩٨٢)، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة إثر الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ منتقدًا طريقة تعاطي قياداتها مع الغزو. بدأ خطوات مقاومة إسرائيل، مؤسسا بذلك نواة (حزب الله) مع صبحي الطفيلي وعباس الموسوي، فتولى مسؤولية الحزب في البقاع (١٩٨٢ - ١٩٨٥) واختير أمينًا عامًا إثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموسوي (١٩٩٢) مكملاً ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه والتجديد له أربع مرات، بعد تعديل في دستور الحزب. هذا التجديد المتواتر لنصر الله، يفسره العارفون في المنعطفات الحساسة في صون الحزب. إذ أخرجه من رواسب الاقتتال الدامي مع حركة (أمل)، مُطبقًا شعار (كل الجهود للمقاومة) وتجاوز الانتكاسة التي تعرض لها الحزب بعد انتخابات ١٩٩٦ وأدّت إلى إضعاف مصداقيته السياسية. وتعافي التنظيم بسرعة بعد انعكاسات (ثورة الجياع) التي أطلقها الأمين العام الأول للحزب الشيخ صبحي الطفيلي. وكشفت عن مكامن الخلل في مشروع الحزب وبرنامجه السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي. ولو لم يكن نصر الله على رأسه، لكانت الصدمة أقوى والشرخ أعمق في بنيته، غير أنه تخطى الكمائن ومكامن الخلل. وأعاد للحزب وهجه، وفرضه كقوة أساسية على الساحة عبر (المقاومة الإسلامية) وعملياتها النوعية. وكان استشهاد نجله (هادي) الذي كان عنصرًا في القوات الخاصة للحزب، لحظة إيمانية نادرة، خصوصًا أن الساحة اللبنانية لم تشهد انخراط أبناء المسؤولين الكبار على جبهات النار .

بعض الذين اقتربوا من شخصية نصر الله، وقفوا عاجزين عن (اللغز) فيها، وتذكروا كيف وقف بقلب آمن ومطمئن أمام نعش نجله المستعاد جثمانه في ٢٧ يونيه ١٩٩٨، وكيف احتضن على مدى سنوات نحو ١٥٠٠ شهيد للحزب. ولاحظ روبرت فيسك (مراسل مجلة تايمز وأول من دخل مخيم صبرا وشاتيلا في بيروت وروعته صدمة المذبحة) أن الاستشهاد هو السلاح السري الأمضى لدى الحزب ونصر الله ، وأولهم كان أحمد قصير، ابن قرية معروب في قضاء صور، الذي نفذ عمليته الأولى للحزب عند الساعة ٧,١٠ في صباح ١١ نوفمبر ١٩٨٢ ضد مبنى مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور ، حاصدًا ٣٧٥ قتيلاً إسرائيليًا بين ضابط وجندي.

حول نفسه طوال العقد الأول من عمره ، إلى فضاء سياسـي وجماهيري أوسع مدى وأرحب.. ولم تتردد قيادة الحزب في التجديد لنصر الله لدورتين كاملتين بعدما أكمل مدة ولاية سلفه

وفي المؤتمر العام للحزب الذي انعقد في عام ١٩٩٨ ، اتخذ مجلس الشورى (سبعة أعضاء) قرارًا بإلغاء المادة التي كانت تمنع التجديد للأمين العام لأكثر من دورتين، بعدما نجح حسن نصر الله في كسب ثقة الجميع واحترامهم بسبب قوة مصداقيته في الحزب وخارجه. الأمر الذي سمح له بالاستمرار في منصبه لولاية ثالثة ورابعة.

وبحسب مصادر الحزب ، فقد جرى التفكير في (تثبيت) نصر الله في موقعه ، **(لأن القيادة لها مواصفات ذاتية، وليس التجربة فحسب.. إنها كاريزما وطَلَّة وقدرة على المخاطبة بشكل سلس، وحضور ووعي وإخلاص وسر وخبرة)** . وهي جميعها مواصفات تتوافر في شخص نصر الله

ففي غضون فترة وجيزة تمكن حسن نصر الله من جعل (المقاومة الإسلامية) ورقة ضغط إقليمية يحسب لها حساب في (لعبة التوازنات) العسكرية في المنطقة، مستفيدًا من ظروف سياسية مواتية لذلك.

استهلكت المقاومة كل جهد بشري ومادي ولوجستي[1] وحتى سياسي من جانب (حزب الله)، حتى بات اسمه مرادفًا لـ (المقاومة) منذ النصف الثاني من الثمانينيات وحتى هروب إسرائيل الليلي من جنوب لبنان في مايو ٢٠٠٠

وكان لسلاح الكاتيوشا في حياة حسن نصر الله موقف خاص.. ومواجهة طويلة بين حزب الله وإسرائيل.. حيث استخدم هذا السلاح لردع إسرائيل عن مهاجمة المدنيين.. وكان الكاتيوشا في طليعة العوامل التي أدت إلى قيام (تفاهم نيسان/ أبريل ١٩٩٦).

---

(١) اللوجستية Logistique من اللاتينية وتعني : التفكير المنطقي. وهي في الرياضيات تعني العمليات الأساسية الأربع (جمع. طرح. ضرب. قسمة). وفي الشئون الإدارية الميدانية العسكرية تعني التوفيق بين مختلف وسائل النقل والتموين وإسكان الجيوش. وفي المفهوم العام تعني النظرة الشاملة المتكاملة لعدة قضايا تتعلق بمشروع عام.

خطط الاغتيال

يقول حسن نصر الله :

(المرة الأولى التي استخدمنا فيها الكاتيوشا كانت في اليوم التالي لاستشهاد الأمين العام السابق للحزب السيد عباس الموسوي.. وذلك لأن القراءة الإسرائيلية في اليوم التالي لاغتيال الموسوي كانت خاطئة.. إذ افترضوا أن استشهاد الموسوي سيسبب تفككًا داخليًا في الحزب وانهيارًا معنويًا لدى المجاهدين.. تصوروا أن الحزب مركب على شخص وهو لم يكن كذلك في السابق أو الآن.. والحقيقة أنهم إن قتلوا أمينًا عامًا جاء الثاني.. وإن قتلوا الثاني جاء الثالث .

يومها اعتبر الإسرائيليون الفرصة مناسبة فهاجموا بغية دخول بعض القرى.. وأن يعتقلوا عددًا من شبان (حزب الله).. أي أنهم أرادوا اتباع اغتيال الموسوي بضربة مؤلمة جدًا على أمل انهيار المقاومة. لكن قاوم الشباب بشراسة وببسالة عالية وتم تدمير آليات إسرائيلية وسقط قتلى وجرحى إسرائيليون.. وبدأ القصف على القرى والمدنيين.

وأمام هجمة قاسية من هذا النوع طُرحت فكرة قصف المستعمرات الشمالية وتهديدهم : إذا لم يوقفوا القصف على المدنيين سنستمر في قصف المستعمرات أيضًا..

الضربة الأولى بالكاتيوشا كانت مؤلمة جدًا.. لأنها كانت مفاجأة مذهلة للإسرائيليين. ورأينا بعد إطلاق الصواريخ أن العدو استجاب وأوقف القصف على المدنيين.. ومن يومها التقطنا هذا السر) .

ببروز عقلية عسكرية كهذه ، وقف قادة إسرائيل يحللون ويخططون للقضاء على حسن نصر الله وبأي ثمن.. وكانت هناك خطط عديدة لاغتياله منها ما كشفت عنها نشرة المعلومات الأمنية البريطانية (فورين ريبورت) منتصف ١٩٩٩.. وقد جاء بالنشرة أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو حصل على موافقة المجلس

الوزاري المصغر لشئون الأمن والسياسة على خطة اغتيال حسن نصر الله.. حيث زرع عملاء للاستخبارات الإسرائيلية قنبلة ذكية على جانب طريق ، كان من المفترض أن تمر عليه سيارة حسن نصر الله وقافلة سيارات مرافقة.. لكن محاولة الاغتيال لم تنجح ؛ لأن الأمين العام استخدم طريقًا آخر في اللحظة الأخيرة.

وتضيف (فورين ريبورت) أن مقاتلي الحزب عثروا على القنبلة في اليوم التالي لزرعها.. وحاولوا تفكيكها.. وخلال ذلك استشهد أحد خبراء المفرقعات في حزب الله[1].. فبما سارعت إسرائيل حسب النشرة البريطانية إلى الادعاء بأن خبير المتفجرات قتل في عملية مدبرة من صنعها.. وأردفت النشرة أن أعضاء المجلس الوزاري المصغر في إسرائيل استاؤوا مما نشر من أنباء حول تصفية خبير متفجرات (حزب الله).. وطلبوا إيضاحات من نتانياهو ، حيث إن موافقتهم على العملية كانت لتصفية حسن نصر الله شخصيًا.. مما اضطر رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى الاعتراف بخجل بأن (شيئًا ما قد تشوش في اللحظة الأخيرة.. ولذلك لم تنجح محاولة اغتيال الزعيم اللبناني..).

وبعد هذا الفشل مباشرة .. طلبت إسرائيل رسميًا من الولايات المتحدة مؤازرتها تكنولوجيًا في تحديد تحركات الأمين العام حسن نصر الله بهدف التخلص منه بضربة جوية.. وأشارت واشنطن إلى أن أقمار التجسس المزودة بأحدث أجهزة التصوير (تمشط) بشكل مستمر مناطق الضاحية الجنوبية في بيروت التي يتحرك عبرها حسن نصر الله.. لكن هذه الأقمار تظل عاجزة عن الرصد العملياتي.. حيث دأب الأمين العام على إخفاء تحركاته وتغيير مساره.. واستعمال سيارات مختلفة في كل مرة للتمويه، وأنه لا يمكن التنبؤ بتحركات حسن نصر الله الحقيقية، نظرًا لتمتع حزب الله بجهاز أمني خطير، يديره رجال على مستوى فائق المهارة بحيث يصعب اختراقه.

---

(١) قيل إنه (زاهي حيدر أحمد) من قرية أطسا - بلاد جبيل - الذي استشهد عند تفكيك العبوة في ٢٧ ديسمبر ١٩٩٨ بمنطقة بعلبك.

وبرغم صعوبة اختراق حزب الله التي يدركها الإسرائيليون، لم يفقدوا الأمل نهائيًا في ذلك.. إنما درسوا كافة الخطط والاحتمالات.. ووضعوا دراسات تحليلية عديدة قد تقودهم إلى إيجاد وسيلة ما للوصول لحسن نصر الله.

لهذا.. استدعى الأمر مراقبة إلكترونية مستمرة طوال اليوم.. وظهرت الحاجة الملحة لوجود عيون داخل منظومة الحزب.. حيث لا يمكن الاستغناء عن التجسس البشري في مثل هذه الحالات والاكتفاء فقط بالمعدات الفنية المتقدمة وأقمار التجسس الصناعية.

بيد أن الفشل المتواصل لاغتيال حسن نصر الله أصاب أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بما يشبه اليأس.. فالرجل (محصن) ضد العمليات المعتادة التي عُرف أسلوبها وكشفت خطوطها المكررة طوال رحلة الصراع الشاقة مع حزب الله.. وهذا ما أدركه رؤساء أجهزة الأمن في إسرائيل مؤخرًا.. لذلك خططوا لعملية جديدة هي بحد ذاتها مغامرة قد تؤدي إلى نجاح أكيد.. أو فشل تصاحبه الفضيحة

بدأ التفكير في العملية الجديدة عندما توفر للموساد أخيرًا جاسوس يعمل داخل حزب الله.. ارتفعت درجة الثقة به مع مرور الأيام وتنفيذ التكليفات التي عهد إليه بها داخل بيروت. واقتضت الخطة أن يخترق جهاز الاستخبارات الإسرائيلي حزب الله بواسطة هذا العميل، بما يؤدي إلى إيجاد ثغرة أمنية يستطيع من خلالها اغتيال حسن نصر الله في عقر داره.

وبرغم الانسحاب الإسرائيلي المفاجئ من جنوب لبنان في مايو ٢٠٠٠ ، هربًا من ضربات حزب الله الموجعة.. لم يتم إلغاء العملية التي تبناها رئيس الوزراء (إيهود باراك) شخصيًا.. واستمات باراك في إقناع أجهزة الأمن بالموافقة عليها.. حيث خضعت الخطة لدراسة طويلة من الاحتمالات المتوقعة والافتراضات.. والعناصر التي ستشارك في الحماية والمساندة والسيطرة الجوية والبحرية والبرية إذا تطلب الأمر.. إلى أن تم اعتمادها في أغسطس ٢٠٠٠ وأصبحت جاهزة للتنفيذ بعد الموافقة الأمنية والسياسية

كان العقيد الإسرائيلي (الحنان تننباوم) قد تم إعداده للعملية.. وهو ضابط مخابراتي كفء حاز دورات تدريبية عديدة ، واشترك في عمليات سرية أهلته للسفر إلى بيروت بهوية أجنبية مزورة.. وبالتنسيق مع الجاسوس الموثوق به في حزب الله كان المطلوب التوصل إلى وضع خريطة وجدول زمني لتحركات حسن نصر الله الأمين العام.. ومقارّاته السرية في الضاحية الجنوبية وبعلبك.. للقيام باغتياله في عملية قصف مركزة وشديدة تبعًا للمعلومات التي يتوصل إليها تننباوم والجاسوس الموثوق به في حزب الله، والذي تسلم عشرات الآلاف من الدولارات.

كان تننباوم المؤهل أمنيًا ومخابراتيًا يثق في نجاح مهمته.. بفضل التغطية الناجحة التي توافرت له.. والمباركة السياسية والمخابراتية للخطة.. وكذا المعلومات الميدانية التي تجمعت.. لكنه نسى.. وقيادته أيضًا.. أن جهاز أمن حزب الله الذي يرأسه عماد مغنية.. برغم محدودية الإمكانات قياسًا بما يتوافر منها لدى إسرائيل.. يقف بالمرصاد ضد مثل هذه العملية الاختراقية.. وله سوابق مشهورة جدًا.. ضللت ثقة الإسرائيليين في قدراتهم وأعجزتهم عن التوصل لتحليل استيعابي لخطط حزب الله الأمنية وفهمها.

بالفعل كانت هناك أخطاء فادحة لم ينتبه إليها رجال المخابرات الإسرائيلية.. إذ حاصرهم الوهم وتملكهم هاجس القوة التي لا ترد.. وأغمضوا أعينهم عن شتى احتمالات الفشل.. لكن فضيحة الانسحاب من جنوب لبنان تحت أستار الليل كانت تؤرق مضاجعهم.. لذلك باتوا يحلمون بعيون مفتوحة باستعادة هيبة الجيش الإسرائيلي الذي قهره حزب الله، وكذا هيبة الموساد والمؤسسات الأمنية الأخرى التي أذلها الهروب الليلى ، واختطاف ثلاثة جنود إسرائيليين في شبعا[1] بكامل أسلحتهم وأجهزة اتصالاتهم اللاسلكية

---

(١) في ٧ أكتوبر ٢٠٠٠ ، وبعد حوالي أربعة أشهر من الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، اختطف رجال حزب الله ثلاثة جنود إسرائيليين في عملية عسكرية مذهلة، وقفت إسرائيل بقوتها وعتادها عاجزة عن =

كانت صدمة الاختطاف شديدة ومروعة.. للدرجة التي أخرجت أحد جنرالات الجيش الإسرائيلي عن رشده.. فصرخ في حجرة الاجتماع بضباطه :

(لقد تركنا لهم الجنوب اللبناني كما أرادوا.. لماذا إذن يطاردوننا داخل حدودنا..؟ إنه حسن نصر الله زعيم حزب الله.. أسكرته فرحة النصر لكنه لن يهنأ طويلا به.. فعما قريب.. قريب جدًا.. سيدفع الثمن[1]) ..!!

على الجانب الآخر كان حسن نصر الله يضحك ملء قلبه.. واثقا من نصر الله ومقدرة رجال الحزب على إحباط المحاولات الإسرائيلية لاختراق البنية الأمنية للتنظيم، أو الوصول إلى الأسرار العليا البالغة السرية.

في تلك الأثناء تم تكثيف الاتصال بعميل الموساد في حزب الله، وإقناعه بمغادرة بيروت، بغية التخطيط لاغتيال حسن نصر الله.

= تصديقها. ذلك أن العملية تمت داخل منطقة مزارع شبعا، برغم وجود السور الإلكتروني وأجهزة المراقبة المتطورة، وكان نجاحها تأكيدا على مهارة التكتيك العملياتي الذي انتهجه حزب الله ونفذه في سرعة خاطفة. بعد أسر الجنود الإسرائيليين الثلاثة في مزارع شبعا، تقدمت إسرائيل بشكوى ضد قوات الأمم المتحدة التي وقعت العملية الفدائية خلف صفوفها، خاصة مع ظهور شريط فيديو يصور وقائع العملية الفدائية، ادعت إسرائيل أن جنود الكتيبة الهندية هم الذين قاموا بتصويره، وأنها - أي إسرائيل - تريد نسخة أصلية من الشريط، والاطمئنان على الجنود الثلاثة الأسرى .

أمام الاتهامات والمطالب الإسرائيلية، أعلن حسن نصر الله أن دور الجنود الدوليين لا يتمثل في نقل معلومات إلى الطرف الإسرائيلي. كما أن شريط الفيديو الذي يصور عملية الخطف موجود في حوزته، ولم يصوره جنود من الكتيبة الهندية، بل عناصر من حزب الله، وسوف يكشف عنه في الوقت المناسب. وكرر نصر الله أنه لن يعطي أية معلومات عن الجنود الإسرائيليين الثلاثة، ولن يفرج عنهم إلا في مقابل (١٥٠٠) أسير لبناني وعربي، في السجون الإسرائيلية. فوضع بذلك الوساطة الألمانية والروسية السرية، في موقع حرج .

(١) فكرت إسرائيل باختطاف حسن نصر الله جوًا، حيث كشفت معلومات في استانبول أن الاستخبارات العسكرية التركية، المعروفة اختزالاً باسم (ميت) (MIT) ، رفضت طلبًا إسرائيليا ملحًا بالتعاون الأمني في مجال متابعة (خط الطيران) الذي يعتمده أمين عام حزب الله حسن نصر الله، لدى انتقاله من دمشق إلى طهران وبالعكس. وكانت تركيا قد أرغمت في وقت سابق طائرة إيرانية على الهبوط في أحد مطاراتها، بحجة أنها تحمل الأسلحة لحزب الله، بما يؤكد على أن إسرائيل تراهن على اصطياد حسن نصر الله جوًا، بعدما أخفقت في ذلك برًا. لكن الأجهزة الأمنية في حزب الله، تعتمد أساليب معقدة لحماية زعيمها، تجعل من المستحيل ملاحقته استخباراتيًا، وبالتالي يصعب رصده أو تحديد مواعيد تحركاته الجوية وكذلك خط التحليق .

التقى ضابط الموساد تننباوم في إحدى العواصم الأوربية برجلهم في بيروت.. وبعد اجتماعات مطولة استغرقت أسبوعًا اشترط العميل مبلغًا ماليًا ضخمًا، مقترحًا فكرة سفر ضابط الموساد إلى بيروت لرسم خطة الاغتيال على أرض الواقع. وبمهارة فائقة أقنعه بفكرة السفر دون إثارة أية شكوك حول دعوته من أجل التخطيط للعملية. عندها.. اطمأن تننباوم بعدما وافقت الموساد على سفره، وما هي إلا أيام حتى حزم حقائبه في طريقه إلى لبنان.

كان جواز سفره الأجنبي يشير إلى أنه رجل أعمال.. وهذا في حد ذاته مبعث أمن شخصي له.. فالتغطية المناسبة تمنح صاحبها الإحساس بالثقة في تحركاته مما يسهل عليه تنفيذ مهامه باطمئنان وهدأة نفس. وفي مطار بيروت الدولي كانت الأمور تبدو طبيعية منذ لحظة وصوله.. فابتسامات رجال الجوازات والأمن تبعث الراحة للقادمين.. وخارج المطار كان عميل الموساد ببيروت في انتظاره بسيارته.. والتفاتة سريعة من تننباوم على الساحة الخارجية أكدت له أن كل شيء يسير على ما يرام.

قاد صديقه اللبناني السيارة الأنيقة باتجاه بيروت.. وكان طوال الطريق يضاحك ضيفه.. الذي لم يفارقه حسه الأمني كرجل مخابرات في مهمة مثيرة وخطيرة، فكان يراقب السيارات المارة خلفه بحذر.. وكلما اتسعت إحساساته بالأمن اتسعت أيضًا ابتسامته لما سيحققه مستقبلاً من نجاح ساحق للموساد في بيروت.. أما مضيفه عميل الموساد اللبناني فكان أيضًا يشاركه الفرح والابتسام خاصة وأن الضابط الإسرائيلي كان يحمل له الدفعة الأولى من المبلغ الخيالي الذي اشترطه.. لكن فرحته الأرحب والأعظم.. كانت بالصيد الثمين الذي عن يمينه والذي يعد ثروة لا تقدر.

وقفت السيارة أمام أحد المباني بالضاحية الجنوبية في بيروت.. كان المبنى لا يحمل أية لوحات تشير إلى أنه مؤسسة خيرية، وإن كان بالأصل أحد مكاتب أمن حزب الله.. أحيطت السيارة بعدد من الرجال بدت وجوههم فرحة جادة صارمة، وقبلما يستوعب ضابط الموساد ما يحدث قال له أحدهم : (**أهلاً بك ضيفًا على حزب الله**).

استسلم الرجل للأيدي التي اجتذبته من السيارة، ترتجف مفاصله لهول المفاجـأة والصدمة المباغتة.. بينمـا يضحـك (عميـل الموسـاد) اللبنـاني[1] منتشيا بانتصـاره في إحدى أهم وأشهر معارك الدهاء بين جهاز أمن حزب الله والموساد

وفي فضائيات الكرة الأرضية.. أطل وجه الشيخ حســن نصـر الله مبتسـمًا متفائلاً عبر الشاشات.. يدلي بتفاصيل عملية أسر ضابط المخابرات الإسرائيلي في لبنان[2]:

(إن المسألة ليست مسألة خطف لا من بلد أوروبـي ولا مـن أي بلـد في العـالم.. هناك ضابط برتبة عقيد في الجيش الإسرائيلي يعمل مع الموساد منـذ فـترة زمنيـة طويلة على اختراق حزب الله وعلى مستوى عال.. إن مثل هذه العملية تقدم دعمًـا معنويًا إلى الانتفاضة داخــل فلسطين المحتلـة.. وتربـك الإسـرائيليين.. وتعطـي المزيد من الطمأنينة للمعتقلين في السجون الإسرائيلية..)..!!

باستجواب العقيد تننباوم .. أقر بمهمته المخابراتية في بيروت للتخطيـط لاغتيـال الشيخ حسن نصر الله.. وتبين أنه مستشـار أمـني لــ (دانـي يـاتوم) رئيـس الموسـاد الأسبق الذي أقيل عقب عملية خالد مشعل.. حيث يشغل ياتوم منصب مدير مكتب

---

(١) رددت وسائل الإعلام الإسـرائيلية وقتها، أن هذا العميل المزدوج هو اللبناني كايد محمد حسين بـرو، شـقيق علي برو المحبوس بإسرائيل بتهمة تهريب المخدرات، والذي أفرج عنه بمقتضى صفقة التبادل الشهيرة في ينـاير ٢٠٠٤ بين حزب الله وإسرائيل. المثير هنا.. أن والد العميل المزدوج ، كان مسجونًا أيضًا بإسرائيل بتهمة تعامله مع حزب الله في جنوب لبنان.. وعلى ذلك ظل محبوسًا منذ عام ١٩٩٠ في إسـرائيل، ومات في زنزانته عـن عمـر ٦٦ عامًا في فبراير ٢٠٠٣. وطبقًا لشروط الصفقة بين حزب الله وإسرائيل لتبادل الأسرى بواسطة ألمانية. سلمت حتى ٢٨ فبراير ٢٠٠٤ إلى لبنان ٥٩ جثة عن طريق بوابة الناقورة، كان من بينها جثة محمد حسـين بـرو، ابـن قرية كفر كلا الحدودية. فاكتشف أولاده أن الجثة التي تحمل اسمه ليسـت جثتـه. فـأعيدت الجثـة الخطـأ إلى إسرائيل وتسلمت أسرته في اليوم نفسه الجثة الحقيقية .

(٢) في أواخر شهر نوفمبر عام ٢٠٠٠ ، رفض الرئيس السوري بشار الأسد تلبية طلب الأمين العام للأمـم المتحـدة كوفي عنان للتباحث معه حول مصير الأسـرى الإسـرائيليين الأربعـة الذيـن اعتقلتـهم قـوات حـزب الله. وقـالت المصادر : إن الرئيس السوري رفض الاجتماع بعنان لأنه تبنى الموقف الإسـرائيلي الرسـمـي فيمـا يتعلـق بالأسـرى الأربعة، وأنه يريد منه منع عمليات حزب الله والمقاومة اللبنانية ضد إسرائيل. وكان من أسباب الرفض أيضًا أن سوريا لا تريد أن تتحمل أية مسئولية في قضية الأسرى الأربعة.

وذكرت المصادر في حينها ، أن كوفي عنان من خلال الاتصالات التي أجراهـا بمسـئولين سـوريين، ينـوي مطالبة الرئيس السوري باستخدام نفوذه لدى حزب الله، للسماح لبعوث دولي بزيارة الأسرى للاطمئنـان عليـهم، بعدما تردد بأن صحتهم سيئة، وأنهم مصابون بجروح خطيرة، بل ربما يكونون قد فارقوا الحياة.!!

رئيس الوزراء لشئون الأمن.. وأقر الضابط الإسرائيلي الأسير أن مجيئه للبنان كان بتكليف مباشر من الجنرال داني ياتوم شخصيًا، وأن مهامه الاستخباراتية كانت تنحصر في التحرك ما بين بلجيكا وسويسرا، للبحث عن ضعاف النفوس من بين العرب الذين يتواجدون في أوربا لأي سبب .

هكذا سقطت المخابرات الإسرائيلية في مصيدة حزب الله.. وتسبب أسر تننباوم في فضيحة دولية للموساد هزت من هيبتها ومركزها.. وهي التي كانت تسعى لتحسين صورتها القبيحة التي تلطخت أمام عمليات حزب الله.. وعبقرية ذكاء رجاله الشرفاء.. لتضيف الفضيحة فضيحة أخرى أشد إيلامًا لسلسلة الهزائم المتصلة التي منيت بها المخابرات الإسرائيلية في لبنان..!!

لكن حدث خلال عام ٢٠٠٣ أن لجأت إسرائيل إلى وساطة ألمانية، للإفراج عن الضابط الإسرائيلي وجنودها الثلاثة الأسرى لدى حزب الله. رحب الشيخ حسن نصر الله بالوساطة الألمانية التي لم تكن الأولى ، مشترطًا أن تفرج إسرائيل عن سائر الأسرى اللبنانيين في معتقلاتها، وبعض المعتقلين في جرائم جنائية، إضافة إلى حوالي ٤٠٠ فلسطيني وعربي في سجونها، مقابل الإفراج عن الأسرى الإسرائيليين الذين لم يسمح حزب الله للصليب الأحمر بالالتقاء بهم، وظلت إسرائيل لا تعرف هل جنودها الثلاثة أحياء في لبنان أم قتلى وسيتم مبادلة جثثهم.

وافقت إسرائيل على شروط حزب الله ما عدا الإفراج عن الأسير سمير محمد القنطار الذي حكم عليه عام ١٩٧٩ بالسجن ٥٤٢ عامًا بسبب قتله مدنيين إسرائيليين. إلا أن الحزب طالب بالإفراج عنه ضمن قائمة الأسرى. لكن أصر البعض في إسرائيل على عدم الانصياع لشروط حزب الله، وهددت إسرائيل في ١٠ نوفمبر ٢٠٠٣ باختطاف حسن نصر الله نفسه، مما عطل إتمام الصفقة.

وفي يوم الأحد ٢٥ يناير ٢٠٠٤، أعلن من خلال الفضائيات العربية أن إسرائيل وحزب الله اتفقا على مبادلة الأسرى بينهما، أربعة إسرائيليين لدى حزب الله،

وأكثر من ٤٠٠ أسير لبناني وفلسطيني في سجون إسرائيل . وأن عملية المبادلة التي يتوسط فيها الألمان ، ستتم خلال أيام قليلة .!!

المبادلة

وفي يوم الخميس ٢٩ من يناير ترددت في جنبات الكرة الأرضية أنباء الصفقة، وكشف حزب الله للمرة الأولى أن الجنود الإسرائيليين الثلاثة الأسرى لديه كانوا قتلى، وأن رفاتهم ستسلم في نعوش سهلة الفتح لإمكانية التحقق من هوياتهم .

وضعت اللمسات الأخيرة لعملية التبادل، والتي شملت أكثر من ٤٠٠ أسير فلسطيني، و٢٤ لبنانيًا، و٣ سوريين، و٣ مغاربة، والليبي وسام الجلاد فلسطيني الأصل، وألمانيًا واحدًا. شملت الصفقة أيضًا تسليم إسرائيل خرائط ألغام لمناطق في الجنوب اللبناني، و٥٩ من رفات الشهداء اللبنانيين الذين سقطوا خلال قيامهم بعمليات مقاومة للاحتلال.

وحتى صباح اليوم المقرر لإتمام عملية المبادلة، لم يكن قد تم الإعلان بعد عن القائمة الكاملة للعائدين، حيث أصر الجانب الألماني الذي قام بالوساطة بين الطرفين، على تكتم أنبائها بشدة، خاصة وأنه رأى أن عرقلة المفاوضات طوال العامين الماضيين كانت بسبب التسريب الإعلامي. ومنذ صباح اليوم السابق لعملية المبادلة كان كل طرف قد بدأ في تجهيز ما لديه والذي اتفق على تسليمه

ففي إسرائيل كان يتم تجميع الأسرى الذين سيشملهم الإفراج[1] استعدادًا للانطلاق. وفي بيروت، وحتى ذلك الوقت كان حزب الله ما زال يتكتم مصير الجنود الإسرائيليين الثلاثة، والذين تم أسرهم جرحى في مزارع شبعا ولم يكن أحد يعرف بالتأكيد هل هم أحياء أم قتلى. كذلك بدأ تجهيز ضابط الاحتياط الإسرائيلي الأسير العقيد (الحنان تننباوم)، والذي قام الحزب بشراء ملابس جديدة له تناسب عملية الإفراج عنه.

---

(١) تم تجميع الأسرى في سجن ديمونيم شمال تل أبيب تمهيدًا لنقلهم إلى مطار بن جوريون .

بدأت (المرحلة الأولى) من عملية التبادل الفعلية في الدقائق الأولى من صباح الخميس ٢٩ يناير ٢٠٠٤، عندما غادرت مطار بن جوريون إلى مطار كولون العسكري الطائرة الألمانية، تحمل على متنها ٣١ من الأسرى العرب غير الفلسطينيين (٢٣ لبنانيًا[١]، وثلاثة سوريين (طلبوا حق اللجوء لألمانيا)، وثلاثة مغاربة[٢]، وليبيًا واحدًا[٣]، بينهم أسير ألماني يدعى ستيفان سميريك[٤] (أسلم وأصبح اسمه: عبد الكريم).

من جهة أخرى، هبطت بمطار بيروت في التوقيت نفسه طائرة نقل عسكرية ألمانية، لنقل الضابط الإسرائيلي الأسير، وجثث الجنود الثلاثة. وتزامن هبوط الطائرة مع تصريح لـ "حزب الله" عبر قناة المنار، في أول اعتراف رسمي للحزب، بأن الجنود الثلاثة هم أموات. وبثت المحطة مقابلة خاصة مع العقيد تننباوم، تضمنت لقطات له في غرفته يجهز أغراضه، اعترف فيها بأنه وافق على المجيء إلى لبنان، سعيًا وراء معلومات عن الطيار الإسرائيلي رون آراد، الذى اختفت آثاره بعدما أسقطت طائرته الحربية بالقرب من صيدا عام ١٩٨٦ م.

---

(١) هم: عبد الكريم محمد عبيد، مصطفى ديب الديراني، حسن محمد العنقوني، جواد علي قصفي، أنور محمد ياسين، مصطفى عبد الكريم حمود، فادي أحمد الجزار، علي حسن بلحص، يوسف عبد الكريم وزني، إبراهيم إسكندر أبو زيد، سالم محمود سنكري، حسين سنكري، حسين دياب أويظة، ديب محمد أويظة، فادي مروان عواد، فوزي محمد أيوب، جهاد رضى شومان، عساف إلياس نجيب عساف، ميخائيل عطا الله نهرا. هؤلاء الـ١٩ هم الأسرى المكرمين في مطار بيروت، وفي مجمع سيد الشهداء في الرويس، حيث أقام حزب الله احتفالاً حاشدًا لهم، وعلقت صورة لسمير القنطار على جدار القاعة. هذا.. بينما غاب خمسة عن الاحتفال التكريمي، بعدما تقرر إحالتهم للقضاء اللبناني للتحقيق معهم في جرائم جنائية ارتكبوها، وهم: محمد مصطفى الغرمتي، المتهم بالتعامل مع الإسرائيليين منذ عام ١٩٨٢، وعلي محمد حسين برو، وفؤاد سليم، وجان يوسف جريس، وفادي عليان. حيث كانوا يمضون عقوبة في السجون الإسرائيلية بتهمة تهريب المخدرات والإتجار بها. وفيما قرر فؤاد سليم البقاء في إسرائيل، وطلب فادي عليان اللجوء إلى ألمانيا، أبقى على الثلاثة الآخرين في الطائرة حتى الانتهاء من الاحتفال، ثم اقتيدوا إلى الجهات القضائية المختصة.

(٢) هم: علي السنوسي، وزكريا بوما، وسعيد سعدا.

(٣) فلسطيني تقيم أسرته بغزة. رفضت سلطات الاحتلال دخوله للقطاع لأنه يحمل جواز سفر ليبي.

(٤) رفض النزول من الطائرة في ألمانيا، وأعلن في حديث تليفزيوني أنه أشهر إسلامه ويريد العيش مع اللبنانيين. كان سيميريك قد اعتقلته إسرائيل عام ١٩٩٧ بتهمة إعداد عملية استشهادية.

في المطار بدأ تننباوم يسير وسط حراس مدنيين من الحزب إلى الطائرة، فيما وضعت نعوش الجنود الثلاثة على أرض المطار تمهيدًا لنقلها إلى الطائرة. وقام طاقم ألماني متخصص جاء مع الطائرة بفحص الجثث استنادًا إلى بصمات الأسنان بغرض التعرف عليهم أحياء أو قتلى .

وفي ألمانيا قام متخصصون إسرائيليون بتحليل سريع للجثث باستخدام الحامض النووي، بينما تعرف وفد حزب الله على الأسرى اللبنانيين، وبعد تلقيه موافقة كل طرف، لم يكن أمام الدكتور أوجست هاننج رئيس جهاز الاستخبارات الألماني، والمشرف على عملية التبادل، سوى إطلاق إشارة التبادل وإتمام العملية.

أقلعت الطائرة الإسرائيلية التي تحمل الجثث والعقيد الإسرائيلي باتجاه تل أبيب، أما الطائرة المدنية اللبنانية المتجهة بالأسرى إلى بيروت فقد تعطلت لأكثر من ساعتين، بسبب عدة مواقف. فالأسير الألماني ستيفان سيمريك رفض النزول في مطار كولون ودخول ألمانيا، وطنه، مطالبا سلطات بلاده بالموافقة على مرافقة الأسرى العرب. رفض طلبه، وسجل معه التليفزيون الألماني ، حيث اعترف بأنه أشهر إسلامه، معتزًا بدينه وباعتباره دين الحق، وأنه يتمنى الشهادة في سبيل الله.

والمفاجأة الثانية ، أن اثنين من اللبنانيين ، هما فؤاد سليم وفادي عليان رفضا السفر إلى بيروت. الأول طلب البقاء في إسرائيل، والثاني طلب حق اللجوء السياسي لألمانيا. وقيل : إنهما تصرفا هذا التصرف المفاجئ بعد علمهما بأن السلطات اللبنانية ستحاكمهما على التهم الجنائية في قضايا مخدرات وغيرها .

وقبيل المغرب ، كانت الطائرة تهبط بمطار بيروت الدولي. وكان أول المغادرين لها رئيس جهاز الاستخبارات الألمانية، ثم توالى هبوط الأسرى اللبنانيين (الـ١٩)، حيث اصطف حرس الشرف وقوات رمزية من الجيش أدت لهم التحية العسكرية، وقام رئيس الجمهورية إميل لحود ورئيس الوزراء رفيق الحريري والشيخ حسن نصر الله

وباقي كبار المستقبلين بتحيتهم، ليدخلوا بعدها إلى قاعة الاستقبال حيث عائلاتــهم. وفي تلك اللحظة اختلطت المشاعر التي غلبتها دموع الفرح .

هكذا امتلأت الصدور غبطة وجاء عيد الأضحى أكــثر ابتــهاجا. لقـد اختفـى عـن الأضواء ذلك الفدائي البطل، الـذي اسـتدرج ضـابط الموسـاد إلى مصيـدة حـزب الله، بزعم جمع معلومات كان الغرض منها في النهايــة، هـو التخلـص مـن الشـوكة الـتي وقفت في حلق إسرائيل، المتمثلة في الشيخ حسن نصر الله .!!





اغتيال الطيارين العراقيين الثلاثة ..!!

وبينما أمريكا تمد إسرائيل بأحدث الأسلحة لتكون لها اليد الطولى في المنطقة العربية، فوجئت بالسوفييت وقد زوَّدوا مصر وسوريا والعراق بالطائرة الخرافية (ميج ٢١)، والتي قلبت ميزان القوى عن آخره في المنطقة .

لذا .. كان هناك سعي محموم لاختطاف واحدة منها لفك ألغازها ، والوقوف على أسرار قوتها . وتطلب هذا الأمر مطاردات للطيارين العرب لتجنيد أحدهم.. وكانت مطاردات حتى الموت..!!

في الستينيات من القرن العشرين، كان الصراع على أشده بين القوتين العظميين، الاتحاد السوفييتي وأمريكا، ولم تكن هناك فرصة ، ولو ضئيلة، لالتقاط الأنفاس داخل أجهزة مخابرات البلدين .

كان هناك أيضًا سباق محموم في تكنولوجيا التصنيع العسكري والتسليح، لأجل السيطرة، والتفوق، والتميز ، والهيمنة

فالسوفييت يلعبون بأوتار أحلام دول العالم الثالث ، وتطلعاتهم نحو الاستقلال الاقتصادي والرخاء. بينما حكام واشنطن، والغرب من خلفهم، يسعون للحد من المد الشيوعي، خاصة في منطقة الشرق الأوسط، ويعملون على التغلغل داخل رءوس قاطني الكرملين، هؤلاء الكهول ذوي الوجوه الجامدة الغامضة

وكان من المنطقي ، تبعًا للعبة المصالح ، أن يتحول التنافس بين الشرق والغرب إلى حرب خفية ، حرب أدمغة يديرها رجال أذكياء مهرة، لاستكشاف نقاط الضعف والقوة، وصنع المستحيل للوصول إلى أسرار الخصم .

فمنذ أن ضربت الولايات المتحدة اليابان بالقنبلة الذرية، والسوفييت لا ينامون أو يستقر لهم بال، وسعوا بشتى السبل للحصول على أسرار تلك القنبلة، وتصنيعها، إلى أن تمكن روزنبرج، الشيوعي الأمريكي مقابل ألف دولار، وبمعاونة زوجته، من سرقة ملف كامل عن المعادلات الكيميائية المعقدة، يتضمن تصاميم القنبلة، وسلمه للروس عام ١٩٥٣ إبان حكم ستالين، ووفر عليهم بذلك سنوات طويلة شاقة من العمل والبحث والتجريب .

لكن فى أول مايو ١٩٦٠ ، أسقط الطيارون السوفييت طائرة التجسس أمريكية طراز U-2 [١] ، التي تضم أحدث ما وصل إليه العلم من ابتكارات ، أهمها كاميرات

---

(١) عندما فجَّر السوفييت القنبلة الهيدروجينية عام ١٩٥٣ ظهر خلل كبير في ميزان التسلح لدى الأمريكان، وبعدها بأشهر معدودة، شاهد المراقبون الأجانب في العرض العسكري السوفييتي، قاذفات جديدة ذات مدى بعيد، وهي من نوع M4 ، وتوازيها في أمريكا B-52 التي أنتج منها حينذاك طائرة واحدة فقط، وسمي هذا =

غاية في التعقيد، تلتقط الصور على ارتفاع آلاف الأميال بدقة متناهية وبوضوح مذهل، بينما تطير بسرعة ألف كيلومتر في الساعة

كان قائد الطائرة – النقيب فرانسيس جاري بورز – مطمئن للغاية وهو يحلق في أجواء الاتحاد السوفيتي، فقد طمأنه رؤساؤه أنه لا الصواريخ ولا المدفعية المضادة تستطيع أن تلحق بطائرته الأذى. وبالرغم من ذلك، شملت أدواته إلى جانب المسدس، كبسولة صغيرة معبأة بالسم، طلب منه أن يتناولها على وجه السرعة عند اللزوم. لكن بورز لم يفكر بالانتحار، وهو يقفز بالباراشوت ويمسك به الأهالي، ويعترف للسوفييت بأنه طار فوق أجوائهم مرات عديدة من قبل، وكانت مهامه الأساسية هي الحصول على صور لمواقع الصواريخ، والمطارات التي ترابض بها طائرات (ميج ٢١).. بالذات(!!).

وكان السؤال

– لماذا الطائرات ميج ٢١ .. ؟

– ولماذا لا تكون طائرات السوخوي الاعتراضية Su-11 ..؟

= الفارق بالفجوة في مجال القاذفات. ورأت الولايات المتحدة وقتها أنها بحاجة ماسة إلى معلومات حول حقيقة مستوى إمكانات القاذفات السوفييتية، ومدى تقدم برنامج الصواريخ، وتبين صعوبة تكشف معلومات موثوقة من مجتمع مقيد. وأمام هذه المشكلة برز التجسس الأمريكي على السوفييت من الجو. وكان لدى الأمريكان طائرة تجسس من نوع RB47 لكن مشكلتها أنها كبيرة الحجم وأقصى ارتفاع لها هو ٤٠ ألف قدم مما يجعلها هدفا سهلا للصواريخ المضادة للطائرات، بالإضافة إلى أنها لا يمكنها الاقتراب من الأهداف الحيوية جدا، كمراكز تجارب الصواريخ البالستية العابرة للقارات، والتي تخبأ بعيدا داخل الاتحاد السوفييتي. فماذا كان السوفييت يفكرون.؟ هل كانوا يخططون لضربة مفاجئة ضد الولايات المتحدة..؟

هذا بالضبط ما كان يشغل الرئيس الأمريكي إيزنهاور، لذلك أنشئت هيئة للضربة الفاجئة التي أوصت بأسرع ما يمكن بالتجسس من الجو فوق الاتحاد السوفييتي، وعهد إلى المهندس كليرنس جونسون بشركة لوكهيد، بابتكار طائرة تقوم بتلك المهمة.. على أن يكون الارتفاع الشاهق هو الأساس في التصميم، بحيث لا يقل عن ٧٠ ألف قدم (حوالي ٢٥ كيلومترا) حيث كان السوفييت لا يملكون صواريخ أرض/جو تطول هدفا صغيرا طائرا لأزيد من ٥٠ ألف قدم، كما أنه ليست لديهم طائرات حربية نفاثة تصل لهذا الارتفاع. وعلى مدار سنوات بداية من نوفمبر ١٩٥٤، ظلت U-2 تتجسس على السوفييت دون أن تقدر دفاعاتهم على إسقاطها، حتى طوروا أسلحتهم وأسقطوا الطائرة فأربكوا الأمريكان، وقال قائد الطائرة– بورز– فيما بعد أنه أصيب بصاروخ انفجر بالقرب منه، مما أدى إلى الاعتقاد بأن الطائرة ميج هي التي أصابته، ولم يكن معروفا وقتها أن هناك طائرة حربية سوفييتية تستطيع أن ترتفع لـ٧٠ ألف قدم، لذلك دهش الأمريكان وجن جنونهم .

– أو طائرات سوخوي المقاتلة STOL ..؟

– أو قاذفات توبولوف TU-16 ، التي طار تشكيل منها مكون من ٥٤ طائرة فوق موسكو يوم الطيران السوفييتي عام ١٩٥٩..؟

وفي الولايات المتحدة كان حادث إسقاط الطائرة U-2 [1] محيرًا، فالطائرة بارتفاعها الشاهق كانت بعيدة عن صواريخ السوفييت الأرضية، وعن مجال صواريخ طائراتهم الاعتراضية أو القاذفة . لذلك تشككوا في قدرة السوفييت العسكرية، وأيقنوا بأن الطائرة ميج ٢١ – المجهولة قوة ومهارة وتسليحًا بالنسبة لهم – أدخل عليها السوفييت تقنيات جديدة معقدة، فتفوقت بذلك على طائراتهم سكاي هوك SKY HAWK والفانتوم PHANTOM ، بل وعلى الطائرات الفرنسية ميراج MIRAGE-III-C الجبارة .

أرقام قياسية

وفي الوقت الذي تأزمت فيه العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن وموسكو، خاصة بعدما صرَّح الرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور (١٩٥٣ – ١٩٦١) ، في تبجح منقطع النظير، أن الطيران فوق الاتحاد السوفييتي هو من صميم السياسة الأمريكية، سعت المخابرات المركزية C.I.A للتوصل إلى أسرار تلك الطائرة الخرافة، ميج ٢١ ، مهما كلفها ذلك، حتى تظل الولايات المتحدة في الصدارة عسكريًا، وسياسيًا، واقتصاديًا، وعلميًا. لكن التفوق السوفييتي في مجال تكنولوجيا تصنيع الطائرات الحربية، كان

---

(١) الطائرة U-2 مركبة غريبة المنظر، لها فتحة جانبية بعرض ٨٠ قدمًا بحيث تظهر كأنها جناح واحد طويل بدون جسم، ولها محرك واحد فقط وضع في الذيل، وكان مظهرها يخفي الكثير من إمكاناتها التي تفوق الوصف. إذ كانت خفيفة جدًا ويمكن تفكيكها ووضعها في صندوق شاحنة، وقد استغنى تصميمها عن كل ما يزيد من وزنها، كالأجهزة الهيدروليكية مثلا للعجلات ولغطاء الكابينة، وكانت الطائرة – وهذا هو الأغرب – ذات عجلتين فقط، في الأمام والخلف، كالدراجة الهوائية تماما، ولكي لا تميل على أحد جناحيها أثناء الإقلاع، زودت بعصى مع عجلات في الطرفين، وكان رجلان من الطواقم الأرضية يتعلقان بجناحي الطائرة، حتى عندما تصل إلى سرعة معينة، يقفز الرجلان إلى الأرض فترتفع الطائرة. أما في الهبوط، فلا بد للرجلان أيضًا أن يقفزا إلى طرفي الجناحين، بطريقة شبه بهلوانية، لوضع أجهزة التثبيت من جديد. وقد أعطيت الطائرة اسم Utility-2 في البداية، واختصر إلى U-2، وأطلق المهندسون اسم الملاك Angle على الطائرة من أجل تأمين السرية المطلقة، واسم Skunk Works على مستودع التصنيع، وهو اسم حيوان أمريكي نتن الرائحة.

يشكل كابوسًا مزعجًا، ليس لأمريكا فحسب، بل لدول حلف الأطلسي (الناتو)، ولإسرائيل أيضًا.

فبينما تمد أمريكا إسرائيل بأحدث مبتكراتها التسليحية، لتكون لها اليد الطولى في الشرق الأوسط، زود السوفييت كلا من مصر وسوريا والعراق بالطائرة الأسطورة، ميج ٢١، فقلبت بذلك ميزان القوى عن آخره في المنطقة، ولوَّح العرب بقوتهم وسيطرتهم على الأجواء، وبأن يدهم لن تُغل، بل ستطول إسرائيل، وسترد لها الصاع صاعين.

هكذا تحولت منطقة الشرق الأوسط إلى ما يشبه حلبة صراع بين القوتين العظميين، واستعراض للقوة التسليحية بين الشرق والغرب.. وكانت هناك رغبة ملحة، بل وجامحة، للحصول على إحدى طائرات الـ (ميج ٢١)، تهديها إسرائيل لأمريكا لتكشف خبايا قوتها، من خلال تجنيد طيار عربي مغامر، يقبل الهرب بطائرته إلى إسرائيل مقابل مليون دولار أو ضعف هذا المبلغ عدة مرات.

لكن.. قبلما نخوض في الخطط المخابراتية المشتركة بين الموساد والـ C.I.A، لاختطاف الميج ٢١ بواسطة إغراء أحد طياريها من العرب، أرى من الأصوب أن نستعرض أولاً تلك الطائرة اللغز، وقدراتها القتالية والمهارية الخارقة، تلك التي حيرت العقول في أمريكا وإسرائيل، ودول حلف الأطلسي.

فالطائرة المقاتلة - MIG-21 حقق بها السوفييت أرقاما قياسية لم تكن مألوفة من قبل، واعترفت بها المنظمة العالمية للطيران. إذ طار الكولونيل جورجي موسولوف بطائرة من طراز - E-66 - وحقق بها معجزة عالمية للسرعة في أكتوبر ١٩٥٩[1]، مقدارها ٢٣٨٨ كم/ساعة (١٤٨٤ ميلاً)، طوال مسافة ١٥ إلى ٢٥ كيلومترا، وكانت الطائرة مزودة بمحرك توربيني نفاث، من نوع TDR MKR 37F

---

(١) في ذلك التاريخ لم يكن بمقدور الطائرات السوفييتية الطيران لارتفاع مناسب يمكنها من إسقاط طائرة التجسس الأمريكية U-2، برغم ظهورها على شاشات الرادار. ففي صمت استطاعوا تطوير الميج ٢١ بشكل مفاجئ مكنهم من الارتفاع العالي وإسقاط الـU.2 في أول مايو ١٩٦٠. لذلك.. فقد كانت العروض الجوية هذه أحد أنواع استعراض المهارات وإظهار القوة، للجم الأمريكيين والغرب الأوروبي على حد سواء، وإشعارهم بمدى عجزهم أمام التطور التكنولوجي السوفييتي في مجال تصنيع الطائرات المقاتلة..!!

وفي ٢٨ أبريل عام ١٩٦١ تمكن موسولوف أيضًا أن يصل إلى ارتفاع خارق، حطم به الأرقام العالمية، وبلغ ١١٣,٨٩٢ قدما ، أي ما يوازي ٣٤,٧١٤ كيلومترا ، وهو رقم تعجيزي لم يتحطم لسنوات طويلة، وذلك عندما زودت الطائرة بمحرك صاروخي إضافي مساعد.

لكن المثير والمحير بحق ، أنه خلال عرض جوي بمطار (دومويدوفو)، قامت الطائرة ببيان عملي للإقلاع، وتفجرت مفاجأة صاعقة للعقول العسكرية في الغرب، عندما أقلعت الطائرة بعد مسافة جري على الممر ١٥٠ مترًا فقط، في حين أن الطائرتين الأمريكيتين سكاي هوك وفانتوم، تلزمهما على التوالي مسافة ١٤٤٥، ١٥٢٥ مترًا للإقلاع، أما المقاتلة الفرنسية - ميراج ٣ - التي كانت تتباهى إسرائيل بامتلاكها، فكانت تحتاج لمسافة ١٦٠٠ متر لكي تقلع .

ليست هذه فقط كل ميزات الطائرة السوفييتية، فقد حققت أرقامًا قياسية أخرى مثيرة،اعتمدتها المنظمة العالمية للطيران، كالرقم القياسي للطيران بسرعة ٢٠٦٢ كم/ ساعة في دائرة مغلقة طولها ٥٠٠ كم، بقيادة الآنسة (مارينو سولوكيافا)، ورقم قياسي آخر للطيران بسرعة ١٢٩٨كم / ساعة ، في دائرة مغلقة طولها ١٠٠ كم حققته الطيارة (لدازا يتسيفا). وبلغت أقصى سرعة مستوية للطائرة ٢ ماخ[1] ، وكانت بمقدار النصف، في ذلك الوقت، عند السكاي هوك، و١,٤ للفانتوم، و١,٥ للميراج.

أما قياسات الطائرة الميج ٢١ ، فكانت أبعادها - بالإضافة لإمكاناتها المذهلة - نقطة أخرى تضاف إلى ميزاتها، ولغز تصنيعها العبقري المحير. إذ كان عرض جناحيها ٧,٦٠ متر ، وطول جسمها ١٦,٧٥، وهو ما لم يتوافر لطائرات الولايات المتحدة العاملة أو طائرات فرنسا .

لكل ذلك.. تحولت الميج ٢١ السوفييتية إلى لغز الألغاز، وتقف طائرات حلف الأطلسي أمام جبروتها عاجزة، مريضة ، لا تقوى على مجابهتها، أو الالتحام معها

---

(١) الماخ (سرعة الصوت) مقداره ٧٣٨ ميلاً / ساعة .

في معركة جوية. فالطائرة صممت كطائرة قتال قاذفة واعتراضية، يتمكن طيارها المتمرن من التحليق بها خلال ثلاثون ثانية فقط، واعتراض طائرات العدو والاشتباك معها بعد ارتفاعها مباشرة عن الأرض، وتمتلك قدرة عجيبة على الدوران في سرعة خارقة، وفي أي اتجاه، مما لا يتوافر لأية طائرة أخرى، بالإضافة إلى سرعة انقضاضها المذهلة مع دقة الإصابة.

وطيس المعركة

هذه الميزات كانت موضوعة بين أيدي الطيارين العرب، وتفتقر إليها إسرائيل، لذلك كانت هناك رغبة عارمة، وتصميم أكيد، على تكشّف أسرار الميج ٢١ عن قرب، فقد رجحت كفة العرب بامتلاكها، واختل ميزان القوى في المنطقة، وتصور حكام إسرائيل أن نهاية دولتهم أصبحت وشيكة، إذا ما أقدم جيرانها على ضربها.

فهل رضيت أمريكا بعجزها أمام التفوق السوفييتي في تكنولوجيا الطيران..؟ وهيمنة العرب بالتالي على الأجواء في الشرق الأوسط..؟

بالطبع لا.. فالصراع على الغلبة والتميز والسيطرة على ما بين الشرق والغرب، صراع شرس لا يهدأ، وانتصار العرب على إسرائيل بالسلاح السوفييتي، معناه دحر السلاح الأمريكي والغربي، وهذا ما لم تقبله أمريكا.. أبدا.

لذلك..كان هناك تنسيق مستمر بين الـ C.I.A والمخابرات الإسرائيلية، لاختطاف إحدى طائرات الميج ٢١ العربية[1] ، للوقوف على خفايا قوتها، ونقاط الضعف فيها، بما يضمن تلافي خطرها، والعمل على تحديث تكنولوجيا الطيران لزيادة الكفاءة، والارتفاع بمستوى الفعالية القتالية إلى مراحل متقدمة، تفوق النجاح السوفييتي وأدمغة خبرائه. وأخذت الحرب السرية تشتعل ضراوة وقسوة، خاصة بعد حادث إسقاط طائرة التجسس الأمريكية U-2 فوق روسيا.

---

(١) سبق لإسرائيل أن حصلت على إحدى طائرات الجيل الأول من الميج ، وكان ذلك عام ١٩٥٦ م ، عندما استولت على طائرة ميج ١٧ سليمة تماما داخل حظيرة بمطار حربى فى سيناء لكن شتان ما بينها وبين الميج ٢١ من حيث القوة والشراسة والإمكانات . وتردد أن إسرائيل استخدمت هذه الطائرة عام ١٩٦٧ م فى حربها مع العرب .!!

وفي القاهرة حدثت واقعة غريبة

كان ذلك في نهاية عام ١٩٦٠ ، عندما أعدم الجاسوس الإسرائيلى جان ليون توماس[١] – وهو أرمني الأصل يحمل الجنسية المصرية – وأعلن حينها عن تجسسه لصالح الموساد، واعترافه أثناء محاكمته أن الإسرائيليين أغروه بمكافأة ضخمة، في حالة تمكنه من تجنيد طيار حربي مصري، يقبل الهرب لإسرائيل بطائرته الميج ٢١، مقابل مليون دولار. وأن قائد سلاح الجو الإسرائيلي– عيزرا فايتسمان[٢] – كان يلح في الحصول على هذه الطائرة التي يرعب بها العرب إسرائيل، وإهدائها سليمة للأمريكان لفحصها. لكنه – أي توماس – فشل في العثور على طيار مصري خائن، برغم الإغراءات التي كان الإسرائيليون يلاحقونه بها باستمرار

لقد وضعت في إسرائيل تصورات لعدة طرق مختلفة، اشترك فيها رؤساء أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والخبراء المعنيون، وبعض ضباط الـ C.I.A ، للحصول على الميج ٢١ المتقدمة، ومن بينها عرضت فكرة اعتراض طائرة مصرية أو سورية، وإجبارها على الهبوط في إسرائيل، لكن رُفضت الفكرة، لأن إسرائيل لا تمتلك طائرات تماثل الميج ٢١ قوة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، عرضت آراء توضح أن الطيارين العرب تمرنوا في الاتحاد السوفييتي على قيادة الميج بمهارة، تضمن لهم التفوق والغلبة في حالة اعتراض تشكيل جوي إسرائيلي، وبالتالي ستكون الخسارة في الطائرات الإسرائيلية وطياريها، هزيمة ساحقة سيتغنى لها العرب .

---

(١) في ٢٥ أكتوبر ١٩٦٠ أصدرت محكمة أمن الدولة العليا، التي تشكلت بالقرار الجمهوري رقم ٧١ لسنة ١٩٦٠، حكمها بإعدام ثلاثة من المصريين، بينهم جان ليون توماس، وبالأشغال الشاقة على آخرين، عملوا لصالح المخابرات الإسرائيلية. وكانت جلسات المحاكمة الـ (٨٣) قد استغرقت ستة أشهر وبلغ عدد صفحات القضية ستة آلاف صفحة، وأدلى ٩٥ شاهدا بأقوالهم منهم الخبراء والفنيين. أما عدد المتهمين في قضية التجسس التي عرفت باسم (شبكة توماس) فبلغ ١١ متهما مصريا، و٦ من الأجانب، ودافع عنهم ٣٣ محاميا.

وفي إسرائيل تشكلت لجنة تحقيق ، لدراسة أسباب سقوط شبكة توماس، التي كانت تمثل وقتذاك مصدرا حيويا لتدفق المعلومات الاستراتيجية لإسرائيل، وأيضا، الأمل الوحيد المتبقي لإسرائيل في الحصول على الميج ٢١ من مصر. تفاصيل العملية جاءت بكتابنا (جواسيس الموساد العرب، أشهر ٢٥ جاسوسًا).

(٢) عيزرا فايتسمان: تولى بعد ذلك منصب وزير الدفاع الإسرائيلي، وكان عمه حاييم فايتسمان Chaim Weizmann أحد علماء الكيمياء الذى ابتكر الكثير من المواد السامة والغازات القاتلة، وسرق بعضها من العلماء الألمان، وكوفئ بمنصب أول رئيس لإسرائيل حتى توفى عام ١٩٥٢.

أما الفكرة الثانية، وكانت فكرة ساذجة غبية، يستحيل تنفيذها على أرض الواقع، فكانت تحبذ السعي لزرع عميل طيار في أحد أسلحة الجو العربية . وبعد مناقشات حامية، رفض الاقتراح أيضًا، فقد كانت نسبة نجاحه لا تتعدى ١٪ ، بالإضافة إلى أن الأمر قد يستغرق سنوات طويلة، وهذا ليس في صالحهم.

لم يكن أمامهم إذن إلا اقتراح واحد، أجمعوا عليه بلا استثناء، وهو تجنيد طيار عربي وإغراؤه بمبلغ كبير، للهرب بطائرته إلى إسرائيل. كان الأمر يحتمل النجاح بنسبة ٢٥٪، لكن المشكلة كانت في عامل الوقت، فالمنطقة العربية في حالة غليان، والحرب قد تقع في أية لحظة فجائية، إذا ما أنهى عبد الناصر حرب اليمن منتصرا، وعادت قواته إلى الجبهة أكثر تمرسا، على الحرب، تساعدها السيطرة الجوية، والتفوق العددي، والروح المعنوية العالية والإحساس بنشوة الجهاد.

من هنا.. اتفق الجميع في إسرائيل من رجال المخابرات العسكرية، والموساد، وخبراء العمليات الحرجة، وضباط الـC.I.A، على ضرورة التنسيق المعلوماتي والاستخباراتي، من أجل تحقيق الهدف الحلم .

ولم يكن الأمر سهلا ألبتة، إذ واجهت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية مشكلة إغراء طيار عربي، نظرًا لأن الحكومات العربية توفر لطياريها حياة هادئة، وتمنحهم وأسرهم تسهيلات عديدة في التعليم والعلاج، وتضمن لهم راتبًا عاليًا يفوق أقرانهم الضباط في الأسلحة الأخرى، فأبعدتهم بذلك عن أية توترات، تتصل بالمعيشة أو بالمستقبل، وأغدقت عليهم رعاية خاصة، ووضعية تحيطها هالة من وقار سدَّت بها كل الحيل أو الثغرات التي يمكن الوصول إليهم من خلالها.

وبالرغم من الصعوبة القصوى التي واجهت أجهزة مخابرات إسرائيل، إلا أن رجالها لم ييأسوا في السعي إلى مبتغاهم، لإنجاح التصور الأخير الذي كانت نسبة نجاحه الكبيرة مغرية، إذا ما توافرت عدة أشياء حيوية للغاية، أهمها جمع أكبر قدر من المعلومات، الاجتماعية والسلوكية، عن الطيارين العرب في مصر وسوريا والعراق، واللعب على وتر الأقليات والعقائد.

هكذا نشطت لديهم الفكرة، وشرعوا في البحث عن كل معلومة ، وإن بددت تافهة ، عن طياري الدول الثلاث، من خلال عملائهم في العواصم العربية، وما تنشره الصحف العربية في صفحات النعي والاجتماعيات .

ولأجل هذا.. استحدثت المخابرات الإسرائيلية بشتى أجهزتها، وإمكاناتها، أجهزة كمبيوتر جبارة، حوت ملفات عن مئات من الطيارين العرب، حتى أن المسئولين عن هذه الملفات، أجادوا تصنيفها، بالشكل الذي يتمكنون بواسطته من تحليل هؤلاء الطيارين نفسيا، وأيديولوجيا، واجتماعيا، والتغلغل إلى أعماقهم في سهولة، من خلال فريق عمل يضم أبرز أساتذة علم النفس.

حمى إذن وطيس المعركة.. وأمام رغبة قائد سلاح الطيران- عيزرا وايزمان- في الحصول على الميج ٢١ الخرافة، وهي أيضًا رغبة القيادة السياسية والعسكرية في كل من إسرائيل وأمريكا، لم يدخر رئيس الموساد مائير عاميت جهدًا في إطلاع عملاء الموساد في كل من مصر والعراق وسوريا، وحثهم على ضرورة البحث عن طيار عربي لتجنيده.

وفي انتظار تحقيق المعجزة ، حدثت عام ١٩٦٤ واقعة غريبة لم تخطر على بال، إذ هرب إلى إسرائيل طيار مصري مختل العقل اسمه عباس حلمي.. وكانت طائرته التي هرب بها لا تساوي شيئا.. فهي طائرة تدريب سوفييتية قديمة جدا من طراز (ياك ١٥) ذات مقعدين.

وبرغم خيبة الأمل التي أصابت الإسرائيليين بسبب نوع الطائرة، إلا أن الطيار المشوش العقل استقبل بحفاوة بالغة في إسرائيل، واستغل حادث هروبه[1] أسوأ

---

(١) حادثة هروب الطيار عباس حلمي لم تكن الأولى من نوعها في مصر، ففي عام ١٩٤٠ هرب الضابط الطيار سعودي حسين في طائرة حربية من طائرات سلاح الطيران الحربي المصري، وكان برفقته على الطائرة مساعده رضوان محمد سالم، وتبين فيما بعد أنهما في ألمانيا . هذا ما أكده الجاسوس الألماني هانز جيبلر الذي اعتقل في مصر عام ١٩٤١ ، حيث كان قد وصل القاهرة سرًا في طائرة خاصة تحمل شارة سلاح الجو البريطاني وهبط بها في الليل بصحراء الأهرام، وكانت مهمته التجسس على القوات الإنجليزية في مصر تمكن جيبلر من الالتحاق =

استغلال في التشهير بالنظام في مصر، فقد ادعوا أن عباس حلمي هرب احتجاجًا على تدخل مصر في اليمن، وضرب القوات الملكية هناك بالغازات السامة، وبالأسلحة غير المشروعة دوليًا، مما أثَّر على أعصابه وعلى إيمانه بالقومية العربية، وبالعروبة

أخضع عباس محمود حلمي لاستجواب دقيق، وسئل مئات الأسئلة، حيث لم يكن بمقدوره ادعاء الجهل بأشياء كثيرة تتعلق بأدق التفاصيل عن الميج ٢١، فقد كان أحد طياريها، وأدرك بعد فوات الأوان، أنه ارتكب جريمة الخيانة العظمى في حق وطنه، لذا، فقد كان عليه أن يستغل معلوماته العسكرية للحصول على الأمن والحماية أولاً، ولتحقيق أكبر عائد مادي ثانيًا، بما يكفل له حياة مستقرة في وطنه الجديد.

لقد كان لدى رجال الموساد شكوك حول العملية برمتها، وكبر لديهم هاجس تحسبوا له كثيرًا، وهو أن المخابرات العسكرية المصرية ربما تقوم بخدعة كبرى، وأن إرسال عباس حلمي بطائرة عتيقة لا تساوي شيئًا، لعبة مهارية خارقة من المصريين، لتسريب معلومات مغلوطة عن الميج ٢١، تربك بها حساباتهم ومعلوماتهم (غير اليقينية) عن بعض أسرار الطائرة، ونقاط تميزها.

لذلك.. أعيد سؤال عباس حلمي ذات الأسئلة مرات ومرات، وحيرتهم كثيرا إجاباته الدقيقة التي لم تكن تتغير، لكن مع إصراره العنيد على أنه لا يقول إلا الصدق، لم يكن هناك مفر من عرضه على جهاز الكشف عن الكذب. وبينما الأسلاك الملتصقة برأسه وصدره تتصل بأجهزة رسم المخ، وقياس الذبذبات والنبض، كان ستة

= بإحدى فرق الجيش البريطاني كضابط من ضباطها حتى اكتشف أمره ، وأعدم بالرصاص في القاهرة خلال شهر يناير ١٩٤٢ . المثير للدهشة .. أن الجاسوس الألماني هانز جيبلر كان قد جاء إلى مصر عام ١٩٣٤، وتطوع للخدمة العسكرية بالجيش المصري باسم (حسين جعفر) من سكان شبرا، وكان يحمل أوراقًا رسمية بذلك، وكان أيضًا يتحدث باللغة العربية وباللهجة العامية في طلاقة، وبقى في خدمة الجيش المصري حتى سنة ١٩٣٩. عندما قامت الحرب العالمية الثانية، ثم قفل راجعًا إلى ألمانيا ، ليجيء هذه المرة التي اعتقل فيها وأعدم بواسطة الإنجليز .

من الخبراء الفنيين دفعة واحدة يعكفون على استجوابه، فلا يكاد الواحد منهم يلقي بسؤاله حتى ينطلق آخر بسؤال جديد، وهكذا دواليك لمدة ساعتين ونصف الساعة، حتى تفككت قواه، وبكى بحرقة في يأس طالبا منهم أن يعيدوه إلى مصر، فإعدامه هناك أرحم من العذاب الذي يلاقيه عندهم.

لكن.. لدواعي إعلامية ودعائية ، لم يكن بمقدورهم أن يعيدوه ثانية إلى مصر، وما كان لهم أيضًا أن يتيقنوا من صدقه مائة بالمائة ، فبرغم الرسوم الكهرومغناطيسية للجهاز الأمريكي الصنع، والتي أثبتت أنه لا يكذب، قال بعضهم إن الطيار المصري ربما أعد إعدادًا محكمًا لتلك المهمة، وأنه بواسطة خبراء أكفاء، قد دُرب عليها في القاهرة عشرات المرات، قبل أن يبعثوا به إليهم .

وما إن تلقت الـ C.I.A تقريرا وافيا بما تم التوصل إليه، حتى اتصل رئيس المخابرات المركزية جون ميكون[1] بعاميت، يطلب منه مساعدة فريق من الفنيين، سيبعث به إلى تل أبيب لاستجواب الطيار المصري، واستبيان صدقه من عدمه

ومع أن الشكوك داخل دائرة الموساد كانت غالبة، فقد اعتبر عاميت فرار الطيار المصري ثروة هائلة، ستدفع ربما بأحدهم من طياري الميج ٢١ إلى تقليده.. والهرب بطائرته الأسطورية لإسرائيل. من أجل ذلك .. ترك مصير الطيار المذعور إلى أن يقول الأمريكيين رأيهم النهائي .

---

(١) جون ميكون : الرئيس الرابع للمخابرات المركزية C.I.A وكان رجل صناعة تخصص في بناء السفن قبل أن يعينه جون كنيدي رئيسًا للمخابرات بعد دالاس، حيث تولاها من ١٩٦١ حتى ١٩٦٥. لقد أعاد ميكون تنظيم المخابرات مرة ثانية بعد فشل غزو كوبا، وارتفعت الميزانية في رئاسته إلى عشرة مليارات دولار، كما بلغ عدد العاملين ٢٠٠ ألف في الداخل والخارج من النساء والرجال. وفي عهده حدثت أزمة الصواريخ السوفييتية في كوبا وكادت أن تشتعل الحرب، وفي عهده أيضا ضرب خرشوف المنصة في الأمم المتحدة بالحذاء وهو يتهدد الأمريكان. وعقب اغتيال كنيدي أقاله الرئيس ليندون جونسون وحل محله وليام رابون لأربعة شهور فقط. عين ميكون بعد ذلك مديرا لشركة التليفونات بسنتياجو .C.T.T وهي الشركة التي تجسست على الرئيس سلفادور الليندي، وساعدت على الإطاحة به في سبتمبر ١٩٧٣، فأقيل ميكون عقب الفضيحة وجاء إلى المملكة العربية السعودية كمستشار لإحدى شركات البترول الأمريكية .

كانت الـ C.I.A هي الأخرى، تحمل قـدرا كبـيرا مـن الشـكوك تجـاه الحـدث، وتعلقت بأذهان رجالها صور الخداع التي مورسـت بأساليب تمويهيـة خارقـة أيـام الحرب العالمية الثانية . وأيضا ، التطور الشاسع لجهاز الاسـتخبارات السـوفييتي، والذي قد يكون وراء العملية كلها، لأسباب استراتيجية بحتة، بهدف إحكام إحدى العمليات المخابراتية مع نشوب الحرب الباردة بين الدولتين العظميين .

وجـاءوا به في صــندوق

من مطار اللد[1] في تل أبيـب ، اتجـه فريـق الفنيـين الأمريكـي إلى مقـر الموسـاد الجديد، حيث العشرات من خبرائها انعزلوا عن العالم المحيط بـهم، وعكفـوا علـى دراسة وتحليل كل كلمة تفوه بها عباس حلمي، ومراجعة قياسات وانحناءات جهاز كشف الكذب من جديد.

ولما جيء بالطيار المصري صافحه الأمريكان بود، وأوصلوا رأسه وصدره مرة ثانية بجهاز حديث استقدموه معهم، كان بحجـم حقيبـة السـفر، وذو قياسـات تحليليـة أفضل. وأخضع ثانية لأسئلتهم .

هكذا عُصر الطيار المصـري عصرًا بواسـطة خـبراء الطـيران في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وبعـد سـت سـاعات تقريبـا أنـهوا اسـتجوابهم، وأكـدوا للإسـرائيليين استحالة أن يكون الطيار المصري المنشـق مدسوسًـا عليـهم، فـهو طيـار مـاهر جـدًا، وحاصل على دورات تدريبية عديدة في موسكو، ولا يمكن أن يضحي المصريون بطيار في خبرته، من أجل عملية مخابراتية خداعية

وبإخضاع حلمي للتحليل النفسي بواسطة خبراء متخصصـين، وجـد أنـه أصيـب بصدمة عصبية حادة[2]، انهارت لها أعصابه وبلغ مرحلة الخور Asthenia، نتيجة

---

(١) اللد Lydda قرية فلسطينية كانت تسمى ليديا، وتقع جنوب تل أبيب بمسافة قليلة، وبها الآن مطار ديفيد بن جوريون الدولي. ولد جورج حبش في ليديا عام ١٩٢٥، وشهد مطار اللد أكثر أعمال حبش الفدائية إثارة.

(٢) يطلق البعض على هذه الحالة اسم (الفصام)، والفصام كلمة من أصل يوناني معناه: تشقق النفس Splitting of the psyche ، وتكون أكثر شيوعًا في الفترة من ١٨ : ٣٠ عامًـا نتيجـة الصدمـات الفجائيـة العنيفـة، ومـن بـين أعراضـه انفصـال أو ضعـف الارتباطـات، مـع اضطـراب حـاد بالعـالم الواقعـي والعلاقـات الوجدانيـة، والميـل للانسحاب من المجتمع، وإظهار السلوك العدواني والتصرفات الاندفاعية .

انحدار مقاومته Decline وإرادته، مما أوصل بـه إلى حالـة مرضيـة عقليـة ، تسـمى علميا (تبدلات الطبع) Alterations in character، وهـي حالـة ، برغـم سـهولة علاجها ، تدفع بالمريض إلى الاكتئاب والإهمال في العمل، وعدم الاهتمام بأسرته أو مظهره، وقد يرتكب سرقات خفيفة أو يستعرض نفسه.

.. بيد أن قصة هروب الطيار المصري[1] إلى إسرائيل، أشارت إليـها في حينـها بعض وسائل الإعـلام الغربيـة ، المنحـازة لإسرائيل، علـى أنـها عمليـة مخابراتيـة بارعة، خططت لها الموساد في واحدة من أروع عملياتها، وروجت أقاويل شـتى عـن كفاءة المخابرات الإسرائيلية، التي تطول عملياتـها عمـق النسـيج العربـي، وتخـترق إجراءاته الأمنية الصارمة.

ورد مسئول مخابراتي إسرائيلي علـى تلـك الأقـاويل بـالنفي القـاطع، مؤكـدا أن هروب عباس حلمي كان لسبب أيديولوجي بحت لا دخل فيـه لإسرائيل، وأضـاف معلقًا بأن الحكومات العربية تروج لشعارات قومية كاذبة، لا يصدقها عقلاء، لأن لا وجـود لهـا علـى أرض الواقـع، وأن إسرائيل هـي واحـة الديمقراطيـة في المنطقـة، وأبوابها مفتوحة دائما لكل إنسان حر شريف، يسعى إلى حياة مطمئنة تفيض بالأمن والرخاء .

وقال المسئول الإسرائيلي أيضا **(إن الطيار المصري والمئات غيره مـن المواطنـين العرب، الذين اختاروا اللجوء لإسرائيل، يعيشون بين أهليهم في وطنـهم الجديـد في دعة واطمئنان، وبرغم كون إسرائيل دولة صغيرة المساحة، إلا أن سكانها، وهم ينتمون إلى خلفيات عرقية ودينية وثقافية واجتماعية متباينة، ذوو التزام خـلاق في إعطاء زخم ديناميكي لاستمرار تطور المجتمع، وفقا لمبـادئ الصهيونيـة وهـي الحركة القومية للشعب اليهودي) .**

---

(١) كان عباس حلمي شابًا عابثًا ، متعدد العلاقات النسائية ، يشاركه أحد أصدقائه عبثه ومجونـه، وتـردد أن فتاة جميلة من أسرة مشهورة ارتبط بها النقيب طيار عباس حلمي ، وأحبها لدرجـة الجنـون، وخطبـها، حتـى فوجئ بها ذات يوم خلال إحدى إجازاته، عارية في فراش صديقه، فلم يتحمل عقله الصدمة، ورجع إلى قاعدته الجوية في حالة يرثى لها، وعندما أقلع بالطائرة لتجربتها بعد صيانة أجريت لها ، اتجه بها صوب إسرائيل .

هذا ، فيما علق مسئول بوزارة الخارجية قائلا :

(إنه منذ حققت إسرائيل الاستقلال السياسي، توافدت على البلاد جماعات كبيرة من البشر، مما أدى إلى تغيير التركيبة الاجتماعية الإسرائيلية ونسيجها، وكانت النتيجة أن تبلورت تركيبة جديدة، هي بمثابة مزيج من القيم، والأسس الاجتماعية لتكون الدولة التي واجهت مشاكل أمنية معقدة، نجمت عن إصرار الجانب العربي على رفض الاعتراف بإسرائيل. ومع ذلك.. فنحن نرحب بكل من يلجأ إلينا من إخواننا العرب، للانضمام إلى نسيج المجتمع الإسرائيلي، الذي يحترم الأديان ويساوى بينها) .

أما في القاهرة، فقد التزم رئيس المخابرات العامة- صلاح نصر[1] - الصمت، ولم يعلق الجهاز الإعلامي المصري على الحدث علنيا.

هذا الصمت كان يحمل كل دلالات الترقب للانقضاض والانتقام، ويخفي وراءه أشرس معركة سرية، تعد بحق من أروع أعمال البطولات الخارقة للمخابرات المصرية، عندما خطط صلاح نصر ورجاله لاستعادة الطيار الهارب، حيث كانت الأوامر واضحة وحاسمة: **(لا بد من اختطاف عباس حلمي ومحاكمته في القاهرة، مهما تكلف الأمر..(!!) إنها رغبة عليا وواجب وطني، ومعركة.)**

وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك بقليل، إذ جيء بالطيار المصرى الهارب في صندوق من الأرجنتين، حيث تم تعقبه بداية من تل أبيب حتى بوينس آيريس، بالرغم من العمليات التجميلية التي أجراها له الإسرائيليون لتبديل هيئته وملامحه، والدروس الأمنية في الإخفاء والتمويه لتحصينه، والهوية الجديدة التي تَخَفَّى وراءها.. وكانت عملية اختطافه من القارة الأمريكية البعيدة لطمة صاعقة لإسرائيل.

---

(١) صلاح نصر : عين نائبا لرئيس المخابرات العامة المصرية في ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦، ثم رئيسا للمخابرات في ١٢ مايو ١٩٥٧ خلفا لعلي صبري، وأقيل في ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ ومات مصابا بالعمى والشلل في ٥ مارس ١٩٨٢. وكان قد حكم عليه بالسجن ١٥ عامًا في قضية انحراف المخابرات وصدق رئيس الجمهورية على الحكم في ٢٢ أغسطس ١٩٦٨ ، لكن السادات أفرج عنه بعد سبع سنوات في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٤.

كيف تم ذلك[1]..؟ هذه هي المعجزة العبقرية الحقيقية لرجال مخابراتنا ، الذين يعملون صامتين في مبناهم المنيف، تحيطهم السرية، ولا تفرحهم الضجة الإعلامية لبطولاتهم، فهم لا يفكرون سوى بأمن مصر، وعزتها .

الرصـــد

لم تفقد إسرائيل الأمل إلى الأبد في الحصول على طائرة الميج ٢١.. بل كثفت جهودها ووضعت كل إمكاناتها بالتعاون مع المخابرات المركزية الأمريكية لاقتناص أية فرصة تقربهم إلى الهدف.

بدأ مائير آميت رئيس الموساد يتحسس أخبار الطيارين العرب المتواجدين في أوربا وأمريكا في دورات تدريبية ، مستعينًا في ذلك بأمهر ضباطه الذين تخفوا في صور شتى من المهن والجنسيات.. وسنحت الفرصة الذهبية أخيرًا عندما أوفد العراق بعثة عسكرية إلى تكساس تضم عددًا من أمهر الطيارين، دُرست ملفاتهم الشخصية بعناية، ووقع الاختيار على ثلاثة منهم . وهم :

- النقيب طيار شاكر محمود يوسف، من محلة حسن جديد باشا في بغداد. كان متزوجًا ولديه أبناء. إلا أنه بالرغم من ذلك كان شابًا مزهوًا بنفسه ، يهوى المغامرات النسائية، وينتهز إجازاته لتصيد الفتيات الأمريكيات في أماكن اللهو خارج القاعدة الجوية. لذلك وقع الاختيار عليه لكونه صيدا سهل امتلاكه بواسطة إحدى الفتيات الجميلات

- ملازم أول طيار حامد ضاحي ، من عائلة ضاحي الشهيرة ببغداد. وكان شابًا متدينًا خجولاً لا يصاحب الفتيات ، يرتبط بقصة حب مع ابنة عمه في بغداد. لكنه لم يكن انطوائيًا منعزلاً ، بل كان يرتاد البارات ونوادي الليل للتسلية وإن كان لا يشرب الخمر. إذ كان يعتز دائمًا بعروبته وإسلامه، ويفاخر بجمال حبيبته وحسنها الرقيق.

---

(١) أسباب هروبه وكيفية اختطافه وإعدامه في القاهرة، تجيء تفصيليا في كتابنا المعد للنشر: (الطيار المصري الهارب.. الذي جيء به في صندوق من الأرجنتين.. ملف ينشر لأول مرة).

■ نقيب طيار منير روفة من أسرة مسيحية مارونية معروفة ببغداد . وهو الطيار الوحيد المسيحي بين بعثة الطيارين العراقيين . كان على رأس القائمة منذ البداية بسبب سهولة استغلال لعبة العقائد والأقليات في عالم الجاسوسية. لكن لوحظ انكماشه وملازمته للقاعدة الجوية، حتى أنه لا يكاد يغادرها في إجازاته الأسبوعية كزملائه، مع التصاقه الدائم بقائد البعثة العراقية لكي يحظى بتقدير ممتاز في السلوك، مما يمنحه مستقبلاً فرصًا أكبر في الترقي والميزات الأخرى .

ظل منير روفا منذ البداية المطلوب رقم واحد بين زملائه. لكن لما فشلت تقريبًا كل الفرص التي سيقت لكي يتحرر من الرقابة والانطواء، استبعد مؤقتًا من القائمة، ووقع الاختيار على زميليه شاكر وحامد، وكانا أيضًا يطيران بالميج ٢١، حيث يسعى شاكر، كروفا، للحصول على دورة قائد تشكيل، بينما يتدرب حامد لزيادة كفاءته المهارية كطيار حربي .

كانت الفرصة أمام رجال الموساد أكثر من رائعة .. فوجود هؤلاء الطيارين ببيت الذئب، أمريكا ، سيوفر الكثير من الجهد والوقت لتعقبهم.. ودراسة شخصياتهم بشكل عملي أفضل، للوصول إلى موطن الضعف للسيطرة عليهم من خلالها.

لقد أعدوا ملفا خاصا بكل طيار منهم يحوي أدق المعلومات عن عاداته، وميوله، وتصرفاته اليومية، ومعتقداته، وتكوينه النفسي، وتدينه، وامتزاجه بالآخرين، وهواياته، وقراءاته، ووطنيته

كل تلك الأمور أخضعت للتحليل النفسي الدقيق بواسطة أمهر العلماء ، ولم يكن ليتسنى لهم ذلك إلا بعد مراقبات طوال ٢٤ ساعة.

وعلى ذلك.. أعدوا لكل منهم قنبلة بشرية تتفجر بالأنوثة الفتاكة، وتستحوذ على العقول فلا يقاومها كائن من كان . خاصة وهم يعرفون أن هؤلاء الضيوف جاءوا من بلاد تعاني الجوع الجنسي، ومجتمعات منغلقة تحكمها ظروف الدين والتقاليد.. الأعراف .

النقيب شاكر يوسف

ولد شاكر محمود يوسف سنة ١٩٣٦، لأسرة ثرية بقرية محلة حسن جديد باشا بضواحي بغداد، وبعد حصوله على الثانوية العامة اتجهت رغبته إلى العسكرية، فالتحق بأحد المعاهد العسكرية، وسافر إلى موسكو للدراسة بالكلية الجوية عام ١٩٥٥.. وفي إحدى القواعد الجوية بكييف في أوكرانيا، تعلم شاكر قيادة الطائرة السوخوي[١]، وتفوق في استخدام الارتفاعات المنخفضة في تنفيذ الهجمات الجوية، وطرق اعتراض الأهداف والتعامل معها، وتكتيكات المعركة الجوية.

تفوق أيضا، وهو الذي أجاد التحدث باللغة الروسية، في ملاطفة الفتيات ومصادقة عدد كبير منهن، وكلهن انجذبن إليه لوسامته كشاب شرقي، يجيد التحدث بلغتهن، وإضفاء جو المرح بكل مكان يرتاده معهن، أما رجولته فكانت إحدى أهم صفاته النادرة في رأيهن.

لذلك تسابقن إليه وتنافسن في حبه، واستخدمن، وهن الجميلات الفاتنات الشقراوات، دلال الأنثى ونعومتها في الاستئثار به، لكنه كان يشبه النحلة إلى حد كبير، في تنقله بين بساتين (الزهور).

وهكذا كانت سنوات دراسته في الاتحاد السوفييتي، التي كانت عبارة عن تفوق لا يقبل الشك، سواء في علوم الطيران الحربي قتالاً واعتراضًا، أو فنون جذب الإناث والإيقاع بهن.

وبعد تخرج شاكر يوسف بدرجة ملازم طيار، رجع إلى العراق وانخرط في العمل بإحدى القواعد الجوية جنوبي بغداد[٢]. ونظرا لكفاءته العالية في التعامل مع السوخوي، رقى إلى رتبة ملازم أول بعد أقل من عامين.

---

(١) صمم الطائرة المهندس ميخائيلوف سوخوي، وهو عبقري سوفييتي معروف، ساعد في تصميم الطائرة ANT-25 وكان له نصيب في بناء الطائرة Rodina قبيل الحرب العالمية الثانية، كما أن طائرته الهجومية سوخوي -2، استخدمت إبان الحرب، وفي ٢٤ يونيه ١٩٥٦ ظهرت طائرات سوخوي ذات أجنحة مائلة للخلف، وأخرى مثلثة الجناح وكان ذلك فوق مطار توشينو، وهي من تصميم المهندس سوخوي الذي كرمته الدولة، وأطلقت اسمه على شوارع وميادين بسائر أنحاء المدن الروسية.

(٢) تردد أنها قاعدة الرشيد الجوية.

وما إن هل عام ١٩٥٩، إلا وخطبت له الأسرة فتاة رائعة الجمال من الموصل تقيم أسرتها ببغداد، وكانت فتاة وديعة حنونة مهذبة، وجد فيها صفات مغايرة، جعلته يشعر براحة نفسية تجاهها منذ اللقاء العائلي الأول، ويتعجل اليوم الذي يجمعهما معا بيت واحد، وحياة أسرية جديدة.

ومع الربيع زفت إليه، وعاش مع عروسه بشقته بحي الكاظمية الراقي، لكنه كان بالرغم من ذلك صياد ماهر، لا يكل من مطاردة الحسان في شوارع بغداد ومنتدياتها، والإيقاع بهن بسهولة، وقد انجذبن إليه منبهرات ببزته العسكرية الأنيقة، وشارة الطيران ذات البريق اللافت على صدره.

لكن حدث أنه أوفد للمرة الثانية إلى موسكو في أكتوبر ١٩٦٠، في بعثة مدتها أربعة أشهر، لنيل دورة تدريبية متخصصة، في العمليات القتالية على ارتفاعات عالية جدا[١]. وفي موسكو هذه المرة أيضا مارس شاكر هوايته، وأقام علاقات نسائية متعددة، معتمدا على راتبه الضخم ومكافآته المجزية التي كان يتحصل عليها كطيار متفوق.

في وكر الحية

لقد أخطأت كثيرا الحكومة العراقية عندما أوفدت طياريها إلى أمريكا، وهي تعلم بأنها المؤيدة لسياسات إسرائيل في المنطقة العربية، لكن العملية برمتها كانت من تخطيط المخابرات المركزية الأمريكية، عندما عكف الملحق العسكري الأمريكي في بغداد، على إقناع العسكريين العراقيين بمدى التطور الكبير، والأساليب الحديثة في تدريب الطيارين ورفع مستوى مهاراتهم القتالية

ففي الوقت الذي استقر فيه التركيز على شاكر يوسف وحامد ضاحي، وضعت الموساد أمام الـ C.I.A كافة التقارير التي وصلتها عن النقيب شاكر، من خلال

(١) عسكريا تعرف بدورة الستراتوسفير Stratosphere والمقصود الجزء الأعلى من الغلاف الجوي.. والطيار الحربى من الواجب أن يتفوق في استخدام الارتفاعات والانخفاضات ليكون أكثر حرفية ومهارة.

عميلها في العراق عزرا ناجي زلخا[1] وزوجته (روان)، تلك التقارير الهامة التي تُشرِّح أعماق الطيار العراقي ونُزُقه، حيث أفادت بأن روان التقت به صدفة في إحدى الحفلات ببغداد، وبأسلحتها الأنثوية الطاغية حاولت أن تلفت انتباهه، لكنه تجاهلها. فاغتاظت وتملكها الضيق والحنق، وشكت في قدراتها كأنثى لا ترد. لكنها فوجئت ذات يوم بزوجها يعود إلى المنزل، وبرفقته النقيب طيار شاكر يوسف، الذي اعترف له بأنه كان مهذبًا جدًا في الحفل نظرًا لوجود زوجته معه. وما كادت روان تمسك بتلابيب عقله حتى سافر فجأة إلى دورة تكساس. كما أوضحت التقارير عن شاكر يوسف، بأنه يدمن الجنس ويسعى لتعاطيه بلا كلل .

ولما كان من السهل إكمال عملية السيطرة عليه في الولايات المتحدة، بسبب نقطة ضعفه، النساء، جيء له خصيصًا بفاتنة يهودية أمريكية طاغية الأنوثة، يعجز أعتى الرجال عن مقاومة فتنتها ودلالها

إنها كروثر هلكر، التي استدعيت على وجه السرعة من النمسا، حيث تعمل لصالح المخابرات الأمريكية كممرضة بالمستشفى الأمريكي في فيينا .

كانت هلكر تقترب من الخامسة والعشرين من عمرها، ملفوفة القوام متوسطة الطول، ذات وجه مستدير ناصع البياض يزيده شعرها الحريري الفاحم جمالا، ولها فم أملود دقيق الشفاه، تعلوه عينان نجلاوان بريقهما يخلب العقول، ورثتهما عن أمها الإيطالية، وورثت معهما أيضا حرارة الجنوب الإيطالي المشهور بدفء نسائه

انخرطت هلكر في عملها المخابراتي في أوروبا وسنغافورة، وأثبتت كفاءة نادرة في المهام التي كلفت بها، فهي عميلة مدربة على أمور السيطرة بواسطة الجنس، تجيد بمهارة استخدام (مصيدة العسل)[2] في تطويع الخونة وسحق مقاومتهم. وكانت برغم صغر سنها، تدير دفة العمليات السرية دائمًا إلى النجاح الأكيد .

---

(١) تفاصيل المحاولة الأولى لتجنيد النقيب طيار شاكر يوسف في بغداد، جاءت بكتابنا: (جواسيس الموساد العرب) ص ٣٢٦.

(٢) مصيدة العسل Honey Trap ، مصطلح مخابراتي لعملية الإيقاع بأحد الضحايا بغرض السيطرة عليه ، من خلال عميلة مدربة وشقة مجهزة فنيا بأجهزة التصوير وتسجيل الصوت، وتفوقت الموساد في هذا الأسلوب في أغلب عمليات تجنيد العملاء والجواسيس العرب، حيث يكون الجنس هو مفتاح السقوط السريع والاستسلام.

اطلعت العميلة الذكية على مهمتــها الجديـدة، ودققـت كثـيرا في صـورة النقيـب شاكر الفوتوغرافية، ثم تبسمت في خبث وهي تقول:

- (لن يستغرق وقتا طويلا معي.. فنظراته- بحكم خبرتي- تؤكد ذلك).

أرسلت صائدة الرجال إلى تكساس كمشرفة على نادي الضباط بالقـاعدة الجويـة، وهناك التقت به، بهرته منذ النظرة الأولى، واتبعت معه أسلوب التجاهل، فأكثر من محاولاته للفت انتباهها، فما كانت تهتم به سوى بالقدر الطبيعي في التعامل، حيث الابتسامة الرقيقة ولا شيء غير ذلك.

لكن الصياد المشاغب لم يكن ليرضى بالهزيمة ، فقـد شـغلته (الأنثـى) الدفيئـة، وأرهقته لهفة ورغبة. ولما أرادت أن تؤكد له مدى نجاحه، لتزيده انشـغالاً، خصّتـه بابتسامة ندية كإطلالة الربيع، يجول بها طعم الحياة اللذيذ.

من بعدها ، وبخطوات دقيقة محسوبة ، أخذت العلاقة تنمو بينهما حثيثة يومـا بعد يوم ، حتى استفحلت ووصلت إلى قمتها في مدى زمني قصير.

كانت الفرصة للإسرائيليين أكـثر مـن رائعـة، فوجـود الطيـارين العـرب في بيـت الذئـب – أمريكـا – كـان مدعـاة لأن يطمئنـوا، ويخططـوا بـهدوء للفوز باسـتقطاب أحدهم، اعتمادًا على دراسة دقيقة تشتمل على تحليـل نفسـي لشـخصية كـل منـهم على حدة (وبـالأخص شـاكر وضـاحي) ، مـن حيـث عاداتـه، وتصرفاتـه السـلوكية اليومية، وميوله، ومعتقداته، وتكوينه النفسـي، وتدينه، ودرجة امتزاجه الاجتمـاعي بالآخرين، وعلاقاته بالزملاء، وقراءاته، وهواياته المفضلة. فكل تلك الأمور أخضعـت للدراسة بواسطة خبراء التحليل النفسي والسلوكي، وما كـان ليتسـنى لهـم التغلغـل داخل أعماقهم، إلا بعد مراقبات مستمرة على مدار الـ ٢٤ ساعة

ولأن المخابرات العربية تعلم بكل تلك الألاعيب، فهي لا تتوانى عــن (تحصـين Fortifying) أبنائها الطيارين الموفديـن في بعثـات إلى الخـارج، حيـث تقوم بفرزهـم وانتقائهم بعناية ، تبعًا للتقارير السرية في ملفاتـهم، كـي لا يقـع أحدهـم أمـام أيـة

خدعة، أو يضعف لابتزازات قد تؤثر على قدراته. فأجهزة الاستخبارات الأجنبية، عادة، تنظر إلى أعضاء البعثات العربية، على أنهم أناس قدموا من بلاد تفتقر إلى الحرية والتحرر، وتحكمها ظروف اجتماعية مختلفة

لعبة المصير

وفي الوقت الذي كان فيه النقيب شاكر تحت سيطرة كروثر هلكر، كانت اللعبة تدور أيضًا حول الملازم أول حامد ضاحي، إذ قذفوا إليه هو الآخر بفتاة جذابة، رومانسية الملامح، عذبة التقاطيع. صنعوا لها غطاءً ا ، يتفق وأخلاقه واحتفاظه بمبادئ شرقيته.

كان ضاحي شابًا طموحًا في مستهل السادسة والعشرين من عمره ، وسيم، هادئ، ملتزم، من أسرة ثرية معروفة في بغداد، أتم خطبته على ابنة عمه قبل سفره لأمريكا بأيام، وتعد الأسرة عش الزوجية انتظارًا لعودته.

بدأت محاولات تجنيده كالعادة، وكما هو معروف، بفتاة رقيقة التقت به كما لو أن الأمر صدفة. كان يومها مع بعض رفاقه يستمتعون بعطلتهم الأسبوعية، فتعارفا وهما يرقصان بشكل سريع، وأفهمته بأن والدها لبناني طلق أمها واختفت أخباره.

تعاطف معها الشاب الشرقي، وأفهمها بأنه عراقي ويستطيع من خلال صديق له ببيروت، مساعدتها في الوصول لوالدها إذا ما كان بلبنان. وبشهامة العربي طلب منها آخر عنوان تعرفه لوالدها، فاعتذرت قائلة إن أمها تعرف كل هذه التفاصيل التي تجهلها هي . ومن الطبيعي أمام موقف كهذا، ألا ينتابه الشك في فتاته، عندما دعته لزيارة بيتها خلال إجازته القادمة، حيث ستقدمه لأمها ويتعرف منها على عنوان الأب المختفي.

كان كل شيء قد تم ترتيبه على وجه الدقة، الأم المزيفة، والفيلا الرائعة البديعة، والأجهزة الفنية المتقدمة التي ملأت الصالون، وحمام السباحة في الخلف.

يومها.. حاول زملاء ضاحي أن يثنوه عن تلك الزيارة، لكنه ثار عليهم قائلا إنه وعدها ولا يحب بأى حال أن يخلف وعده، فهي فتاة يتيمة تتطلع بشوق لأن تتوصل إلى والدها. وعلى ذلك تركوه يذهب إلى (فتاته) وحده، يجر وراءه حياء شاب شرقي يزور أناس (غرباء) لأول مرة .

استقبلته (زينب) باهتمام وترحاب، وقادته مبتسمة كطفلة فروحة إلى الصالون ، فمشى وراءها في أدب، وسرح بفكره قليلا في خطيبته (فدوى) مقارنًا بلا قصد بينهما.

دفعه إلى ذلك ما لاحظه من احتشام الفتاة، ووداعة ملاحتها الحالمة المريحة، وتلك النظرة الحزينة الصامتة التي تتخلل شعاعاتها نفسه، حسرة على الأب الذي تجهل مصيره. لقد شعر في قرارة نفسه بالشفقة على الفتاة البائسة، حتى تمنى لو أنه يستطيع إسعادها، وإدخال البهجة إلى قلبها الصغير المعذب .

لم تنس الموساد أو الـ C.I.A أية ثغرة تافهة إلا وأغلقتها، وأوجدت لها حلاً مقنعًا لا يقبل الظن. إذ اختارت للفتاة اسما يحبه المسلمون[1] ، واختلقت قصة إنسانية وهمية تثير الشجن والعطف، كما تخيرت للمهمة فتاة في الثانية والعشرين من عمرها، تزحف أنوثتها الصارخة تحت الثياب، وتترجرج معلنة عن نفسها فى صراحة ظاهرة ، يزيدها جمالاً وجهًا بريئا يقتحم القلب بلا صعوبة، وينخر في أغواره.

هكذا امتزجت الأنوثة بالبراءة، وارتسمت صورة مثالية لفتاة كاملة النضوج، أسرت عقل الشاب الأغر وبعنف هزت مشاعره، وتعلق فكره بها أكثر وأكثر بعدما جلس إلى الأم، إذ رآها بحق سيدة وقور تخلط إنجليزيتها بعربية ركيكة لذيذة ، تنثر نظراتها الصبورة موجات حنان أسري آسر .

---

(١) زينب ليس اسمها الحقيقي بالطبع ، فاسمها الحقيقي (جين بولان)، وهي متدربة حديثة بإحدى مدارس فنون المخابرات، وكانت هذه أولى المهام التي كلفت بها.

ترقرقت الدموع بعينيها وهي تقص عليه حكايتها، منذ البداية، فأدمعت عينا الطيار الساذج، وما كان يتصور أن يتصرف هكذا، عندما قام إلى السيدة واحتضنها، وكان نشيجها التمثيل المؤلم إفرازا لمأساة تعتصرها.. فيتشقق لها فؤاد الفتاة الرقيقة التي ترتجف تأثرًا، وتنزلق حبات اللؤلؤ من أروع عينين صادفهما. فيمسحهما بمنديله في حنان، وبداخله رغبة في احتوائها بين أحضانه، عطفًا، بعيدًا عن الأمر الخبيث.

انفردت به السيدة (مارجريت) في الصالون الأمريكي الفخيم، وأسرت له بأنها قلقة بشأن ابنتها، فهي مسلمة وسط مجتمع غير مسلم، وتخشى عليها أن تقترن بشاب أجنبي ليس على ديانتها (لاحظ استثارة نخوته كمسلم)، لذا فقد ألحت عليه أن يسعى لمساعدتها في التوصل إلى أبيها في بيروت، لكي يتحمل مسئوليتها قبلما تموت، وتتركها وحيدة مع أموال طائلة (لاحظ الإغراءات المنمقة) ستتركها لها.

ثم عرجت الحية الشوهاء إلى ناحية ثانية، وطلبت من الطيار الشاب أن يهتم، خلال وجوده بأمريكا، بابنتها، لأنها فتاة رومانسية جداً، تؤرق حياتها حكاية أبوها الذي تفتقده، ورجته ألا يصدم مشاعرها بقسوة (لاحظ أيضاً) إن هي اعترفت بحبها له ذات مرة، ذلك لأنها تخشى على ابنتها من تجربة الفشل في الحب، خاصة إذا وقعت في حب شاب مثله ينوى العودة لوطنه، تاركاً المسكينة تتمزق وجعاً.

وقالت السيدة مارجريت بتأثر، إنها - أي زينب - تحدثت عنه كثيراً منذ التقت به، وكانت تنتظر لحظة زيارته بلهفة، بما ينم عن مدى اهتمامها وتعلقها به. (لاحظ إغراءات المشاعر)!

أقبلت زينب فجأة وكانت ترتدي البُرْنُس، وهتفت في ضاحي وأمها:

- ألم يحن الوقت بعد للسباحة..؟ هيا لنستحم ونسبح .

دهش ضاحي وقال لها متعجباً :

- تسبحين..؟ أنسيت أننا في نهاية مارس ..؟

أجابته زينب وهي تبتسم في وداعة:

- أوه.. إن قاعة السباحة مُكّيفة يا عزيزي والمياه عند درجة حرارة ٢٨.. ألا تحب السباحة معي قليلا قبل الغداء ..؟

أحس ببعض الخجل وخشى أن يرفض فتغضب:

- نعم.. نعم.. ولكن ..

وبذكاء أكملت وهي تشير باتجاه ما

- اشتريت لك مايوها بالأمس.. ستجده في حجرة الملابس (!!)

وعندما بدل ملابسه وأقبل عليها فرآها بالمايوه، تجمد مكانه وثقلت عليه خطاه، فتلك هى المرة الأولى في حياته، التي يرى فيها جسد أنثى عارياً، جسد ينوء بأنوثة بضَّة غضَّة، تفوح منها رائحة الرغبة، ومذاقات اللذاذات الشهية المسكرة .

تركتهما السيدة مارجريت لتعد الطعام، وانغمس الشاب الخجول مع الفتاة اللاهبة في لهو بريء، إنه يعترف بينه وبين نفسه بأن نواياه كانت سيئة، وغير شريفة. ففي لعبة التسابق في الماء كان ينتهز فرصة التصاق جسديهما، ويتحسس اللحم الناعم، ويكاد يعتصره، ويضغطه بقوة، بشكل بدا عفوياً . لكن الأفعى اليهودية المدربة، لم تكن إحساساتها الواعية لتخفق في ترجمة لمساته (البريئة).. وبعد الغداء استقبلت الأم مكالمة هاتفية، غادرت على إثرها البيت تاركة الذئب والحَمَل.. والحَمَل دائمًا في عالم المخابرات معروف، إذا قلنا إن الذئب هو الفتاة.؟!!

ففي ذلك اليوم ، الذي ما مر مثله بحياة ضاحي من قبل ، انزلق لآخره في بوتقة النشوة، وتذوق صنوفًا منها أسكرته، وأغرقته في محيط شاسع يفور بالنشوة، لم يستطع أمام ضربات أمواجه الضارية المسعورة أن يتوقف، فأخذ يجدف وقد أنهكت مقاومته، وخارت قواه، تمامًا في خفوت.. وارتجاف .

ولما أفاق من نوبة الغرق القهري ، هجمت على عقله مشاعر الندم التي آلمتــه ألمًـا شديدًا، إذ شعر بمدى قذارته وحقارته ، حتى أن ضميره أخذ يشع استنكارات الإثم في موجات تضرب وعيه وباطنه ، فتملكته نوبة من بكاء مجنون، غادر علـى إثرهـا المنزل محزونًا كئيبًا، وقد أقسم ألا يعاود الخطأ ثانية أبدًا، مهما كانت الظروف

مــيراث والــدي

كان شاكر يوسف قد استمرأ علاقته بالحية الأمريكية كروثر هلكر، وقلما جاء يوم إجازته الأسبوعي وهو بعيد عنها، فهو يوم ملكها وحدها، سرعان ما يمــر نـهاره في لحظات كالوميض .

وبرغم اعتياده التنوع والتعدد في علاقاته النسائية ، إلا أنه أمام هلكـر كـان يبـدو جائعًا أبدًا، فالمرأة الخبيرة كانت تمنحه ما لم يألفه ، وتذيقه ما لم يرشـفه، فبـات دائمًا في حالة جوع بلا شبع ، وعطش لا ينقطع. لقد تركها خلال كـل لقـاء تقـذف إليه بمشاعرها فياضة جارية ، دون أن يجاريها لهفة العواطف التي تصبــها صبًـا في أذنيه.

ولما تجرأت ذات مرة، وكان اللقاء بشقتها، كالعادة، وعرضت عليه الزواج، ثــار في وجهها

- **زواج.. ؟ أجننت هلكر..؟**

- ولم لا..؟ أنا أحبك ولست بقادرة على الابتعاد عنك.

- **تعرفين أن لي زوجة بالعراق.. وابن.**

- أعرف.. لكن ما ذنبي أنا .

- **وما ذنبي أنا أيضاً..؟ وذنب زوجتي التي تنتظرني ..؟**

- أتحبها أكثر مني يا شاكر ..؟

- **هي زوجتي أم ابني.. وأنت عشيقتي..**

- شاكر..

- هلكر.. أتذكرين أول لقاء بيننا..؟ أتذكرين ماذا قلت لك..؟

- أرجوك.. لقد كنت بشعاً.. لا أريد أن أتذكر .

- لا .. يجب أن تعترفي.. لقد قلت لك يومها إنني زوج وأب.. وأحب زوجتي وابني وبيتي..

- لم أكن أعرف أنني سأحبك بجنون.. لم أكن أعرف.

- لكن علاقتنا استمرت على ما اتفقنا عليه .

- أكنت تستمتع بي طوال هذه المدة كأنك تعاشر مومسا لا مشاعر لها ..؟

- أنت كنت تستمتعين أيضا.. وإلا ما كنا معا الآن .

- شاكر لا تعاملني كامرأة ساقطة.. أرجوك .

- إذا لا تطالبيني بحق ليس لك .

- شاكر.. سأموت بدونك.. أقسم لك على ذلك ..

- ستنسين كل شيء عندما أغادر إلى العراق .

- لن تغادر أمريكا إلا بعدما تحضر جنازتي .

- هلكر يا عزيزتي.. إن ما بيننا ليس حبا.. بل هو نزوة.. رغبة.. احتياج رجل لامرأة هي الأخرى تريده .

- هذا ما تدعيه أنت.. أما أنا فلا.. فحبي لك أكبر من أن أصفه لك..

- الأيام الرائعة التي جمعتنا يجب أن تكون ذكرياتها أيضا رائعة.. كفي بكاء لأنني لا أحب بكاء المرأة .

- حبيبي.. لدى رصيد ضخم بالبنك من ميراث والدي.. وشقة جميلة كنت دائما تحسدني عليها.. فلنتزوج.. وسأضمن لك عملا ممتازا هنا وراتبا خياليا .

- عزيزتي ليس هذا ما يغريني أو يشغلني، فأنا راتبي ضخم أيضا.. وأسرتي ثرية جدًا ولا أعاني ماديًا في بلدي .

- شاكر أنت تضيِّع فرصة كبيرة تنتظرك ومستقبل و..

- كفى.. كفى.. لقد ضقت ذرعا بكلامك المكرر.. وأخشى أن تدفعينني لأن أهرب منك وأكرهك فكفى أرجوك.

- أ هكذا تعامل امرأة تحبك ..؟

- لقد وطَّنت نفسي على ألا أحب سوى زوجتي.. وقلت لك هذا مرارا.. فلا داعي لمضايقتي..

- لماذا إذن خنتها وعاشرتني..؟ إن مبادئك كاذبة.

- إنك تضيعين الوقت هباء.. سأنصرف.

شاكر.. أيها الحبيب انتظر ..

- .. ..

- .. ..

سأموت هدرًا

تعمد شاكر تجاهلها بعد ذلك.. وتحول حديثه العابر معها في القاعدة الجوية إلى حديث فاتر.. أشعرها بخيبة الأمل.. وأقلق رجال المخابرات الذين ينتظرون سقوطه بفارغ الصبر.. وكتبت هلكر تقريرًا ضمنته فشلها، وطلبت من ضابط الحالة سرعة نقلها لأن عقلها يكاد يجن.. فهي المرة الأولى التي تفشل فيها في السيطرة على رجل، رجل استباح جسدها لأكثر من شهرين بلا ثمن .. وبلا فائدة .

لكن رؤساءها رفضوا بشدة سحبها من القاعدة الجوية ، على أمل أن يعود إليها من جديد.. وطالبوها ببذل الكثير من الجهد لاحتوائه ، وأن تكون أكثر لطفًا معه قدر الإمكان، لعل وعسى .

ومع الإخفاق المبدئي في السيطرة على النقيب شاكر، تكثفت الجهود لكي لا يفلت حامد ضاحي هو الآخر.. إذ بدلت العميلة المدربة أسلوبها هي الأخرى، بما يتفق ورغبة الطيار النادم في ألا يعاود الخطأ.. فأحاطته بمشاعر حب كاذبة.. مجتهدة قدر استطاعتها في تقريبه إليها عاطفيًا، مستغلة أوتار مشاعر الندم التي تملكته للعب عليها

وفي لقاء لهما بحديقة منزلها ، ارتبك ضاحي عندما سمعها تقول فجأة :

- ضاحي.. لقد قررت ارتداء الحجاب .. (!!)

مستغربًا بدهشة :

- **حجاب..؟ هنا في أمريكا..؟ ولم..؟**

بصوت شحنته ورعًا :

- أريد أن أشعر بأنني مسلمة.. أصلي.. وأصوم.. وأستغفر..

- **بإمكانك أن تفعلي كل ذلك بدون الحجاب.**

في خجل وبصوت خفيض:

- ألا تشعر بالندم مثلي..؟

- **إنني أبكي في كل صلاة وأدعو الله أن يغفر لي ..**

- لقد كرهت جمالي واشمئززت من نفسي بعدها.. وتمنيت أن أكون دميمة على أن أكون حقيرة مذنبة.

- **زينب.. الحمد لله الذي هدانا وكرّه إلينا الإثم والمنكر.**

- أنت إنسان صادق حقًا.. أتمنى من الله أن أكون دومًا إلى جوارك .

- . . .

- ستترك لي أمي هذه الفيلا لأتزوج بها.. وستمنحني خمسمائة ألف دولار لأبدأ مشروعًا خاصا بي أنا وزوجي.. وهذا الأمر يقلقني كثيرًا..

- فيما القلق إذن..؟

- أنا لا أضمن من سأتزوجه.. فالبشر عادة لا يتساوون في العدل أو الطموح.. أو الأمانة.. هذه أمور شائكة ومتباينة

- اختيار الزوج لا بد وأن يكون مدروسًا ..

- وكيف لي أن أضمن..؟ وبأية وسيلة أقنعك..؟

- أقتنع بماذا .. ؟

- .

- لم سكوتك..؟ أقتنع بماذا يا زينب ..؟

- بأن نتزوج.

- نتزوج..؟ هذا مستحيل.. ألف سبب يمنع ذلك..

- ألف سبب..؟

- نعم.. فأولاً أنا طيار حربي عراقي.. ثانيًا أهلي في العراق.. ثالثًا.. خطيبتي فدوى.. رابعًا..

- وما المشكلة في كونك طيار عراقي..؟ بالعكس.. فهذه ميزة كبيرة جدًا.. لأنك ستعمل هنا كطيار أيضًا.. وبراتب لا تتوقعه ..

- ولو أن ذلك حقيقي وواقع .. فما ذنب أهلي وخطيبتي .. ووطني..؟!!

- سنعيش هنا معا حياة محترمة.. وسأكون سعيدة لأنني أحبك وأثق بك..

- زينب.. هذا لا يروق إلا لعاطل يائس يبحث عن المال..

- ومن منا يكره أن يكون ثريًا.. إن أمي ستمنحني..

- دعك من كل هذا.. أنت فتاة طيبة وعاقلة، تذكرينني بالفتيات في بلدي.. ولو أنني كنت قد قابلتك قبل التحاقي بالكلية الجوية لتغير الأمر.. لكن لا فائدة.

– الأمر سهل جدًا يا ضاحي.. فأنت ستعمل هنا طيار أيضًا.. أعدك بذلك. بل وأضمن لك ما هو أكثر من ذلك بكثير..

– أتعرفين.. إن أنا وافقت – وهذا بالطبع مستحيل – ماذا سيحدث لي..؟ ستتعقبني شعبة الاستخبارات العراقية.. حتى ولو كنت في قمقم.. وسأموت هدرًا..

– مستحيل أن يحدث لك ذلك.. فرجال مخابراتنا سيؤمِّنون حياتك هنا.. بل وسيدفعون لك بسخاء إن وافقت.. (هنا أخطأت العميلة التي يبدو أنها حديثة العهد بالجاسوسية).

(بارتياب) :

– سيدفعون لي..؟ كم مثلاً..؟

– أنا لا أعرف بالضبط.. لكنه مبلغ كبير على ما أتصور.

(تأكيدها كان خطئًا ثانيًا).

(كان ما يزال مرتابا وإن بدأ يستشعر الخطر في كلماتها):

– مقابل ماذا..؟ أن أهرب من العراق إلى أمريكا..؟ أم أختبئ هنا منذ الآن ولا أعاود الرجوع ثانية إلى بغداد..؟

(في خبث) :

– أنا لا أعرف.. لكني أستطيع أن أخمن أنك ستصبح مليونيرًا.

(مرتبكًا) :

– أتعرفين يا زينب..؟ لو لم تكوني عربية مسلمة لظننت بك الظنون ..؟!!

– ضاحي أنا لا أفهم في السياسة.. فقط أعرف أنني أحبك.. أحبك أكثر من نفسي فلم لا نتزوج..؟

– .. ..

- .. ..

- ..

- ..

- ضاحي..؟ إلى أين أنت ذاهب.. ..؟ أنت لم تجبني..

- **إنس ما دار بيننا الآن.. لقد تأخر بي الوقت .**

حرباء تكساس

كان ثلثا مدة الدورة التدريبية قد مرا، وكتبت زينب / جين في تقريرها[1] المفصل، أنها حاولت كثيرا مع حامد ضاحي، مستعينة بكل ما تملك من أدوات وإغراءات، لكنه بعد مضاجعة لمرة واحدة، صارحها بأنه نادم، وبأنه أخذ عهدًا على نفسه بألا يلمس امرأة قط. وتضمن التقرير أيضا، أنها حاولت إغراؤه بالزواج فرفض لقد اشتدت مقاومته لشتى الحيل، وتحول إلى (بارد محصن) لا يستجيب للجنس معها، أو العواطف.. حيث اتجه إلى الصلاة والصوم.. مظهرا وطنية إلى درجة الهوس وتصعب محاولات استقطابه.

من بعدها .. آثر حامد ضاحي الابتعاد عنها ، لكن هل ستيأس العميلة المدفوعة خصيصًا لاستقطابه؟، وهل ستكف مطارداتها له التي زادت عن الحد؟.. بالطبع لا.. فقد كان الإصرار عاتيًا والتصميم أكيدًا. لذلك اتخذ ضاحي قراره ولم يستطع إلا أن يخبر رئيس البعثة بالأمر. وعلى الفور، تحدد سفره إلى العراق بعد ثلاثة أيام..

جن جنون رجال المخابرات في الموساد والـ C.I.A ، فقد أوقعهم حظهم العاثر مع شاب وطني مخلص، وكان لا بد من تصفيته قبل عودته إلى وطنه، حتى لا يتشكك في نواياهم رجال المخابرات هناك.. ويكون الرد المتوقع هو حرمان الطيارين الذين كانوا بأمريكا من الطيران بالميج مرة أخرى، تحسبا لأي خطر أو خيانة، فضلا عن التحقيقات التي سيخضع لها جميع زملائه

(١) برغم أجهزة التسجيل والتصوير، فالعميلة تكتب تقريرها وتوقع أيضًا، فهي هنا موظفة تؤدي مهمة رسمية(!).

وفي مساء اليوم التالي ، السبت ١٥ مايو ١٩٦٥ ، خرج ضاحي ليمضي آخر سهراته بأمريكا، وعرج إلى أحد النوادي الليلية برفقة زميلين له . كانت الصالة معبقة بالدخان والشباب والمرح ، وبينما الموسيقى الصاخبة ترج المكان، فتتراقص الأجساد في جنون، أطفئت الأنوار فجأة، ودوت طلقة رصاص واحدة تبعها سقوط جسد ضاحي.. فتدافع الجميع هاربين في ذعر . ووسط الظلام..

والزحام، اندس القاتل بينهم، وأظهرت التحقيقات الأمنية غموض الحادث، إذ لم يكن هناك تفسير منطقي لوقوعه.

السفير العراقي في واشنطن أدلى ببيان قال فيه بأن الحادث غير متعمد، وأنه كان قضاء وقدرًا.

أما الملحق العسكري العراقي ، بناء على التقرير الأمني لقائد البعثة ، فقد اشتم رائحة ما وراء حادث القتل .

وفي قرار فجائي حاسم ، تقرر عودة بعثة الطيارين العراقيين إلى بغداد، وكان ذلك قبل انقضاء المدة المقررة بشهر تقريبًا .

تصريح بالقتل

طار نسور الجو العرب في ١٨ مايو[١] إلى العراق ، وطارت في إثرهم عقول رجال الموساد والـ C.I.A ، وبات واضحًا أن الفرصة الذهبية، الوحيدة، التي كانت أمامهم، ذابت في محيط عميق، وبدت كما لو أنها كانت مجرد حلم لذيذ، سرعان ما انتهى.

لكن مائير عاميت ، رئيس الموساد المصدوم ، أنصت باهتمام لمساعده المزعج – كاروز – وهو يقول

– إن الأمل لم يضع بعد يا سيدي، ولا زالت هناك فرصة أمامنا .

---

(١) في الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم ، تم شنق جاسوس الموساد إيلي كوهين في دمشق. وأبقى متدليًا في حبل المشنقة لأربعة أيام حتى انتفخ وصدرت عنه رائحة قذرة عندما بدأ جسده في التحلل.

(في دهشة)

– كيف ..؟ لقد غادروا أمريكا منذ خمسة أيام.

– بإمكان كروثر هلكر أن تؤثر على النقيب شاكر يوسف.. في بغداد..

– بغداد..؟ أجننت يا رجل..؟

– لا حل أمامنا سوى ذلك سيدي الرئيس، فالأفلام والشرائط التي بحوزتنا ستجعله يركع، خاصة وقد حوَّرنا العديد منها ، ووضح فيها سبابه لقيادته ولحكومته، وعند سماعها سينهار بلا مقاومة ، ويعلن خضوعه مستسلمًا.

– وإذا فشلت معه هلكر..؟

– تبعث معه رسالة إلى السماء[1] .

وبعد دراسة مستفيضة للفكرة، اقتنع عاميت، وأقنع ميكون[2] ونائبه راي كلاين بها، وجيء بعميلة المخابرات كروثر هلكر لإفهامها خطوات العملية، وبأن زملاء لها بالعراق سوف يساعدونها . شعرت هلكر ببعض الخوف، ذلك لأن النقيب شاكر كان قد تخلص من تأثيرها عليه، وفقدت بالتالي خيوطها التي كانت تجذبه إليها، لكنها لم تشأ أن ترفض، ففي عالم الجاسوسية تسحق المشاعر سحقا ، وتُخفى رجفاتها الناعمة الجميلة، بحيث لا يبقى سوى الهدف المنشود، الذي في سبيله يتخطى العملاء حاجز الإنسانية والرأفة، ويتحولون إلى مجرد أشكال صماء كالدّمَى، لا روح فيها أو دماء.

من فندق بغداد الدولي اتصلت هلكر تليفونيا بالنقيب شاكر الذي فوجئ، وضايقه كثيرا مجيئها وراءه، ولكي يأمن المشاكل التي قد تثيرها، استأجر لها شقة مفروشة تطل على دجلة، بمنطقة الكرادة الشرقية الراقية

---

(١) مصطلح مخابراتي مهذب لكلمة القتل .

(٢) جون ميكون : رئيس المخابرات المركزية .

كان الطيار العراقي يتردد عليها خفية، لا لأجل الجنس، وإنما لإثنائها عن فكرة الزواج، التي من أجلها جاءت إلى بغداد، في تبجح أثار قلقه منذ البداية.

كان من الواضح أن العميلة التي كانت تحمل تصريحا بالقتل، لم تيأس منه بعد، ولم تتزعزع عزيمتها . فإلحاحه عليها لتتركه وشأنه كان يريحها نفسيا، ويشفي بداخلها الإحساس المقيت بالفشل معه، وهي التي ما تعودت أن يقف أحد أمام جبروت جمالها . لذلك تمادت بكل قواها في الضغط على أعصابه ، وادعت له كذبا بأنها حملت منه، فارتبك الطيار المتزوج، وعرض عليها بهدوء أن يخلصها من الجنين، فبكت، ومثلت دور العاشقة التي لن تغادر بغداد، إلا ومعها طفلها، وأنها تفكر كثيرا في التصرف بحماقة وأن تبلغ أسرته وزوجته بعلاقتهما، وبالجنين الذي ببطنها، لكي تضعه أمام الأمر الواقع فيتزوجها

فضيحة رسمية

- شاكر.. إنه ابننا الذي لا ذنب له .. أريد له أن يجيء إلى الدنيا.. وأن يعرف أبوه.

- قلت لكِ إن صديقي الطبيب سينهي هذا الأمر .

- لكنني أريده.. وأحلم كثيرًا باليوم الذي أصير فيه أمًا .

- هذا أمر يخصك وحدك.. أما أنا فلا أريد منك أطفالاً .

- ألهذا الحد تكرهني يا شاكر ..؟

- أنا لا أكرهك بقدر ما أكره تفكيرك الغبي.. أتظنين بأن تصرفك هذا سيحل المشكلة.. أو يقربني منك..؟

- أنت تعرف منذ البداية بأنني رومانسية.. وساذجة بلا تجارب..

- عرفت قبلك مئات النساء.. أنت تفوقتِ عليهن جميعًا خبرة في الفراش.. فكيف تكونين ساذجة..؟ وبلا تجارب..؟

- كلهن مومسات أما أنا فلا..

- كروثر.. أمامك خياران لا ثالث لهما مهما حاولتِ أو لوحتِ بتهديداتك التي لن تفيد.. فإما أن يراك الطبيب.. أو تغادري بغداد على الفور.. وإلا فسأكون عنيفًا معكِ وأضطر لإبلاغ الأمن بمطارداتك لي..

- وماذا أيضا..؟

- هذا آخر ما عندي.

- ألا تخشى أن أخبر عائلتك ..؟

- تهديدك لن يخيفني.. وأعرف جيدًا كيف أسوي الأمر مع عائلتي..

ولما رأت منه تصميمًا على المقاومة، وأنه سيضطر لإبلاغ السلطات ضدها، ضحكت وقالت له:

- فلتأت السلطات، فعندئذ على الأقل ستكون الفضيحة رسمية، وستتدخل سفارة بلدي، وستفقد وظيفتك ورتبتك في الحال .

كانت لهجتها معه قد تحولت من لهجة عاشقة إلى تهديد سافر، وسألها شاكر عما تمسكه ضده لكي تكون بمثل هذه الجرأة، أخبرته أنها تملك تسجيلا بصوته يعترف فيه بأنه يكره العراق، ويحتقر قيادته في سلاح الطيران، ودفعت إليه بجهاز تسجيل صغير، فاستمع إلى صوته وهو يسب ويشتم، فامتقع لونه، واضطربت عضلات وجهه، وصفعها بقوة أوقعتها على الأرض، صارخا فيها بأن هذا الشريط مزيف، وبأنه لم يقل ما جاء به.

نفت ذلك فصفعها ثانية بشدة، فتأوهت وقامت متحفزة تكشر عن أسنانها كأنها لبؤة تدفع الخطر عن أشبالها، وبصوت هو أقرب إلى فحيح الأفعى قالت :

- اشتر حياتك ولا تكن أحمق .. إنها الفرصة الأخيرة التي أمنحها لك.. فلنتزوج وتأتي معي إلى أمريكا.. وسيدفعون لك مليون دولار..

- من هؤلاء الذين تتحدثين عنهم..؟

– منظمة السلام الدولية. إنها منظمة تسعى للسلام الدائم بين العرب وإسرائيل.

صفعها للمرة الثانية وقد تملكه الغضب :

– أيتها الحقيرة اللئيمة.. ألهذا إذن جئت ورائي..؟

– مليون دولار يا شاكر.. ستعيش ثريًا طوال حياتك..

انهال عليها ضربًا فكانت لا تكترث وتردد

– لا تكن مجنونًا .. سأزيد الثمن إلى مليون ونصف.. شاكر.. استمع إليّ.. هذه فرصة لن تتكرر أبدًا .. صدقني.

– مع من تعملين يا عاهرة تكساس..؟ هه.. أجيبيني..؟

– سيقتلون ابنك وعائلتك.. سيدمرون كل شيء.. إن أعوانهم يملأون بغداد..

– ماذا تريدين بالضبط..؟

– أريدك أن تهدأ وتستمع إليّ.. إن انضمامك للمنظمة فيه خير كثير لك.. المال لا يمثل أية مشكلة ستحصل على كل ما تريده.. لديهم عشرات الأفلام وأنت تعاشرني.. أتعرف ..؟ لقد سجلوها لنا ووافقت تحت التهديد لأنني أعرف شرورهم. توجد أيضًا شرائط بصوتك وأنت تسب قادتك.. سيقتلونك بالبطيء إن رفضت.

– أرفض ماذا أيتها الحرباء اللعينة..؟

– الانضمام لمنظمة السلام.

– هل تظنين بأنني رجل ساذج..؟ سأبلغ السلطات عنك لأن ما تقومين به ابتزاز رخيص وتهديد.. بل خطة معدة لتجنيدي لصالح جهة أجنبية.

– الأفلام الجنسية والتسجيلات ستدخلك السجن العسكري .

– أريد منها عدة نسخ لأوزعها على أصدقائي، شيء ممتع أن يشاهدوا مدى فحولتي.. وسوف يشكرني قادتي لأنني ضاجعت أمريكية تحت العلم الأمريكي .

– لا تسخر مني أرجوك يا شاكر.. الأمر لا يحتمل تهكمًا لن يفيد.

– أنا لا أخاف أحد.. ولا تهزني تهديدات.

– أهذا قرارك الأخير..؟

– نعم.. وقبلما أسلمك للأمن.. خذي مني هدية ..(!!)

وسحب حزام بنطلونه وهوى به بمنتهى القوة على رأسها وظهرها. كان يضربها بعنف وهو يتعجب. فضرباته المؤلمة القاسية كانت تقابلها صرخات خافتة لا تكاد تُسمع. ألهذا الحد وصلت بها درجة التحمل..؟ لا بد أنها دُرِّبت كثيرًا على تحمل مثل هذه المواقف.. هكذا تساءل وهو يوسعها ضربا انتقاما مبرحا .. وفي غمرة ثورته وهياجه انفتح باب الغرفة فجأة، وأطلق عيزرا ناجي زلخا وزميلاه زخات من مسدساتهم الكاتمة للصوت، فسقط جسد شاكر يوسف، وعيناه ترمقان أبناء وطنه الثلاثة في حسرة واستنكار وألم.

وبينما كانت كروثر هلكر تعد حقيبة ملابسها، انشغل الآخرون بإزالة آثار البصمات، ثم جَرُّوا جثة ضحيتهم لأسفل السرير[١]، ملفوفة ببطانية، وفتحوا أجهزة التكييف قبلما يغادرون الشقة فرادى.

انتهت بذلك العملية المأساوية، وبهدوء شديد طارت هلكر إلى لندن مساء اليوم نفسه، لا تصدق ما حدث، وكانت خطوط ضربات الحزام على جسدها المتورم تؤلمها، وحرمتها النوم تلك الليلة في الفندق، حيث طُلب منها الانتظار بلندن، التي لم تغادرها بعد ذلك أبدًا[٢].

وبفشل عاميت المزري، وخيبة الأمل التي منيت بها الموساد والـ CI.A ، خيم اليأس على الجميع، وساد طقس مشحون بقتامة حالكة، تنذر بالتشاؤم، وتبعث رجفة قلوقة تهز العقول المرتبكة، التي آلمتها ضربات الفشل المتلاحقة، المؤثرة.

---

(١) قتل النقيب شاكر يوسف بتاريخ ١٩٦٥/٧/٦، ولدى تغيبه عثر على سيارته قبل شارعين من مكان الجريمة، وكانت مغطاة . جرى مسح المنطقة، حتى عثر على جثته بالشقة المفروشة في حالة تعفن، وقد ترك الجناة أجهزة التكييف تعمل لكي تسحب الرائحة أولا بأول، فلا يتم اكتشاف الجريمة إلا بعد عدة أيام، ووجد أن القتيل كان يرتدي قميصًا وبنطلونا، ولا يحمل مسدسه الذي تركه بشقته. وكان هذا أحد الأخطاء الفادحة التي ارتكبها.

(٢) ذكرت بعض المصادر (الجزء الأول من المخابرات والعالم) أنه تم التخلص من هلكر في لندن، حيث وجدت العميلة ميتة بحجرتها بالفندق، وكأنها منتحرة، لكي يموت السر معها. كعادة بعض أجهزة الاستخبارات في التستر على فضائحها، والتخلص من بعض عملائها بعد إنجاز مهامهم البالغة السرية والأهمية، التي تمس أمن الدول وسيادتها. وقد يؤدي كشفها إلى أزمات دبلوماسية وفضيحة دولية، فقد قامت الموساد بتصفية هلكر عملا بهذا المبدأ، كما فعلت بعد ذلك مع الداعرة الفرنسية كلود ماجال، التي حاولت إغواء العالم الذرى يحيى المشد، قبيل اغتياله بدقائق . حيث شهدت فى محاضر الشرطة بأنها سمعت ضجيجا بحجرته لم تعرف ماهو بالضبط.

أذهبت الإخفاقات المتتالية لعملية تجنيد طيار عربـي، بروعـة الحلـم الـذي راود الإسرائيليون والأمريكان كثيرا، وجعلت منه صورة باهتة المعنى مهتزة الملامح. بالرغم من ورود معلومات جديدة من بغداد، تفيد بأن العراقيين لم يكتشفوا بعد سر اغتيـال الطيار شاكر، ولم تراودهم شكوك مؤكدة حول مقتل ضـاحي في تكسـاس، بدليـل أن طياري الميج ٢١ الذين كانوا بأمريكا، لم يحرموا مـن قيـادة طائراتـهم، أو يسـتبعدوا كاحتياطات أمنية إلى قواعد أخرى بعيدة.

وفي غمـرة صراعـات مائـير عـاميت مـع نفسـه وافتقـاده لصديقـه العزيــز جــون ميكون[١]، وصلت برقية مشفرة من أوروبا، تفيد بوجود طيار حربي عراقي بمفـرده، يقضي إجازة ترفيهية بمفرده في فرانكفورت. فلم يجتاحه ذلك الإحساس الذي غمره من قبل، عندما أخبره جون ميكون بأمر الدورة التدريبية للطيارين العراقيين. وكل ما فعله عاميت، أنه كتب لمفرزة الموساد في أوروبا لعمل اللازم، وعـدم إثـارة مشـكلات مع السلطات الأمنية في ألمانيـا. ففضيحـة اشـتراك الموسـاد في اختطـاف المـهدي بـن بركـة[٢]، كـانت مـا تـزال أصداؤهـا تـتردد، وسـاءت بسـببها العلاقـات الفرنسـية الإسرائيلية، بشكل حاد

---

(١) كان ميكون قد ترك منصبه وتولى بعده وليام رابون لمدة أربعة شهور فقط، وكان يعمل قبل رئاسته للمخابرات أميرلايا في البحرية الأمريكية بقسم التجسس. لكنه استقال من رئاسة الـC.I.A سريعا لعجزه عن إدارتها.

(٢) المهدي بن بركة. المدرس الخصوصي للملك الحسن الثاني ملك المغرب السابق، عارض نظام الحكم في المغرب وطالب بإصلاحات دستورية واجتماعية، غضب عليه الملك وحاول اعتقالـه، لكـن الثـائر الـذي تحـول إلى بطـل قومي في بلاده كان يعرف أن معارضى الملك لا يُحاكمون ولا يغادرون معتقلاتهم أحياء. لذلك هـرب إلى جنيـف، وحكم عليه في المغرب بالإعدام غيابيا مرتين. وبالاشتراك مـع المخـابرات المغربيـة والفرنسـية، اسـتدرجه عمـلاء الموسـاد إلى باريس في ١٩٦٥/١٠/٢٩، حيـث اختطـف وتعـرض للاسـتجواب داخـل إحـدى الفيـلات بضواحـي باريس، ثم قتل بحضور أوفقير وزير الداخلية المغربي، ودفن بحديقة الفيلا، وبعد أسابيع أخذت جثتـه ودفنـت على ضفاف نهر السين. ومؤخرًا اعترف رجل مخابرات مغربي سابق بأن جثة بن بركـة أذيبـت في الربـاط. ولـما أثيرت الفضيحة أمر ديجول بتحقيق واسع، وأبعد العديد مـن رجـال الأمـن المتورطـين، وحدثـت أزمـة فرنسـية إسرائيلية شديدة. [خصصنا لبن بركة فصلا كاملا بالجزء الأول من حراس الهيكل .].

إلا أن ياكوف كاروز اعترض بشدة ، وقال لعاميت إن ذلك يُعَرِّض (حراس الهيكل) في أوروبا للخطر، إذا ما فشلوا في إنجاز المهمة، أو تَخَوَّف الطيار العراقي وأبلغ الشرطة، وما سيتبع ذلك من فضيحة مدوية للموساد، ستكون لها آثارها داخليًا وخارجيًا

وفي اجتماع مصغر ، اتفقت الآراء مجتمعة ، على أن يغادر إسرائيل فريق عمل، يضم أمهر رجال الموساد، يستطيعون من هناك وضع خطة لتصيد الطيار السائح وإغراؤه بالمال، بناء على الظروف المتاحة، على أن يراعى تلاشي أية أخطاء، قد تنجم عنها أزمات هم في غنى عنها

بناء على المعلومات المعطاة ، وضعت خطة العمل بعد موافقة رئيس الوزراء ليفي أشكول، حيث غادرت تل أبيب فرقة العمليات الخاصة ، لإنجاز المهمة السرية الدقيقة ، ولأنها رغبة عليا ، أحيط أعضاء الفريق علما بأن نجاح العملية ، سيحقق أقصى درجات الأمن والحماية لإسرائيل ، وأنهم يأملون في ذلك مهما تكلفوا من أموال، وتولى كاروز مسئولية عمل الفريق ومتابعته في تل أبيب .

أفادت التقارير التي وردت من فرانكفورت، أن الطيار العراقي يستمتع بإجازته إلى حد الهوس، ويقضي غالبية وقته ما بين البارات، وبين الشوارع المشهورة ببيوت الدعارة، كما لوحظ إهماله الجسيم للمحاذير المتعارفة لحماية أمنه الشخصي، ففي حالات سُكْره لا يتورع عن المباهاة بوضعه كطيار حربي، وسرد أسرار عسكرية هامة تمس سلاح الطيران العراقي، وقادته، مما أثار انتباه رجال السافاك في ألمانيا، الذين بدأوا يحومون حوله.

ملحوظة أخرى هامة للغاية تضمنها التقرير، تشير إلى ولع الطيار العراقي بالنساء، وسلوكه الغريب نحوهن، إذ لا يصادق فتاة يوما بأكمله، لأنه يهوى التنوع، ويفضل الفتيات النحيلات ذوات الصدور النافرة.

معلومة كهذه لا يمكن لرجل استخبارات ملاحظتها، إلا إذا كان واسع الخبرة فائق الذكاء. فرجل عادي لو أتيح له أن يكتب تقريرا كهذا، لأوضح أن فلانا متعدد العلاقات، أو أنه دائم البحث عن فتيات جديدات، حيث لا يفضل الاحتفاظ بعلاقات نسائية طويلة.

وفي عالم المخابرات والجاسوسية، يهتم الخبراء بأبسط التفاصيل وأقلها، ففيها مفاتيح تحليل الشخصية، وإجابة عن السؤال الهام: كيف سيتم التعامل مع شخص كهذا..؟ وما هي رخصة اقتحام ذاته من الأغوار..؟ لقد كان الطيار العراقي إذن من مدمني الخمر والنساء، وهذا النوع من الرجال يسهل احتواؤه، والسيطرة عليه، بواسطة فتاة رائعة الأنوثة والإثارة، تفوق جملة ما عرفهن من قبل . وكاحتياط، يجب توفير عدة فتيات مدربات، يتواجدن في (البيوت الآمنة) تحت الطلب .

إن تاريخ اليهود القديم مليء بقصص الجاسوسية التي حفلت بالجنس، ودور المرأة الرئيسي في تلك العمليات السرية التي خدمت أهدافهم ومصالحهم، ومنذ قامت الموساد عام ١٩٣٧ اعتمدت نظريات الجنس وعمل المرأة بجسدها، وأقامت لذلك مدرسة خاصة لتدريب فتياتها على فنون التجسس بالجنس، وأساليب الإغراء والسيطرة على حواس أولئك المطلوب تجنيدهم، فبرعت في ذلك نساء عديدات، كن العامل الأساسي لإنجاح عمليات الموساد في تصيد الجواسيس، وصُنِّفن على أنهن (دماء الموساد الذكية)، و(فدائيات نجمة داود) ، و(حارسات الهيكل) [١] .

كان رئيس الموساد ، إيسير هاريل ، أول من توسع في استخدام النساء المدربات، للقيام بمهام تجنيد الخونة، معتمدًا على نسوة جميلات ماهرات، آمنَّ بأهمية العمل (المقدس) في سبيل أمن إسرائيل . ومن بعده جاء مائير عاميت ، الذي قال في ذلك

(نحن نستخدم النساء ، ذوات (الصفات الخاصة) جدًا ، في المهام التي تستدعي ذلك، فالمرأة ذات فوائد عظيمة في عمل المخابرات ، فهي لا تثير الشكوك

---

(١) ألقاب أطلقت على نساء الموساد كنوع من التكريم ، لإضفاء الشرعية الدينية على سلوكهن الفاحش .

حولها ، ويوحي تواجدها مع زميل بأنهما زوجــان أو عاشـقان، فـلا يجذبـان انتباهًا في عمليات المراقبة) .

ويضيف (وتقوم الموساد باستخدام المـرأة في نصب المصائد الجنسـية ، ولمـرة واحدة فقط ، أحيانًا ، حيث توظـف الموسـاد الجنـس كـأهم الأسـلحة في عملياتـها السـرية ، وإنـه لتصـرف شـائع ، أن يتـم اسـتخلاص المعلومـات مـن الجواسـيس والمخبرين العــرب، الذيـن تديرهـم الموسـاد أو أمـان، بـأخذهم إلى مكـان هـادئ، فيكافأون على عملهم بتوفير الفتيات لهــم، ويتـم تصوير ممارسـاتهم لاستخدام الصور للضغط الابتزازي، لضمان ولائهم لإسرائيل).!!!

لا عجب إذن، وقد تدربن في أكاديمية جنسية متخصصة، أن تصل شهرة بعـض نسـاء الموسـاد إلى الآفـاق، لإجادتـهن فنـون أحـاديث الوسـادة والسـيطرة، ونــزف أجسادهن تضحية وحبًا في أرض الميعاد. كان من بين أشهر هـؤلاء النسـوة المدربـات المحترفات، يولاند هارمور[1] التي ولدت في مصر، وسيلفيا رافائيل التي اشتركت في تعقب الفدائي الفلسطيني علي حسن سلامة،وكانت من بين المعتقلـين في أوسـلو مـن رجال الموساد، إثر فضيحة ليليهامر[2] في يوليو ١٩٧٣.

أما شولا كوهين[3] ، فكانت بحق أسطورة الجنس المقدس في الموساد، إذ تمكنت بفضل جسدها المثير من تأسيس شبكة جاسوسية خطيرة في لــبنان ، وتســتحق بلا

(١) يولاند هارومور : ولدت في القاهرة ليـهودي مصـري ويهوديـة تركيـة وكـانت طاغيـة الجمـال، تزوجـت في السابعة عشرة لأول مرة، ثم مات زوجها وتزوجت بعده، وأصبحت أرملة عندما قتـل زوجـها الثـالث. جندتـها الوكالة اليهودية في القاهرة عام ١٩٤٧ ، وتغلغلت داخل الأوساط السياسية إلى أعلى المستويات، حيـث تعرفـت بتقي الدين الصالح صديق ومساعد عزام باشا أمين عام الجامعة العربية، (ورئيـس وزراء لبنـان بعـد ذلـك). كمـا اخترقت السـفارة الأمريكية بالقاهرة، وحصلت على البرقيات السرية الـتي أرسـلها جيفرسـون بارتسـون، القـائم بالأعمال آنذاك، حول أعداد المقاتلين العرب في حرب ١٩٤٨ ، وشك بها عزام باشا واعتقلت في يوليو ١٩٤٨ ثم طردت وماتت بمدريد في ١٩٥٩.

(٢) انظر عملية (اغتيال الجرسون المغربي).

(٣) شولا أرازي كوهين جاسوسة يهودية مجرمة، عملت في لبنان قرابة تسع سنوات (١٩٥٢ - ١٩٦١) وتمكنت من تجنيد الكثير من الخونة . شك بها السـوريون الذيـن كـانوا وراء اعتقالهـا في أغسـطس ١٩٦١ وحكـم عليـها بالسجن عشرون عاما ، و١٥ عاما لزميلتها راشيل رافول، وعشرون شهرًا فقط لآل العبد الله الثلاثة الذيـن كـانوا من أقرب عملائها. (انظر كتابنا : جواسيس الموساد العرب.. أشهر ٢٥ جاسوسًا صفحة ٤٦٧).

مبالغة لقب (ماتاهاري) [1] إسرائيل. إلى جانب هؤلاء كانت هناك أيضا سارة أهرونسون وليلى كاستيل ، ومئات الأسماء التي تزدحم بها ملفات جهاز المخابرات الإسرائيلي (الموساد)، كلها لنساء يهوديات عملن بإخلاص لنصرة الصهيونية، ونزفن العفة والشرف والحياء لبناء أمن الدولة وتأمينها.

ترى مَن مِنْ (حارسات الهيكل) أُرسلت إلى فرانكفورت، لإذابة الطيار العراقي محمد رغلوب..؟

صائد الغزلان

غادر صالة مطار فرانكفورت ، وخرج من الباب الدوار المطل على الساحة، لتلفحه ندف الجليد المتساقطة، وبرودة الطقس التي سجلت ثلاث درجات تحت الصفر. وبإشارة سريعة توقف التاكسي، فترك السائق يعبئ حقائبه بينما دلف بخفة إلى السيارة تصطك أسنانه، برغم البالطو الثقيل المبطن بالفرو الذي يرتديه فوق ملابسه.

كان قد بذل محاولات مضنية ليحظى كالعادة بإجازة يقضيها في فرانكفورت بمناسبة الكريسماس، لكن المسألة لم تكن سهلة أبدا، ولأول مرة منذ سنوات، يحرم من بهجة الاحتفالات في المدينة العريقة الرائعة، ويحصل بما يشبه المعجزة على إجازة تبدأ في ١٢ يناير ١٩٦٦، فيغادر بغداد حانقا وقد عقد العزم على استغلال كل لحظة في الاستمتاع واللهو، تعويضا لحرمانه من مغادرة العراق طوال عام كامل .

لقد عشق تلك المدينة الساحرة، عروس نهر الراين، منذ رآها لأول مرة أثناء عمله كطيار مدني، بشركة الخطوط الجوية العراقية، وتردد عليها كثيرا وكأنما ربطته بها علاقة حب آثرة، تذكى بداخلة عاطفة اللهفة كلما غاب عنها.

(١) ماتا هاري : اسم واحدة من أشهر جاسوسات القرن الماضي، وستظل تحمل لقب ملكة الجاسوسية لفترة طويلة قادمة. كانت تعمل جاسوسة لصالح الألمان إبان الحرب العالمية الأولى، واستغلت جسدها - كراقصة - في الحصول على خفايا بالغة السرية، واعتقلها الفرنسيون وأعدموها عام ١٩١٧ بالرصاص .

لذا.. فقد حفظ الشوارع والمتاجر والحدائق، ورسم بعقله أزقتها ومقاهيها، ونوادي الليل ومسارح العرى والدعارة التي لا تنام، تلك الملاهى التى تجتذب روادها من سائر القارات للاستمتاع بالرقص، وبفتياتها الجميلات الساحرات اللائي جئن من سائر جهات أوروبا وروسيا، يعرضن فنون الإثارة والجاذبية

هكذا جمعت المدينة الكبيرة كل ثقافات العالم ، تتلخص في زوار متباينو الميول والأيديولوجيات، اتفقوا على منح الجسد جرعات ارتواء مختلسة قبلما يعودون إلى بلادهم لمواصلة ضجيج الحياة. كان هذا بحد ذاته مدعاة لانتشار عملاء أجهزة الاستخبارات المختلفة، شرقًا وغربًا، يتربصون بأولئك الذين مَلُّوا الوقار الزائف في بلادهم، وجاءوا إلى فرانكفورت بثياب المجون. ومع هذا الازدواج في الشخصية تطفو نقاط الضعف، فيستغلها صائدو الجواسيس بمهارة، ويجرجرون ضحاياهم من حيث لم يدروا، إلى مستنقع الخيانة، وعالم الأسرار والغموض والعجائب

كانت الساعة تقترب من الخامسة صباحا، عندما توقف التاكسي أمام فندق بريمرهافن، وترجل (محمد رغلوب) في دعة يملأ رئتيه هواء الحرية فيبتسم فروحًا، ومن خلف زجاج نافذته بالطابق التاسع ألقى نظرة على المدينة الساهرة، حيث كانت الأضواء تتلألأ على ضفتي الراين، بينما الجليد يغطي الأشجار والأسطح والشوارع، لكن مواخير الفسق لا تعرف الجليد ، فحرارة الأجساد والرغبات حارقة.. لاسعة.. مؤججة.

ارتمى رغلوب يسعى لنيل قسط من الراحة، حتى يتهيأ للاستمتاع بإجازته، ينغص عليه بهجته ضآلة المبلغ الذي تمكن من تحويله بواسطة البنك، نتيجة القرارات الاقتصادية التي أقرَّت أخيرًا في العراق، وقيدت إلى حد كبير استبدال العملة خارج البنوك، ففتحت بذلك مجالاً أوسع للسوق السوداء، لم يتمكن رغلوب من استغلاله لضيق الوقت.

أخيرًا نام الطيار العراقي ينتظر اليوم الجديد، مستعرضا في خياله لياليه الأسطورية في ألمانيا الغربية، وفتيات عرفهن من كل لون، مائسات، حمر الخدود،

براكين صهدهن في الشفاه، إذا تأودن رقص النعيم منجرفًا، وضج لرنات همسهن الجمود.

كان يمني نفسه بمغامرات جديدة، ووجوه لم يألفها من قبل ، فلذة الاستمتاع عنده تتعاظم إذا ما تصيد وجهًا جديدًا، وما أكثر ما كان يبحث عنه وأسهله !!
فبعد أيام قلائل في فرانكفورت، غرق الطيار العراقي لآخره في بحور الخمر والنساء، إلى أن أوقعه حظه في شرك شاب إيراني، سرق معظم ما معه من نقود ، ولم يترك له سوى بضعة ماركات، فأبرق إلى أسرته لإنقاذه بتحويل بنكي من العراق .

السافاك والموساد

ولد محمد رغلوب في بغداد عام ١٩٣٠ ، وعاش بحي المنصور - أرقى أحياء المدينة - حيث تتجمع السفارات والفيلات والقصور ، وتكثر البساتين والميادين والحدائق. إذ نشأ في أسرة ثرية متنقلاً منذ صغره بين عواصم أوروبا في رحلات عائلية، بدلت الكثير من أفكاره ، فشب لذلك محبًا للسفر، مدركًا الفوارق بين تقاليد الشرق وانطلاقة الغرب وتحرره ، ممنيًا نفسه أن يعيش طوال حياته في أوروبا.

وبعدما أنهى دراسته سنة بعد أخرى ، عمل كطيار مدني في أمريكا ، وبضغوط شديدة من أسرته ، ترك شركة بان أمريكان (Pan American Air Lines) عائدا إلى بغداد، ليلتحق بالخطوط الجوية العراقية، يجوب مطارات العالم شرقًا وغربًا، مستغلا رحلاته في البحث عن الملذات بين أحضان الحسان، متذوقًا، مغامرًا، يقذف بنفسه أمام كل فتنة تصادفه، يساعده شبابه الغض ووسامته، وثراؤه.

وذات رحلة إلى بانكوك، تجول بين أسواق المدينة ومواخيرها، فلم ترق له فتيات آسيا النحيلات القصيرات، وعرج إلى البار بالفندق فشرب حتى الثمالة ، وصعد إلى حجرته مترنحًا وقد عز عليه أن يبيت ليلته بلا مغامرة، فهرب منه النوم، وأرقته النزوة، ولم يجد حلا سوى أن يطرق باب حجرة زميلته المضيفة الرومانية، ليليانا،

التي تبينت سكره الشديد، ونيته، فحاولت صرفه بلطف، لكنه وهو الفاقد العقل اندفع كالثور الهائج، واغتصبها عنوة .

بعدها طرد من الشركة مفصولا، تسيِّجه الخيبة والهموم، ولو لم تنظر زوجته بعين الاعتبار لأولادهما الثلاثة، لطلقت منه غير نادمة، لكنها آثرت البقاء بالمنزل لرعايتهم، حيث لن ينفعهم أب مستهتر ماجن، تسبقه فضائحه إلى حيث يمشي.

ولرغبة الأسرة في ألا يغادر العراق ليعمل بشركة طيران أجنبية، حصل محمد رغلوب على وظيفة جديدة بقوات الطيران، وارتدى البَزَّة العسكرية الأنيقة التي يتبختر بها في منتديات بغداد، كوسيلة مريحة لتصيد فرائسه من الفتيات المولعات بالضباط والطيارين، ثم أرسل في دورات تدريبية إلى موسكو وبلجراد، لتكون المحصلة في النهاية اعتماده طيارًا حربيًا، اختير بعد ذلك ضمن الطيارين الذين سيطيرون بالميج ٢١

وفي دورة تخصصية بالاتحاد السوفييتي عام ١٩٦٢، مارس هناك كالعادة هوايته، فتعرف على ساناشا الأوكرانية الحسناء، التي تعمل كسكرتيرة في سفارة دولة الدومينيكان، وغرر بها، ولما حملت منه وتحرك الجنين ببطنها، وعدها بالزواج إن هي تخلصت من الجنين، متحججًا بأن أهله في العراق سيرفضون، ولن يتمكن من إقناعهم إلا بعدما يرجع إلى وطنه، حيث يستطيع استدعاءها من هناك. لكن الفتاة النحيلة الرقيقة لم تحتمل آلام الإجهاض، وماتت نازفة حزينة بالمستشفى.

تفشى الخبر بين أعضاء البعثة العسكرية العراقية ، وعندما عرف رؤساؤه بالأمر، حققوا معه وعاقبوه بإعادته إلى العراق ، وضمَّنوا تقريرهم توصية بمنعه من السفر خارج بغداد في دورات تدريبية، لأنه (برغم كفاءته كطيار للميج ٢١ ، فهو شاب مستهتر فاسد الأخلاق والقيم، لا يقيم للشرف وزنًا، ودائم البحث عن نزواته).

هذه التوصية حرمته من السفر إلى لندن ، وأيضًا حالت دون سفره إلى تكساس لدورة قيادة سرب، مع زميله شاكر يوسف، وكان معنى ذلك حرمانه لفترة طويلة من الترقي، برغم أنه الطيار الأكبر سنًا في مجموعة طياري الميج ٢١.

لذلك انتابته حالة إحباط ، تدهور نفسيًا بسببها ، وتقدم بطلبات للجهات الأمنية ، للسماح له بالسفر إلى ألمانيا الغربية (لظروف مرضية). ومع الإلحاح المستمر لعدة أشهر ، ودور الوساطات من أجل ذلك ، حصل أخيرًا على إذن بالسفر مدته خمسة أسابيع. فغادر إلى فرانكفورت يحلم برحلة رائعة ، تمسح عنه معاناته النفسية المرهقة ، بعيدًا عن مطار كركوك الحربي ، والمشاكل الأسرية التي ضاق بها.

في ذلك الوقت كانت العلاقات العراقية الإيرانية تبدو طبيعية ، لكن الواقع كان بخلاف ذلك ، فأكراد كردستان[1] المناوئين يسببون صداعًا مزمنًا لشاه إيران ، محمد رضا بهلوي ، ويمدهم العراقيون سرًا بالسلاح ، انتقامًا من الإمبراطور الذي فرض هيمنته على شط العرب ، وغل أيديهم في منطقة يعتبرونها قطعة من أراضيهم.

وبالرغم من علاقات التعاون الوثيقة بين الموساد والسافاك(٢) ، إلا أن رغبة الإيرانيين في استقطاب طيار عراقي ، بطائرته الميج ٢١ ، كانت أمنية غالية لمجاملة أمريكا ، التي تحمي عرش الشاه ، لإطلاعها على أسرار الطائرة ، ثم يعيدونها ثانية إلى العراق ، وذلك بعد إثارة أزمة دبلوماسية تستغرق فترة معقولة ، يكون الأمريكيون خلالها قد فحصوا الطائرة وتكشّفوا أجهزتها.

---

(١) كردستان - أرض الأكراد - هضبة شاسعة ومنطقة جبلية تشمل أجزاء واسعة من شرقي تركيا وشمال العراق وشمال غربي إيران ، وجزءاً صغيرًا من شمال سوريا ، وأجزاء من أرمينيا السوفيتية. تلك هي المنطقة التي يعيش فيها الأكراد منذ أزمنة مبكرة جدًا. إنهم شعب جبال زاجروس والامتداد الشرقي لجبال طرطوس التركية ، شعب له عاداته ولغته وحضارته ، وتضطهده الدول التي يعيش في كنفها بالجوار ، ولا تريد منحه الاستقلال الذي يسعى إليه ويناضل من أجله ، كما تستغله الدول المجاورة في الاضطرابات السياسية تبعًا للعبة المصالح والنفوذ.

(٢) السافاك SAVAC : جهاز الاستخبارات الإيراني ، قريب الشبه من SAVAGE أي التوحش والبربرية ، أنشئ عام ١٩٥٣ لمساندة حكم الشاه وتعضيده ، بعد ثورة مارس التي قادها الدكتور محمد مصدق رئيس مجلس الوزراء لتأميم البترول ، واعتصامه بمبنى البرلمان (بالبيجاما) هربا من اغتياله. حكم الشاه إيران بالحديد والنار ، حيث اتبع السافاك كل أساليب الوحشية مع الشعب الثائر من أجل تثبيت حكم الشاه بالقوة.. فطارد المعارضين بالخارج والداخل ، وتحت هذه المزاعم أباد عشرات الآلاف من الإيرانيين الذين لقوا حتفهم في سراديب السجون وتحت وطأة التعذيب. كان رئيس السافاك الثالث والأخير ، نعمت الله نصيري ، يلقب بالمكروه الأول ، ووصف بالسادي المتوحش ، وكانت ميزانية الجهاز في عهده تتعدى المليار دولار ، حتى بلغ عدد موظفيه أكثر من مليوني موظف وعميل ، وأما عدد المعتقلين خلال عام ١٩٧٥ فبلغ مائة ألف داخل السجون. وبعد ثورة الخوميني وطرد الشاه عام ١٩٧٩ ، ظهرت حقائق بشعة عن السافاك ، واعتقل (نصيري) وحكم عليه بعد محاكمة سريعة ، بالإعدام رميا بالرصاص ، ونفذ فيه الحكم فوق سطح المبنى الذي كان يشغله الإمام الخوميني في مدينة (قم).

من هنا .. كان يبدو منطقيا أن رجال السافاك في أوروبا، تعمدوا سرقة نقود الطيار العراقي للإيقاع به، وهو أسير حالته المادية المتردية . لكن رجال الموساد كانوا هم الأسرع في الانقضاض على رغلوب، قبلما تتخذ السافاك خطوتها التالية

مصيدة العسل

استعانت الموساد بواحدة من أجمل نسائها ، وهيأتها لاقتناص الصياد الماهر الباحث عن الجمال. ففي غمرة انزعاجه لضياع نقوده لم يشأ أن يغادر الفندق، وبقى معكر الصفو ينتظر الإمداد القادم من بغداد.

وفي بار الفندق عاوده الحنين إلى المغامرة ، فالفتاة الجالسة قبالته بمفردها كانت ذات وجه ساحر، قلما صادف جمالاً يماثله في أوروبا، فالعينان ناعستان تسكران، وبفمها انفراجة مجنونة مثيرة تلهب الأعصاب. أما جسدها المشوق فيضج بأنوثة فتاكة، متوثبة، تعلن عن نفسها في صراحة. دهش رغلوب عندما لمحها توقع فاتورة الحساب، فندت عنه صيحة مكتومة تزدحم بالبهجة (ياللحظ السعيد.. إنها إذن نزيلة الفندق).

استحضر مواهبه سريعًا وبعد دقائق قليلة كانت تراقصه، فأذهب عطرها بعقله، وتحفزت كل مجامعه في لهفة للارتواء. فقد الطيار الذائب اتزانه، وأعصابه، وغادرا البار ثملين إلى الطابق التاسع، حيث تنزل أيضًا. في الممر أمام حجرتها انخلع ما بقى فيه من عقل، ولم يعد بقادر على الصبر. فيدلف معها إلى حجرتها مسلوب الإرادة. وبينما يتقلب في حمم اللذة، فينصهر صهرًا، وينجرف، يعترف لها بأنه تائه، ثمل، يكره الاستفاقة على فراشها، كاشفًا لها عن شخصيته الحقيقية، وما حدث له من سرقة نقوده.

ولأنها عميلة خبيرة منتقاة بعناية لهذه المهمة ، ومدربة جيدًا على كيفية تفكيك إرادة فريستها، أذاقته أعاجيب القطوف فاختبل، كلما همد الجسد كانت أظافرها تحرثه فيشتعل. فبدت، في رأيه، امرأة أخرى نسفت كل تصوراته وخبراته. إذ

أشعرته ، وهو الخبير بالنساء ، بأنه شاب أغر بلا تجارب على وسائد الهوى. بل واطمأن أكثر وأكثر عندما أكدت له أن بمقدورها مساعدته للتغلب على مشكلة المال.

ضحك الشاب في نفسه.. فهو الذي اعتاد الإنفاق على النساء يصادف أخيرًا فتاة مثيرة ثرية لا تطلب مالاً . لقد أعجبتها فحولته إذن ، لذلك عرضت عليه حلولاً ليهدأ. ففي اليوم التالي عَرَّفته على رجل الأعمال (هرفراتز) الذي يقوم بمضاربات في البورصة، وبالحقيقة هو من أمهر رجال فريق الموساد، في النواحي الاقتصادية البحتة، ويبدو مظهره وحديثه كأنه رجل أعمال بحق. لذا فقد طار خصيصًا إلى فرانكفورت لاصطياده .

اصطحبه فراتز إلى سوق البورصة ليجرب حظه، على وعد بمنح رغلوب عشرة آلاف (فرنك) في حالة إذا ما حققت أسهمه زيادة في السعر. وفي عملية تمثيلية لم ينتبه لها رغلوب، منحه ضابط الموساد المبلغ (بسهولة)، على وعد بمعاودة الكرة ثانية

على هذا .. استسهل رغلوب الثروة التي هطلت عليه من حيث لا يدري، واشترى للحَيَّة الناعسة هدايا ثمينة. وعندما جاءته الحوالة النقدية على البنك الاتحادي، أنفق غالبية المبلغ عليها أيضا وعلى مقامراته. هكذا أحاطته الموساد بحفنة من الحسناوات تكفلن به، وعاش بينهن أياما كأنها الحلم حتى نفدت أمواله، وبقى تحت رحمة فراتز الذي انتزعه من الفندق، وأخذه إلى إحدى الشقق الآمنة، حتى يكون حتى السيطرة الكاملة، وبعيدًا عن رجال السافاك، وعن رقابة المخابرات العراقية التي لم تكن على مسرح الأحداث في فرانكفورت وقتها.

بيد أن محمد رغلوب لم يسأل نفسه مرة واحدة : لماذا هذا الاهتمام من صديقته وفراتز، أو من هؤلاء الذين يحيطون به ويقيدون حركته المحصورة في نطاقهم..؟ لم يسأل الطيار العراقي عن أي شيء، ولم يفكر في أن يسأل، مداومًا على سلوكه المعتاد، حتى وهو ينتظر في بلاهة لعبة البورصة التي خدعه بها فراتز، لينقده مبلغًا آخر بدعوى الربح .

لكن فراتز يخيب آماله فجأة ويدعي تعرضه للخسارة، بل ويطلب من رغلوب أن يفكر معه بصوت عال، في كيفية اجتياز هذه العقبة. وتركه يلهث بين أحضان ابنة الموساد، في (مصيدة العسل) المُلغَّمَة بالكاميرات وميكروفونات التسجيل، بينما كان بقية أعضاء الفريق منهمكين في التصوير، وقد أخذتهم الدهشة أمام فلتان اللسان الذي أصاب الطيار التائه، وهو يسب قادته وسلاح الطيران العراقي كله .

وعلى حين بغتة بينما كان رغلوب بين أحضان فتاته ، ظهر فراتز فجأة وبرفقته ثلاثة آخرين. حاول الطيار العاري سحب ملابسه، لكن بخطوات محسوبة بدقة ناوله مظروفًا ثقيلاً، يحوي عشرات الصور العارية المخجلة، وضغط على مفتاح التشغيل فانطلق صوت الكاسيت بالسباب الذي تفوه به، ضد عبد السلام عارف[1] وقيادات الجيش في العراق. فألجمت الصاعقة لسانه ، وارتعدت عضلات وجهه، واهتزت لا إراديا أطرافه، فيما لم يمهله ضابط الموساد لحظة واحدة ليسترد وعيه، إذ سأله بلهجة فيها الخباثة والوعيد :

– صديقي العزيز .. أعرف أنك لا تملك سوى رجولة لن تُعَمِّر طويلاً. لكن ماذا ستفعل لو أنك تملك الآن مليون دولار..؟

(انسحبت الفتاة بعيدًا) .

أجابه رغلوب وهو يرتجف متظاهرًا بالهدوء :

– أنا لا أملك الآن مائة مارك.. وتجيئني بمليون دولار..؟ لو أن ذلك حدث بالفعل، فسأموت.. سأموت في الحال دون أن أستفيد حتى ولو بنصف دولار.

---

(١) عبدالسلام عارف : تولى منصب رئيس الجمهورية بالعراق بعد انقلاب عسكري في ٨ فبراير ١٩٦٣ ، حيث أطاح بالرئيس السابق عبد الكريم قاسم الذي أعدم بالرصاص أمام كاميرات التليفزيون على الهواء مباشرة. كان عبد السلام عارف مكروهًا من القوميين العرب في العراق، واشتهر بتفاهته الخطابية وانتهازيته و خضوعه للأجانب. ويذكر أن وزير الإعلام عبد الكريم فرحان لجملة من الأسباب، ذهب إلى القصر الجمهوري لمقابلة الرئيس عبد السلام عارف، فتشاجرا وتشاتما، فما كان من الوزير إلا أن صفع الرئيس فاعتقل. واشتهر عارف بأنه كان محبًا للعطور، ويحكي أن رائحته كانت تملأ القصر، وتصل إلى نهاية الشارع الذي يشرع في الدخول إليه في تجواله. ومات عبد السلام عارف في حادث طائرة في ١٣ أبريل ١٩٦٦ .

– لدينا عشرات الأفلام وشرائط التسجيل، واحد منها فقط يقودك إلى ساحة الإعدام.. ونحن لا نرغب في إيذائك طالما سنتفق.

– أنتم من..؟ وعلام سنتفق..؟

– نحن أولاد عمومتك.. لدينا أوامر برعايتك وإكرامك، و..

– أنتم يهود..؟

– وبين يديك الآن مليون دولار.. ستهنأ به طوال حياتك أنت وأسرتك، مقابل أن تتعاون معنا.

بدأ يرتجف بشدة في ذعر :

– أنا لا أفهم شيئًا هرفراتز .

– نريدك أن تجيء بطائرتك الميج ٢١ إلى إسرائيل، وسوف نرتب لك حياة خيالية لا تحلم بها، سنمنحك فيلا رائعة، ورتبة عسكرية في جيش الدفاع، ومعاشًا سخيًا مدى الحياة لك ولأسرتك، وستكون ابن إسرائيل المدلل الذي تُجاب رغباته بلا أدنى نقاش..

أمام هذا المأزق الصعب لم يشأ محمد رغلوب أن يرد ، وبعد فترة صمت طويلة مرهقة أدرك خلالها الحقيقة ، وأن حياته رهن بما سيقوله .. لذلك لم يوافق على العرض ولم يرفض، إنما طلب من فراتز مهلة للتفكير ودراسة الأمر من شتى جوانبه وكان هذا الرد فى حد ذاته باعثا على الشعور بالأمل فى الوصول إلى حل مع الطيار الشهوانى المفلس .

كانت فتاة الموساد الأفعوانية العارية ، قد غادرت الغرفة حال دخول فراتز ورفاقه، فعادت إلى الطيار المذعور ثانية لتهدئته، وفي الوقت نفسه تشوش عليه صحيح أفكاره، وتدفعه لأن يوافق بتخويفه من المخابرات العراقية ، التي لن ترحمه إذا ما وصلتها نسخة من الأفلام والشرائط .

وبعد ساعتين تقريبًا ، جلس إليه فراتز يشرح له سهولة المهمة ، موضحًا كيفية الهرب بالطائرة عبر الأجواء الأردنية، التي لا تملك الميج ٢١ . ولما سأله عن رده، أعلن رغلوب موافقته، مشترطا أن يوضع المليون دولار باسمه في بنك سويسري أولاً.

لم يصدق ضابط الموساد أذنيه ، وكادت الدهشة أن تصعقه ، فالصيد الثمين ها هو يتمايل أمامه مرهقًا مترنحًا، وحتمًا ستخور مقاومته وإرادته . كان عليه إذًا محاصرته أكثر وأكثر، وسد ثغرات الهرب دونه. فالحلم الصهيوني بامتلاك الطائرة العربية أوشك أن يتحقق ، ليفرح شعب إسرائيل، ولتفخر الموساد برجالها المخلصين، وبفتياتها الرائعات .

امتدت المفاوضات بينهما وقتا طويلا، فراتز يعده بالمبلغ كاملا بعد وصوله إلى إسرائيل، ورغلوب أكثر إصرارا على تنفيذ شرطه

فراتز يقول له : إنه يفاوضه باسم دولة ، وما يتوصلان إليه هو ميثاق للتعامل، فيجيب الطيار العراقي بأنه لا يثق في مواثيق اليهود، وهو يريد النقود أولا.

فيسأله فراتز عن الضمانات في حالة تسلمه المبلغ باسمه ، فيرد رغلوب متسائلا عن ضماناته هو الآخر .

يعود فراتز ويعرض عليه اصطحابه إلى إسرائيل، فيودع المبلغ باسمه هناك، ثم يعيده ثانية إلى فرانكفورت، فيقول رغلوب بأنها خدعة جديدة، فكما صوره في فرانكفورت ألن يصوره داخل إسرائيل، ليضطر بعدها إلى الهرب بطائرته بدون مقابل؟!

استحكم الأمر بينهما إلى أبعد مدى، وأغلقت منافذ التفاوض للوصول إلى حل يرضي الطرفين ، وأخيرًا اقترح فراتز على رغلوب أن يرافقه إلى باريس للتفاوض مع رئيسه هناك، فربما يوافق على شروطه وقد كان !!

نهاية مقامر بحياته

وفي الطائرة إلى باريس ، أغمض عينيه وطار مع أحلامه الوردية ، وهو يسلم المليون دولار للمخابرات العراقية ، ويتسلم قلادة البطولة وشهادات التقدير ، ويحصل على ترقية فورية كمكافأة ، فيرتفع اسمه إلى الآفاق ، وتنزاح التقارير السيئة في ملفاته إلى غير رجعة.

استغرقه التفكير أيضا في زوجته التي ستسر كثيرا ، وستتقرب إليه بالود القديم الذي راح ، حتى أولاده ، سيحسدهم زملاؤهم في المدرسة ، والشارع ، والنادي ، ويتحول محمد رغلوب إلى رمز وطني مشرف ، وبطل من أبطال العرب الذين يفخر بهم التاريخ .

أخذ عهدًا على نفسه ألا يتراجع عن مطلبه ، فهم يريدون الطائرة وبأي ثمن ، والمليون دولار مبلغًا يُعد تافهًا قياسًا بالطائرة الجبارة ، التي ترهق عقولهم وتخيف مغاويرهم. إنه طيار حربي يعرف سر التهافت على الميج ٢١ عند الإسرائيليين ، هذا ما سمعه أيضًا من أحد القادة الكبار في العراق . يومها أكد القائد بأن إيران (تتودد) إلى العراق ، منذ وصلت الطائرة السوفييتية الخرافة التي لا يملكون مثلها. وأن إسرائيل تحسب للطائرة ألف حساب لأنها الطائرة الأقوى والأشرس في المعارك .

وفي باريس نزل رغلوب بفندق ضخم بميدان البيراميد[1] ، وفي جناحه الذي هيأوه له بأموال الموساد بقي ينتظر فراتز ورئيسه

كان مائير عاميت لا يصدق ما يقوله كاروز ، من وجود طيار عراقي تحت سيطرتهم ، يتم التفاوض معه في باريس ، وانتابته من جديد مشاعر الفرح التي ولت ، بفشل المحاولتين السابقتين . لذلك أوصى كاروز مشددًا بضرورة انتهاز الفرصة هذه المرة ، واستغلالها على أحسن ما يكون . وفكر بالاتصال بعيزرا فايتسمان قائد سلاح

---

(١) تردد أنه فندق Regina بشارع de Rivoli ، المحصور بين متحف اللوفر وميدان فيندوم Vendome ، وهو فندق درجة أولى ترجع بعض مقتنياته لأيام (دي بومبادور) ، والملكة (ماري أنطوانيت) .

الجو السابق الذي حل محله مردخاي هود، ليهنئه بقرب تحقيق رغبتـه، لكنـه غادر مكتبه على عجل لمقابلة رئيس الوزراء، ليفي أشكول، وقال له :

- سيدي الرئيس.. أستطيع أن أؤكد أن الميج ٢١ ستصلنا عما قريـب.. فرجالنـا يتفاوضون في باريس الآن مع طيار عراقي، فضلاً عن..

فصرخ رئيس الوزراء غاضبًا :

- منذ متى وأنا أتصور المستقبل كواقـع..؟ كـان هـاريل يقـول لـ بـن جوريـون: (فعلت).. وأنت تقول لي : (سأفعل)..؟

وخرج عاميت معروقًا خجلا، يفكر في أن يطير في الحـال إلى بـاريس، ليتفـاوض بنفسه مع الطيار العربي الـذي سيخلد اسمـه، ويضعـه علـى قائمـة رؤسـاء الموسـاد العظماء.

وما إن وصل إلى مكتبه حتى وجد خبرا عاجلا نقله إليه مساعده كاروز:

(ريتشارد هولمز[1] تولى منصبه اليوم) .

وفي باريس كان محمد رغلوب يحاول بعناد أن يغامر إلى النهاية، فقد زاره فراتـز ومعه ضابط صهيوني آخر، بذلا جهدا شاقا لإثنائه عن شرط الدفع مقدمـا، لكنـه لم يتزحزح قيد أنملة، بل إنه ثار عليهما :

- تريدون مني أن أهرب بطائرة قيمتها ٢٥ مليون دولار دون ضمانات..؟ أعـرف جيدًا إنكم في إسرائيل تريدونها ، وبأي ثمن، لأنكم ببساطة تجهلون أسرارها.. إذن ضعوا المليون دولار باسمي وسأهديها لكم، وعندكم شرائط لي وأفلام تستدعي إعدامـي رميا بالرصاص، تستطيعون إيذائي بها في أية لحظة.. فلا تضيعوا وقـتكم معي بلا

---

(١) ريتشارد هولمز هو الرئيس السادس لـ C.I.A خلفا لوليام رابون، ويعد هولمز أبرز الجواسيس بعـد آلان دالاس. كان يرأس قسم التخطيط والأعمال القذرة، وخطط انقلاب مصدق في إيران عام ١٩٥٣. تخرج في جامعة هارفـارد وعمل صحفيا في يونايتد برس،وحصل على أول حديث صحفي عالمي من هتلر عـام ١٩٣٨، ثـم تـرك الصحافـة ليتجسس لحساب المخابرات المركزية، ووصلت المخابرات في عهده إلى قمـة طغيانـها وتدخلـها السـافر في حيـاة الناس داخل أمريكا وخارجها.. وكوفئ على خدماته للمخابرات بتولي رئاستها من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٢ ، ثـم عـين سـفيرًا لأمريكا في طهران.

داع لأن المليون دولار مبلغ زهيد، فمخابراتنا تدفع الكثير لكل من يخبرها عما تخططه إسرائيل للعراق وتسعى إليه !!

وضحت إذن الرؤيا لرجال الموساد، فالضابط العراقي يحاول ابتزازهم إذا لم يرضخوا لشرطه، وهذا مستحيل بالطبع. لقد كان خطأ رغلوب جسيمًا عندما لوح مهددًا بإطلاع مخابرات بلده على نواياهم. وعندما هدده ضابط الموساد بشرائط الكاسيت المليئة بالسباب، وأفلام الجنس العارية، ضحك رغلوب ساخرا وقال له إن الرجل وامرأته على الفراش يَسُبَّان أهليهما في فجاجة، بل وطلب منهما فيلما جنسيا ليريه لأصدقائه.

عندئذ أيقن الإسرائيليان أنهما وقعا في فخ الطيار المفلس العنيد، فبدلاً من أن يسيطرا عليه انعكس الأمر، وبات واضحا أن فشل التفاوض معه وعودته إلى العراق، فيه كل الخطر على إنجاح تجنيد طيار عراقي آخر، لذلك حمل رغلوب حقيبته إلى محطة القطارات قاصدا ألمانيا، وعنده يقين أنهم سيوافقون، وسيسعون وراءه في إلحاح، عندها، سيزيد المبلغ إلى الضعف، وربما أكثر.

لم تكن حساباته بالقطع صائبة ، فقد كان الأمر أكبر كثيرًا من حدود تفكيره، وطموحاته، لكنه استعذب لعبة المساومة ، يملؤه اعتقاد راسخ بأن مغامرته سوف تنجح لأنهم بحاجة إليه ، وما كان يعلم بأن إسرائيل كلها ، حكومة ومخابراتًا، تنتظر وتترقب. فالأمر جد خطير، خطير، إلى أقصى درجة لا تتصورها مداركه المحدودة .

لقد انصب تفكيره في متعة المغامرة ، ونتائجها المبهرة فيما بعد ، وساقته سذاجته باللعب مع الكبار إلى نهاية مأساوية لم يكن يتوقعها، ولم تنته بها أبدًا حياة أي طيار عربي آخر، من قبل، أو بعد.

فأثناء سير القطار الدولي بسرعته القصوى في الأراضي الألمانية، لم يلحظ رغلوب أن هناك من يلاحقه، ويتبعه كظله، فما إن غادر دورة المياه، خارج عربة النوم،

حتى اصطدم به ثلاثة رجال أشداء، خلطوه خلطًا بين باب الحمام والباب الخارجي، وقبلما يتمكن من الدفاع عن نفسه ، قذفوا به من القطار الدولي السريع[1].

وفي صباح يوم الاثنين ١١ فبراير ١٩٦٦ عثرت الشرطة الألمانية على جثة محمد رغلوب ، وكانت مقطعة الأوصال على امتداد كيلومترين. وجاء التقرير الجنائي للأمن الألماني : (**أن الطيار العراقي كان ثملاً عند وقوع الحادث، وأخطأ عند خروجه من دورة المياه، إذ بدلاً من الاتجاه إلى باب العَربة الداخلي، فتح بطريق الخطأ باب العربة الخارجي، الذي وجد به خلل حديث، وسقط من القطار**).

هكذا قامر محمد رغلوب بحياته ، ودفع عمره ثمنا لمغامرة طائشة قصد بها خدمة وطنه، وتحسين وضعه الوظيفي والاجتماعي ، وطويت بذلك صفحة حزينة، من ملف الصراع الإسرائيلي الشرس ، لامتلاك طائرة ميج ٢١ عربية



(١) القطار الدولي السريع تغلق بإحكام أبواب عرباته، وفي حادث رغلوب هناك ما يؤكد شبهة التورط، والاتفاق المسبق بين أمن القطار وعملاء الموساد، فمن الصعب عمل مفتاح مصطنع لعربة القطار في وقت ضيق ومحدود .

اغتيال العلماء العرب ..!!

لا أحد ينسى سميرة موسى ، أو يحيى المشد، والسعيد بدير، والدكتور القليني الذي اختفى في براغ ولم يظهر له أثر حتى اليوم. هناك أيضًا الكثيرون غيرهم، اشتركوا جميعًا في النبوغ والعبقرية والمهارة الفذة والابتكار كما جمعهم ذات المصير المهلك الذي اقتيدوا إليه، دون أن يسرع أحد إلى نجدتهم، أو يميط اللثام عن أسرار تصفيتهم الحقيقية. إنهم أدمغة العرب التي تولّد العلم، وتضيء النور في مسيرة حياتنا ..!!

منذ إعلان قيامها في عام ١٩٤٨ على أرض ليست أرضها، وبطرق الابتزاز السياسي والتملق ونسج الأساطير المكذوبة ، حرصت حكومات إسرائيل المتعاقبة على أن تظل الدولة العبرية قوية بسلاحها وعلومها.. على أن تجد أجهزة مخابراتها في البحث عن العقول العربية المتميزة علميًا - خاصة في مجالات العلوم الذرية - وتعمل على تصفيتها أولاً بأول.. لكي ينضب معين العلم لدى العرب ، وفيما يقابله تفوق علمي إسرائيلي .

وطوال رحلة اغتيال العقول العربية.. منذ قيام إسرائيل حتى يومنا هذا.. نفذت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بحذر شديد.. عمليات تصفية محبكة ضد هؤلاء العلماء.. دون أن تترك دليلاً ماديًا يقود إليها. اللهم إلا إذا جاء الاعتراف منها كما حدث في حالة الدكتور يحيى المشد.. حيث جاءت تفاصيل عملية اغتياله في فرنسا بدم بارد في الكثير من المقالات والكتب التي صدرت عن الموساد. إلا أن هناك دلائل عديدة تخلفت وراء عملية اغتيال العالم الفلسطيني نبيل أحمد فليفل.. الذي قتل في مخيم الأمصري بالأرض المحتلة.. دون أن تشير مخابرات إسرائيل إلى فعلتها.. حيث تتكتم غالبًا في خروج أسرار اغتيال العلماء العرب إلى النور.. برغم أصابع الاتهام التي تشير إليها صراحة.. إذ لا أحد سيجني مصلحة في حال قتلهم سواها.

القائمة طويلة.. وعمليات التصفية تتم بأسلوب مخابراتي محترف.. فلا أدلة بمكان الجريمة.. ولا اعتراف رسمي.. لكن القاتل في كل الحالات واحد.. جهاز الاستخبارات الإسرائيلي - الموساد - ذو الخبرة العريقة في شتى أنواع الاغتيال[1] في مختلف العواصم..(!!) ولنبدأ من البداية.

---

(١) راجع طرق وأساليب الموساد الجهنمية في التصفيات الجسدية التي قامت بها، من خلال السرد الواقعي بالمقدمة ..!!

الدكتور مصطفى مشرفة

في ١٦ يناير ١٩٥٠ توفى مسمومًا العالم المصري الكبير علي مصطفى مشـرفة. أول مصري تولى منصب الأستاذية في كلية العلوم عام ١٩٢٦ بعد إنشائها بسنة واحدة.

ولد مشرفة في دمياط في ١١ يوليو ١٨٩٨ فحفظ القـرآن الكريـم في طفولتـه، وتـأثر بالأدب العربي الإسـلامي، ورحلـت حواسـه مـع الشعر واستغرقت فكـره القضايـا العلمية. فاستطاع أن يكوّن لنفسه ثقافة تـوازن بـين العلـم والإيمـان والعقـل والقلـب والمادة والروح.

درس مشرفة في مدرسة المعلمين العليا ، ثم في جامعة نوتنجهام والكلية الملكية في لندن عام ١٩٢٣. فالتقى بعلماء الغرب وشـارك معـهم في تطويـر النظريـات الحديثـة حول الرياضيات، ونشر أبحاثًا كثيرة في المجلات العلمية المتخصصة، كذلـك سـاهم بآراء مستنيرة في الرياضيات البحتة وتلك الإنجازات ذكرها العلماء الأجانب وأفـادوا منها.

يعتبر الدكتور مشرفة أحد كبار علماء الطبيعة الرياضية ، حيث أضاف إلى نظرية النسبية والعلاقة بين المادة والإشعاع، كما درس أيضًا الفلسفة وحصل على الدكتـوراه وعاد إلى مصر ليعمل أستاذًا في كلية العلوم، وأستاذا لعلم الطبيعة في مدرسـة الطـب. حاول مشرفة أن يؤسس ثقافة علمية في الجامعة المصرية والفكر العربي، فقام بجعـل اللغة العربية أساس البحـث العلمـي، لذلـك أنشـأ قسـمًا للترجمـة العلميـة يختـص بترجمة أمهات الكتـب النـادرة في العلـم إلى اللغـة العربيـة، وقـام بتـأليف عشـرات الكتب في تبسيط النظريات والأفكار العلمية.

كانت رسالة هذا العالم القدير قائمة على أساس من الدين والعقيدة، فكـان دائمًـا يؤكد على آيات القرآن الكريم والأحاديث النبويـة. ودعـا إلى الاهتمـام بـالعلم حيـث كان يقول: **(واصلوا أبحاثكم بالروح العلمية الصحيحـة. واصلوهـا فـإن ذلـك حـق عليكم وللعلم ولأمتكم وأنفسكم، لا يثنيكم تجشـم مشـقة ولا يلـهينكم مظـهر مـن**

مظاهر الحياة الخلابة ولا يقعدكم عدم اكتراث، بل ليكن في مقاومتكم لهذه القوى وتغلبكم عليها فخر يضاف إلى فخر قيامكم بواجبكم.)!!

هذا ويعد الدكتور مشرفة أول مصري بحث شئون الفضاء.. وكانت لـه مساهمات عبقرية في نظرية النسبية للعالم الكبير ألبرت أينشتين.. ببحوثـه الشاملة عن كبار علماء العالم.. ورفعته أبحاثه العلمية لتشهد له الأكاديميات الدولية المتخصصة بأنه من أعظم علماء الطبيعة والرياضة في التاريخ.. ووصفه أينشتين نفسه أنه صاحب عبقرية لا مثيل لها.

لكن العالم الكبير سرعان ما فارق الحياة وهو في الثانية والخمسين من عمره.. بعدما أطلق عليه العلماء لقب (أينشتين مصر).. فاهتزت الأوساط العلمية العالمية لوفاته.. التي قيل الكثير حول غموضها.. خاصة وأن أبحاثه حول الذرة واليورانيوم كانت تقلق البعض. وقيل يومها إنه تناول واحدة من (الكعك) المسموم.. وإلى الآن ما تزال قصة وفاته الحقيقية مجهولة.

الجدير بالذكر أن الدكتور على مصطفى مشرفة[1] كان أستاذ سميرة موسى بكلية العلوم جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) وعندما توفى في ١٦ يناير ١٩٥٠ كان عميدا للكلية.

سميرة موسى..

يأخذنا اسمها ملاصقا لصورتها الوحيدة التي نعرفها إلى عالم آخر تفوح منه رائحة النبوغ وحدة الذكاء.. ولكن من المؤكد أنها مجهولة تماما للأجيال الجديدة.. فهي أول عالمة ذرة مصرية وعربية وإسلامية على الإطلاق.. وأول شهيدة عربية للعلم.. وأول عالمة ذرة في العالم شهدت حياتها نهاية مأساوية مفجعة خلدت اسمها ووصلت بها إلى الآفاق.

---

(١) صدرت عن حياة د. مشرفة كتب كثيرة، من أهمها الكتاب الذي ألفه سكرتيره الخاص أحمد عبد الرحمن سباق، بعنوان: (د. علي مصطفى مشرفة). ومن أهم مؤلفات الدكتور مشرفة: الهندسة الوصفية - الهندسة المستوية الفراغية - نحن والعالم - الذرة والقنابل الذرية - العلم والحياة - الميكانيكا العلمية - النظرية النسبية الخاصة.

سميرة موسى.. ابنة الريف المصري.. ولدت في ٣ مارس ١٩١٧ بقرية سنبو الكبرى مركز زفتى غربية. كانت الابنة الرابعة من بين أخوتها التسعة.. وكان مولدها مواكبًا لحركة المد الثوري في مصر.. ثورة ١٩١٩.. وظهور طلعت حرب الذي يؤسس بنكا يحمل اسم (مصر).. ويصنع محمود مختار تمثالا أسماه (نهضة مصر).. ثم تقوم الجامعة الأهلية.. وتظهر هدى شعراوي وصفية زغلول والاتحاد النسائي المصري..

حفظت سميرة موسى القرآن الكريم، وكانت مولعة منذ الصغر بقراءة الصحف والكتب، وأنعم الله عليها بذاكرة قوية تؤهلها لحفظ الشيء بمجرد قراءته. وفي مدرسة سنبو الأولية لفتت الأنظار بحبها الشديد للقراءة وبقدرتها الفائقة على الحفظ، وبأسئلتها التي لا تنتهي عن تلك الاختراعات التي تقرأ عنها مثل (الطائرات) و(السيارات) و(القطارات) حتى (الراديو) كان يثير فضولها. أما الإجابة فكانت دائما: (إنه العلم يا سميرة) ذلك الساحر الذي يحقق المعجزات للبشرية؟؟

وبالطبع لم يكن أمام الأب (الحاج موسى علي) إلا أن يأخذ بنصيحة الأهل الذين لفت نظرهم تفوق (سميرة) بترك الريف والذهاب إلى القاهرة ، حتى تأخذ ابنته فرصتها في التألق والنبوغ .

اشترى الأب فندقًا صغيرًا بالحسين يستثمر فيه أمواله ويعول من دخله أفراد أسرته، وتلتحق سميرة بمدرسة (قصر الشوق) الابتدائية لتكون من أوائل الشهادة الابتدائية.. ثم يدق الحظ على بابها لتنتقل إلى مدرسة (بنات الأشراف) الثانوية الخاصة التي كانت قد أسستها وأدارتها المربية الرائدة (نبوية موسى) وهناك تجد الفتاة نفسها، وتظهر تفوقًا، نتيجة لتشجيع هذه (الناظرة) التي تحملت الكثير من أجل نصرة حقوق المرأة، حتى أصبحت القدوة والمثال لتلميذتها . فإذا (بسميرة) ذات الستة عشر عامًا تصدر كتابًا من تأليفها عام ١٩٣٣ ، يضم تلخيصًا ميسرًا للكتاب المدرسي المقرر من وزارة المعارف في مادة (الجبر) على طلبة السنة الأولى

الثانوية، وقد شجعها والدها وطبع الكتاب علـى نفقته الخاصـة حيـث قـامت هـي بتوزيعه بالمجان على زميلاتها.

ونتوقف عند كلمة الإهداء التي كتبتها ووجهتها لأستاذها فتقول سميرة موسى:

(إلى أستاذي الفاضل محمد أفندي حلمـي : جـاز لي أن أتقدم بكتـابي (الجبر الحديث) إليكم بعد انتـهائي مـن تأليفـه، وهـو الثمـرة الـتي نتجـت مـن غـرس أياديكم البيضاء، فهاك الكتاب راجية أن يحوز عطفك السامي ورضاك..).

وفي أحد الأيام تلقت (نبوية موسى) ناظرة المدرسة مـن تلميذتـها (سـميرة) طلب نقل من مدرستها إلى مدرسة حكومية، فاستدعتها على الفور لتستفسر عـن السـبب، فكان رد الطالبة إنها في حاجة إلى معمل طبيعة لا يتوافـر في المدرسـة. وعندئـذ لم يسع الناظرة إلا أن تنهي تلميذتها عن النقل بعد أن وعدتها بتلبية طلبـها. وبـالفعل لم يمـض وقـت طويـل حتـى حصلـت سـميرة عـام ١٩٣٥ علـى شـهادة التوجيهيـة (الثانوية العامة) قسم علمي، وكانت الأولى على القطر المصري وتصـدر اسمـها قائمـة الناجحين، حيث كانت الصحـف تنشـر في ذلـك الوقـت أسمـاء النـاجحين الأوائـل بالبنط العريض. لم يكن فوز الفتيات بهذا المركز مألوفًا في ذلك الوقت، حيث كان لا يسمح لهن بدخول التوجيهية إلا من المنازل، حتـى تغير هـذا النظـام عـام ١٩٢٥، بإنشاء مدرسة الأميرة فايزة ، أول مدرسة للبنات في مصر. وبتفـوق سـميرة موسـى في التوجيهية لم تفكر بمدرسة المعلمين أو الحقوق ، بل تلتحـق بكليـة العلـوم، حلمـها الذي كانت تصبو إليه، لتلفت نظر أستاذها العـالم د. علـي مصطفـى مشـرفة عميـد الكلية.

اختارت سميرة التخصص في علم دقيق وهو علم الذرة ليكون لمصـر القـوة والقـدرة على العمل من أجل السلام والخير، وقد صممت على أن تكـافح لتكـون (الـذرة مـن أجل السلام) لتجنب البشرية ويلات الدمار الذي عرفته من خـلال الحـرب العالميـة الأولى والثانية كما حددت شعارها الإنساني لبـني وطنـها وبـني البشـر أجمعـين (أن يكون علاج السرطان بالذرة مثـل الأسـبرين) ، لتتخـرج في كليـة العلـوم عـام ١٩٤٢

ولتكون الأولى على دفعتها حيث يتم تعيينها أول معيدة بـها بفضل جهود وإصرار وتشجيع أستاذها د. مشرفة البطل الثاني في حياة سميرة موسى، إذ أنها تأثرت بـه تأثرًا مباشرًا، ليس فقط من الناحية العلمية ، بـل أيضًا بـالجوانب الاجتماعية في شخصيته.

أما موضوع رسالة الماجستير فكان بعنوان (التوصل الحراري للفلزات). بعدها سافرت في بعثة دراسية إلى إنجلترا، وبعد عامين حصلت على الدكتوراه وكان موضوعها (خصائص امتصاص المواد لأشعة X) . وقضت السنة الثالثة من البعثة في أبحاث متصلة وصلت من خلالها إلى معادلات هامة في خدمة البشرية، ومع الأسف الشديد لم تدون الكتب العلمية العربية الأبحاث التي توصلت إليها سميرة موسى، ولا نملك سوى التجول في فكرها الغامض العبقري المثير .

ساهمت سميرة بعلمها وتجاربها المعملية في معهد الراديوم وكلية الطب، بالإضافة إلى جهودها في تأسيس هيئة الطاقة الذرية، إلى جانب عضويتها في العديد من اللجان المتخصصة ومنها (لجنة الطاقة والوقاية من القنبلة الذرية) التي شكلتها وزارة الصحة. وبعد زيارتها لمعامل في إنجلترا وأمريكا لعمل بعض الأبحاث، أطلق عليها (مس كوري المصرية) ، حيث أذهلت الأوساط العلمية في أمريكا وأوروبا بالنتائج العلمية المذهلة التي توصلت إليها .

ماذا صنعت سميرة موسى ؟

لقد نجحت في التوصل إلى تصنيع الذرة من معادن رخيصة متوافرة لدى دول العالم ومنها البلدان النامية، وهذا يعني كسر احتكار تصنيع القنبلة الذرية على الدول الكبرى التي تمتلك وحدها مادة (اليورانيوم) وبالتالي يفرضون تسلطهم على العالم، وقد شهد بنبوغها أستاذها الإنجليزي ، فأرسل إلى الجامعة خطابا يؤكد فيه أن تجارب (سميرة موسى)، قد تغير وجه الإنسانية لو أنها وجدت المعونة الكافية.

لقد حاولت كل من بريطانيا وأمريكا احتواءها بتوجيه دعوات الزيارات لها وتقديم المغريات المادية حتى لا تعود إلى الوطن، كما أنها اعتذرت عن عدم قبول الجنسية الأمريكية .

ونتوقف عند نقطة مهمة، وهي أن سميرة قد تنبهت منذ وقت مبكر إلى أخطار البعد النووي في الصراع العربي الإسرائيلي، وتابعت مساهمة علماء الذرة اليهود الأمريكان في دعم إسرائيل، ورأت كيف تزرع علماءها في المعاهد والمعامل كي يحصلوا على كل أسباب التقدم ويصبحوا قوة ذرية في المنطقة.

وفي عام ١٩٥١ غادرت بريطانيا إلى أمريكا بدعوة من جامعة سان لويس بولاية ميسوري، لزيارة معاملها ولمواصلة أبحاثها.. لم تنبهر سميرة موسى بأمريكا أو تنخدع بمغرياتها. ففي خطاب إلى والدها قالت:

(ليست في أمريكا عادات وتقاليد كتلك التي نعرفها في مصر. يبدأون كل شيء ارتجاليًا. فالأمريكان خليط من مختلف الشعوب، كثيرون منهم جاءوا إلى هنا لا يحملون شيئًا على الإطلاق.فكانت تصرفاتهم في الغالب كتصرف زائر غريب يسافر إلى بلد يعتقد أنه ليس هناك من سوف ينتقده، لأنه غريب).

وفي ١٥ أغسطس ١٩٥٢ كانت في طريقها لزيارة أحد المفاعلات النووية في ضواحي مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا، بصحبة مرشد من أصل هندي، قيل إن إدارة المفاعل الذي كان مقررًا أن تقوم بزيارته كلفته بإرشادها إلى طريق الوصول وقيادة سيارتها إلى مكان المفاعل. وبينما كانا في طريق جبلي مرتفع، ظهرت أمامهما فجأة سيارة نقل كانت مختفية عند أحد منحنيات الطريق لتصطدم بسيارتها بقوة[1]، وتلقي بها في وادي عميق من ارتفاع قدر بحوالي ٤٠٠ قدم..! وبينما قفز

---

(١) جاء ببعض المصادر أن السيارة النقل تعقبت سيارة سميرة موسى، وصدمتها من الخلف بقوة فدفعت بها إلى أسفل الوادي، حيث غرقت بمياه أحد الأنهار وبداخلها العالمة المصرية. وأن شهود الحادث غيروا شهادتهم بعد ذلك ثم اختفوا.

المرشد الهندي واختفى إلى الأبد. وكانت مفاجأة عندما كشف التحقيق في الحادث أن إدارة المفاعل الذي كانت عالمة الذرة المصرية في الطريق لزيارته، لم تكلف أحدًا بقيادة سيارتها واصطحابها إلى المفاعل .

اعترفت الصحف الأمريكية بأن الحادث كان مدبرًا، لكنها لم تقل كلمة واحدة عن الفاعل (الإسرائيلي) ، ويحتمل أن يكون الفاعل (الأمريكي) لصالح إسرائيل وراءه.. أما جريدة (المصري) بالقاهرة، فقد نشرت بآخر صفحة يوم ١٩ أغسطس ١٩٥٢ خبرًا يقول : **(قال المتحدث باسم السفارة المصرية في واشنطن اليوم، إن الآنسة سميرة موسى علي، الطالبة المصرية التي تتلقى العلم في الولايات المتحدة، قتلت في حادث سيارة، بعد أن أتمت دراستها في جامعة أوكردج بولاية تنيسي الأمريكية).**

وقتها كان الدكتور محمد حسن الزيات، الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للخارجية المصرية، يعمل مستشارًا ثقافيًا لمصر في واشنطن.. وكان في رأيه أن قوة خفية وراء عملية اغتيال عالمة الذرة المصرية.. وقال لأحد الصحفيين المصريين لقد أثبتت العالمة المصرية القتيلة نبوغًا في دراساتها حول الأبحاث الذرية..

ولما قال له : هل تظن أنها العصابات الصهيونية .؟

ابتسم .. ورفض أن يقول شيئًا !

وكانت آخر رسالة بعثت بها سميرة موسى إلى أسرتها من الولايات المتحدة قبل اغتيالها بأسبوع تقول فيها بالحرف الواحد : **(ولو كان في مصر معمل مثل المعامل الموجودة هنا.. كنت أستطيع أن أعمل حاجات كثيرة) !.**

وعندما سُئل الدكتور الزيات عما كانت تعنيه (بالحاجات الكثيرة).. كان رده:

_ (كانت تريد أن تقول .. إنه كان في قدرتها اختراع جهاز لتفتيت المعادن الرخيصة إلى ذرات عن طريق التوصل الحراري للغازات.. وبمعنى آخر تصنيع قنبلة ذرية رخيصة التكاليف) !

وتردد أن رسالة العالمة المصرية الشهيدة قد وقعت في أيدي رجال المخابرات الأمريكية وبالتالي وصلت لأجهزة المخابرات الإسرائيلية قبل أن تصل إلى أسرتها.. وكانت هذه الرسالة كافية للحكم على العالمة المصرية النابغة[1] بالإعدام ..!!

اختفت شتى الأدلة على اغتيال الدكتورة سميرة موسى علي، اختفى السائق، واختفت السيارة النقل ، وأنكرت إدارة المفاعل الذري أنها بعثت بمرافق للقتيلة. هكذا قيدت القضية ضد مجهول، وخلت أوراق التحقيقات من اسم إسرائيل أو الإشارة إلى رغبتها في تصفية عالمة الذرة المصرية. لكن وبعد أكثر من نصف قرن على الحادث، تشير الأدلة العقلية والمنطقية إلى إسرائيل، التي لم تعلن مسئوليتها حتى اليوم عن اغتيال سميرة موسى .

د. أحمد الجمال

في أغسطس ١٩٩٦ اغتيل في لندن طالب الدراسات العليا المصري أحمد الجمال.. وكانت ظروف اغتياله غامضة.. لكن بالبحث في تاريخه العلمي كانت هناك مفاجآت.. حيث صرح أساتذته البريطانيون بأن الجمال كان نابغة.. وقد يرقى لمستوى اينشتين ذات يوم لو أنه كان حيًا.. وقبلما نخوض في تفاصيل اغتياله يجب أن نعرف أولاً من هو أحمد الجمال..؟

اسمه كاملاً أحمد محمد أحمد الجمال، من مواليد ١٩٦٣ بقرية كفر الجمال بالمنوفية. حصل على الثانوية العامة من مدرسة (الشهداء) الثانوية عام ١٩٨٠ بتفوق ودخل كلية العلوم بجامعة المنوفية حتى تخرج عام ١٩٨٤، وقد تخصص في الرياضة

---

(١) سميرة موسى أول امرأة مصرية يمنحها الملك فاروق جائزة عيد العلم عام ١٩٤٩.
- عام ١٩٥٣ قام سلاح الإشارة بالجيش المصري بتكريمها لمسيرتها العلمية وإنجازاتها.
- منحها الرئيس الراحل محمد أنور السادات وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- قرر وزير التعليم د. مصطفى كمال حلمي إطلاق اسمها على إحدى مدارس الغربية.
- أطلقت كلية العلوم جامعة القاهرة اسم سميرة موسى على أحد مدرجاتها.
- أقامت محافظة الغربية قصرًا للثقافة يحمل اسمها بقرية سنبو الكبرى.
- إنها أول فتاة في العالم تحصل على الدكتوراه في الإشعاع النووي خلال ١٧ شهرًا فقط.

البحتة. وبعد أن أنهى فترة الخدمة العسكرية جاءه خطاب التعيين بإحدى مدارس العريش التي أقام فيها عامًا كاملاً، استطاع بعدها أن يتعاقد مع السفارة اليمنية بالقاهرة للتدريس بالعاصمة صنعاء، وظل هناك عامين حتى فكر في السفر إلى بريطانيا لاستكمال دراسته العليا، واختار بريطانيا بالذات حيث كان يقيم عمه د. عبد اللطيف منذ أكثر من ٢٠ عاما.

وبعد اتصالات مع عمه لأكثر من عامين استطاع الوصول إلى بريطانيا في عام ١٩٩١، بادئًا عمله هناك في المطاعم وبيع الجرائد، بعدما تقدم لجامعة سيتي للحصول على درجة الماجستير، ووقف مستواه اللغوي عقبة في تحقيق هذا الهدف. لذلك قرر إضاعة عام كامل لإجادة الإنجليزية حتى يستطيع استكمال هدفه الذي جاء من أجله.

وبالفعل بعد مرور عام كامل حصل على شهادة إجادة للغة بدرجة جيد جدًا، ثم التحق بالجامعة ليدخل الاختبار الأول لتحديد قدراته العلمية. وفور إعلان نتيجة الاختبار ذُهل د. بول مارتن من مستواه واتصل بعمه ليخبره بعبقرية ابن أخيه. وقد أدلى د. مارتن بشهادته، بعد مقتل تلميذه، أمام هيئة الشكاوي ضد الشرطة، مؤكدًا أن الجمال كان مثالا للإنسان المثالي العبقري، وإنه كان من الممكن لو أن الحياة أعطته عمرًا إضافيًا أن يكون في مستوى ألبرت أينشتين.

لقد أشرف على أبحاث الجمال[1] أكبر عالم رياضيات في العالم، البروفيسير ستيف دونكن، والذي لعب دورًا كبيرًا في تمكين القتيل من الحصول على منحة تفرغ لإكمال الحصول على الدكتوراه من جامعة (سيتي)، التي طلبت من القتيل تدريس مادة الرياضة البحتة لطلابها.

لم يكن أحمد الجمال متخصصًا في الرياضة البحتة كما قيل.. لكنه كان متخصصًا في فرع هام في الفيزياء الرياضية. وكما قال البروفيسور بول مارتن المشرف على رسالة الماجستير والدكتوراه الخاصتين بالقتيل: (**الجمال كان قد اخترع نهجًا جديدًا في**

---

(١) جريدة الدستور (القاهرية) أغسطس ١٩٩٦.

مجال الميكانيكا الإحصائية التي تدخل في صلب صناعة الأسلحة النووية بشكل كبير. إن مستر الجمال كان فريدًا في ذكائه وعمله وكان يقترب كثيرًا من عبقرية أينشتين).

ولكي لا يقلل أحد من أهمية التخصص الذي كان الجمال يدرسه، فإنه من المهم أن نعرف أن أبرز تطبيقات تخصصه، هو زيادة درجة التفاعل والانشطار للذرات، والارتفاع بمستوى درجة دقة التصويب للأسلحة النووية إلى مستويات أعلى بكثير مما هو مأخوذ به في جميع دول العالم .

وقال عم القتيل المقيم في لندن ، إنه لا يستطيع أن يؤكد أو ينفي وجود تدخلات مخابراتية في قضية مصرع الجمال، كما حدث لعلماء مصريين سابقين مثل د. يحيى المشد، ود. سميرة موسى، ولكنه فجر مفاجأة لم تكن بحسبان الجميع على الإطلاق، قائلا إن المحامي الخاص الذي تم استئجاره توصل إليها بعد سلسلة من التحقيقات والبحث والتحري.

تفاصيل المفاجأة أن واقعة حدثت قبل عشرة أيام من مقتل الجمال، كان بطلها القس الإنجليزي أنتوني كاوتشمان الذي اشتبه في تورطه في عملية القتل. حيث تعرض هذا القس للضرب في منزله ليلاً، ومحاولة قتله من قبل أحد الأشخاص الذين يشبهون المرحوم الجمال بدرجة كبيرة جدًا. ولأن إضاءة المنزل كانت غير جيدة، فإن القس لم يتمكن من رؤيته أو التعرف عليه قبل هروبه، لكنه ظن أن الجمال هو الذي اعتدى عليه بسبب الخلاف الذي نشب بينهما من قبل .

لكن بعد مرور أيام قليلة ألقى القبض على هذا الشخص ، وبالتحديد يوم ٢٩ أغسطس ١٩٩٦، وظهر الشبه الكبير بينه وبين المرحوم، واعترف بأنه حاول قتل القس ضمن ظاهرة الاعتداء على رجال الدين في تلك الآونة في لندن .

الواقعة تجعل من مقتل الجمال في أول أغسطس ١٩٩٦ أمرًا لا علاقة له بما قيل عن اعتدائه على القس البريطاني أنتوني كاوتشمان، وتخلي مسئوليته من هذه التهمة ولكن بعد فوات الأوان للأسف.

آخر التفسيرات لوجود الجمال لحظة القبض عليه ، أنه اندفع إلى منزل القس هربًا من كلاب الشرطة، محاولاً الدفاع عن نفسه بقذف قطع الأثاث الموجودة بالصالة تجاه الكلاب البوليسية ورجال الشرطة، ولم يقم إطلاقًا بتحطيم منزل القس عن عمد

القس الإنجليزي دأب منذ بداية إقامته بمنطقة (ليتون) منذ ١٠ سنوات، على التدخل وبشكل لافت للنظر في شئون جيرانه ، سواء البريطانيين أو الأجانب عربا كانوا أو آسيويين، لحل الخلافات بين الأزواج أو تحميس ودفع الطلبة إلى استذكار دروسهم مع وعده لهم بالصلاة من أجلهم .

والمشكلة أن الذي زاد من غموض علاقة القس الإنجليزي بالقتيل، هو ما تم ترويجه من إشاعات حول (الشذوذ) الذي أحاط بالحادثة حسب بعض المزاعم، وهو ما تحدث عنه بحرارة سمير عبد الحفيظ الجمال الذي يعمل بالخارجية المصرية، ويمت بصلة قرابة للقتيل والذي قال :

(إنه لا يصدق هذه الإشاعة التي تروجها السلطات البريطانية، وأنه حتى لو افترضنا جدلاً صحتها فإنها كانت يمكن أن تحدث في بداية حياة الجمال في لندن للحصول على المال مثلاً، لكن يصعب حدوث ذلك بعد أن استقر الجمال وأصبح يعمل بجامعة عريقة مقابل مرتب كبير). ! !

وأضاف متسائلاً :

(لماذا يتم الإعلان عن هذا الأمر الآن بالرغم من أن الشذوذ في بريطانيا، السلبي منه والإيجابي، ليس له نفس القدر من الوضاعة في البلاد العربية الإسلامية، ثم لمصلحة من يتم الترويج لمثل هذه الشائعات؟

إن ما أثير حول ضرب الجمال للقس أمام مصعد المنزل أمر غير حقيقي، لأن المصعد ليس له وجود على الإطلاق. وإن المشكلة ليست هل ذهب الجمال إلى منزل القس أم لا، وإنما المشكلة لماذا حدثت الوفاة؟). ! !

د. عبد اللطيف أكد أن القس لم يكن شاذًا ، بدليل أنه لم يحدث أن ذكرت كلمة واحدة في التحقيقات التي أطلع عليها هو والمحامي الخاص به، تشير من قريب أو بعيد إلى الشذوذ ، أو إلى أن الجمال قد مارس معه الشذوذ لا كفاعل ولا كمفعول به، خاصة أن المرحوم كان متزوجًا واستمر زواجه الطبيعي جدًا لمدة سنتين من ديسمبر ١٩٩٢ حتى الانفصال في عام ١٩٩٤.

حول هذا الزواج تبين أن الجمال كان قد وقع في علاقة حب مع فتاة إنجليزية اسمها (روزماري) تعمل في محل تجميل بمحلات هارودز Harrods بلندن، التي يمتلكها بالمصادفة الملياردير المصري محمد فايد.

علاقة الحب هذه انتهت نهاية شرقية بزواج لم يدم سوى عامين ، بدأ بعدها الجمال وزوجته في إجراءات الطلاق التي استمرت طويلا، حتى التقيا مرة أخرى في يناير ١٩٩٦ وبدأت المحاولات لإعادة العلاقة من جديد، وهو ما أخر إجراءات الطلاق حتى جاءت الوفاة الغامضة.

أكد أحد المحققين وجود آثار واضحة لاعتداءات رجال الشرطة على جثة القتيل، حيث وجد جرح غائر في إحدى قدميه نتيجة عضة من أحد كلاب الشرطة التي أطلقوها نحوه أثناء عملية القبض عليه.

كما أن الشرطة لم تسمح بإرسال أحمد الجمال إلى المستشفى برغم إصابته، واحتجزته من السادسة مساء حتى توفى فجر اليوم التالي. هذا بينما تم إرسال أحمد الجمال الذي قيل إن القتيل اعتدى عليه بالضرب إلى المستشفى فورًا ليخرج منها بعد يومين.

وبوفاة أحمد الجمال الغامضة في لندن .. تخيم سحابة الغموض على الحقيقة كما في قصص اغتيال كل علماء الذرة العرب.. وتتوه الحقائق في سراديب التعتيم، وإخفاء الأدلة والحقائق، وسيطرة جو الغموض واللامبالاة.. وهكذا يستنزف علماؤنا واحدا تلو الآخر..!!

د. سمير نجيب

وفي عام ١٩٦٧ – بعد نكسة يونيه مباشرة – راح عالم مصري آخر ضحية الإرهاب الصهيوني وأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية.. إنه الدكتور سمير نجيب عالم الذرة المصري الذي كان واحدا من أبرز علماء جيل الشباب بين العلماء العرب الذين تخصصوا في الأبحاث الذرية ..

ويقول تقرير عن هذا العالم الشاب : إنه تخرج في كلية العلوم بجامعة القاهرة في سن مبكرة، وكان متفوقا، وقد استمر في متابعة دراساته في الأبحاث الذرية، وكانت كفاءته العلمية متميزة بحيث رشح لاستكمال دراساته في الولايات المتحدة الأمريكية في بعثة للحصول على شهادة الدكتوراه..

وعمل الشاب تحت إشراف مجموعة من أساتذة الطبيعة النووية والفيزياء الأمريكيين ولم يكن قد تجاوز الثلاثة والثلاثين من عمره .. وأظهر خلال بعثته نبوغًا وعبقرية من خلال أبحاثه التي أعدها في منتصف الستينيات لدرجة أنه استطاع أن يفرغ من إعداد رسالته قبل الموعد الذي كان محددًا بعام كامل..

وتتكلم الوقائع الثابتة في قصة المؤامرة التي أودت بحياة هذا العالم المصري الشاب لتقول :

تصادف أن أعلنت جامعة (وين) في مدينة ديترويت الأمريكية عن مسابقة للحصول على وظيفة أستاذ مساعد بها في علم الطبيعة النووية، وتقدم في هذه المسابقة أكثر من ٢٠٠ عالم ذرة من مختلف الجنسيات ، ففاز العالم المصري الدكتور سمير نجيب في هذه المسابقة ليحصل على وظيفة الأستاذ المساعد بالجامعة..!

وواصل العالم المصري أبحاثه الدراسية والعلمية الهامة، ليحوز إعجاب الكثيرين من العلماء وأساتذته الأمريكيين ، مما أثار قلق الإسرائيليين والعناصر الأمريكية الموالية لإسرائيل داخل الجامعة.

وكالعادة ، أخذت تنهال على العالم المصري العروض المادية لتطوير أبحاثه في الولايات المتحدة وعدم العودة إلى مصر ولكن العالم المصري شعر بأن بلده ووطنه في حاجة إليه، وبخاصة بعد هزيمة يونيو في سنة ١٩٦٧ وكان أن رفض كل العروض، وقرر أن يعود إلى مصر. وقام العالم المصري بحجز مقعد على طائرة كانت متجهة إلى القاهرة في يوم ١٣ أغسطس سنة ١٩٦٧ ، وحاولت جهات أمريكية، وأخرى غربية إقناعه بالعدول عن السفر، وكان أن عرضت عليه الكثير من الإغراءات العلمية والمادية، ومنها منحه الجنسية الأمريكية ، مقابل أن يبقى في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن الدكتور سمير نجيب رفض كل الإغراءات التي عرضت عليه ليبقى بأمريكا ولا يعود إلى القاهرة .

وفي الليلة التي كانت محددة لعودته إلى القاهرة، وبينما كان يقود سيارته في أحد شوارع مدينة ديترويت، سارحا بخياله إلى المستقبل ، حالما بمواصلة أبحاثه ودراساته في وطنه، متطلعا إلى لقاء أسرته بعد غياب طويل، فوجئ بسيارة نقل ضخمة تتعقب سيارته..

في بادئ الأمر تصور العالم المصري أن السيارة تسير في الطريق كغيرها من السيارات فحاول من جانبه أن يتفاداها، وكان أن انحرف إلى أحد جانبي الطريق ولكن سيارة النقل واصلت تعقبه، وفجأة اندفعت وهي تزيد في سرعتها لتصدم سيارة العالم المصري التي تحطمت ليلقى مصرعه بداخلها على الفور[1]..! وانطلقت سيارة النقل بسائقها ثم اختفت.

وكما جرى مع واقعة اغتيال الدكتورة سميرة موسى ، قيد الحادث ضد مجهول، بينما يشهد العالم كله أن أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كانت وراءه .

وكما قال أحدهم معلقًا : **كانت أداة اغتيال العالم المصري أمريكية ، ولكن لصالح إسرائيل .**

---

(١) لاحظ تشابه أسلوب حادثي اغتيال الدكتور سمير نجيب والدكتورة سميرة موسى، برغم وجود فارق زمني بينهما قدره (١٥) عامًا. إلا أن الباحث يجد في حوادث المرور الغامضة، أسهل وسائل الاستخبارات للتخلص من بعض الأفراد على أراض أجنبية. للابتعاد عن أية أزمات دبلوماسية قد تنشأ في حال كشف مثل هذه العمليات.

د. نبيل القليني :

مرت عدة سنوات ثم وقع حادث آخر لعالم مصري في الأبحاث الذرية اسمه الدكتور نبيل القليني. لكنه حادث جديد من نوعه ، لا يزال غموضه يثير العقول دون إجابة عن عشرات الأسئلة حوله

لقد اختفى هذا العالم المصري، ولم يعرف حتى الآن.. أين ذهب؟

كانت كلية العلوم في جامعة القاهرة ، قد أوفدت هذا العالم إلى (براغ) في تشيكوسلوفاكيا، للقيام بالمزيد من الأبحاث والدراسات الذرية.

ويذكر بعض زملاء العالم المصري ، أن الصحف التشيكية كثيرا ما كانت تتحدث عن عبقرية هذا العالم، وكيف أنه استطاع في سنوات قليلة أن يحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة براغ بتفوق .

والثابت ، كما قال تقرير بعثت به إلى القاهرة السفارة المصرية في براغ إن جرس التليفون دق في صباح يوم الإثنين الموافق ٢٧ يناير سنة ١٩٧٥ في الشقة التي كان العالم المصري يعيش فيها ، وبعد المكالمة خرج الرجل من شقته ليختفي، ولم يعد يعرف له أثر حتى الآن !

وعرف أن كلية العلوم بجامعة القاهرة أرسلت إلى الجامعة التشيكية تستفسر عن مصير العالم المصري بعد أن انقطعت اتصالاته بالقاهرة. وفي بادئ الأمر لم ترد الجامعة التشيكية . وبعد عدة رسائل ملحة من كلية العلوم بجامعة القاهرة، ردت إدارة الجامعة التشيكية . بأن الدكتور نبيل القليني خرج من الشقة التي كان يعيش فيها على أثر تلقيه مكالمة تليفونية ولم يعد إلى بيته !

أثارت هذه الرسالة التي ما تزال موجودة في أحد ملفات كلية العلوم بجامعة القاهرة علامات استفهام كثيرة ، منها.. إذ كيف علمت إدارة الجامعة التشيكية بالاتصال الهاتفي؟.. ومن أين علمت به ؟

وإذا كانت إدارة الجامعة التشيكية قد علمت بهذا الاتصال من الشرطة، فمن أي المصادر عرفت الشرطة التشيكية بهذا الاتصال المجهول ، الذي مثل ثغرة محورية في القضية اللغز..؟

وبعد تدقيق ، تبين أن مصدر المعلومات التي بعثت بها إلى القاهرة السفارة المصرية في مدينة براغ عن اختفاء العالم المصري ، كانت إدارة الشرطة التشيكية أيضًا..!

كيف ذلك .. ؟!

ومن وراء كل هذه الألغاز ..؟!

ولمصلحة من ..؟!

وما دور الأمن التشيكى فى غموض القضية ..؟!

كان في تصور المسئولين الذين كُلفوا بمتابعة التحقيق للتعرف على ملابسات الحادث، وفك لغز العالم المصري المختفي، أنه قد استدرج إلى كمين بواسطة بعض عملاء الموساد، كما حدث من قبل للمناضل المغربي المهدي بن بكرة في باريس، وبعدها إما أنه قتل ثم أخفى جثمانه بالدفن أو الإذابة في المواد الكيماوية ، بحيث لم يعثر عليه رجال الشرطة التشيكية حتى الآن، وإما أن يكون قد تعرض، وهو احتمال ساذج جدًا حسبما تردد، لعملية غسيل مخ لإفساد كل ما كان عقله قد توصل إليه من دراسات علمية متطورة !

وفي تصور ثالث .. أنه قد اختطف بواسطة العملاء الإسرائيليين، وأنه نقل سرًا إلى إسرائيل حيث أودع أحد سجونها، وبعد حجزه واستجوابه واستخلاص شتى المعلومات منه، جرى قتله ودفنه بطريقة سرية ولم يكشف عن هذا السر حتى الآن لبشاعة الجريمة التي ستسيء إلى إسرائيل..!!

لكن .. برغم تعدد التكهنات التى تحاول فك لغز الاختفاء الغامض ، لم يتم التوصل إلى الآن إلى خيوط تقود إلى شيء .. أى شيء يزيل هذا الغموض المبهم ،

ذلك الكابوس الذى يخيم على حوادث تصفية العقول العربية ، وإسكاتها بغرض أن نظل بين جدران الجهل ، والوحشة ، والخوف المستطير إلى الأبد . ! !

د. نبيل فليفل[1]

وفي سنة ١٩٨٤ اغتال عملاء الموساد الإسرائيلي عالمًا عربيًا شابًا كان يعيش في مخيم الأمعري للاجئين في فلسطين المحتلة اسمه نبيل فليفل .

كان العالم الشاب قد تخرج فى كلية العلوم بجامعة القاهرة ، وتخصص فى دراسة الطبيعة النووية ، وأصبح من أشهر العلماء العرب فى الأبحاث الذرية بالرغم من أنه لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره . وكان ينوى الاستمرار فى دراساته بالقاهرة ، لكن حاول بعض عملاء الموساد اليهود إقناعه بمواصلة دراساته وأبحاثه فى إسرائيل أو أمريكا .

رفض الدكتور فليفل كل العروض السخية بالإغراءات التي انهالت عليه في الخفاء، وأمام إصراره العنيد اختفى العالم الفلسطيني النابغة، حتى جاء يوم السبت الموافق ٢٨ أبريل سنة ١٩٨٤ ، عندما عثر على جثته في منطقة بيت عور في فلسطين المحتلة.. ! !

لم تكن هناك أية شكوك في أن يقدم غرباء على قتل الدكتور فليفل. ذلك لأن القتلة معروفون، والقتيل عالم ذري فلسطيني كان يزور أهله في الأرض المحتلة. أي أنه كان بين فكي الذئب. ! !

د. سعيد بدير

وفي يوم الجمعة ١٤ يوليو ١٩٨٩ ، وجد عالم مصري آخر قتيلاً في شارع طيبة بالإسكندرية ، إنه الدكتور سعيد سيد بدير، الذي كان واحدًا من أكبر العلماء

---

(١) برغم أن الهدف من هذا الكتاب ، إبراز عمليات الاغتيال التي قامت بها إسرائيل في الخارج فقط، إلا أن الدكتور نبيل فليفل استثنى من هذا الشرط المعلن والمبين على الغلاف، وذلك لارتباط موضوعه الملح بمطاردة إسرائيل للعقول العربية النابغة في أي مكان وتصفيتها.

المصريين من المتخصصين في هندسة الاتصالات بالأقمار الصناعية وسفن الفضاء من الأرض ، بالرغم من أنه لم يكن قد تجاوز الـ٤١ سنة من عمره ، وكان في الوقت نفسه ابن الفنان الكبير سيد بدير.

تقول وقائع الحادث ، إن العالم الشاب تخرج فى الكلية الفنية العسكرية بمصر دفعة مايو سنة ١٩٧٢ ، ثم أكمل دراساته العليا فحصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه من كلية كنت الإنجليزية في شهر أغسطس سنة ١٩٧٩..

وكان العالم المصري الشاب نابغة بحيث إنهم كانوا يعتبرونه ثالث العلماء على مستوى العالم في مجال الميكروويف والاتصالات الفضائية.. وكانت بحوثه ودراساته ومقالاته عن الاتصالات والميكروويف وهوائيات الاستقبال والإرسال تنشر في أرقى المجلات العلمية المتخصصة وأكثرها انتشارًا .

التحق سعيد بدير بالقوات الجوية المصرية حيث شغل منصب رئيس قسم بحوث الموجات والهوائيات بإدارة البحوث بها.. وهو من مواليد حي روض الفرج بالقاهرة في ٤ يناير سنة ١٩٤٩.

عرف عنه منذ صغره أن اهتماماته كانت مركزة أساسًا على الاتصالات بالأقمار الصناعية والمركبات الفضائية خارج الغلاف الجوي ، وهو مجال عسكري استراتيجي يهم الدول أعضاء نادي الفضاء والأقمار الصناعية، وهي ثمان دول فقط بينها إسرائيل التي أطلقت أول قمر تجريبي لأغراض الاستطلاع الاستراتيجي والإنذار المبكر، وأطلقت عليه اسم أوفيك – ١ ، وكان ذلك في يوم الإثنين ١٩ سبتمبر سنة ١٩٨٨.. أي قبل اغتيال العالم المصري الشاب بحوالي ١١ شهرًا

تتكلم الوقائع لتقول :

كان عمل الدكتور سعيد بدير في القوات الجوية المصرية ، وكان قد أصبح في رتبة العقيد، بالإضافة إلى نبوغه العلمي الذي عرف به وسنه المبكرة، كفيل بأن يجعله موضع اهتمام أجهزة الاستخبارات الأجنبية، وخصوصا جهاز الموساد الإسرائيلي، الذي يقتفي آثار العلماء العرب لتفريغ المنطقة العربية من عباقرة العلم.

والثابت أن الدكتور سعيد بدير قد ترك القوات الجوية المصرية في شهر أغسطس سنة ١٩٨٧ ليعمل أستاذًا زائرًا بجامعة (ديوزبورج) في ألمانيا الغربية بمرتب شهري ٦٠٠٠ مارك ألماني .

هذا.. ولم يكن يهم الدكتور بدير المرتب الكبير بقدر ما كان اهتمامه بالإمكانات والقدرات العلمية والمعملية التي توافرت له في عمله

وأشد ما كان يزعجه - كما قال لي شقيقه سامح السيد بدير - هو شعوره بمجرد أن وصل ألمانيا الغربية بعيون غريبة تتابع نشاطه وتعبث بأوراقه وأبحاثه. ومرت عدة أشهر شعر العالم المصري بخطر مجهول كان يحدق به، فلم ينتظر وبادر بإعادة زوجته السيدة جيهان أحمد محمد عبيد إلى القاهرة ومعها طفليه أحمد، وكان عمره خمس سنوات ومحمد وكان في السادسة من عمره .

وفي ٩ يونيه ١٩٧٩ غادر الدكتور بدير ألمانيا (الغربية) ليلحق بأسرته في القاهرة، بعدما تضاعفت حدة مطاردته العلنية في ألمانيا ، وتملكه شعور قاتم بالخوف على حياته وحياة أسرته من هؤلاء الأشخاص، الذين دأبوا على ملاحقته في كل مكان. وهمس أحدهم في أذنه ذات مرة أنهم في وكالة ناسا الأمريكية يحتاجون إليه، لكن سلوك مطارديه كان أبعد عن سلوك علماء، بقدر ما كان سلوك رجال أمن وأجهزة استخبارات. فبحسه الأمني كعسكري سابق استشعر ذلك ، وتوقع أن تكون إسرائيل هي التي تريده. لذلك آثر أن يغادر ألمانيا إلى القاهرة .

ويقول شقيق العالم المصري :

(أرسل الدكتور سعيد بمجرد عودته للقاهرة رسالة إلى المسئولين الأمنيين المصريين كشف فيها عن مخاوفه ، ويطلب حمايته. وضرب في رسالته مثلاً بما حدث للدكتورة سميرة موسى والدكتور نبيل فليفل وغيرهم. وقتها نشرت وسائل الإعلام المصرية، وبالأخص صحف المعارضة، استغاثته الحارة إلى المسئولين في مصر، أن يحموه من رجال الموساد الذين يقتفون أثره في كل مكان.. لكن بلا

فائدة.. وفي يوليو ١٩٨٩ وجدت جثة الدكتور بدير على رصيف الشارع بالإسكندرية، بعدما ألقى به من الطابق الثالث بشقة شقيقه).!!

يومها نشرت وسائل الإعلام أن العالم المصري انتحر.. إلا أن أسرته وزوجته رفضوا الاعتراف بهذا الاستنتاج.. وشككوا في تفكير مثل هذا العالم بالانتحار.. علاوة على أن الانتحار لا يتفق مع تركيبته وثقافته.. كذلك مع ظروفه التي لم يكن فيها ما يدعوه إلى ذلك .. وأشارت أصابع الشك من جديد إلى الموساد.. حيث ينتشر عملاؤها بكل أرجاء مصر بفضل معاهدة السلام التي وقعها السادات وبيجن!! لكن تبقى الحقيقة خافية ويخيم على الحادث غموض كثيف ..!!

تقول زوجته السيدة جيهان عبيد

(زوجى لم ينتحر .. أنا واثقة مما أقول . لقد كان زوجى يعد لبحث خطير ، يستطيع من خلاله كشف شفرات الاتصالات بين سفن الفضاء والأقمار الصناعية والتجسسية في الأجواء . كان يقول لى دائما خلال وجودى معه فى ألمانيا ، إنه توصل إلى نتائج بحثية خطير فى مجال الاتصالات ، لن يصل إليها الألمان قبل عشر سنوات .

كان من المنتظر انتهاء عقد عمله مع جامعة ديوزبورج فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٩ ، غير أنه قرر إنهاء عمله فى ٣٠ يونيو ، بعد تعرضه لمضايقات متعددة من علماء آخرين فى ألمانيا بسبب نبوغه . وفى ١٤ أبريل عدت إلى القاهرة مع الأولاد (محمد ٦ سنوات ، وأحمد ٥ سنوات) ، بينما لحق بنا فجأة يوم الجمعة ٩ يونيو ١٩٨٩ ، وروى لى كيف طورد فى ألمانيا ، وأن عددا من الرجال الأمنيين حاولوا منعه من صعود الطائرة المصرية ، ولم ينقذه منهم سوى قائد الطائرة .

لقد اتخذ قرار عودته إلى مصر سرا ، بعدما أدرك أن الهدف هو قتله بعد فشل محاولات عديدة لتطويعه . وبحسه الأمنى كضابط سابق ، شعر أن إغراءات جره إلى وكالة (ناسا)، ليست سوى خطوة لدفعه نحو إسرائيل . لذلك هرب من ألمانيا

إلى وكالة (ناسا)، ليست سوى خطوة لدفعه نحو إسرائيل . لذلك هرب من ألمانيا بدون حقائب حتى لا يلفت الانتباه إلى أنه سيغادر نهائيا !!)

هذا .. ويظل غموض مقتل الدكتور بدير أكثر تكثيفا وإثارة ، حتى تنقشع غيمة المجهول ذات يوم وتظهر الحقيقة ، واضحة جلية !

د. يحيى المشد

وفي العاصمة الفرنسية باريس.. وبالتحديد فندق (ميريديان) ، عثر على جثة عالم الذرة المصري د. يحيى المشد مقتولا في غرفته رقم ٩٠٤١، وكان ذلك في ١٣ يونيه ١٩٨٠. هذا العالم المصري المولود في ١١ يناير ١٩٣٢ في بنها، قتل بالضرب بآلة حديدية على رأسه.. وذكرت تحقيقات الأمن الفرنسية أن إحدى فتيات الليل وتدعى ماري كلود ماجال أو (مارى اكسبريس) قد ساهمت في التخلص منه ثم قتلت هي الأخرى في حادث سيارة غامض .

كان المشد يعمل قبل وفاته مباشرة لدى هيئة الطاقة الذرية العراقية، وساهم بفعالية في تطوير البرنامج النووي العراقي.. ولذا فقد أزعج هذا العالم النابغة إسرائيل لمشاركته في بناء المفاعل النووي العراقي (أوزيراك) الذي دمرته إسرائيل بعملية قصف جوي في ٧ يونيه ١٩٨١.. وتشير العديد من المصادر والكتب الموثقة إلى دور الموساد في الحادث الغامض الذي تعرض له د. المشد في ميريديان باريس، بينما وضع على باب غرفته لافتة (رجاء عدم الإزعاج) .

فقد اعترفت صراحة العديد من الكتب الصادرة من إسرائيل، وبعضها لرجال مخابرات سابقين، إلى دور الموساد في اغتيال المشد، وحاولت هذه الكتب كدأبها تشويه صورة الرجل العالم الفذ ، بوصمه بعمل علاقة مع داعرة فرنسية بغية الإساءة للعلماء العرب. وإذا كانت الموساد قد اعترفت بجريمة الاغتيال،وصنفتها على أنها إحدى أهم عملياتها لوقف البرنامج النووي العراقي، فلا يستبعد على الإطلاق تورط بعض الجهات الفرنسية في الحادث، خاصة أنه قد تم استدراج العالم المصري لزيارة باريس بدعوى التحقق من شحنات اليورانيوم التي طلبتها بغداد من فرنسا .

ففي مارس ١٩٧٩ أعلنت الحكومة الفرنسية [1] موافقتها على بيع اليورانيوم النقي إلى العراق، وبناء مفاعل ذري بطاقة ٧٠ ميجاوات، وكذلك تدريب وتعليم ٦٠٠ عالم وفني عراقي في باريس. كما تلقى العراق من إيطاليا معامل أبحاث ذرية، وأبدت البرازيل استعدادها لبيع اليورانيوم للعراق .

لذلك ، ما كاد ربيع عام ١٩٨٠ يأتي إلا والخبراء قد أكدوا، أن بإمكان العراق أن يصنع القنبلة الذرية في عام ١٩٨٤ كحد أقصى، خصوصًا وأن عندهم عالم الذرة المصري د. يحيى المشد، الحائز على السمعة العالمية، ومن أكبر علماء الذرة في العالم.

وفي ١٤ يونيو عام ١٩٨٠ في باريس، كانت الساعة الثانية ونصف ظهرًا حين طرقت عاملة النظافة في فندق الميريديان[2]، في بوليفار جوفيون - سان كير - الباب ويئست من خروج النزيل في الغرفة رقم (٩٢٢) [3] بعد أن انتظرته طيلة الصباح، فنزعت اللافتة الصغيرة التي كتب عليها (نرجو عدم الإزعاج) ، وفتحت باب الغرفة ودخلت. لكنها ارتدت وهي تصرخ . فقد كان عند قدمي السرير رجل ملقى في بركة من الدماء ، بجمجمة مفتوحة

تأكد البوليس بعد ذلك من هوية القتيل . فقد كان المواطن المصري الذي يقيم ويعمل في العراق، واسمه (يحيى أمين المشد) .. وكان يبدو أنه قاوم الجناة طويلاً، قبل أن يتلقى ضربة شديدة على رأسه

كان د. يحيى المشد في باريس ، كرئيس للجنة الطاقة الذرية العراقية، التي تقوم بالتفاوض مع الفرنسيين لتوريد اليورانيوم وبناء المفاعل الذري. وقد انتهت المباحثات

---

(١) إيريش فولات : عين داود - عمليات الوحدات السرية الإسرائيلية - ترجمة أسيمة جانو ، مكتبة مدبولى ١٩٨٧ - القاهرة .

(٢) ميريديان بوليفار جوفيون Hotel Meridien, 81 Boulevard Gouvion Saint-Cyr أكبر فنادق باريس، به ١٠٢٣ حجرة وملحق به Ecume des Nuits أشهر أماكن الديسكو ونوادي باريس الليلية.

(٣) هناك اختلاف في رقم الحجرة في المصادر التي رجعت إليها وإن كان الرقم الأغلب هو : (٩٠٤١) .

بين الجانبين بنجاح، وأبدى الطرفان ارتياحهما وسرورهما للنتائج التي انتهت إليها اجتماعات الوكالة الذرية الفرنسية بضاحية (فونتيني أوكسل روزس).

وفي يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٨٠ ، اشترى د. المشد هدايا لعائلته في بغداد. وكانت أكياس الهدايا مبعثرة في غرفة الفندق. وفي الساعة العاشرة مساء شوهد لآخر مرة على قيد الحياة .

ويبدو أن الجريمة وقعت في فجر اليوم التالي ، ١٤ يونيو ، ولم تكن للسرقة. ذلك لأن محفظته لم تمس ، وفيها ١٣٠٠ فرنك فرنسي ، ومثلها في الدرج . وأوضح البوليس أن الجناة لم يتركوا أثرًا، ولم يقوموا بمخاطرة كبيرة. وقد اضطر البوليس أن ينسب الجريمة لفاعل مجهول لم تحدد هويته، ولا سبب الجريمة [1]

تلقت الأوساط كلها في إسرائيل نبأ موت عالم الذرة يحيى المشد بالسرور. وقال أحد العلماء في إذاعة إسرائيل إن موت المشد سيؤخر البرنامج النووي العراقي سنتين على الأقل. أما في المحادثات الجانبية، فكان واضحًا كل الوضوح، أن الموساد هي التي قامت بقتل المشد. وكانوا كثيرًا ما يتبادلون الحديث عن التفاصيل، بشكل متعمد.

وفي سبتمبر ١٩٨٠ حدث ما يعتبر هدية غالية لإسرائيل. وذلك حين نشبت الحرب العراقية - الإيرانية حول السيطرة على شط العرب. وفي آخر سبتمبر، ضربت طائرات إسرائيلية مقاتلة مركز الإنشاءات النووية، الذي يبعد ١٧ كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من بغداد، دون أن يصاب جسم المفاعل الأصلي بأية أضرار.

اتهم العراق إيران فورًا. ولم يصدق الرأي العام العالمي إنكار إيران بقيامها بهذه العملية.

---

(١) بعد ضرب المفاعل الذرى العراقى بفترة وجيزة ، أعلن وزير الخارجية المصرى كمال حسن على ، رسميا ، أن الموساد وراء جريمة اغتيال الدكتور المشد ، الذى تعرض للتعذيب الشديد لانتزاع كافة المعلومات منه عن المفاعل العراقى ، ثم قتل بدم بارد دون ترك أى أثر يدل على الجانى .

لكن الحقيقة أن طياري الخميني لم يشتركوا في ضرب المفاعل. فالإسرائيليون هم الذين ضربوا المفاعل بطائراتهم الحربية التي اخترقت المجال الجوي الأردني على ارتفاعات عالية. وفي ٧ يونيو ١٩٨١ اعترف العراقيون من خلال وكالة أنبائهم الرسمية ، أن ضرب المنشآت النووية قامت به الدولة اليهودية. وهذا الاعتراف تقدمت به العراق ، حين ضربت إسرائيل المفاعل للمرة الثانية. وكانت الضربة هذه المرة ، مدمرة .

أما في كتاب : (الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية) الصادر بالعربية عام ١٩٩٨، فقد جاء به أن الدكتور المشد قتل في غرفته بفندق الميريديان على يد مجهول. إذ عثرت خادمة الغرفة على جثته في ١٤ يونيو ١٩٨٠، وكان مصابًا بعدد كبير من الطعنات بالسكين. وفي الأول من يوليو أجرى جهاز الأمن الفرنسي DST تحقيقًا مع عاهرة فرنسية كانت قد اجتمعت مع العالم المصري عشية وفاته. وسمعت أصواتًا داخل غرفته ، وفي ١٢ يوليو قتلت العاهرة في حادث صدم.

ليست الكتب الصادرة عن إسرائيل فقط التي تشير إلى الموساد كمنفذ للعملية، إنما تناولت الحادث بالتحليل والتحقيق العشرات من الكتب الصادرة في أوربا وأمريكا، وكلها تشير بوضوح تام إلى أن جهاز الاستخبارات الإسرائيلي يقف وراء الحادث الغامض الذي أودى بحياة عالم الذرة المصري .

كان من الممكن اعتبار الجريمة عادية ومقبولة لولا أن الضحية لم تكن عادية. فالقتيل هو الدكتور يحيى المشد عالم الذرة المصري صاحب الاكتشافات العالمية..!

كذلك لم تكن الجريمة هي الأولى ، وهي كذلك ليست الأخيرة . ولن تكون. فمن قبل الدكتور المشد كان هناك ضحايا، ومن بعده - أيضًا - كان هناك آخرون! ولهذا ظل الأمر أقرب إلى الظاهرة التي تستحق البحث والتدقيق والتفتيش فيها، خاصة أن ظاهرة وفاة العلماء العرب الواحد تلو الآخر ظلت تتزايد حتى بلغ المجموع ١٥ عالمًا. وكانت هناك دائمًا شبهة جنائية وراء تلك الجرائم !

يقول تقرير البوليس الفرنسي عـن مقتـل د. المشـد : إن القـاتل كـان موجـودًا في الغرفة لحظة دخول القتيل إليـها . ولم تفلـح المقاومـة الـتي أبداهـا العـالم وظـهرت آثارها واضحة على محتويات الغرفة وثيابه وأنحاء متفرقة مـن جسـمه. فقـد عوجـل بضربات قوية على رأسه أفقدته الوعي ثم جـرى كتـم أنفاسـه بغطـاء الفـراش حتـى مات[١]

وقبل أن يقيد الحادث ضد مجهول كانت سيارة مسرعة في قلب باريس تدهم فتاة تدعي ماري كلود ماجال. ولم تكن هذه الفتاة سوى الشاهدة الوحيـدة الـتي تسـتطيع أن تقول شيئًا عن مقتل المشد. إذ كانت آخر من رآه قبل الحادث مباشـرة وحـاولت أن يقضي الرجل - بحكم كونها من فتيـات الليـل - السـهرة معـها . وأكـدت أنـها سمعت أصواتًا غريبة في حجرة العالم المصري بعد دخوله إليها بعشر دقائق. ولم يكن هناك مـا تضيفـه لأنـها صمتـت إلى الأبـد لتبقـي علامـة الاسـتفهام معلقـة إلى مـا لا نهاية[٢].

الدكتور يحيى المشد .. تخرج فى كلية الهندسـة جامعـة الإسـكندرية. سـافر إلى الاتحاد السوفييتي في بعثة مدة ست سنوات، عاد بعدهـا إلى مصـر كواحـد مـن أهـم عشرة علماء على مستوى العالم في مجال التصميم والتحكم في المفاعلات النووية. وبعد عودته تم تعيينه في المفاعل النووي بأنشاص، ثـم تلقـى عرضًـا للتدريـس في الـنرويج فسافر مصطحبًا معه أسرته. وهناك ألحوا عليـه في قبـول الجنسـية النرويجيـة لكنـه اعتذر وعاد في وقت لاحق لمصر ليقـوم بـالتدريس في جامعـة الإسـكندرية، ثـم تلقـى عرضًا جديدًا للعمل في العراق مدة ٤ سنوات.

---

(١) تقول أوراق التحقيق : إن الدكتور المشد كان عند العثور عليه مقتولاً بكامل ملابسه وفوق رأسه غطـاء سميـك (بطانية) ، والدماء تغطي وجهه وشعره ورقبته وثيابه وأرضية الغرفة وجدرانها.

(٢) بعد عام من اغتيال المشد ، وبالتحديد فى ١٢ يوليو ١٩٨١ ، قتلت مارى كلود ماجال فـى حـادث غـامض بباريس ، عندما ارتطمت فى طريقها بسيارة عامل بإحدى محطات الوقـود ، فدفعـها بعيـدا ، لتدوسـها سـيارة (رينو - ٥) ، لتموت فى الحال . وقالت أمـها إن ابنتـها ذهبـت ضحيـة جريمـة مدبـرة ، فقـد كـانت تتلقـى مكالمات تهديد هاتفية ، مما جعلها متوترة الأعصاب دائما .

وبعد انتهاء المدة تمسك به العراقيون من أجل الاستمرار في برنامجهم، وقبل الرجل المطلب وذهب للعمل في مؤسسة الطاقة الذرية.

وفي عام ١٩٧٩ كان على الدكتور المشد أن يقوم بمهمة صعبة ، تتمثل في إصلاح قلب الفرن الذري الخاص بالمفاعل العراقي (أوزيراك) الذي دمره جهاز الموساد الإسرائيلي في ٦ ابريل ١٩٧٩ قبيل شحنه ، في بلدة لاسين سورمير الفرنسية القريبة من مدينة تولون إلى بغداد. ثم أصبح الدكتور المشد هو المتحدث الرسمي باسم البرنامج النووي العراقي. وكان أهم وأخطر إنجازاته تسهيل مهمة العراق في الحصول على اليورانيوم المخصب من فرنسا. ولكل هذا أصبح رأس الرجل مطلوبًا. وعليه تم استدعاؤه إلى فرنسا في مهمة بسيطة يستطيع أي شخص آخر القيام بها.. وهي فحص صفقات اليورانيوم والتأكد من مواصفاتها وكميتها ، بعد حدوث خطأ في هذا الاتجاه من قبل.. وذهب د. المشد بالفعل إلى باريس.. وهناك كانت النهاية التي لم تكن بأي حال بريئة أو عفوية ..!!

سائد عوَّاد مخترع صواريخ قسَّام(*)

لم يخطر ببال الحاجة "أم حسين " وهي تزجر حفيدها "سائد" ذا الأعوام الست عن العبث بالأجهزة المنزلية ، أنه سيصبح ذات يوم ذا شأن كبير، ويدخل التاريخ من أوسع أبوابه، فهو لا يكاد يلبث أن يفكك قطع الراديو ويعطله حتى يتوجه من فوره صوب الترانس "المحول الكهربي" فيأتي عليه عن آخره، وإن سلم منه هذا وذاك تجده يعبث بمجموعة ألعابه المفضلة "مفكات، وشاكوش، وبعض الأدوات الميكانيكية".. ولم يتوقع أحد أن هذا الولد (الشقى) ما هو إلا نواة للبطل القادم، وأن هذا العبث وهذه (الشقاوة) ما هما إلا بداية الابتكار، وأن هذا الصغير الذي فارق جدته منذ سنوات هو اليوم صانع "القسام ٢" ، أول صاروخ فلسطيني الصنع والابتكار والإطلاق.

---

(١) مادة هذا الموضوع جاءت بكتاب تحت الطبع عنوانه : (علماء العرب والمسلمين) للكاتب المبدع الأستاذ / على عبدالفتاح بالكويت .

في حواري وأزقة مخيم "الشابورة" للاجئين في رفح على الحدود مع جمهورية مصر العربية، وتحديدًا في السابع والعشرين من مارس عام ١٩٧٧ م خطا "سائد حسين عواد" خطواته الأولى ، وفي أحضانه عاش مراحل طفولته، وفي أحد بيوته المتواضعة المصنوعة من الأسبستوس . تحدثنا جدته أم حسين ذات السبعين عامًا، وقد ارتسمت على وجهها كل ملامح فلسطين بدءاً بالنكبة والهجرة من بلدتهم الأصلية في فلسطين ٤٨، ومرورًا بالانتفاضة الأولى، وليس انتهاء بالانتفاضة الثانية. سرحت ببصرها بعيدًا قبل أن تبدأ حديثها عن الحفيد الغالي سائد ، وقبل أ ن تفر دمعة من عينها قالت :

(لقد كان جميلاً ، وشقيًا، وكان لا يحب الظلم أبدًا، ولا يحب أن يعتدي على أحد، ولا أحد يعتدي عليه ، وكان مطيعًا لأهله ووالده منذ صغره. كان رغم صغر سنه يذهب إلى مسجد الفاروق في المخيم مع أبيه وأعمامه، يقضي جميع الإجازات المدرسية في المخيمات الصيفية في المسجد، حيث عرف عنه أنه طفل يحب النظام والالتزام، ويحب أن يكون قائدًا منذ صغره، فكان يلعب مع أصحابه، ويقودهم ويوزع الأدوار عليهم، وكان دائمًا متصدر اللعبة يجمعهم ويفرقهم، ويلتفون حوله، سائد الذي يدعوهم للعبة،وهو الذي ينهيها، وهو الذي يقسمها، ويعطي لكل واحد من أصحابه دوره وموقعه.).

ولم يكن هذا هو الهم الأكبر الذي شغل الطفل سائد عوّاد رغم صغر سنه، فهو وإن كان يلعب مع الأولاد وهو قائدهم،إلا أنه كان متميزًا بألعابه ومقتنياته، حيث يقول عمه عبد الهادي أحمد عوّاد :

(كان سائد نشيطًا كثير اللعب في طفولته الأولى ، يحب تصليح الأجهزة الكهربية القديمة كالراديو والمحول الكهربي "الترانس"، وكانت لعبته المفضلة منذ صغره المفكات والأدوات الميكانيكية .

لقد كان مما يشغل باله وهو طفل لم يتجاوز السنوات الست قبل رحيله مع أسرته إلى الضفة الغربية عام ١٩٨٣ م تقريبًا، هو فك وتركيب وتجميع الأجهزة

والأسلاك الكهربية" ، وقد تعرض للزجر من والده أكثر من مرة؛ لأنه تسبب في عطل بعض الأجهزة المنزلية) .

وإن كان الشهيد سائد كثير العبث في كل ما يقع تحت يده من أدوات وأجهزة، إلا أن هذا العبث لم يكن فارغًا أو بلا نتائج ، فرغم طفولته إلا أن عقله كان منذ البداية ينبئ عن مبتكر مبدع ، حيث كان يتفنن في تصنيع لعبة الأطفال التي تطلق النار بصوت عال ، والمعروفة في قطاع غزة باسم "استاكوزا"، وهو أول من نقلها إلى الضفة الغربية، وتعرف عندهم باسم "الدفاشة"

والدفاشة ، عبارة عن آلة يدوية كان في بدايتها يضع مسمارًا في مفتاح يتم تعبئته بالثقاب ويضربها بقوة ، فتحدث صوتًا عاليًا مرتفعًا مزلزلاً كالألعاب النارية ، ولم يكن الشهيد سائد يقنع بهذا أو يتوقف عند ذلك ، بل عمد إلى تطوير هذه الآلة ، حيث جاء بماسورة وثبتها على خشبة مستوية ، وجعل لها ضاغطًا عبارة عن قضيب من الحديد موصول بزنبرك "زمبلك"، بحيث يتمكن بها من إطلاق رصاصة واحدة في كل ضربة

هذه الملامح والشقاوة التي ميَّزت سائد في مراحل حياته الأولى في مخيم "الشابورة" في رفح انتقلت معه إلى مخيم طولكرم في الضفة الغربية، حيث أنهى المرحلة الابتدائية والإعدادية في مدارس وكالة الغوث في المخيم ، ثم اضطر لترك الدراسة مبكرًا، كحال الآلاف من الفلسطينيين؛ ليتفرغ لمساعدة والده في تحصيل الرزق.

ومع اندلاع الانتفاضة الأولى في ديسمبر ١٩٨٧، كان سائد في مقدمة الصفوف رغم صغر سنه آنذاك، وكان له دور متميز، حيث اعتقل على خلفية فعاليات الانتفاضة وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره.

برزت ملامح شخصيته القيادية أكثر في مطلع التسعينيات، حيث قاد مجموعة من الأشبال في العام ١٩٩١ م في حركة حماس ، في مخيم طولكرم، وعملوا معًا في

إلقاء الزجاجات الحارقة وإطلاق النار على نقاط الجيش المتمركزة فوق أسطح المنازل، مستخدمين ما يصنعه من "دفاشات"، وهو ما أدى إلى إصابته ذات مرة بعيار ناري في قدمه، لكن هذا لم يثنه عن مواصلة نضاله وجهاده ومقاومته للاحتلال، ولكن بأساليب أقوى ووسائل أنجح.

هذه الأساليب وتلك الوسائل ، وجدها عوّاد سائدة في صفوف الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فانخرط في صفوفها، مقاتلاً شرسًا، لكنه لم يلبث أن اعتقل عام ١٩٩٤ م لمدة أربع سنوات ، على خلفية تزعمه لخلية من كتائب "عز الدّين القسّام" [1] في طولكرم . وفي السجن كان أيضًا مثالاً للصابر المحتسب عند الله رغم شدة الأساليب والوسائل التي استخدمتها أجهزة الأمن لانتزاع اعتراف منه.

---

(١) عز الدين القسام (١٨٧١ - ١٩٣٥) : ولد في قرية (جبلة) بمحافظة اللاذقية في سوريا. والده هو الشيخ عبد القادر مصطفى القسام ينتمي لأسرة عريقة الأصل. تربى تربية دينية ورحل إلى القاهرة للدراسة بالأزهر وبقى فيها أكثر من خمس سنوات. آمن القسام بأن الجهاد فريضة، فالمريض يذهب للطبيب طلبًا للدواء لا بالتواكل والدعاء. كذلك العدو الغاصب لن تزيحه قوة من السماء والقوم نيام، ولكن بالاعتماد على الله والجهاد والكفاح المسلح.

عاد إلى سوريا عالمًا فقيهًا وثائرًا صلبًا ، داعيًا إلى تخليص الإسلام من البدع والتواكل والشعوذة، وشارك في الثورة السورية التي قادها إبراهيم هنانو ضد الاستعمار الفرنسي، كما شارك في معركة ميسلون التي استشهد قائدها يوسف العظمة عام ١٩٢٠ ، ولما حكم عليه غيابيًا بالإعدام . اتجه إلى فلسطين لمواصلة الجهاد واختار الإقامة في حيفا ميناء فلسطين الأول .

في فلسطين عمل بالتدريس لمدة أربعة أعوام بمدرسة البرج الإسلامية ، ثم إمامًا وخطيبًا لجامع الاستقبال، فحوله إلىمركز جذب للقوى الوطنية وهاجم من فوق منبره الاحتلال الإنجليزي والعصابات الصهيونية التي كانت تقتلع الأرض من أصحابها وتقيم المشاريع والمستوطنات وتشرد الأهالي وتجلب اليهود .

لذلك دعا إلى الجهاد والتنظيم المسلح ، وكان ينتقي أعضاء تنظيمه بعناية شديدة ، إذ كان يزكي في العضو عقيدته الدينية ويطورها وينميها، وكان تنظيمه عنقوديًا يتكون من مجموعات كل مجموعة تتكون من خمسة أفراد على الأقل ولها نقيب، وتقوم كل مجموعة بمهام محددة حسب قدرات أفرادها، مثل تصنيع الأسلحة والبارود، والأعمال القتالية، والاستخبارات، والاتصالات، والإعلام.. إلخ.

وهكذا نفذ تنظيم القسام المئات من العمليات الفدائية الجريئة ضد العدو ، إلى أن حوصر المجاهد الكبير مع نفر من قواته في أحراش (يعبد)، بعدما عرف الإنجليز تحركاته بطريقة الوشاية ، ولما أدرك أن الإنجليز حاصروا كل المنطقة ، قال لرفاقه : (لنمت جميعًا شهداء .. إن الجبان لا يستحق الحياة.) وظل يقاوم الحصار حتى استشهد هو ورفاقه..!!

ولم يكد سائد يخرج من سجون الاحتلال عام ١٩٩٨ م ، حتى يعتقل مرة أخرى لدى أجهزة السلطة الفلسطينية ليحقق معه بكل ما تحمله القسوة والبشاعة من معنى، حيث أعيد بعد ذلك إلى سجن جنيد في نابلس.

في المعتقل.. أحس سائد باقتراب موعده الذي طالما انتظره، حيث ينقل عنه أحد إخوانه تلك المقولة التي كان يرددها دائمًا حينما يسأله عن اعتقاله لدى السلطة في جنيد فيقول: "من دخل سجن جنيد وخرج منه فليستعد للشهادة، فالتنسيق الأمني لا يرحم".

وصدقت مقولة سائد، حيث إن أكثر من ٧٠٪ ممن كانوا معه في سجن جنيد أصبحوا إما مطاردين أو سجناء لدى اليهود ، أو لقوا الله شهداء جراء تعرضهم للاغتيال بعد خروجهم من هذا السجن المشؤوم .

بعد خروج سائد من سجون السلطة بعد اعتقال دام ١٣ شهرًا ، تزوج مع مطلع عام ٢٠٠١م، ورزق بطفل سمَّاه (حمزة)، لكن هذا الزواج لم يشكل عائقًا أمام استمرار سائد في النضال والجهاد، فلقد تعرض للإصابة مرة أخرى بعيار ناري وهو يدافع عن مدينة طولكرم عام ٢٠٠١. لكن قذف الحجارة والسير في المسيرات الاحتجاجية لم يقنع أبا حمزة، فلقد كان فكره مشغولاً باستمرار كما كان منذ صغره، يفكر في كل طريقة ووسيلة تساهم في خلع هذا المحتل من أرضه الطاهرة، إلى أن هُدى لتصميم وتصنيع صواريخ القسام٢ المتطورة عن صواريخ قسَّام ١ ، التي أرقت الكيان الصهيوني وأقضت مضاجعه في غزة وفي مدن الضفة لتصل بمداها إلى قلب الكيان المنبوذ، وهو ما جعلهم يهددون بالعمل على إيجاد حزام أمني على طول حدود الأراضي الفلسطينية، بل التهديد بالرد بقسوة في حال إطلاق أي من هذه الصواريخ .

أهم المواصفات	القسّام ١	القسّام ٢
طول الصاروخ	٧٠ سم	١٨٠ سم
مدى الإطلاق	٢ إلى ٣ كم	٧ إلى ٩ كم
حمولة الرأس من مادة T.N.T المتفجرة	٦٠٠ جم	٥ إلى ٦ كجم
قطر الصاروخ	٨ سم	١٢ سم

وكما في صاروخ القسّام فإن القسّام ٢ لم يُجر له تطوير أو تغيير على طريقة الإطلاق، إلا ملاءمة القاذف ليكون مناسبًا للحجم ، ولا يمكن التحكم فيه أو في توجيهه بعد إطلاقه

وكانت المصادر الأمنية الإسرائيلية قد ذكرت لصحيفة يديعوت أحرونوت، أن صواريخ من طراز "القسّام ٢" تتم صناعتها في ورش في مدينة نابلس. وحسب تحليلهم للمواد التي صنعت منها الشحنة التي تم ضبطها، فإن صناعتها تمت بأنابيب فولاذية، ثبت في أحد طرفيها جناحا الصاروخ ، أما في الطرف الآخر فقد ثبت فيها رأس مدبب فولاذي يغطي الرأس الحامل للمتفجرات. ويحمل هذا الصاروخ في داخل أنبوبة مواد متفجرة تصل إلى خمسة كيلوجرامات، وأما في جزء الأنبوب السفلي فقد ثبت خليط من المواد المتفجرة لإحداث قوة دفع تلقي بالصاروخ إلى مسافة عشرة كيلومترات.

بينما قال قائد القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية الجنرال "جرشون يتسحاك" عقب ضبط شاحنة للصواريخ بين مدينتي نابلس وجنين، خلافًا للتقديرات المسبقة التي أشارت إلى مدى ثمانية كيلومترات، فإن مدى الصواريخ يقدر الآن بحوالي عشرة إلى اثني عشر كيلومترًا، وذلك حسب كمية المادة المتفجرة وشكل الصاروخ.

كان سائد يعلم يقينًا أنه ولا بد ملاحق من قبل قوات الاحتلال في كل مكان، فعليه إذًا أن يكون أسرع منهم إلى نشر هذه التقنية لدى أكبر عدد ممكن ، لئلا تنتهي سرية التصنيع باستشهاده أو موته . لذلك لجأ إلى طريقة مبتدعة، حيث كان ينتقي عناصره الفعّالة في كل مدن الضفة ويعلمهم كيفية التصنيع والإطلاق، مبتدئًا

بمخيم بلاطة في نابلس ، ومن ثم إلى جنين القسَّام ، فطولكرم، ومنها إلى طوباس وغيرها من المدن والقرى ، حيث أودع سر القسَّام ٢ عند كثير ممن علمهم ، الأمر الذي أكدته بيانات كتائب القسَّام فيما بعد .

انضم سائد لصفوف مقاتلي القسَّام يصارع المحتل في مخيم بلاطة في الاقتحام الأول موقعًا فيهم الإصابات ، ولم ينسحب من المخيم إلى أن انسحبوا دون النيل منه ومن إخوانه المجاهدين في كتائب القسَّام ، وبعدها انتقل إلى جنين ليتمترس هناك، ويبقى بصحبة مهندس عمليات القسَّام هناك في جنين القائد "قيس عدوان أبو جبل" المطلوب لدى جيش الاحتلال .

واقترب يوم اللقاء برب العزَّة حين اقتحمت قوات الاحتلال مخيم جنين للمرة الثانية بعد تلك العملية في مدينة أم خالد "نتانيا" ، فواجههم هو وإخوانه ببسالة شهد لها أبناء جنين القسَّام ، فأصيب منهم من أصيب، واستشهد منهم من استشهد، لينتقل بعدها بصحبة خمسة من إخوانه إلى طوباس - إحدى ضواحي جنين - يتمترسون ويعدون للعدو ما يخشاه .

وفي صبيحة يوم الجمعة ، الخامس من أبريل ٢٠٠٢ م ، وتحديدًا في بيت الشهيد البطل "أشرف دراغمة" في طوباس ، حاصرتهم القوات الصهيونية الخاصة فأبوا الاستسلام ، واشتبكوا مع تلك القوة التي عززت بالدبابات والطائرات ومئات الجنود لأكثر من "٥ ساعات" ؛ لتغرب شمس ذلك اليوم على ستة أشلاء مزقتها صواريخ الطائرات الأمريكية الصنع، بعد أن سطَّروا أروع ملاحم البطولة ، لينتقل مهندس القسَّام (سائد حسين عواد) إلى جوار ربه بصحبة الشهداء : قيس عدوان أبو جبل، ومجدي محمد سمير، ومحمد أحمد كميل، وأشرف حمدي دراغمة، ومنقذ محمد صوافطة.

لقد ذهب سائد عواد أشهر مبتكر عربي للصواريخ، لكنه ترك ما يذكرنا به، وما يذكر الصهاينة ببأسه ، ذهب سائد لكنه ترك القسَّام "٢" وعشرات من الشباب الفلسطيني كلهم (سائد عواد) ..!!

اغتيال ماكسويل

بفُقّاعة هواء فوق يخته ..!!



كان صديقًا لحكام إسرائيل وقادة الموساد.. استغل مؤسسة صحفية عملاقة يمتلكها في لندن، لخدمة الدعاية الإسرائيلية .

ولأنه عرف من الأسرار أكثر مما يجب ، كان التخلص منه قرارًا لا رجعة فيه ، حيث اغتيل في عرض البحر بحقنة هواء في وريده ، ثم ألقى بجثته في المياه، وبدموع التماسيح وقفوا يبكونه أمام الكاميرات، ويقيمون له جنازة رسمية مشوا فيها خلف نعشه ..!!

العميل المثالي

لا أحد ينكر أن اليهود يمتلكون كبريات المؤسسات الإعلامية في أنحاء العالم، وهذا ما ساعدهم على نشر أكاذيبهم، وأساطير المحارق النازية، وحقوقهم في فلسطين. فبدلوا بذلك الحقائق، وبثوا الدعايات والإشاعات المغرضة ، وسيطروا بهذه الطريقة على الرأي العام العالمي وضمنوا تأييده.

ومن بين أشهر وأكبر المؤسسات الصحفية التي عملت في خدمة إسرائيل وأجهزة استخباراتها، مجموعة ميرور Mirror ، تلك التي تضم العديد من الصحف اليومية والأسبوعية زائعة الصيت ، والتي يملكها بارون الصحافة اليهودي عميل الموساد ، روبرت ماكسويل .

كان ماكسويل قد جعل من صحفه ومجلاته أداة إعلامية ناجحة لصالح إسرائيل. لذلك فقد كان يعامل معاملة (الوزراء) عند زيارته لتل أبيب، ويجتمع من فوره برئيس الوزراء أو برئيس الموساد ، حيث تتبدل لأجله خريطة المقالات والزيارات، وتحظى طائرته الخاصة في مطار بن جوريون برعاية أمنية خاصة

في القدس مع بداية تشكيل شيمون بيريز لحكومة ائتلافية عام ١٩٨٤ ، اجتمع به ماكسويل[1] ويتذكر أحد معاوني بيريز أن اللقاء كان (لقاء الغرور المصاب بجنون العظمة). كان بيريز متغطرسًا واستبداديًا. ولكن ماكسويل لم ييأس، فقال مثلا: (إنني سأجعل الملايين تتدفّق على إسرائيل) و(سأنعش الاقتصاد) . كان يتصرّف كمرشح للانتخابات. وكان كلامه طنّانًا، وقاطع محادثه غير مرة، وخرج عن الموضوع، وأطلق نكاتًا غير مهذبة. أما بيريز فجلس مكانه وهو يبتسم ابتسامة باردة.

كان بيريز يدرك أن ماكسويل يرتبط بعلاقات قوية في أوروبا الشرقية ، ولذا رتّب لماكسويل لقاءً مع أدموني[2] . وجرى الاجتماع في (الجناح الرئاسي) في فندق الملك

---

(١) التفاصيل جاءت بكتاب (جواسيس جدعون) الذي يمجد الموساد ويخلق منها أسطورة.

(٢) رئيس الموساد ناحوم (ناعوم) أدموني (سبتمبر ١٩٨٢ - مارس ١٩٩٠).

داود في القدس حيث أقام ماكسويل. وقد وجد الرجلان جامعًا مشتركًا هو نشأتهما في وسط أوروبا. التزامهما الشديد بالصهيونية ،واعتقادٌ بأن لإسرائيل حقًا إلهيًا بالوجود. كما تجمع بينهما شهيّة عظيمة للطعام والخمر الجيدة .

أبدى أدموني اهتمامًا شديدًا بوجهة نظر ماكسويل بأن كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي تحدوهما الرغبة نفسها في تحقيق السيطرة الكونية ولكن بطرق مختلفة اختلافًا كبيرًا. فالفوضى الدولية تمثّل جزءاً من استراتيجية روسيا، في حين ترى واشنطن العالم ضمن تصنيف "الأصدقاء" و"الأعداء" ، وليس كدول ذات مصالح أيديولوجية متضاربة. وعرض ماكسويل رؤيا تبصّرية أخرى منها أن الاتصال السري بين وكالة الاستخبارات الأمريكية **C. I . A** ونظيرتها الصينية ، أقلق وزارة الخارجية الأمريكية التي رأت أن ذلك سيصطدم بالعمل الدبلوماسي والنشاطات السياسية في المستقبل .

رسم ماكسويل صورتين دقيقتين لرجلين يهتم بهما أدموني كثيرًا، ريجان ، ورئيس مخابراته . فقال إنه بعد لقاء رونالد ريجان[1] خرج بشعور مفاده بأن الرئيس متفائل أبديّ يستخدم جاذبيته لإخفاء صورة السياسي الصلب. وأخطر نقطة ضعف لدى ريجان هي تسطيحه الأمور خصوصًا في الشرق الأوسط ، حيث لا يغيِّر طول تفكيره في الأمور من حكمه الأوّلي الانفعالي.

أما انطباعه عن وليام كيسي، رئيس الاستخبارات الأمريكية، أنه ضيّق الأفق، وأنه ليس صديقًا لإسرائيل. كان كيسي يدير وكالة ذات كفاءة عالية بأفكار قديمة تتعلّق بدور الاستخبارات في ميادين الصراع العالمي السياسي الراهن. ويرى ماكسويل أن أوضح ما يكون ذلك في الطريقة التي أساء فيها كيسي قراءة نيّات العرب في الشرق الأوسط .

---

(١) رونالد ريجان : ولد عام ١٩١١ في مدينة تامبيكو بولاية ألينوي لأسرة متوسطة الحال . كان أبوه بائع أحذية ومات بأزمة قلبية بعد حضوره أول فيلم مميز لابنه الذي كان قد اتجه إلى التمثيل بعدما أنهى خدمته بالجيش. قام ريجان بتمثيل حوالي خمسين فيلمًا ثم اتجه إلى السياسة. انتخب محافظًا لكاليفورنيا ١٩٦٦/١٩٧٥ وتقدم لانتخابات الرئاسة وخسر أمام جيرالد فورد بفارق ستين صوتًا فقط، لكنه فاز في انتخابات عام ١٩٨٠ ثم ١٩٨٤ ، وفي عهده تفجرت فضيحة إيران جيت، وانفجرت طائرة بان أمريكان فوق لوكيربي،وحدث تفجير السفارة الأمريكية ببيروت، وضرب مقر القذافي وقتل ابنته بالتبني ..!!

تطابقت هذه الآراء تمامًا مع آراء ناحوم أدموني. وبعد مرور سنة على اجتماعـهما يلتقي الرجلان مرة ثانية في ١٥ مارس ١٩٨٥.

دخل أدموني وبنمناشي[١] جناح ماكسويل في مركز صحيفة "ميرور" في حي هاي هولبرن في لندن، من دون علم مسبق بأن هناك شخصًا آخـر سيجالسـانه ويشـاطرانه حلقات الحلوى والسمك المدخّن والقهوة التي أمر ماكسويل بأن يأتوه بها كلما جاء إلى مكتبه

وفي حركة استعراضية قدّم ماكسويل لضيفيه : (فيكتور شبريكوف) نـائب رئيـس الاستخبارات السوفييتية "كي. جي. بي" ، وأحد أقوى زعماء التجسّس في العالم.

ويقول بنمناشي : (إن وجود أحد زعماء "كي. جي.بي" في مكتـب أحـد ناشـري الصحف البريطانية قد يبدو حماقة غريبة، لكن (ميخائيل جورباتشوف) كان حينئذ على علاقات ودية برئيسة الوزراء (مارجريت تاتشر) فكـانت مشـاهدة شـبريكوف في بريطانيا أمرًا مقبولاً).

شارك أدموني وبنمناشي في النقاش وهما متمـددان علـى أرائـك مكتـب ماكسـويل الوثيرة. كانا يسألان عما إذا كان بإمكان شبريكوف ضمان سلامة كميات ضخمة مـن الأموال إذا جـرى تحويلـها إلى المصـارف السـوفيتية؟ كـان المـال سـيأتي مـن أربـاح مبيعات الأسلحة الأمريكية إلى إيران .

سأل شبريكوف عن حجم الأموال موضوع السؤال فأجابـه بنمناشـي (٤٥٠ مليـون دولار أمريكي يعقبها مبلـغ ممـاثل. بليـون أو أكـثر). نظـر شـبريكوف إلى ماكسـويل للتـأكّد مـن حقيقـة مـا سمعـه فأومـأ ماكسـويل بحماسـة وصـاح: "هـذه هـي البيرويسترويكا".

---

(١) آري بنمناشي : المستشار الخاص لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق شـامير لشئون المخـابرات. كـان لـه دور رئيس في عملية مقايضة الرهائن بالسلاح مع إيران، وهي العملية التي أطلق عليها (إيران جيت). بنمناشي أيضًا هو الذي جنّد رئيس قسم الشئون الخارجية في صحيفة (ديلي ميرور) نيكولاس ديفيس، للعمل مع الموساد..

استحسن بنمناشي الاتفاق أكثر لبساطته. فلن تكون هناك جمهرة من الوسطاء الذين ينتزعون حصصهم من السمسرة. فليس ثمّة سوى "ماكسويل بعلاقاته وشبريكوف لما يتمتع به من سلطات". وسيكون دوره ضمان عدم سرقة السوفييت للأموال. واتفق على أن تحوّل دفعة الـ٤٥٠ مليون دولار الأولى من مصرف "كريدي سويس" إلى "بنك بودابست" في المجر. وسيتولّى هذا المصرف تحويل الأموال إلى المصارف الأخرى في الكتلة السوفييتية".

أما روبرت ماكسويل فسيحصل على عمولة محدّدة قيمتها ثمانية ملايين دولار عن وساطته لعقد الاتفاق. وتصافح الجميع بالأيدي علامة الاتفاق. واقترح ماكسويل شرب كأس الشمبانيا نخب مستقبل الرأسمالية في روسيا. بعدئذ انتقل ضيوفه على متن طائرته المروحية إلى مطار هيثرو حيث تابعوا رحلات العودة إلى بلادهم.

وباستثناء الصحفي نيقولاس ديفيس لم يفطن الصحفيون في مبنى مجموعة صحف "ميرور" إلى أنهم قد فوّتوا فرصة الحصول على خبر صحفي ضخم. ولن يلبثوا أن يفوّتوا الفرصة مرة أخرى عندما سيغدر ماكسويل بمهاراتهم الصحفية في محاولة منه لحماية إسرائيل.

عاهرات الموساد

منذ بداية علاقته بالموساد، اتفق على أن ماكسويل أثمن من أن يقحم في شؤون جمع المعلومات السرية. ويقول أحد العاملين في أجهزة الاستخبارات الإسرايلية:

(كان ماكسويل يسوّي المشكلات على المستوى الأعلى في حسابات الموساد. كان على اتصال بكبار المسؤولين. وكانت قوة صحفه تجعله موضع ترحيب رؤساء الدول ورؤساء الحكومات. ونظرًا لرفعة مقامه كانوا يتحدثون إليه وكأنه رجل دولة فعلي، غافلين عن الجهة التي سيبلّغها المعلومات. وكان مقدار كبير مما بلّغه مجرد ثرثرة، لكن بعضه كان قيّمًا ولا شك. وكان ماكسويل يعرف كيف

يطرح الأسئلة. لم يخضع لأي تدريب عندنا، لكنه كان يتلقّى توجيهات بشأن النواحي التي ينبغي استكشافها) .

وفي عام ١٩٨٩ ألقى القبض على بنمناشي في نيويورك واتّهم بالتآمر "مع آخرين" على خرق قانون ضبط صادرات الأسلحة بمحاولته بيع طائرة عسكرية من طراز "سي- ١٣٠" إلى إيران. كانت الطائرة قد بيعت أصلا لإسرائيل.

خلال جلسات المحكمة الأولى قالت إسرائيل إنه "لا علم لها" ببنمناشي، فأطلع المحكمة على ملف عن خطابات التوصية التي وضعها رؤساؤه في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، وحين قالت الحكومة الإسرائيلية إنها مزوّرة، قدّم بنمناشي إلى المحكمة أدلّة قاطعة تثبت العكس. عندها قالت الحكومة الإسرائيلية إن بنمناشي "مترجم من الدرجة الدنيا" لدى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية. فردّ بنمناشي على ذلك بأن جوهر الدعوة المقامة ضدّه - أي بيع الطائرة - قد رخّصته الحكومتان الإسرائيلية والأمريكية وتحدّث عن صفقات بيع أسلحة مجازة إلى إيران بقيمة مئات ملايين الدولارات .

وساد الجزع في تل أبيب من جديد. خضع رافي إيتان وديفيد كيمحي للاستجواب في شأن حجم معلومات بنمناشي وحجم الأذى الذي يمكن أن يلحقه. ولم تكن الإجابات مطمئنة تمامًا. فقال رافي إيتان[1] إن بإمكان آري بنمناشي أن يفضح بالتفصيل الشبكة الأمريكية - الإسرائيلية لبيع الأسلحة إلى إيران والتي تمتدّ تشعباتها إلى كل مكان، فتنزل إلى أمريكا الوسطى فالجنوبية، وتعبر إلى لندن ثم استراليا، وتقطع أفريقيا وتصل إلى عمق أوروبا .

وبينما كان بنمناشي ينتظر مثوله أمام المحكمة في سجن في نيويورك زاره محامو الحكومة الإسرائيلية وعرضوا عليه صفقة : أن يقرّ بذنبه مقابل تسوية مالية سخيّة تضمن له حياة هانئة بعد خروجه من السجن.

---

(١) إرهابي صهيوني شغل عدة مناصب في الآلة الاستخباراتية الإسرائيلية، وأشرف على العديد من العمليات الإرهابية ضد القيادات الفلسطينية .

وقـرّر بنمناشـي أن يقـول الحقيقـة، وكـان قـد بـدأ في ذلـك عندمـا قـرّرت هيئـة المحلّفين الفيدرالية فجأةً، في نوفمبر ١٩٩٠، أن تبرئه من كل التهم .

ويقول عدد من زملائه السابقين في الاستخبارات الإسرائيلية أن نجاته من العقاب من حسن حظّه. وهم يزعمون أنه في إطار محاولاته استعادة حرّيته استخدم ما سمّـاه أحد ضباط الموساد "طريقة المدفع الرشاش" بتوجيه الهجوم لكل من يـهدّد حريتـه. ويستعيد كيمحي بذاكرته ذلك الوقت ، فيقول "كـل مـا أردنـاه هـو أن يختفـي عـن ناظرنا. لقد شرع في إيذائنا وإيذاء بلده وأمنه. لقد كان ولا يزال خطرًا".

لكن إسرائيل لم تحسب حساب انتقام بنمناشـي. وضـع كتابًـا عنوانـه "أربـاح الحرب" كان يأمل أن يحقّق ما حققه قبله وودرود وبرنستين في كتابهما عن فضيحة "ووترجيت" الذي أدّى إلى سقوط الرئيس ريتشارد نيكسون. وكـانت غايـة بنمناشـي التي حدّدها بنفسه واضحةً: (تصحيح الأخطاء الرهيبة التي حدثـت في الثمانينيـات والعمل على إخراج المسؤولين عنها من السلطة).

عُقدت في تل أبيب اجتماعات مستعجلة، وجرت مناقشـة فكـرة شـراء مخطوطـة الكتاب، لكن قيل أن بنمناشي رفض مبلغًا ضخمًا من المال - يقال أنه مليون دولار- للبقاء صامتًا، واستخدام كل وسيلة ممكنة لمنع ظـهور الكتـاب. وليـس مؤكـدًا مبلـغ النجاح الذي تحقق لكن المخطوطة الـتي عرضـت علـى عـدد مـن كبـار الناشـرين لم تنشرها إلاّ دار "شريدان سكوير برس" الصغيرة في نيويورك.

ويصف بنمناشي الكتاب بأنه "قصة الحكم بالمكيدة، شارحًا كيف يقرّر حفنة من الأشخاص في بعض وكالات استخبارات سياسات حكوماتهم، ويديرون سرًا عمليـات ضخمـة مـن دون محاسبة الشـعب لهـم، ويسـيئون اسـتخدام السـلطة وثقـة النـاس ويكذبون ويستغلّون وسائل الإعلام ويخدعون الشعوب.

وفي لندن ، كرّر روبرت ماكسويل ما كـان قـد فعلـه مـرارًا، فاختبـأ وراء القـانون وهدّد بإقامة الدعاوى على كل من يجرؤ على ترديد المزاعم التي أطلقها بنمناشي عنه

في كتابه. ولم تكن أي صحيفة مستعدة لاستخدام مهاراتها في التحقيق لإقامة الدليل على صحة مزاعم بنمناشي.

بقي روبرت ماكسويل مقتنعًا بأنه لا يُغلب لسبب بسيط وهو أنه أصبح لصًا لحساب الموساد، فكلما زاد نهبه لصلحتهم كلما زاد اعتقاده بأن لا غنى للجهاز عنه. كذلك كان يحب أن يقول أثناء زياراته لإسرائيل بأنه هو أيضًا يعرف أين يُخفون الجثث. ولم يَخفَ عن الموساد مغزى هذا الكلام .

روبرت ماكسويل الذي طرد مرة صحافيًا لأنه زوّر فواتير نفقاته كان هو نفسه يسرق أموال صندوق معاشات موظفيه لدعم الموساد

كان فيكتور أستروفسكي الإسرائيلي ، الكندي المولد الذي عمل كضابط في الموساد من ١٩٨٤ إلى ١٩٨٦ أول من اكتشف ما كان يجري: **(كان جهاز الموساد يموّل عددًا من عملياته في أوروبا من مال مسروق من صندوق معاشات صحيفة ماكسويل. فقد وضعوا أيديهم على أموال الصندوق حالما اشترى ماكسويل مجموعة "ميرور" الصحفية بأموال اقترضها من الموساد ، وبالاستعانة باستشارات خبيرة قدّمها محلّلو الجهاز الماليّون. والجانب الفاسد في الأمر، إلى جانب السرقة، هو أن كل من عمل في مؤسسته الصحفية وسافر إلى أي بلد في الشرق الأوسط كان موضع اشتباه بالعمل لخدمة الموساد، وكان على مسافة خطوة واحدة من حبل المشنقة).**

ويضيف الكاتب الصهيونى قائلا

(حين كان ماكسويل يزور إسرائيل كان محل حفاوة تعدّ لرؤساء الدول. فيكون ضيف شرف على حفلات الاستقبال التي تعدّها الحكومة ، وتقدّم له أفخر الأجنحة أثناء إقامته. لكن جهاز الموساد كان حذرًا ومتهيئًا للحظة التي تقرر "اليد التي تطعمه" أن تغلق أبوابها فجأة. وإذ اكتشفت الموساد سعة شهية ماكسويل الجنسية وتفضيله الجنس عن طريق الفم نظرًا لضخامة حجمه، فقد أعدّ الجهاز العدة أثناء زيارات رجل الأعمال الثري لتكون في خدمته واحدة من

مجموعة العاهرات التي يوظّفها جـهاز الموسـاد لأغـراض الابـتزاز. إلى أن اقتنـى مكتبة صغيرة من شرائط الفيديو التي تصور ماكسويل في أوضـاع جنسـية فاضحـة. فقد أخفيت في حجرة نـوم ماكسـويل في جناحـه في الفنـدق آلـة تصويـر للتجسـس عليه) .

نُشرت هذه الفضـائح في كتـابين وضعـهما أستروفسـكي بنفسـه لا يـزالان يثـيران غضـب أجـهزة الاسـتخبارات الإسـرائيلية جميعًـا. والكتابـان همـا (طريـق الخـداع) و(الجانب الآخر للخداع) ، وقد أماط الكاتب فيهما اللثـام عـن الأسـرار الـتي اطّلـع عليها أثنـاء عملـه في الموسـاد. في هذيـن الكتـابين[1] وصـف أستروفسـكي الأسـاليب السرية، وسمّى عددًا كبيرًا من ضباط ما زالوا في الخدمة وقد يكـون قـد فضـح بعضًـا منهم في عملية كشف كلاسيكية نفّذها شخص كيدي يعتقد أنه ظُلم عندما أقصى مـن صفوف الموساد

مـواجـهـة صـعـبـة

ومن المفارقات أن الحكومة الإسرائيلية تجاهلت نصيحة ماكسويل بلـزوم الصمـت إزاء مزاعم أستروفسكي. ففي لقاء عقده في تل أبيب مع رئيس الوزراء إسحق شامير، ضرب رجل الأعمال الثري مثلاً ما حدث عندما حـاولت حكومـة تاتشـر البريطانيـة وقف نشر كتاب وضعه ضابط سابق في جهاز "M15" يدعى بيتر رايت. كان كتابه :

"صائد الجواسيس" يسرد هو أيضًا تفاصيل مربكة عــن جـهاز الأمـن البريطـاني. وقد تابعت الحكومة البريطانية حملتها لوقف نشر الكتاب ، حتى لحقت بها هزيمة نكراء في المحاكم الأسترالية حيث كان مقر دار النشر الـتي أصـدرت كتـاب رايـت. بعدئذ أصبح "صائد الجواسيس" الكتـاب الأكـثر مبيعًـا في العـالم وظـهرت بريطانيـا بمظهر الغباء .

---

(١) بقراءة كل ما كتبه أستروفسكي في كتابيه ، أستطيع أن أقول أن تفاصيل ما جاء من وضع الموسـاد. فالمبالغـة معجوجة لا تتفق والمنطق، بهدف إضفاء صفات الجرأة والقوة الخارقة على (حراس الهيكل)..

وواجهت الحكومة الإسرائيلية المصير نفسه. فتحت ضغط أعضاء في الموساد ، كان من بينهم مائير عاميت وإيسير هاريل وجّه شامير أوامره إلى المدّعي العام لإقامة الدعوة لمنع نشر الكتاب الأول لعميل الموساد السابق.

وأذكت القضية نار العداء الخبيث لدى شامير لأمريكا ، وهو عداء ذو جذور قديمة في اعتقاد ثابت بأن الولايات المتحدة تتحمّل جزءاً من المسؤولية عن المحرقة[1] . لذلك ، أجاز تحويل جزء من وثائق تقع في حوالي خمسمائة ألف ورقة، كان جوناثان بولارد قد سرقها، إلى الاتحاد السوفييتي. وكان شامير يأمل أن تؤدي هذه البادرة إلى تحسين علاقات إسرائيل بموسكو.

كانت الوثائق تتضمّن معلومات سريّة أمريكية راهنة عن الدفاعات الجوية السوفييتية ، والتقرير السنوي الذي أعدتّه وكالة الاستخبارات الأمريكية عن قدرة روسيا الإجمالية على خوض الحرب. وتضمّنت إحدى الوثائق صورًا التقطتها الأقمار الفضائية ، واعتراضات للاتصالات ومعلومات وفّرها الرادار ، وتقارير من عملاء لـ C. I. A في الاتحاد السوفييتي.

خلال الاجتماع الذي ناقش الرجلان فيه موضوع أستروفسكي ، طلب شامير من ماكسويل تعبئة إمكاناته الإعلامية الواسعة لتحطيم مصداقية أستروفسكي. وأشار ماكسويل إلى أن الموساد لا بدّ قد اطلع على ظروف نشأته قبل تجنيده في صفوف الجهاز.

ومع ذلك أصبح أستروفسكي هدفًا لحملة تشهير في وسائل ماكسويل الإعلامية بما فيها صحيفة "معاريف" الصغيرة الحجم التي تصدر في تل أبيب. فوُصف بأنه خيالي وكاذب، وليس صديقًا وفيًا لإسرائيل.

---

(١) يقصد من ذلك أن تأخر أمريكا فى دخول الحرب ضد هتلر ، مع علمها بما يجرى لليهود فى أفران الغاز ، أدى إلى مقتل مئات الآلاف من اليهود فى أوربا .

ويقرّ أعضاء كبار في أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية الذين قرأوا كتابي أستروفسكي بعناية ، بأن كثيرًا مما قاله صحيح[1].

رفضت محكمة نيويورك وجهة نظر الحكومة الإسرائيلية بأن الأسرار التي كشف أستروفسكي النقاب عنها تهدّد أمن إسرائيل. وقد أصبح الكتاب أحد أكثر الكتب مبيعًا.

وكان أستروفسكي أول من تحدّث علنًا عن علاقات روبرت ماكسويل بالموساد، لكنه بالتأكيد لم يكشف الحقيقة بكاملها. فالقصة، كما حال أمور كثيرة، تتشابك جذورها الثابتة وتمتزج في اختلاط عميق .

كانت إمبراطورية ماكسويل الصحفية في لندن تواجه متاعب مالية خطيرة. وهي توشك على وقف عملياتها ما لم تُضَخّ فيها كميات ضخمة من المال. لكن حي المال في لندن الذي طالما زوّده بالتمويل من قبل يظهر ممانعة الآن في تقديم المطلوب. فقد تبيّن لأرباب المال الذين تعرّفوا إلى ماكسويل أن وراءه تهديده ووعيده وأساليبه المترفّعة رجلاً فقد فطنته المالية التي كانت تغفر له عندهم الكثير من ذنوبه. ففي ما مضى كان يثور ويطلق التهديدات في مواجهة أتفه التحديات، لكن المصرفيين كانوا يكبحون جماح غضبهم ويذعنون لمطالبه. وذاك عهد مضى، إذ بات يتردد في مصرف إنجلترا المركزي والمؤسسات المالية الأخرى في المدينة أن الرهان على ماكسويل محفوف بالمخاطر.

واستند المصرفيون لمعلوماتهم إلى تقارير سريّة وردتهم من إسرائيل ، تفيد أن المستثمرين الإسرائيليين يضغطون على ماكسويل ، لإعادة أموالهم التي استخدمها في شراء مجموعة "ميرور". فقد مضى موعد استحقاق الدفع منذ وقت طويل والإسرائيليون يلحّون كثيرًا في طلباتهم. وقد وعد ماكسويل الدائنين بعائدات أعلى على أموالهم إذا هم صبروا عليه ، وذلك في محاولة منه لتجنّب ضغوطهم. لكن ذلك لم يرق للإسرائيليين الذين قالوا أنهم يريدون استعادة أموالهم .

(١) لاحظ جيدًا ما وراء الجملة والحروف ..!!

ولهذا السبب سافر ماكسويل إلى تل أبيب، على أمل أن يتملّقهم علهم يمنحونه تمديدًا آخر. ولم تكن الدلائل تبشّر بالخير. فقد تلقّى أثناء الرحلة عدة مكالمات هاتفية من المستثمرين الغاضبين الذين هدّدوا بإحالة القضية إلى السلطة التنظيمية في حي المال في لندن.

وشغلت بال ماكسويل قضية أخرى. فقد اختلس بعض الأرباح الهائلة من وراء ظهر الإسرائيليين عندما عُهد إليه بإخفائها في مصارف الكتلة السوفييتية، فاستخدم المال لإنقاذ مجموعة "ميرور"، وسرق أيضًا كل ما تمكن من سرقته من صندوق معاشات الموظفين في المجموعة الصحافية ، ومتى انكشف أمر السرقة سيجد ماكسويل نفسه ليس في مواجهة أصحاب الأموال الإسرائيليين وحدهم، بل في مواجهة بعض الرجال القساة ومنهم السفاح رافي إيتان. كان ماكسويل يعرف عن إيتان ما يكفي لجعله يتوقّع ألا تكون تلك المواجهة سارة على الإطلاق .

اغتيال الأصدقاء

وكالمعتاد أعد له استقبال الملوك ، فأُعفي من جميع شكليات المطار وقَدِم مسئول رسمي من وزارة الخارجية لاستقباله

وعامل ماكسويل المسئول كما يعامل موظفيه، فأصرّ على أن يحمل المسئول حقائبه بنفسه ويجلس إلى جانب السائق. وفي كل مرة توقّفت السيارة عند إشارة المرور كان ماكسويل يحاضر في المسئول السيئ الطالع. وظلّ على هذا المنوال حتى وصل إلى جناحه في الفندق. وهناك كانت عاهرته المفضّلة بانتظاره، لكنه صرفها، فثمة أمور أكثر إلحاحًا من إرضاء حاجاته الجنسية تشغل باله

في جناحه في الفندق بدأ ماكسويل يرسم استراتيجيته. إن حصته من تسويق شركة "ديجيم" لبرنامج "بروميس" لن تكفي لاجتثاث الأزمة. ولن تكفي أيضًا أرباحه من "معاريف" الصحيفة الإسرائيلية الصغيرة الحجم التي تشبه صحيفة "دايلي ميرور" التي يملكها. ولكن كان هناك احتمال واحد وهو شركة "سايتكس"

ومقرّها تل أبيب التي يملكها ماكسويل والتي تصنّع معدات طباعيـة عاليـة التقنيـة.
وإذا تمكّن من بيع "سايتكس" في سرعة فإن المال المتحصّل يساعد في حل الأزمة

استدعى ماكسويل مديـر "سـايتكس" ، ابـن رئيـس الـوزراء إسـحق شـامير إلى جناحه. فجاءه المدير بأخبار غير سارّة عقد صفقة بيع سريعة أمر مستبعد. فشركة "سايتكس" التي تحقّق نجاحًا تواجه في الوقت نفسه منافسة مـتزايدة. والوقـت غـير مناسب لطرحها للبيع. والبيع يعني فقدان عدد من الموظفين الأكفاء لوظائفـهم وذلـك في وقت أصبحت البطالة فيه مشكلة خطيرة في إسرائيل.

وأحدث رد الفعل ثورة غضب هائلة لدى ماكسويل الذي رأى آخـر آمالـه بإنقـاذ وضعه يتبدّد. لكنّه ارتكب خطأ تكتيكيًا عندما وبّخ نجل رئيس الـوزراء الـذي أخـبر والده أن ماكسويل يواجه متاعب مالية صعبة. ولعلم رئيس الـوزراء بالعلاقـات الـتي تربط ماكسويل بالموساد عمـد إلى إبـلاغ نـاحوم أدمونـي بـالأمر، فدعـا هـذا إلى عقد اجتماع لكبار موظفيه للتباحث حول كيفية معالجة هذه المشكلة المستجدّة.

وتبين في ما بعد أن المجتمعين بحثوا في عدد من الخيارات .

أولاً   أن تطلب الموساد من رئيس الوزراء أن يستخدم نفوذه الكبـير مـع المستثمرين الإسرائيليين ليس للانتظار لفترة أطول للحصـول علـى أموالهـم ، بـل لتعبئـة إمكاناتهم ومعارفهم من أجل جمع المال اللازم لإنقـاذ ماكسـويل مـن ورطتـه. وقد رُفض هذا الخيار على أسـاس أن ماكسـويل أزعـج شـامير كثـيرًا بموقفـه المتعجرف.

ثانيًا   أن تحثّ الموساد ذوي المناصب العليا في حي المال في لندن على مساندة خطة إنقاذ ماكسويل. وفي الوقت نفسـه اللجوء لصحف أخرى لنشر روايـات تسـاند رجل الأعمال المبتلي .

وقد استُبعدت هذه الاقتراحات ، إذ تلقى أدموني تقارير مـن لنـدن تشير إلى أن عددًا كبيرًا من المتطوعين لخدمة الموسـاد يرحّبـون بـالتخلص مـن ماكسـويل، وأن لا

صحافيين خارج مجموعة صحف "ميرور" سيقدمون على كتابة تحقيقات إيجابية عن رجل أعمال كبير صرف السنوات العديدة وهو يوجّه التهديدات لرجال الصحافة.

ثالثًا ، وهو الخيار الأخير : أن يقطع جهاز الموساد جميع علاقاته مع ماكسويل. وفي هذا الخيار مخاطرة. فبالنظر لحال ماكسويل العقلية المترجرجة فقد يستخدم صحفه لمهاجمة الموساد بالفعل. ويمكن أن يكون لذلك عواقبه البالغة الخطورة باعتبار ما سُمح له بالاطلاع عليه من أسرار .

في ضوء هذه الملاحظة الكئيبة اتفق المجتمعون على أن يجتمع أدموني بماكسويل ويذكّره بمسؤوليته تجاه الموساد وإسرائيل على السواء. في تلك الليلة اجتمع الرجلان حول طاولة عشاء في جناح ماكسويل في الفندق. ولا يزال ما دار بينهما من حديث سرًا. ولكن بعد ساعات من الاجتماع، غادر ماكسويل تل أبيب في طائرته الخاصة. وكانت تلك المرة الأخيرة التي شوهد فيها في إسرائيل حيًا.

وعاد ماكسويل إلى لندن . وبدا أنه يحقّق نجاحًا في التمسّك بمجموعته الصحفية برغم الظروف الصعبة. وشبّهه البعض بدرويش أفريقي دوّام لدورانه السريع حول نفسه فيما كان ينتقل من اجتماع إلى آخر طلبًا للدعم المالي. وبين الحين والآخر كان يتّصل بالموساد طالبًا التحدّث إلى أدموني، وكان دائمًا يقول لسكرتيرة المدير العام إن "التشيكي الصغير" على الخط. وكان هذا اللقب قد أطلق على ماكسويل عند تجنيده. ولا أحد يعرف ما دار بين الرجلين أثناء تلك المكالمات

لكن مفتاحًا صغيرًا سيظهر في ما بعد من عميل سابق للموساد يدعى فيكتور أستروفسكي، الذي يعتقد أن ماكسويل كان يصرّ على أن وقت تسديد ديونه قد حان، وأن مبلغ المال الضخم الذي سرقه من صندوق معاشات موظفي "ميرور" يجب أن يعاد إليه الآن. كذلك اقترح ماكسويل أيضًا أن تسعي الموساد بالنيابة عنه لإطلاق سراح موردخاي فعنونو. وعندئذ سيأتي ماكسويل بالتقني الإسرائيلي إلى لندن ويتولى بنفسه إجراء مقابلة صحفية معه لنشرها في صحيفة "دايلي ميرور"، تُكتب بطريقة

تظهر الرحمة الإسرائيلية. مما سيعزّز أرقام توزيع صحيفته ويعيد فتح ما انغلق من أبواب أمامه في حي المال في لندن .

اقتنعت الموساد بأن هذه الخطة المجنونة كانت خير دليل على أن روبرت ماكسويل أصبح يشكّل خطرًا على إسرائيل .

وقدّم ماكسويل دليلاً آخر على سلوكه الغريب عندما اتصل هاتفيًا بأدموني يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٩١ ، من دون أن يموّه تهديده هذه المرة. فقد عاودت أوضاعه المالية الانتكاس من جديد وأصبح هو موضوع تحقيقات يجريها البرلمان البريطاني وتشارك فيها وسائل الإعلام البريطانية. ومضى ماكسويل يقول لأدموني : إنه ما لم تبادر الموساد فورًا إلى إعادة جميع الأموال المسروقة من صندوق معاشات موظفي "ميرور" فقد لا يكون بإمكانه الإبقاء على سر لقاء أدموني برئيس جهاز "كي. جي. بي" السابق فلاديمير كريوتشكوف. وكان الأخير سجينًا في موسكو ينتظر محاكمته عن دوره في محاولة انقلابية فاشلة لإطاحة ميخائيل جورباتشوف. وكان أدموني قد حضر اجتماع عقده كريوتشكوف على متن يخت ماكسويل في البحر الأدرياتيكي قبيل محاولة الانقلاب.

كان رئيس الموساد قد قطع وعدًا خلال الاجتماع بأن تستخدم إسرائيل نفوذها لدى الولايات المتحدة والبلدان الأوروبية الرئيسية لتأمين الاعتراف الدبلوماسي بالنظام الجديد في موسكو. وفي المقابل يسهّل كريوتشكوف السماح بهجرة اليهود السوفييت جميعًا إلى إسرائيل. ولم يتوصّل النقاش إلى أي نتيجة ملموسة، لكن الكشف عنه سيلحق أذى بالغًا بمصداقية إسرائيل تجاه النظام الروسي القائم وتجاه الولايات المتحدة.

ويقول فيكتور أستروفسكي في كتابه (الجانب الآخر للخداع) إنه في تلك اللحظة "عقد اجتماع يميني صغير في مقر الموساد توصّل إلى إجماع على تصفية ماكسويل".

وإذا صح زعم أستروفسكي الذي لم تنفه إسرائيل رسميًا فمن المستبعد أن تكون المجموعة اليمينية قد نفذت قرارها من دون الحصول على تأييد له على أعلى المستويات، وربما بمعرفة رئيس الوزراء إسحق شامير الذي شارك بنفسه من قبل في تنفيذ عمليات قتل أعداء الموساد

ولعل ما أعطى المسألة صفة التعجيل في صفوف الموساد صدور كتاب للمحقق الصحافي الأمريكي الشهير سيمور هيرش بعنوان "الخيار شمشون: إسرائيل وأمريكا والقنبلة"، والذي يروي قصة تحوّل إسرائيل إلى قوة نووية. فقد فوجئت الموساد بنبأ صدور الكتاب، وأرسلت نسخ منه في سرعة إلى تل أبيب. والكتاب يستند إلى وثائق مهمة، ولكن كان بإمكان إسرائيل معالجة الموقف بفعالية بلزوم الصمت. فقد تعلمت درسًا قاسيًا من خطئها في معاداة ناشر كتاب أستروفسكي، وهو ناشر هذا الكتاب أيضًا. ولكن كانت المشكلة هي أن هيرش كشف عن علاقات ماكسويل بالموساد. وتركزت هذه العلاقات بصورة خاصة في معالجة مجموعة "ميرور" لقصة مردخاى فانونو.

وكما كان منتظرًا اختبأ ماكسويل خلف كتيبة من المحامين الذين أقاموا دعاوى قضائية ضد "هيرش" ودار النشر. ولكن "هيرش" قرّر قبول التحدّي، ووُجّهت في البرلمان أسئلة أكثر تحديدًا عن علاقات ماكسويل بالموساد. وعادت الشكوك القديمة تُطِل برأسها من جديد، وطالب نواب في البرلمان استندوا إلى الحصانة النيابية، بمعرفة حجم معلومات ماكسويل عن عمليات الموساد في بريطانيا. ويقول فيكتور أستروفسكي: "كانت الأرض قد بدأت تشتعل تحت قدمَيْ ماكسويل"، زاعمًا أن خطة الموساد الشديدة الإحكام لقتل ماكسويل كانت ترتكز على استدراجه لمكان ما حيث يوجّه الموساد ضربته. وثمة شَبَه قوي بين هذه الخطة والمؤامرة التي أدت إلى مقتل مهدي بن بركة في باريس[1]

---

(١) جاءت تفاصيل عملية اختطاف ابن بركة وقتله بالجزء الأول من (حراس الهيكل) ص٦٥ إلى ٨٠.

قتلوه ومشوا في جنازته :

في ٢٩ أكتوبر ١٩٩١ ، تلقّى ماكسويل مكالمة هاتفية من عميل في السفارة الإسرائيلية في مدريد، طلب منه المجيء إلى إسبانيا في اليوم التالي. ويقول أستروفسكي إن العميل "وعد بتسوية الأمور فلا داعي للخوف". وأبلغ ماكسويل بأن عليه السفر جوًا إلى جبل طارق والصعود إلى يخته "الليدي جيزلين" والإيعاز لطاقم بحارته بالإقلاع إلى جزر الكناري و"الانتظار هناك حتى ورود رسالة".

ووافق روبرت ماكسويل على أن يفعل وفق التوجيهات . ويوم ٣٠ أكتوبر وصل أربعة إسرائيليون إلى ميناء الرباط في المغرب وزعموا أنهم سيّاح يمضون إجازة صيد في عمق البحر. ثم استأجروا يختًا يعمل بمحرِّك وانطلقوا نحو جزر الكناري.

ويوم ٣١ أكتوبر وصل ماكسويل إلى ميناء سانتا كروز في جزيرة تناريف ، ثم تناول طعام العشاء وحيدًا في فندق "منسي"، وانضم إليه أحدهم في ما بعد فجالسه لفترة قصيرة.

ولا تزال هوية هذا الرجل وموضوع محادثتهما جزءاً من لغز آخر أيام روبرت ماكسويل. وبعد ذلك بقليل عاد ماكسويل إلى يخته وأعطى أوامره بالعودة إلى البحر. وخلال الست وثلاثين ساعة التالية أبحرت "الليدي جيزلين" بين الجزر وسارت في سرعات مختلفة، على أنها ظلت بعيدة عن اليابسة. وكان ماكسويل قد أبلغ ربّان اليخت أنه لا يزال يدرس أين سيتّجه في ما بعد. ويقول أفراد الطاقم إنهم لا يذكرون أن ماكسويل أظهر مثل هذا التردّد من قبل .

تحت عنوان "كيف ولماذا قُتل روبرت ماكسويل" ، نشرت مجلة "بيزنس أيج" البريطانية ما أسمته "سبقًا صحافيًا عالميًـا" ، زعمت فيه أن قاتلين عبرا في زورق مطاطي خلال الليل من يخت يعمل بمحرّك كان يتعقب "الليدي جيزلين". ولدى صعودهما إلى اليخت وجدا ماكسويل على الجزء الخلفي من متن اليخت فتغلبا عليه

قبل أن يتمكن من الاستغاثة ، ثم "حقن أحد القاتلين فقاعة هواء في رقبة ماكسويل عبر الوريد الوداجي، وبعد لحظات قليلة مات ماكسويل".

وخلصت المجلة إلى أن الجثة ألقيت من على السفينة وعاد القاتلان إلى يختهما. ولم يعثر على ماكسويل قبل مرور ست عشرة ساعة، وهو وقت كافٍ لاختفاء أثر غرز الحقنة نتيجة للانغماس في الماء والتهام السمك للجلد .

والمؤكد أنه خلال ليل ٤ – ٥ نوفمبر ، كانت متاعب الموساد مع ماكسويل تستريح في أمواج الأدرياتيكي الباردة. ولم تتمكن التحقيقات التي أجرتها الشرطة وتشريح الجثة على أيدي الأطباء الإسبان من الإجابة عن جميع الأسئلة :

لماذا لم يبق إلا اثنان من أصل اثنى عشر فردًا من أفراد الطاقم متيقظين بينما جرت العادة أن يشترك خمسة أفراد في نوبة الحراسة؟

لمن أرسل ماكسويل عددًا من الرسائل بالفاكس خلال تلك الساعات؟ ماذا حدث للنُسخ؟ لماذا استغرق أفراد الطاقم كل ذلك الوقت حتى توصّلوا إلى أن ماكسويل ليس على متن اليخت؟

ولماذا تأخّروا في إخطار الجهات المعنيّة بذلك سبعين دقيقة أخرى؟

وحتى اليوم لم تتوافر إجابات شافية عن كل ذلك.

كلّف ثلاثة أطباء إسبان بتشريح الجثة ، فأمروا بإرسال الأعضاء والأنسجة الحيوية إلى مدريد لإخضاعها لمزيد من الفحوص. لكن عائلة ماكسويل تدخّلت قبل أن يتم ذلك و أعطت تعليماتها بتحنيط الجثة وشحنها جوًا إلى إسرائيل حيث تدفن. وعلى غير عادتها لم تعترض السلطات الإسبانية على ذلك .

وفي ١٠ نوفمبر ١٩٩١ أقيمت جنازة ماكسويل عند جبل الزيتون في القدس، وهو مدفن تحيطه إسرائيل بهالة من الإجلال. وقد أسبغت على الجنازة كل مظاهر الفخامة التي تتصف بها المناسبات الرسمية ، فحضرها زعماء الحكومة وقادة المعارضة. وكان بين الحضور ما لا يقل عن ستة من رؤساء أجهزة الاستخبارات

الإسرائيلية الحاليين والسابقين، وقد أصغوا إلى رئيس الوزراء شامير وهو يقول في تأبينه : "لقد فعل (ماكسويل) لإسرائيل أكثر مما يمكن البوح به اليوم).

كان بين الحضور رجل يرتدي بذلة سوداء وقميصًا أسود اللون مع قبّة رومانية عند الرقبة. إنه من أصل لبناني وشكله شبحي، فطوله لا يزيد على خمسة أقدام ووزنه لا يزيد كثيرًا على مئة رطل. لكن الأب إبراهيم لم يكن قسًا عاديًا. إنه موظف في سكرتارية الدولة في الفاتيكان .

ولم يكن حضوره الحذر الجنازة لمجرد الاحتفاء بالعبور الأرضي لروبرت ماكسويل ، بل للإشارة إلى مبلغ تطوّر العلاقات السرية آنذاك بين الفاتيكان وإسرائيل.

كان ذلك دليلا رائعًا يؤكد صحة قول رئيس الموساد السابق مائير عاميت ، أن لا حدود للتعاون في حقل الاستخبارات ..!!





اغتيال العالم جير الد بول في بروكسل..!!

عالم كندي ومخترع فذ. عرض على صدام حسين فكرة بناء مدفع عملاق تطول قذائفه إسرائيل ، فينقلب أمنها إلى فزع وهلاوس .

ولأن العراق ابتلى بجواسيس وخونة جل آمالهم تنحصر في المال .. وصلت الأنباء المزعجة إلى إسرائيل.. وتم تعقب العالم حتى تصيدوه في بروكسل.. واغتالوه..!!

عند عتبة البيت

تفاصيل رواية اغتيال العالم الكندي جيرالد بول أعلنتها الموساد[1] تباهيًا وتفاخرًا بعملياتها. ولم تجيء عن مصادر أخرى خلافًا لما صدر عن إسرائيل.

تقول الرواية الإسرائيلية:

وفقًا للمبدأ التوراتي (العين بالعين)، يسوغ للإسرائيليين عمليات الاغتيال الانتقامية. لكن الموساد كانت أحيانًا تقتل شخصًا ما، لمجرد إصراره على رفض وضع مهاراته في خدمة مطامح إسرائيل. ولكي لا تعمل هذه المواهب في خدمة العدو كانوا يصفّون الرجل بلا رحمة.

كان الدكتور (جيرالد بول) عالـمًا كنديًا وأعظم خبراء العالم في البالستيات المدفعية. وقد منيت إسرائيل بالفشل أكثر من مرّة وهي تسعى لشراء خبرته. فكان بول كل مرة يظهر كرهه للدولة اليهودية.

وكبديل، عرض بول خدماته على صدام حسين لصنع مدفع عملاق، قادر على إطلاق قذائف تحمل رؤوسًا نووية وكيماوية وبيولوجية من العراق تصيب إسرائيل. وأعجبت الفكرة صدام تمامًا. كان طول ماسورة المدفع العملاق يبلغ ٤٨٧ قدمًا، وهي مصنوعة من ٣٢ طنًا من الفولاذ تقدمها الشركات البريطانية إلى العراق. في أواخر عام ١٩٨٩ جرى اختبار نموذج أوّلي من المدفع، فأطلق النار من مدى رماية مدفعية على الموصل في شمال العراق. وطلب صدام حسين أن يبني ثلاثة من هذه المدافع بتكلفة ٢٠ مليون دولار. وأعطى بول وظيفة ثابتة كمستشار مقابل مليون دولار أمريكي. وأطلق على المشروع اسم رمزي: "بابل".

---

(١) نقلها الصحفي الإيرلندي جوردون توماس في كتابه : انحطاط الموساد. اغتيالات وأكاذيب وارتزاق، ترجمة محمد معتوق عن دار بيسان في بيروت عام ٢٠٠٠ .

كانت شركة بول "سبايس ريسرتش كوربوريشن" (أس. آر. سي)مسجلة في بروكسل كشركة لتصميم الأسلحة. ومن بروكسل كانت الشركة ترسل مشتروات مفصلة إلى الشركات المصنّعة الأوروبية، ومنها عشرون شركة بريطانية، لتزويدها بالمدخلات ذات التقنيّة العالية

وفي ١٧ فبراير ١٩٩٥ حصل ضابط استخبارات بلجيكي في بروكسل على رسومات سرية ونسخ من الوثائق التي تظهر بوضوح الأهداف الاستراتيجية لمشروع "بابل"، وهي إنتاج مدفع عملاق يطلق صواريخ بالستية متوسّطة المدى. وكان قلب نظام الإطلاق في السلاح رزمة من ثمانية صواريخ من طراز "سكود" تمنح الرؤوس الحربية مدى يصل إلى ١٥٠٠ ميل. وبذلك تصبح إسرائيل وكذلك عدة مدن أوربية في مدى إطلاق الصاروخ. وكان بول يعتقد بإمكان إنتاج مدفع عملاق قادر على إصابة لندن من بغداد وبدقة.

طلب ناحوم أدموني المدير العام للموساد لقاء عاجلاً برئيس الوزراء إسحق شامير. كان شامير زعيمًا إرهابيًا سابقًا حارب البريطانيين بقوة خلال الأسابيع الأخيرة من عمر الانتداب في فلسطين. وكانت الموساد تشجع مثل هذا النوع من الزعماء السياسيين الذين يؤيدون تأييدًا تامًا تدمير أية قوة فاعلة فى أى قطر عربى عندما لا يكون هناك بدّ من ذلك.

خلال الستينيات عندما كان علماء الصواريخ الألمان يعملون في مصر لتزويدها بأسلحة ذات مدى طويل قادرة على ضرب إسرائيل عبر صحراء سيناء، استعانت الموساد بخبرة شامير في التحضير لعمليات الاغتيال. كان اختصاصه خلال حكم الانتداب البريطاني إيجاد السبل للقضاء على الجنود البريطانيين.كان شامير قد أرسل عناصر من منظمته الإرهابية السرية لقتل العلماء الألمان، وقد أصبح بعض هؤلاء السفاحين في ما بعد الأعضاء المؤسسين لوحدة الاغتيال في الموساد.

لم يستغرق استيعاب شامير لملف بول في الموساد وقتًا طويلاً. كان الجهاز قد قام بعمله بدقة، فتابع سيرة بول منذ نال درجة الدكتوراه في الفيزياء وهو في سن الثانية

والعشرين، بعدها عمل في مؤسسة تطوير الأبحاث والأسلحة التابعة للحكومة الكندية. وهناك اصطدم برؤسائه، الأمر الذي زرع بذور عدائه الأبدي للبيروقراطيين.

بعدها أنشأ شركته الاستشارية الخاصة، وأصبح ما أسماه الملف ببعض السخرية "بندقية للإيجار".

تكرّست شهرته كمخترع سلاح عام ١٩٧٦ عندما صمم مدفع "هويتزر" عيار ٤٥مم، يستطيع أن يصيب أهدافًا على مسافة خمسة وعشرين ميلاً. وقتها كان السلاح المماثل الذي تملكه قوات حلف الأطلسي (الناتو) ذا مدى يصل إلى سبعة عشر ميلاً فقط. ولكن بول لم يلبث أن اصطدم بالسياسات الحكومية، فمُنعت الدول الأعضاء في حلف (الناتو) من شراء المدفع الجديد بسبب نفوذ مجموعات اللوبي القوية العاملة لمصلحة كبار منتجي السلاح الأوروبيين. واضطر بول إلى بيع المدفع إلى جنوب إفريقيا.

بعدها انتقل بول إلى الصين حيث ساعد جيش التحرير الشعبي هناك على تطوير قدراته الصاروخية، فقوّى صواريخ "سيلك ورم" التي لدى الصين بتطويل مداها وزيادة حمولتها من المتفجرات . بعدها عمدت الصين إلى بيع كميات من هذه الصواريخ إلى العراق. وقد استخدمت بغداد هذه الصواريخ أثناء حربها الطويلة ضد إيران، لكنها احتفظت بكميات من منصاتها تكفي لإثارة قلق الموساد من أنها ستطلق لاحقًا على إسرائيل.

في هذه الأثناء، كان مشروع "بابل" يتقدّم بنجاح، فقد جرى اختبار نموذج أولى أكثر تطورًا. وأفاد معارضون للنظام العراقي جنّدتهم إسرائيل كمخبرين في العراق أن رؤوس الصواريخ تعدّ لحمل أسلحة كيماوية وبيولوجية. وبعد ظهر يوم ٢٠ مارس ١٩٩٠ أثناء اجتماع عقده ناحوم أدموني مع رئيس الوزراء إسحق شامير في مكتبه، وافق هذا على اغتيال بول.

وبعد يومين وصل فريق الاغتيال المؤلف من شخصين إلى بروكسل، حيث كان بانتظارهما ضابط استخبارات إسرائيلي مقيم كان يرصد نشاطات بول عن قرب. وعند الساعة ٦,٤٥ مساء ٢٢ مارس ١٩٩٠[1] وصل الرجال الثلاثة في سيارة مستأجرة إلى المبنى الذي تقع شقة بول فيه، وكان كل من عضوي فريق الاغتيال يحمل مسدسًا في جراب جلدي خبأه تحت سترته.

بعد عشرين دقيقة كان بول البالغ من العمر ٦١ عامًا يفتح شقته الفاخرة لقارعيه. فأطلقوا عليه خمس طلقات أصابته في رأسه ورقبته وتركوه قتيلاً عند عتبة الباب. وأكد ابنه مايكل في ما بعد أن والده تلقى تحذيرًا بأن الموساد ستقتله، لكنه لم يقل ممن تلقى التحذير ولماذا تجاهله والده.

حالما عاد فريق الاغتيال من مهمته بدأ قسم الحرب السيكولوجية في الموساد يغذي وسائل الإعلام بروايات ملفقة تدّعي أن جيرالد قُتل لأنه كان يعتزم التراجع عن اتفاق عقدة مع العراق.!!



(١) في مارس ١٩٩٠ أيضًا، أعدم جاسوس الموساد فرزاد بازوفت Farzad Bazoft في بغداد. وهو إيراني الأصل عارض نظام الخميني وغادر طهران إلى لندن حيث عمل كصحفي حر freelance في مؤسسة ميرور Mirror الصحفية العملاقة التي يملكها عميل الموساد روبرت ماكسويل.

بسبب حاجته إلى المال جُنِّد بازوفت لصالح الموساد، وأرسل في مهام صحفية إلى العراق. لكن طلب منه ذات مرة الكشف من مدى تطور عملية بناء (المدفع العملاق) الذي ابتكره العالم الكندي جيرالد بول. إلا أن السلطات العراقية اعتقلت بازوفت في أبريل١٩٨٨، عندما كان يحوم حول منطقة عسكرية تجري بها تجربة (المدفع)، وفشل العميل في تبرير سبب تواجده في المنطقة. وفي مايو ١٩٨٨ وزعت السلطات العراقية على مكاتب وكالات الأنباء والصحف العالمية، شريط فيديو يعترف فيه بازوفت بأنه جاسوس في خدمة الموساد. (هناك فصل كامل عن بازوفت بالجزء الثالث من حراس الهيكل.)!!



محاولة اغتيال بطرس غالي في القاهرة..!!

وسيط السلام الذي ظل محبوسًا في بيت من زجاج على مدى خمس سنوات، والذي لا يرى في كوابيسه إلا صورة شارون .

ولد في بيت يتنفس السياسة .. ويتابع السياسة.. ولا يتكلم إلا في السياسة. إذ كان جده وزيرًا للخارجية، وكان عمه وزيرًا أيضًا . وعندما سألوه عندما كان طفلاً عن أحلامه أجاب : (نفسي أطلع سياسي) ..!!

د. بطرس غالي كان مطلوبًا للاغتيال.

أعدت الموساد خطة مبدئية لاغتيال بطرس غالي أثناء ترشيحه لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة، وذلك في منزلة بالجيزة!! لخطة.. تم وضعها في المخابرات الإسرائيلية وكلف أحد ضباطها الجاسوس فارس مصراتي لتنفيذ العملية مقابل عشرين ألف دولار..

التنفيذ حسب تعليمات الموساد سيتم بواسطة المتطرفين الإسلاميين في مصر.. والمطلوب اختراقهم ودعمهم ماليا وتكليفهم بالقتل.

هذه المفاجآت المذهلة كشفت عنها ملفات تحقيق النيابة مع جاسوس الموساد فارس صبحي مصراتي(١).

قد لا يصدق الكثيرون أن عمر قصة آل مصراتي في القاهرة تربو على ٩ سنوات قضاها مصراتي الأب وزوجته وأولاده الأربعة بين القاهرة والقدس وطرابلس الغرب في ليبيا في البحث عن جد فارس مصراتي المدعو شاكر عبد الله إبراهيم البيجو المصراتي في الصحراء الغربية.. فالأب المعذب ظل يبحث عن جده تسع سنوات كاملة منذ أن دخل القاهرة من ميناء رفح البري في ٢٦ أبريل ١٩٨٤ وبجوار سفر رقم ٢٥١٤٠٣٧ وحتى الدخول الأخير في ٣ أكتوبر١٩٩١ وبينهما عدة تأشيرات دخول وخروج من وإلى القاهرة وإحداها إلى إيطاليا.

يصفه لنا حمدي رزق(٢) فيقول:

رجل في العقد الخامس من العمر، أسمر اللون يشبه المصريين، أصلع الرأس يرتدي جاكت بني اللون أسفله فانلة من القطن البني وبنطلون كموني، وحذاء من

---

(١) جاء اسمه من مدينة مصراتة الساحلية في ليبيا ، التي تبعد عن طرابلس ٢٠٠ كيلومتر إلى الشرق. وتقع المدينة فوق (سبخة تاورجا) وهي الآن منطقة صناعية هامة في ليبيا .

(٢) نشر التقرير في روز اليوسف بتاريخ ١٤ يونيو ١٩٩٣ .

(٥) كلمة المقدمة أخذت من حوار صحفى مع الدكتور بطرس غالى ، أجراه الصحفى القدير الأستاذ / عمرو عبدالحميد ، نشر بمجلة (المرأة اليوم) الإماراتية ، العدد (٩٨) فى ٢١ يناير ٢٠٠٣ .

القماش يلف قدمه اليسرى التي كسرت بعد أن قفز محاولا الهروب وقت القبض عليه في النزهة إنه يهودي من أصل ليبي، يجيد الحوار والهروب من ملاحقات الأسئلة التي أمطرته بها النيابة على مدار أسبوعين، ومع الحصار المشدد الذي مارسه ياسر الرفاعي وكيل نيابة أمن الدولة انهار تاجر الألومنيوم الإسرائيلي الشهير، وأمام القنصل الإسرائيلي بدأ يروي تفاصيل محاولة اغتيال الدكتور بطرس غالي في القاهرة:

(اسمي فارس صبحي مصراتي، وسني ٤١ سنة وأعمل حدادًا وتاجر ألومنيوم وخردة ومقيم في شارع سليمان بن يوسف، رقم (٥) بحي الرملة في تل أبيب.. وهو الحي الذي يعتبره في إسرائيل ((حي الجواسيس)) ومنه خرج كل من : محمد أبو فريحة ، وعلى عبد الفتاح عيسى ، وأحمد أبو موسى ، وإبراهيم الموراني ، وحمودة الدنف ، وأبو عادل أبو رزق ، وتوفيق ميلاد ، وأخوه عبدالسلام ، وخليل أبو سالم ، وولده عدنان ، وأحمد ، وكلهم (كما يقول مصراتي في اعترافاته) يعملون لحساب الموساد في القاهرة ويزورون مصر بانتظام لجمع المعلومات والعودة بها طازجة إلى إسرائيل) .

أما فارس مصراتي فكان أجدرهم بالاضطلاع بمهمة اغتيال الدكتور غالي. فهو يجيد العربية والمصرية بلهجة حواري القاهرة إلى جانب الإيطالية والإنجليزية، ويدعي أنه مسلم وعلامة الصلاة واضحة في جبهته توهم كل من يراه أنه مسلم يميل إلى الصمت والعمل الجاد الدءوب.

ربما كانت هذه المواصفات هي التي رشحت مصراتي للعمل في القاهرة لحساب الموساد.. ولكن حبه الشديد للمال هو الذي جذب إليه أنظار ضابط الموساد الكبير رافي ليفي الاسم المدني لليفي مائير الذي تعرف على مصراتي في كيبوتز بمستعمرة ياد. رام. بم بالقرب من مدينة اللد. كان رافي مائير ضابطا وخبيرا في المفرقعات وعقب عملية جراحية أجريت له "عملية القلب المفتوح" فأهلته حالته الصحية للتقاعد واصطياد من يصلح من اليهود العرب للعمل مع الموساد.. أبيض، طويل وسمين وشعره أسود من أصول مغربية في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره.

البحث عن أطلال الجدود

بدأت علاقة مصراتي بمائير في عام ١٩٨٤ وقبل زيارة مصراتي الأولى إلى مصر بشهور قليلة، ويصفها مصراتي بأنها علاقة عمل.. رافي يحصل على مزادات مستعمرات الجيش الإسرائيلي والمقاول "مصراتي" ينفذ الأعمال من خلال شركة "تل راض" التي يملكها رافي.

المال والأعمال كانا عامل الجذب المشترك بين الاثنين. لذا لم يفاجأ مصراتي بأسئلة "رافي" حول الأحوال في مصر التي يوشك أن يزورها في بداية عام ١٩٨٨، فمصراتي تكهن مبكرًا أنه من الموساد وهؤلاء كما يقول يدفعون كثيرًا.. سألني عن الأحوال في مصر، والاختلاف بينهما وبين الحياة في إسرائيل وعن شعبية الرئيس مبارك وعندما أجبته.. رد عليّ أنه عارف هذه المعلومات لأن زوجته مولودة في مصر ومتعلمة في القاهرة.. فقط أراد أن يختبرني ووعدني بالعمل معه في مجال المقاولات والمزادات في أقرب فرصة.

بعدها بشهور صرح مصراتي لرافي بأنه مسافر إلى مصر فطلب منه أن يكتب تقريرًا عن حالة الجيش المصري في سيناء، وخط بارليف عامل إيه، والشباب في الجيش، هل يحبون التجنيد أم لا.. وعندما سألته: أنت عاوز المعلومات دي ليه؟! قال: مجرد أن أطمئن على خط بارليف، وأنا عندي شغل مقاولات كبير سيكون من نصيبك ولو نفذت المطلوب منك بالضبط.

وعندما وصلت إلى القاهرة بدأت العمل الفعلي، جلسات في المقاهي والمنازل، بل وكنت أنزل أصلي في المسجد لأعرف ماذا يدبر هؤلاء الملتحون.. وبمجرد عودتي نقلت هذه المعلومات لرافي مائير الذي أعطاني ألفي دولار نظير هذه المهمة.. وكان أول تقرير وأول مبلغ من الموساد.

بعدها بعامين كانت المهمة الثانية في الأراضي المصرية. أخبرت رافي أني مسافر إلى مصر. فقال لي: تعال البيت نشرب شاي. وفي الطابق الثاني من فيلا رافي في

مستعمرة باد. رام. بم، أعطاني ستة آلاف دولار وطلب مني السفر إلى الإسكندرية وكتابة تقرير عن المطارات والمناطق العسكرية، وأن أذهب إلى ميناء الإسكندرية وأراقبه وأتأكد من وجود أية إمدادات عسكرية أو ذخيرة يتم تفريغها في الميناء.. وكرر عليّ تحذيره: "الكتابة ممنوعة، سجل في مخك كل شيء، وعندما تعود إحك لي"!

وعندما عدت إلى إسرائيل ذهبت لرافي في الفيلا وحكيت له على المعلومات التي حصلت عليها وكان يسجل كل كلمة في كاسيت سري.. وكان مصرًا على التأكيد أنني حصلت على أموال منه في نفس الجلسة المسجلة، وعرفت بعد ذلك أنه كان يذهب للموساد لتحليل شريط التسجيل بدقة..

الغريب أن "رافي" لم يدرب مصراتي على أية أجهزة للاتصال أو جمع المعلومات. وكان يعتمد على ذاكرة اليهودي البدوي الشره للمال، والذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة في القاهرة إلا أحصاها، وكل ما كان يحتاجه رافي من مصراتي من معلومات كان يجده. حتى عندما سأله عن مدى إجادته لفن التصوير واستعمال الكاميرات، أكد له مصراتي أنه مصور فنان وإن كان يخاف من التصوير في الأماكن المفتوحة "أحسن حد يشك فيّ". بل إنه تطوع للحصول على المزيد من المال، بنقل معلومات إضافية عن قطار حربي كان محملا بالذخيرة والمدفع والدبابات غرب العامرية، الأمر الذي نال استحسان رافي وبدأ يعده لمهمة أخرى.

المهمة هذه المرة كانت في المنطقة الصناعية بمدينة العاشر من رمضان، وبعد عام كامل من مهمة الإسكندرية وتحت نفس الغطاء : (البحث عن الجد العجوز المقيم في الصحراء الغربية تجاه ليبيا).

التكليف كان خطيرًا .. (الذهاب إلى مدينة العاشر من رمضان للتأكد من وجود مصانع للذخيرة ، بعدها تذهب إلى بور سعيد وتعبر القناة إلى بور فؤاد وتتقصى أحوال الجيش المصري، هناك.).

انطلق مصراتي إلى العاشر من رمضان ولفها على قدميه ودرس مصانعها واحدا بعد الآخر، بعدها ذهب إلى القناة وسجل ملاحظاته على ميناء بور سعيد ومنطقة بورفؤاد ، ليعود بها إلى إسرائيل ليحصل على ثمنها ٥ آلاف دولار أمريكي وشهادة تقدير شفهية من ضابط الموساد الكبير.

نجاح مصراتي وأولاده في الدخول والخروج من مصر لأكثر من عشر مرات دون أية مشاكل على الحدود، بل ووصول مصراتي الأب وابنته فائقة إلى طرابلس بليبيا وعثورهما على الجد المزعوم. وببطاقات شخصية مزروة في مطروح شجع "رافي" على أن يرشح مصراتي لعملية الموساد المقبلة في قلب القاهرة ، والخاصة باغتيال الدكتور بطرس غالي وزير الدولة للشئون الخارجية آنذاك، الذي فرض اسمه على الساحة العالمية كمرشح عربي وقوي لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة ، الذي كان قد خلا بانتهاء مدة بيريز دي كويار.

في صفحة (٢٤١ أمن) الجواز الخاص بمصراتي ورقمة ٢٥١٤٠٣٧ مسجل به تاريخ دخول مصراتي إلى القاهرة عبر منفذ طابا البري في ٣ أكتوبر ١٩٩١، وثابت في نفس الصفحة منح مهلة إقامة حتى ١٤ ديسمبر ١٩٩١ من مصلحة وثائق السفر ومجددة حتى ٢٧ ديسمبر ١٩٩١.. وهي المهلة التي حددها رافي لمصراتي لاغتيال الدكتور بطرس غالي قبل إجراء أية ترشيحات رسمية لمنصب الأمين العام[1].

يقول مصراتي:

- كان هذا آخر تكليف لي قبل أن تقبضوا عليّ.. قال لي رافي سوف أكلفك بمهمتين:

---

(١) يقول د. بطرس غالي في حديثه لمجلة المرأة اليوم الإماراتية الذى أجراه معه عمرو عبدالحميد: قبل أن أفوز بمنصب الأمين العام للأمم المتحدة ، كانت هناك معارضة أمريكية لترشيحي لهذا المنصب، وكذلك امتنعت إنجلترا عن التصويت وساعدتنا في الوصول لهذا المنصب فرنسا وروسيا والصين. وكان انتخابي صدمة للإدارة الأمريكية وليس كما أشيع أنني حصلت على المنصب في يناير ١٩٩٢ كمكافأة لمصر عن دورها في حرب الخليج.

الأولى : هناك سلاح سوف ينزل الإسكندرية في شهر ديسمبر، وأريدك أن تصوره.. وعندما اعترضت على التصوير.. قال سوف نرسل لك "بنت" يهودية سوف تنتظرك على كافيتريا أمام محطة الرمل، وستعرفها من ملابسها.. طاقية وشنطة سوداء، ونظارة بيضاء وملابسها حمراء.. وعندما ترى هذه المواصفات تكلم معها بالعبري وتتأكد من جواز سفرها بعدها ستقوم هي بالتصوير.

أما المهمة الثانية فستكون اغتيال الدكتور بطرس غالي!!

وعندما سألته: لماذا ..؟!

قال لي: (علشان هو مرشح للأمم المتحدة، وده مصري وخطر علينا وعلى إسرائيل) .

قلت له: (أنا أخاف أعمل حاجة زي دي، وأنا لا أعرف ضرب النار) !!

(راقي قال لي أنت مش ها تضرب نار، أنا ها أديك فلوس كثيرة وتنزل على مصر وهناك الناس "السنيين" اللي قتلوا السادات.. توصل لهم بطريقتك، وأنت معاك فلوس.. تذهب لهم في المساجد اللي بيصلوا فيها وأصرف عليهم فلوس وما يهمكش الفلوس.. وبالفلوس حتمشي حالك معاهم. وافقت وأعطاني عشرين ألف دولار، وقال لي ح أديلك تاني) !!

علاقة مصراتي القوية بالمخابرات الإسرائيلية أكثر من واضحة وأهم من كونها قوية خصوصًا مع عملية التبادل التي جرت مع الحكومة المصرية بعد ذلك، للإفراج عن مصراتي والنجاة به من قبضة السجن والمحاكمة.

ومن ثم يأخذ هذا الاعتراف بفكرة قتل بطرس غالي حيزًا واسعًا من الاهتمام على الرغم من غموضه وعموميته الشديدة.

فعشرون ألف دولار لا تكفي عمولة فقط لمصراتي!! ولا تستطيع أن تقيم عملية اغتيال محكمة وناجحة(..) فضلاً عن أن توقيت العملية لم يكن محددًا، فبينما تنفيذها كان فضفاضًا وضبابيًا. فالذي نفهمه أن الموساد إذا أرادت أن تخترق

الجماعات المتطرفة لاستخدامها في اغتيال شخصيات بارزة، فهذا لا يتم أبدًا عبر مجرد جاسوس صغير غير مدرب، ولا يعرف شيئًا عن تقنيات وأساليب التخطيط لعمليات اغتيال أشخاص على أرض أجنبية، ولاسيما إذا كان هذا الشخص المطلوب اغتياله بثقل الدكتور بطرس غالي..!!

كما أن البعض لا يشك كثيرًا في أن الموساد قد نجح فعلاً في اختراق المتطرفين.. ومن ثم فلا مجال لإطلاق قطة مصراتي في نفق المتطرفين المظلم للحصول على صفقة الاغتيال.

ثم في سياق الاتهامات المعلنة والمخفية التي تطارد د. بطرس غالي حول صلاته باليهود، أو ارتباطه العائلي بالزواج من أصول يهودية، أو تراث علاقته بإسرائيل منذ صلح السادات في ١٩٧٧ ، والمكانة الهامة التي احتلها بطرس غالي في العلاقات المصرية الإسرائيلية طيلة هذه السنوات . في سياق هذا كله هل من المنطقي أو المعقول، قبل أن تعلن مصر رسميًا رغبتها في ترشيحه لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة، أن تدفع الموساد في سبيل قتل بطرس غالي؟!

السؤال من الناحية الأخرى، هل هذه الاعترافات وثيقة تبرئة لبطرس غالي؟! أم أنها محاولة إسرائيلية جديدة للتصدي لأي قدرة مصرية أو عربية تصعد إلى مكانة دولية تؤهلها للقيام بدور غير منحاز على الأقل لإسرائيل!!

على العموم.. نعود للاعترافات حيث يقول مصراتي:

(قال لي رافي وأنت في مصر ما تتصلش بي خالص من هناك. وإذا احتجت فلوس أو أية حاجة أخرى واتزنقت تبقى تتصل "بديفيد أوفتيس" في الشيراتون.

وديفيد أوفتيس[1] هو ضابط مخابرات إسرائيلي، (٣٣ سنة) معروف بصلاته القوية بالإسرائيليين العرب، له محل موبيليات في "يافا" وسكنه في جيف عتايم في تل أبيب وينادونه هناك "بدودو".. يقول عنه مصراتي: (مخه تجاري، وكنت

---

(١) ديفيد أوفتيس: كان أحد الضالعين في التجسس على مصر مع فارس مصراتي، وطرد من البلاد لأنه عمل على ضرب اسم وسمعة الأثاث المصري في أوروبا. (أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات. يوسف هلال ص ١٠٢) .

أتبادل معه البضائع وأبيع للعرب ولما عرف أني سوف أسافر إلى القاهرة قال لي: (اسأل لي عن الأنتيكات.. وعلى المزاد الذي تقيمه السفارة الأمريكية في أكتوبر ١٩٩١). وعندما تأكدت من المزاد أرسلت إليه فجاء إلى القاهرة وزار الإسكندرية وحضر المزاد واشترى منه حاجات كثيرة شحنها إلى العريش ومنها إلى تل أبيب بحوالي ١١ ألف دولار..

وكان دور "دودو" كما قال لي رافي مراقبة العملية من بعيد وإبلاغ التطورات إلى تل أبيب دون تدخل مباشر منه).

يتزوج من سيد قشطة؟

يقول مصراتي في التحقيقات:

(لم يذكر لي "رافي" اسم الفتاة اليهودية التي ستقوم بالتصوير، وقال أنتم ستتعرفوا على بعض، وهاتشوفوا جوازات بعض وتتأكدوا من بعض، ولم يعطني صورة لها واكتفى بالقول أنها يهودية وتتكلم عبري وأعطاني أوصاف ملابسها.

ولم يحدد يوم وصول المعدات الحربية إلى الإسكندرية ، فقط قال لي : راقبها خلال شهر ديسمبر والفتاة اليهودية ستقوم بكل شيء).

الغريب ما قاله مصراتي أيضًا في التحقيقات عن الأمر الصريح بالقيام باغتيال الوزير المصري:

(لم يحدد رافي وقت تنفيذ عملية اغتيال الدكتور بطرس غالي، فقط قال لي : حاول تنفيذ العملية في أسرع وقت (!!) لأنه مرشح سكرتيرًا للأمم المتحدة وقبل الوقت ما يفوت).

وهل حدد لك مكان الاغتيال؟!

(لا.. قال لي أنت لن تقتل، فقط تعرف بالناس السنيين اللي قتلوا السادات وهم يعرفوا كل حاجة، وأنت عليك تصرف فلوس عليهم وبس. ولم يخبرني بأي شيء عن السلاح ، فقط قال اتصل بالسنية وهم يخلصوا العملية).

"بالمناسبة تعبير "السنية" تعبير مصري دارج وعامي فندهش من وروده على لسان "جاسوس" وبدأ مصراتي التنفيذ، بالنسبة للمهمة الأولى قال:

(أنا رحت فعلا للكافيتريا التي في محطة الرمل في شهر ديسمبر لكن البنت اليهودية لم تحضر، وكررت الزيارة لنفس المكان ثلاث مرات وعندما فقدت الأمل في حضورها بدأت أمل العمل مع رافي خاصة وأنا كنت أريد السفر لليبيا. ولكن الذي جعلني أحاول تنفيذ المهمة الثانية أن رافي مائير قال لي قبل السفر لازم تكون عارف أنك بتشتغل مع الموساد.. وعندما قلت له أني سوف أسافر لمصر وأعيش هناك.. حذرني وقال أنت الآن مع الموساد الإسرائيلي يعني جهاز مخابرات قوي، وأنت صرت بتشتغل في الجهاز ده وما تقدرش ترجع أو تتراجع تاني..

وقتها شعرت أنهم ممكن يقتلوني. وخاصة أن "دودو" كان على وشك أن يعطيني جهاز إرسال متقدمًا جدًا أكد لي أنني أستطيع الاتصال به بإسرائيل في أي وقت ومن أي مكان، وأنا كنت طمعان في الجهاز وكمية من الفلوس وأهرب على ليبيا.

وبالفعل وقبل أن يحضر ديفيد أوفيس إلى القاهرة ومعه الجهاز ، نزلت على قدمي إلى مسجد في شارع طومان باي قدامه فرن ، والمسجد ده بيصلي فيه الجماعة السنية وصليت الجمعة . ولكن سمعت الخطبة وتأثرت بالكلام وبدأت أراجع الخطة مع نفسي، فتجنيد هؤلاء صعب والعملية كبيرة، والموساد أمامي وخلفي، فقررت أن أنتظر حضور "دودو" وأكلمه في الموضوع واطلب منه فلوس أخرى أستطيع بها استخراج جوازات سفر جديدة لي ولا بنتي للهروب إلى ليبيا).

في ذلك التوقيت المبكر من شهر فبراير ١٩٩٢ كانت معركة انتخاب الأمين العام للأمم المتحدة على أشدها في نيويورك والقاهرة والعواصم العربية تتمنى وصول الدكتور بطرس غالي إلى المقعد العالمي، والأمن المصري أمامه بلاغ يشكك في وجود شقة مفروشة تدار لشبكة آداب في النزهة.

وبفحص البلاغ ومزيد من التحريات بدأت الخيوط تتشابك.. فالسكان يهود إسرائيليون، والدخول إليهم سهل وميسور وشهادات الجيران تؤكد أن فائقة مصراتي بنت فارس تعود دوما متأخرة من خارج البيت وأنها يوم الخميس (١٠يونيو ١٩٩٣) عادت في سيارة ملاكي بيضاء بأرقام القاهرة. يقول مصراتي الأب:

(السيارة ملك شخص في مسئولية حساسة ، وأنه أصر على توصيل فائقة وكان معه صاحبه محمد ووصلها إلى وسط البلد وترك لها أرقام التليفونات وأخذ رقم الشقة المفروشة التي تسكن فيها، وجاء إلينا وسهر حتى الصباح بعدها فوجئت أنه بيطلب يد فائقة للزواج، فقلت له : إننا إسرائيليون وعرب ولكن مسلمون ، ومع ذلك وافق على الزواج منها[١] . بعدها ونحن سهرانين أنا وهذه الشخصية الحساسة ، وكانت فايقة بداخل غرفة النوم ، سمعت "خبطًا شديدًا" على الباب).

مصراتي اتهم عددًا من أصدقائه بالقاهرة بالإبلاغ عن أن إقامته انتهت منذ ثلاثة شهور، والأمن كان في طريقة للتحقيق من صحة بلاغ الآداب، ولكن اعترافات صبحي مصراتي[٢] قلبت القضية رأسًا على عقب ، وخاصة أنه قالها متطوعًا بل وأبدى استعدادًا كاملاً للتعاون مع المخابرات المصرية لجمع المعلومات من إسرائيل، وربما كان هذا سببًا مباشرًا للإصرار الإسرائيلي على مقايضة مصراتي بمصريين.. وقد تم.

---

(١) بالله عليكم انظروا إلى صورة فايقة مصراتي في ملحق الصور.. لتروا بأنفسكم الخنزير الإسرائيلي الأقرب إلى سيد قشطة.. وإعلامنا للأسف الشديد بالغ كثيرًا في وصف ابنة مصراتي وكأنها ملكة الحسن التي (لحست) عقل الشباب المصري إلى آخر هذه الإشاعات التافهة.

(٢) عندما ألقي القبض على فارس مصراتي، زعمت إسرائيل أن مصراتي كان يعمل لحساب ليبيا. ولم تلتفت مصر للمزاعم الإسرائيلية التي كانت (مناورة) للهروب من المأزق الذي وضعت فيه لوجود معاهدة سلام بينها وبين مصر. وبعد اعتقال (ماجد)، ابن فارس مصراتي (١٧ عامًا)، أثناء عبور الحدود المصرية الليبية قادمًا من ليبيا، اعترف بأنه يعمل مع والده، وشقيقته لحساب الموساد. واعترفت (فائقة - ١٧ عامًا) بأن ما كانت تسعى إليه هو اصطياد عريس مصري لتحصل على هوية تمكنها من التنقل باستمرار إلى ليبيا لحين الاستقرار فيها بشكل نهائي.

السعي لاغتيال صدام حسين عام ١٩٩٢..!!



بعد انسحاب صدام حسين من الكويت عام ١٩٩١ والثورة عليه في أغلب محافظات العراق ، تصور العالم أن انقلابًا داخليًا سوف يطيح به.. لكنه أسكت الثورة بالقوة.. وملك زمام الحكم من جديد. ومنذ ذلك الوقت نشطت الاستخبارات المركزية لاغتياله.. وفشلت ، حتى اعتقل داخل حفرة في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٣. وبعدها بثلاثة أيام اعترفت إسرائيل لأول مرة بأنها سعت لاغتيال صدام عام ١٩٩٢ ..!!

صناع طاقية الإخفاء

سقطت بغداد يوم الأربعاء الحزين ٩ أبريل ٢٠٠٣ واختفى صدام وأغلب رموزه. تصور الجمهور العربي المتشوق لأي انتصار عربي، أن صدام سيقاتل بشراسة حتى يسترد حكمه الشرعي من جديد.. أو يسقط شهيداً في ميدان المعركة.. لكن (حفرة العنكبوت) التي عثر بداخلها على صدام حسين، أشعث أغبر مذعورا يرتجف، يبدو أنها الصورة الحقيقية لصدام الجبان الخنوع الغبي الذي دمر بلده وحط من قدر العرب.

كانت إسرائيل أيضًا تغلي خوفًا من صدام، الذي قذفها أيام حرب الخليج الأولى بـ٣٩ صاروخًا من طراز سكود. مع كل انفجار كانت تتزعزع وترتج هلعًا من الداخل. وما إن أعلن نبأ اعتقال صدام في١٣ ديسمبر ٢٠٠٣ ، حتى أعلنت إسرائيل في ١٦ ديسمبر ما كانت تخفيه، إذ سمحت الرقابة العسكرية الإسرائيلية لوسائل الإعلام العبرية، بنشر تفاصيل عن مخطط وضعته القيادة وأقرته حكومة إسحق رابين عام ١٩٩٢ لاغتيال الرئيس العراقي السابق صدام حسين في مسقط رأسه، تكريت[1] ، لكن المخطط لم ينفذ في أعقاب مقتل خمسة جنود إسرائيليين بصاروخ، أطلقه زميل لهم خلال أحد التدريبات على العملية في موقع تسئليم شمال إسرائيل، وهي حادثة تكتمت إسرائيل رسميًا عن تفاصيلها، لكنها أحدثت ضجة كبيرة، واتهم رئيس أركان الجيش في حينه ، إيهود باراك ، بأنه ترك التدريب الذي أشرف عليه شخصيًا وجنوده ينزفون دمًا.

وبناء على ما نشرته كبرى الصحف العبرية يوم الثلاثاء ١٦ ديسمبر ٢٠٠٣، خططت إسرائيل لإرسال قوات خاصة من "دورية رئاسة أركان الجيش"، التي تعتبر وحدة نخبة تناط بها عادة العمليات الأكثر تعقيدًا، إلى تكريت لاغتيال صدام خلال

---

(١) الحياة اللندنية . الأربعاء ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣ ، العدد ١٤٨٧٦ .

مشاركة في الجنازة المنتظرة لخاله خير الله طلفاح[1] الذي كان يعاني من مرض خطير، وتوقعت إسرائيل وفاته بل فكرت في تسريعها مفترضة أن صدام سيشارك بالتأكيد في مراسم التشييع نظرًا لحبه لخاله الذي رباه ورعاه.

وكان مفروضًا إرسال وحدتي كوماندوز إلى العراق في مروحيات عسكرية إسرائيلية تحمل سيارات جيب عسكرية[2] على أن تتمركز على بعد١٢ كم من مقبرة عائلة الرئيس العراقي في العوجة فتقوم إحداهما بمتابعة تحركات صدام أثناء "الجنازة" فيما الأخرى تنتظر الإشارة منها لتوجيه "صاروخ ذكي" باتجاه صدام تمت صناعته لتنفيذ العملية وبيعت نماذج منه، لاحقًا إلى دول مختلفة.

وفي ٥ نوفمبر ١٩٩٢ أجرت "وحدة النخبة" تدريبًا آخر لتمثيل العملية فقتل فيها الجنود الخمسة بينما أصيب الجندي الذي مثل دور صدام "بجروح وهمية" ولم يقتل كما ابتغى المخطط.

وكشفت الصحف العبرية خلافات في الرأي فى أوساط كبار مسئولي الأجهزة الأمنية، وتحديدًا معارضة رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أوري ساجي (١٩٧٩ – ١٩٨٣) على خلفية مخاوفه من فشل العملية وما قد تحدثه من ردود فعل عنيفة في العالم العربي!

لكن إيهود باراك نجح في إقناع رابين الحائز على جائزة نوبل للسلام ! بتأييد العملية ، على رغم قناعة الجميع أنها معقدة للغاية وقد تكبد "وحدة النخبة" ثمنًا باهظًا. وأضافت أن ما شغل بال المخططين، فضلاً عن نجاح عملية الاغتيال، عدم وقوع أي من الجنود في الأسر العراقي حتى بثمن الانتحار.

---

(١) والد ساجدة زوجة صدام حسين، والفريق عدنان خير الله الذي اختاره صدام وزيرًا للدفاع ثم قتل في ظروف مريبة. بعدما ركز صدام أقدامه في السلطة عين خاله محافظًا لبغداد، اعترافًا بما أسداه له من مساعدات في طفولته (تفاصيل حياة خير الله طلفاح جاءت بكتابنا : ماذا حدث في بغداد ، عن دار الكتاب العربي – دمشق / القاهرة) .

(٢) لم توضح إسرائيل بالضبط كيف سترسل مروحيات عسكرية إسرائيلية إلى تكريت. هل يا ترى عن طريق تركيا أم طريق شبرا البلد..؟ وربما بواسطة (طاقية الإخفاء) الشهيرة التي صنعت خصيصًا لتنفيذ العملية وبيعت نماذج منها، لاحقًا ، إلى قوات التحالف فى العراق ..!!

وكتبت "يديعوت أحرونوت" أنه تم وضع لمهاجمة غرب العراق وتدمير منصات صواريخ سكود ، والصواريخ التي تبقت بعد إطلاق ٣٩ منها على إسرائيل .

وأضافت الصحيفة أن إسرائيل أرادت أيضًا، من خلال التخطيط لاغتيال صدام حسين، استعادة هيبة قدراتها الردعية التي ضربت بقسوة أثناء الحرب وهو "ما يعني في الواقع أن إسرائيل فتشت عن الثأر" على ما يقول أحد المخططين لمحاولة الاغتيال.

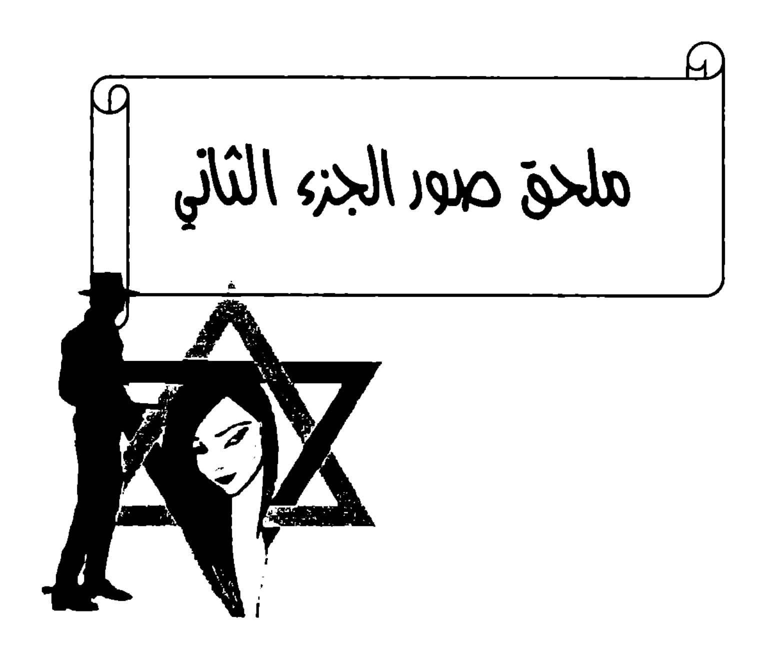
وأثار النشر بعد إلقاء القبض على صدام حسين حفيظة مسؤولين عسكريين إسرائيليين كبار ، فاعتبره رئيس أركان الجيش الجنرال موشيه يعالون "تسيبًا" ، ووصفه رئيس جهاز "الموساد" السابق شبتاي شافيت[1] بأنه دليل على "فقدان البوصلة والضمير" يصب في اتجاه "تدمير الذات". ورأى معلقون أن "التباهي والعظامية الجنونية" كلها أمور سخيفة للغاية ،لا تفيد إسرائيل في شيء، حتى بعد انهيار نظام الرئيس العراقي السابق .

تم بحمد الله الجزء الثاني في مايو ٢٠٠٤

ويليه الجزء الثالث (الفضائح)

---

(١) عينه إسحق شامير رئيسًا للموساد عام ١٩٩٠ وظل في منصبه حتى عام ١٩٩٦.


ملحق صور الجزء الثاني





الفدائي الجسور علي حسن سلامة، أذل إسرائيل لعقد كامل من العمليات الفدائية الجريئة.

حكمت عليه جولدا مائير بالإعدام هو ورفاقه في (أيلول الأسود)، فأنهك رجال الموساد وحبس أنفاس العالم في ميونيخ. تزوج من ملكة جمال الكون جورجينا رزق. (صورة جورجينا بعد اغتيال سلامة وزواجها من المطرب وليد توفيق).



أبو جهاد (خليل الوزير) ، والفيلا التي كان يسكنها في تونس وجـرت بداخلها أحداث اغتياله على مرأى من زوجته وابنته . لقـد أفرغـوا بجسده جبنا وتشفيًا أكثر من ٦٠ طلقة.. وكأنهم يقتلون الهلـع الـذي أصابهم به..!!



زوجة خليـل الوزيـر (أم جـهاد)، تشـير إلى مكان الرصـاص الـذي اغتيـل بـه زوجـها. قالت الصحف التونسية أنها يوم استشـهاد زوجـها لم تخـاف المـوت.. أو تبكـي أمـام اليهود..!!

في جنـازة الشـهيد خليــل الوزيــر، المسئولون السـوريون والفلسـطينيون والأصدقاء ساروا خلف نعشه.. ما عدا عرفات..!!







القادة الفلسطينيون الثلاثة ضحايا عملية فردان، الشهداء كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار.. لم يكن من السهل التوصل إليهم بدون عملاء في منظمة التحرير أو خارجها.. رسموا خرائط تفصيلية للحي والشارع والبيت الذي يقيمون فيه.. مما سهل عملية اغتيالهم ..

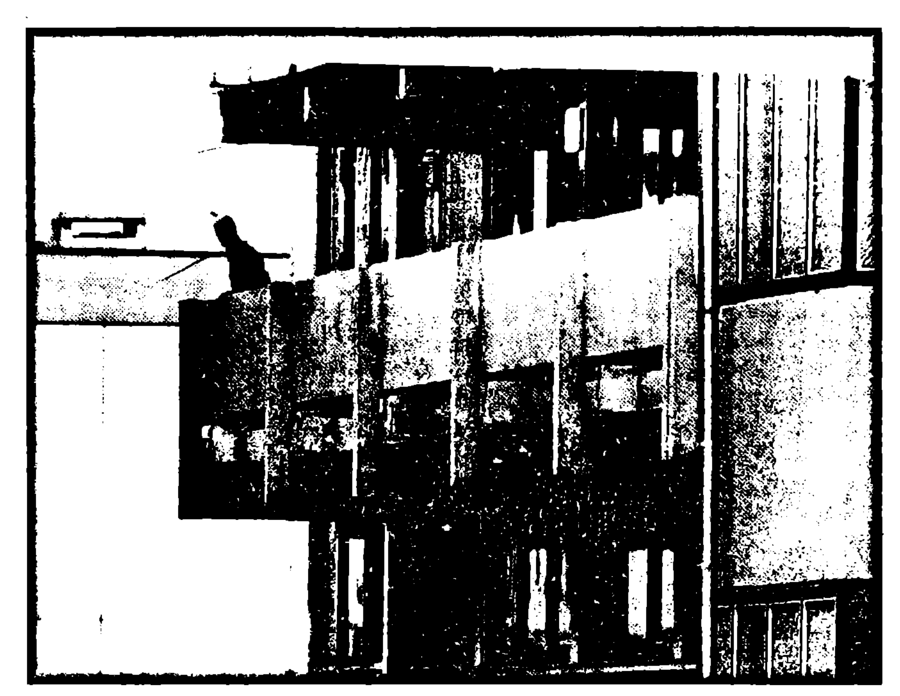
عمليات الاغتيال هذه التي يقوم بها العدو الغاصب وآخرها عملية اغتيال الشيخ احمد ياسين، ثم الدكتور الرنتيسى ، لا يمكن لها أن تنجح بدون عملاء محليون.. يرصدون كل شيء بأمان.. مقابل بضع دولارات.. أو ربما طمعا في بعض الأمن والامتيازات داخل الأرض المحتلة..!!



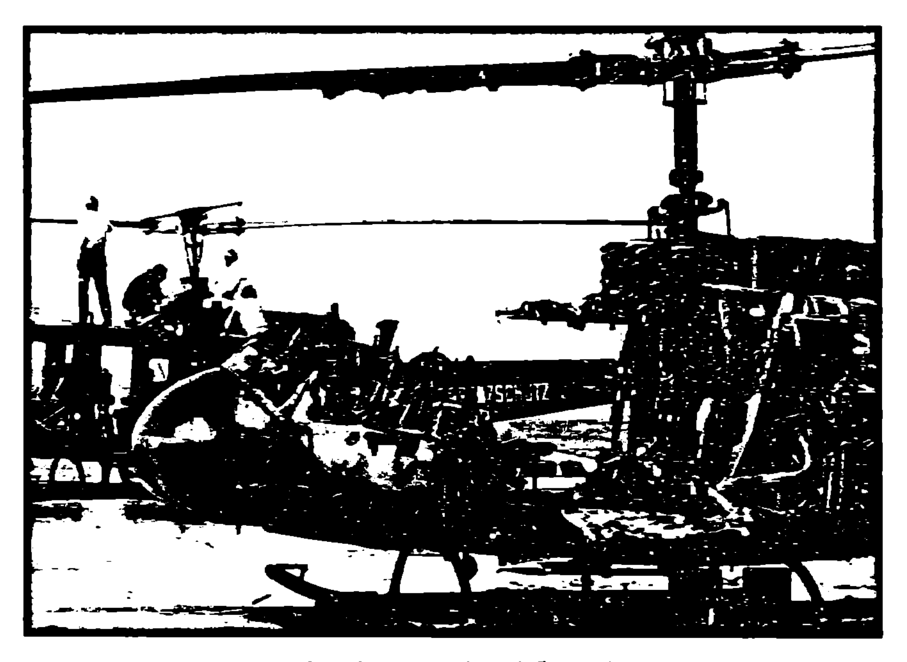


سمير عبد الله — عبد القادر الدناوي — إبراهيم مسعود

الفدائيون الثلاثة الذين نجوا في عملية ميونيخ

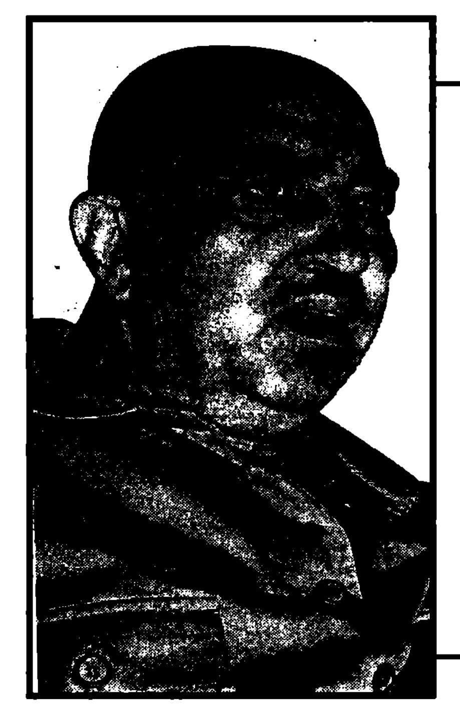


مقر البعثة الإسرائيلية بالقرية الأولمبية في ميونيخ



الطائرة التي انفجرت بالرهائن

الزورق الإسرائيلي (جاعاش).. حمل القتلة وأبحر بهم قبالة شواطئ بيروت.. وأثناء الليل.. انطلقوا بلنشات الكاوتشوك لتنفيذ عملية (أفيف نعوريم).. التي اشتهرت باسم (فردان).



صلاح خلف (أبو إياد).. وضعته الموساد على رأس المطلوبين فى قائمة الموت .. و أثناء عملية فردان كان على بعد أمتار من موقع الحادث لكن القتلة لم يعرفوا مكانه.. كان يستمع كما كان يردد.. إلى (سيمفونية ميونيخ) من الأبطال الثلاثة الذين نجوا من المذبحة .



الشهيد غسان كنفاني.. كان فدائيًا لم يحمل البندقية مرة واحدة في حياته.. فقد كان قلمه هو سلاحه.. وكانت كتاباته تثير العدو وتزعجه أكثر من كتيبة فدائيين.. عندما انفجرت به سيارته أسفل البيت، لم تعثر زوجته إلا على ساقه اليسرى.



ياسر عرفات يحتضن فائز غسان كنفاني.. وكان ذلك في أحد المعسكرات بألمانيا .



مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني.. قاتل عصابات اليهود في فلسطين.. وسافر إلى برلين والتقى بهتلر الذي وعده بالعمل على اجتثاث اليهود من الأراضي المقدسة.. هزم هتلر وانتحر.. وواصل الرجل جهاده مع الشيخ حسن سلامة..

تزوج علي حسن سلامة من ابنة شقيقة المفتي.. وأنجب منها ابنه (حسن).



الشيخ عز الدين القسام.. الأب الروحي للجهاديين في فلسطين.. آمن بأن القوة خير وسيلة لاسترداد الحق.. وأن اليهود كالكلاب المسعورة التي لا ينفع معها سوى القتل.. ودعا إلى نبذ التواكل والعمل المسلح ضد العدو الصهيوني.. لقد حمل الشهيد الشيخ أحمد ياسين مبادئه وطبقها تنظيمه الثوري، الذي أطلق اسم القسّام على جناحه العسكري.. وصواريخه..!!



الشيخ ياسين لحظة مغادرته المعتقل على كرسيه ذي العجلات.. جسد لا تتحرك أطرافه.. بقلب مؤمن.. ولسان لا ينطق إلا الحق.. حارب العدو المغتصب بإرادته.. وأسس حركة (حماس) فزلزلت عملياتها الاستشهادية إسرائيل.. وبرغم الاغتيالات المستمرة لكوادرها.. تزداد قوة وتلاحمًا.. وتصور شارون أنه باغتيال هذا الرجل سيعم الأمن.. لكن الكارثة الكبرى.. أن أغلب دول العالم أدانت إسرائيل بأدب.. وانحناء..!!



في مدينة الحسين الطبية بعمان.. الملك حسين وعرفات يزوران الشيخ الشهيد.. أسطورة الجهاد الذي هزم صلابة وجبروت العدو الصهيوني وهو فوق كرسيه المتحرك.! كان أولاده يقولون له.. حتى قبيل ضربه بالصواريخ بدقائق.. أنه من الواجب تأمين نفسه ضد تهديدات شارون.. لكنه كان يقول لهم إنه ينتظر الشهادة ولا يخاف الموت..!!



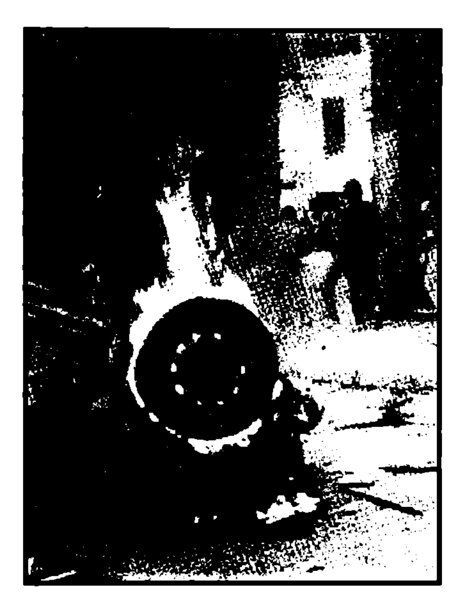
خالد مشعل .. رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في عمان.. أرسل نتانياهو كلابه لاغتياله بالغاز السام أو بالكيماوي.. لكن سائقه أمسك بالقتلة.. وبدا رجلي الموساد (حراس الهيكل)، في غاية الاستسلام والهلع.. وانفضحت مؤامرات الموساد على الملأ .



حسن نصر الله.. الأمين العام لحزب الله.. لم يدرس في الأكاديميات العسكرية.. لكنه هزم الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان.. وطارده حتى داخل حدوده..وأجبر قادة إسرائيل على تحيته عسكريًا احترامًا واعترافًا بقوته.. وبمهارة جيشه الذي لا يتعدى ٣٠٠٠ شاب مؤمن مدرب.



البطل العربي والقائد الأسطوري حسن نصر الله يستقبل الأسرى المحررين، ويعانق الشيخ عبد الكريم عبيد، وفي الصورة الثانية يبدو الشيخ مصطفى ديب الديراني تعانقه ابنته. أما شارون.. فقد وقف متحسرًا مذهولاً أمام تابوت إحدى الجثث الثلاثة التي استردها من (حزب الله) ..!!



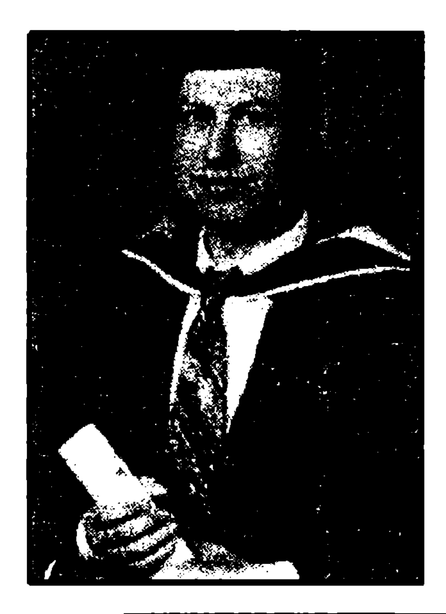
تفجير سيارة رئيس مخابرات (حزب الله) عماد مغنية التي كان بها شقيقه فؤاد. فعلها أحمد الحلاق في الضاحية الجنوبية من بيروت.. وتمكن رجال (حزب الله) من اختطافه وكان على بعد شبر واحد من الحدود الإسرائيلية.. وخطفوا معه زوجته وطفليه.. وحكم عليه بالإعدام لأول مرة في لبنان..!!



الدكتور فتحي الشقاقي زعيم حركة الجهاد الإسلامية. أبعد من وطنه إلى لبنان فعاش في دمشق.. وبعد رحلة قصيرة إلى ليبيا اغتيل بالرصاص في مالطا. اعترفت الموساد باغتياله انتقامًا لمقتل أكثر من مائة خنزير صهيوني داخل الأرض المحتلة على يديه..!!



على خط بارليف بعد أكتوبر ١٩٧٣، مـاجد أبـو شـرار ممثل منظمة التحرير في روما، اغتالته الموساد عام ١٩٨١، وإلى جواره الناشط الفلسطيني محمد عودة (ابو داود) الذي أشرف بنفسه على تنفيذ عملية ميونيخ .



العالم المصري القتيل

الدكتور أحمد الجمال..

وبعض ما نشر عنه بصحيفة

الجارديان البريطانية.

Uncle distraught after death of 'brilliant' man

BY PETER DYKE

THE grief-stricken uncle of a young man who died in police custody has spoken for the first time of the family's loss.

[illegible]

STUDENT FOUND DEAD IN CELL WAS 'PEACE-LOVING FRIEND'

[illegible]



[illegible]



الدكتـورة سمـيرة موسـى .. أول عالمـة ذرة عربيـة . وأول عالمـة ذرة تغتال في العالم.. كانت أصـابع الموسـاد وراء مقتلها بأمريكا .



عالم الذرة المصري الدكتور يحيى المشد مع أسرته.
اغتالته الموساد في ميريديان باريس واعترفت لأول مرة.



الدكتور سعيد بدير.. طاردتـه الموسـاد فعـاد إلى مصر ووجه نداءات عبر وسائل الإعلام يطلب حمايتـه.. ووجـد مقتـولاً بالإسـكندرية بعدمـا ألقى به من مسكن شقيقه في ظروف غامضة..!!



بطرس غالي.. خططت الموساد لاغتياله في القاهرة بواسطة الجماعات الإسلامية، حتى قبلما تعلن مصر رسميًا نبأ ترشيحه لمنصب السكرتير العام للأمم المتحدة.. في تواصل أبدي لتصفية العقول العربية أولاً بأول..!!



فايقة مصراتي .. شكل نسائي إسرائيلي مقزز..
جاءت مع والدها صبحي مصراتي إلى مصر للتجسس
فهل يصدق أحد أن مصريًا عرض عليها الزواج..؟



فيكتور أوستروفسكي صاحب كتاب (عن طريق الخداع) ، المليء بالأكاذيب والشعوذة الدعائية للموساد.. لكن ربما تكون قصة عميل الموساد ماكسويل من أصدق ما جاء فيه..!!



روبرت ماكسويل.. صاحب مؤسسة (ميرور) الصحفية العملاقة في لندن.. وعميل الموساد وشريكها في عمليات غسيل الأموال القذرة ببنوك أوربا والاتحاد السوفييتي. ولأنه عرف الكثير من الأسرار.. كان القرار بتصفيته.. فتم استدراجه إلى البحر بالقرب من إسبانيا.. حيث جرى حقنه بفقاعة هواء وألقى به في الماء.. وشيع الإسرائيليون جثمانه في أسف وحزن ظاهرين.. لكن بداخلهم مكر السفاحين وقساوة القتلة..!!





من كل بقاع الأرض جاءوا جياعا عرايا يبحثون عن مأوى.. وأرض.. تغلفهم أساطير توراتية لا أساس لصحتها في الحقيقة.. لكنهم احتموا بصمت الغرب على أفعالهم.. وقذاراتهم.. وإرهابهم.. ومذابحهم.. ويتهمون أصحاب الأرض بأنهم إرهابيون.. وقتلة..!!



دولة الأساطير التوراتية التي لا تعترف بالثوابت والحقائق.. إذ تنكر الحقيقة وتحكم بالباطل..!!



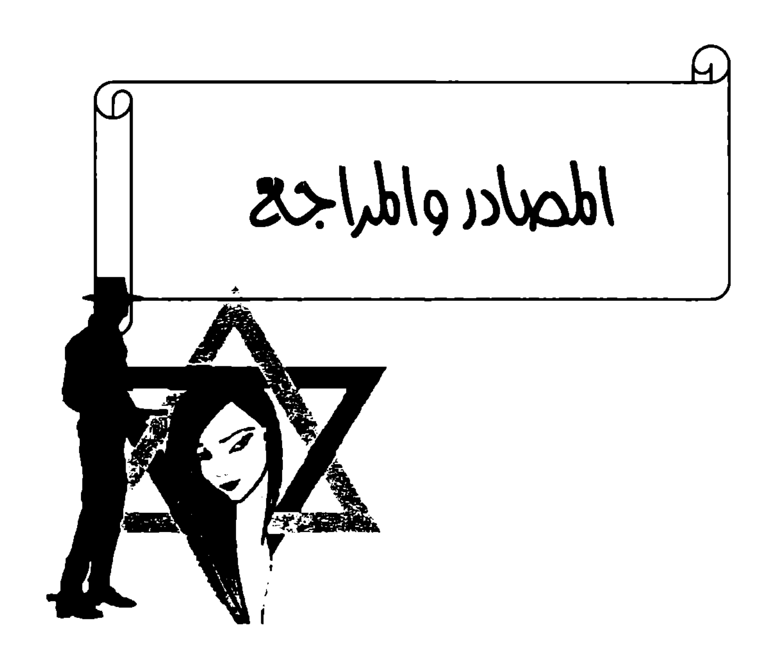
جولدا مائير.. أول سيدة تترأس الحكومة في إسرائيل.. ولدت في أوكرانيا وهاجرت لفلسطين تحلم بطرد السكان وإقامة الدولة الصهيونية، وفكرت بالانتحار عام ١٩٧٣. أمرت بإعداد قائمة الموت للقادة الفلسطينيين انتقامًا لعملية ميونيخ.. وأطلقت اسم (الأمير الأحمر) على الفدائي الأسطورة علي حسن سلامة.. وماتت قبلما تشهد اغتياله.



إيهود باراك.. رئيس وزراء سابق لإسرائيل.. ارتدى ملابس نسائية وتشبه بامرأة داعرة وقاد فريقًا من القتلة في بيروت لاغتيال الزعماء الفلسطينيين الثلاثة.. وشارك بعد ذلك في اغتيال أبو جهاد في تونس.. كيف يعترف العالم بدولة جميع حكامها قتلة.. تقطر أياديهم بالدماء..؟



(بيبي) نتانياهو.. كان رئيسًا للوزراء عندما أمر باغتيال خالد مشعل في الأردن، برغم معاهدة السلام بين البلدين. لكن.. هل يتوقع من رجل جاء أبوه حافيا مطرودًا من وارسو ليتسول الأمن في فلسطين غير هذا..؟


المصادر والمراجع

١ – **يفجيني كورشونوف** : الموساد الإسرائيلي .. عملاء – إرهابيون – قتلة. ترجمة : مخلوف سليمان. دار حوران للطباعة . دمشق – ٢٠٠٢

٢ – **شمعون بيريز** : معركة السلام (يوميات). ترجمة عمار فاضل / مالك فاضل. الأهلية للنشر. المملكة الأردنية. عمان – ١٩٩٥

٣ – **د. صالح زهر الدين** : المنطقة العربية في ملف المخابرات الصهيونية. المركز العربي للأبحاث التوثيقية. بيروت – ١٩٨٥.

٤ – **يوسف ميلمان، دان رافيف**: أمراء الموساد . ترجمة محمود برهوم، حزامة حبايب. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٩١

٥ – **سعيد الجزائري** : المخابرات والعالم . دار الجيل . بيروت – ١٩٨٩

٦ – **رولاند راين** : الموساد .. الملفات السرية لجهاز المخابرات الإسرائيلية. ترجمة : طلعت غنيم، مجدي عبد الكريم. مكتبة رجب . القاهرة – ١٩٩٣.

٧ – **جراهام يوست** : تقنية التجسس . ترجمة : إياس فرحات. دار الحرف العربي. بيروت – ١٩٩٣

٨ – **نيل . س . لفنجستون، دافيد هاليفي** : القصة الحقيقية لمنظمة التحرير الفلسطينية. الزهراء للإعلام العربي. القاهرة – ١٩٩٢

٩ – **أيمن العلوي** : الجاسوسية الإسرائيلية تحت المجهر. دار الرافد. لندن – ١٩٩٣.

١٠ – **محمد فوزي (الفريق أول)** : حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧/ ١٩٧٠. دار المستقبل العربي – ١٩٨٤.

١١ – **جوردون توماس** : انحطاط الموساد – اغتيالات وأكاذيب وارتزاق. ترجمة محمد معتوق. بيسان للنشر والتوزيع . بيروت – ٢٠٠٠

١٢ – **جوردون توماس** : جواسيس جدعون.. التاريخ السري للموساد. ترجمة أحمد عمر شاهين، مجدي شرشر. كتاب سطور – ١٩٩٩

١٣ – **إيان بلاك ، بني موريس** : الحروب السرية للاستخبارات الإسرائيلية. ترجمة العقيد الركن إلياس فرحات. دار الحرف العربي . بيروت – ١٩٩٨

١٤ – **د. إيريش فولات** : عين داوود.. عمليات الوحدات السرية الإسرائيلية. ترجمة أسيمة جانو. مكتبة مدبولي بالقاهرة – ١٩٨٧

١٥ – **د. عبد العظيم رمضان**: تحطيم الآلهة.. قصة حرب يونية ١٩٦٧ . الجزء الأول. مكتبة مدبولي بالقاهرة – ١٩٨٨

١٦ – **فيكتور أوستروفسكي ، كلير هوى** : عن طريق الخداع. صورة مروعة للموساد من الداخل. ترجمة ماهر الكيالي وآخرين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت – ١٩٩٠

١٧ – **فريد الفالوجي** : العملية 007 .. وهروب أول طائرة حربية عربية لإسرائيل.. مكتبة مدبولي. القاهرة – ٢٠٠٣

١٨ – **د. ممدوح حامد عطية**: البرنامج النووي الإسرائيلي.. والأمن القومي العربي. مكتبة الأسرة – ١٩٩٧

١٩ – **أحمد حجازي السقا** : الجنس عند اليهود.. أخبار النساء الصالحات والفاسدات من بني إسرائيل. دار الكتاب العربي. دمشق – القاهرة – ٢٠٠٣

٢٠ – **طلعت المرصفي**: أوراق مجهولة من ملفات المخابرات العالمية. مكتبة مدبولي. القاهرة – ١٩٩٥

٢١ – **قصي عدنان عباسي** : المخابرات الإسرائيلية. أسرار وحقائق. منشورات دار علاء الدين. دمشق – ٢٠٠١

٢٢ – **وليم ديشيل** : إريكا.. عميلة الموساد. ترجمة د. رمضان أبو العلا، د. عبد العظيم حسنة. مدبولي الصغير. القاهرة – ١٩٩٣

٢٣ – **بليدوفسكاو بلوخ** الجاسوسية والجاسوسية المضادة. ترجمة حكمت البعيني. منشورات البحر المتوسط. بيروت – باريس – ١٩٩١

٢٤ – **يوسف هلال** : أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات . مركز الحضارة العربية. القاهرة – ١٩٩٨

٢٥ – **د. رفعت سيد أحمد** : وثائق حرب فلسطين – الملفات السرية للجنرالات العرب. مكتبة مدبولي. القاهرة – ١٩٨٩

٢٦ – **إبراهيم العربي** : التقارير السرية للمخابرات الأمريكية . المركز العربي للنشر والتوزيع . الإسكندرية – القاهرة، بدون تاريخ إصدار .

٢٧ – **د. عبد الوهاب المسيري** : اليد الخفية.. دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية. مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠

٢٨ - **ريتشارد ديكون** : العمليات السرية للمخابرات الإسرائيلية . ترجمة دار طلاس. دمشق - ١٩٨٧

٢٩ - **دايفيد كان** : حرب الاستخبارات. ترجمة عبد اللطيف أفيوني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت - ١٩٨٢

٣٠ - **دينيس إيزنبرج** : الموساد.. جهاز المخابرات الإسرائيلية السري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت - ١٩٨١

٣١ - **نزار عمار** : الاستخبارات الإسرائيلية . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت - ١٩٧٦

٣٢ - **هانى أبو الخير** : أشهر الاغتيالات السياسية فى العالم (ستة أجزاء) عن دار الكتاب العربى ، دمشق - القاهرة

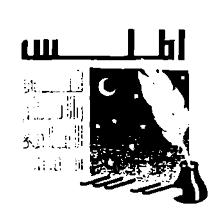
٣٣ - **على عبدالفتاح** : علماء العرب والمسلمين (تحت الطبع)

الصحف والدوريات العربية :

أعداد من (القدس) ، (الكفاح العربي) ، (الشراع) ، (الحوادث)، (الوسط)، (روز اليوسف) ، (استراتيجيا) ، (المجلة العسكرية) ، (سوريا) ، (المعركة) ، (الوطن العربي)، (الأحرار) بيروت، (العالم) ، (آخر ساعة)، (أكتوبر)، (الدوحة) ، (الأهرام) ، (الموقف العربي) ، (الشرق الأوسط)، (الحياة)، (البيان) ، (المصور) ، (الأنباء) ، (اليقظة) ، (المرأة اليوم) ، (الصياد) ، (الأسبوع العربى)

تطلب جميع أعمال الكاتب

من



أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

٢٥ شارع وادى النيل - المهندسين - القاهرة

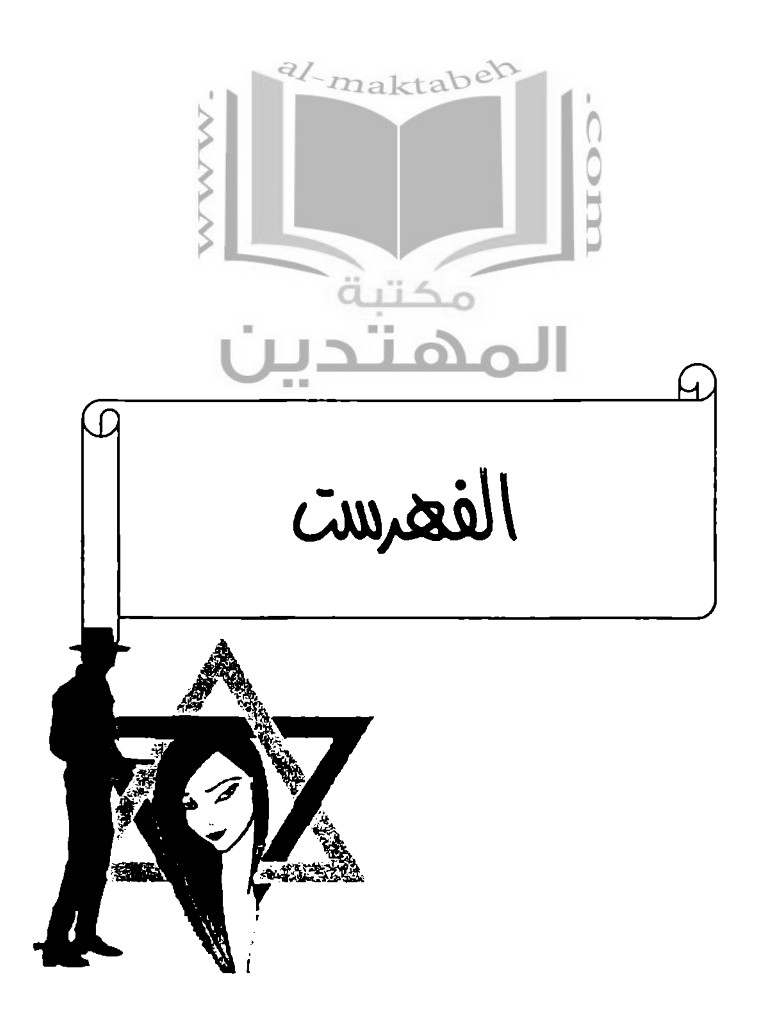
٥ شارع محمد شفيق من شارع وادى النيل

المهندسين - القاهرة

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥-٣٠٢٩٥٣٩-٣٠٤٢٤٦٩ فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail: innov@innovations-co.com




الفهرست